تأويلات القرآن

١٤٢٥

لابى منصور محمد بن محمد الماتريدى السمرقندى

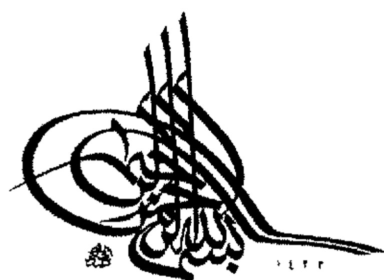
تحقيق
احمد وانلى اوغلى

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلى

الجزء السابع عشر

النبا - الناس

دار الميزان



ISBN 978-975-9048-01-3 (Tk.)
ISBN 978-975-9048-10-5

الكتابة والتنسيق

علي حيدر أولوصوي
عيسى يوجل

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

استانبول ٢٠٠٧

تأويلات القرآن

١٤٢٥

لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق
الدكتور خليل إبراهيم قوتلاي

مراجعة
الأستاذ الدكتور بكر طوبال أوغلي

استانبول ٢٠٠٧

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* التي التزمنا بها في التحقيق

ر: نسخة راشد أفندي – مكتبة راشد أفندي بمحافظة قيصري، تحت رقم ٤٧.

ن: نسخة نور عثمانية – مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.

ث: نسخة نور عثمانية – مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٣.

م: نسخة مهرشاه – مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ٨.

شرح تأويلات القرآن: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة ولي الدين – مكتبة بايزيد، قسم ولي الدين أفندي، تحت رقم ٤٢٦.

الاختصارات:

صح ه: ورد التصحيح بهامش النسخة الخطية.

ر ه: هامش النسخة الخطية بمكتبة راشد أفندي الخ.

و: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.

ظ: ظهر الورقة لها.

– : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.

+ : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النبأ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾[١] ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[٢] ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾[٣]

قوله عز وجل: **عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم.** اختلف في التساؤل. فمنهم من ذكر أن التساؤل كان عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم، سألوا عن حاله[2] أهو نبي أو ليس بنبي؟ ومنهم من ذكر أن التساؤل كان عن القرآن أنه من الله تعالى أو ليس من الله تعالى؟[3] أو يتساءلون فيما بينهم هل يقدرون[4] على إتيان مثله أم لا؟ وجائز أن يكون التساؤل عن أمر البعث أو عن التوحيد، كما قال الله تعالى خبرا عنهم: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا.[5] ثم جائز أن يكون هذا السؤال من أهل الكفر؛ سأل بعضهم بعضا فاختلفوا فيه ولم يَحْصُلوا من اختلافهم على إصابة الحق، ألا ترى إلى قوله تعالى: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ [ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ]،[6] ولو كان فيهم مصدِّق لكان وقع له العلم في ذلك الوقت فلا يَحتاج إلى أن يعلَّم وينبَّه[7] عليه.

---

[1] ر – سورة النبأ؛ ث + وهي أربعون آيات مكية.

[2] جميع النسخ: من حاله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٣و.

[3] ر ث م – أو ليس من الله تعالى.

[4] ر ث م: هل تقدرون.

[5] ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب. أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عُجَاب﴾ (سورة ص، ٣٨/٤-٥).

[6] الآيتان التاليتان.

[7] ر ن م: ويبينه.

فإن كان السؤال عن حال الرسول صلى الله عليه وسلم فوجه اختلافهم أن بعضهم زعم[1] أنه شاعر، وقال بعضهم: إنه[2] ساحر، وقال بعضهم: / مفترٍ[3] كذاب، وادعى بعضهم أنه مجنون. [٨٨٠ظ] وجائز[4] أن يكون السؤال من الكفرة للمؤمنين، وإن كان على هذا فما ذكره أهل التفسير: فهُم بين مصدق ومكذِّب، يراد بالمكذّب الذين صَدَر عنهم السؤال، ويراد بالمصدّق أهلُ الإسلام الذين سُئلوا. ثم لا يجوز لأحد تحصيل السؤال على جهة واحدة والقطع عليه [إلّا][5] بالتوقيف[6] الموجب للعلم.*

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون.** فمنهم من ذكر [أن][8] هذا وعيد على وعيد. وقد ذكرنا أن حرف الوعيد مما يكرّره[9] العرب فيما بينهم للتأكيد، كما يقال: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ،[10] و أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى.[11] وجائز أن يكون قوله: **كلا سيعلمون،** على عِلْمِ دلالة، وقوله تعالى: **ثم كلا سيعلمون،** على علم المشاهدة والعِيان.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾[٦] ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[٧]

ثم قوله تعالى: **ألم نجعل الأرض مهادا،** أي بساطا، **والجبال أوتادا.** ذكر أن الأرض لمّا خلقت مادَتْ[12] بأهلها[13] فأرساها الله تعالى بالجبال لطفا منه لا أن جعلها سببا للإرساء،[14]

---

[1] ر م: يزعم.
[2] ر م: هو.
[3] ر ث م: مفترى.
[4] ر م: وحال.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٣و.
[6] ر م: التوفيق؛ ن ث: بالتوقف. والتصحيح من المرجع السابق.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية ٦ من هذه السورة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٨٨٠ظ/ سطر ٤-١٦.
[8] الزيادة من المرجع السابق.
[9] ن: مما تكرره.
[10] ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ (سورة المؤمنون، ٣٦/٢٣).
[11] سورة القيامة، ٣٤/٧٥.
[12] ماد الشيءُ يميد مَيْدا: تحرك ومال. وفي الحديث: لما خلق الله الأرض جعلت تميد فأرساها الله بالجبال (*لسان العرب*، «ماد»).
[13] ر ث م: ما بدت لأهلها.
[14] ر: للإرسال؛ م: للآصال.

ألا ترى إلى قوله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا،[1] فقد جعلها[2] في ذلك الوقت مُستمسكة ثابتة مستقرّة بدون الجبال، فثبت أنها ليست بسبب للإرساء في التحقيق. ويكون فيه[3] تعريف الخلق وجوهَ الحيل في الأمور إذا تعذّر عليهم الوصول إليها.

[٨٨٠ظ س٤ *ثم في قوله تعالى: **ألم نجعل الأرض مهادا**، جواب عما سبق من التساؤل، فإن كان التساؤل عن أمر الرسالة فحقه أن يحمل على جهة غير الجهة التي يُحمل عليها إذا صُرف التساؤل إلى أمر البعث أو إلى أمر التوحيد أو القرآن. والأصل فيه أن الله تعالى بما ذكر من مهاد الأرض وخلق الأزواج ذكّر عبادَه عظيم نعمه وكثرةَ إحسانه إليهم ليستأدي منهم الشكر. فإذا[4] وقعت لهم الحاجة إلى الشكر احتاجوا إلى من يُعرِّفهم[5] بما به يُشكَر الله تعالى، وكيف يُؤدَّى شكرُه، إذ لا يُعْرَف في كل نعمة وجه شكرها إلا بالتوفيق، فيضطرّهم ذلك إلى من يبين لهم واحتاجوا إلى من يعرّفهم[6] محل الشكور ومحل الكَفور ومحل الْمُوالي ومحل المعادي؛ إذ[7] وجدوا هذه الدنيا تَمُرّ على الأولياء وعلى الأعداء على حالة واحدة، فاحتاجوا إلى من يعرّفهم الوعد والوعيد، وأوجب ما ذكرنا القولَ بالبعث ليَظهر به منزلةُ الشكور والكفور.

وفي ذكر هذه النعم أيضا دلالة الوحدانية، لأن الله تعالى مهّد الأرض فجعلها متمتَّعا للخلق ومتقلّبا لهم، وأخرج منها ما يتعيشون به، وجعل سبب الإخراج ما ينزل من السماء من القَطْر، فجعل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء، فلو لم يكن مدبّرُهما واحدا لانقطع الاتصال.

ثم لو أراد أحد أن يعرف المعنى الذي له يقع إحياء الأشياء بالماء لم يصل إليه، ولو أرادوا أن يتداركوا الوجه الذي صلَح هذا الطعام أن يكون سببا لدفع الحاجات وقطع الشهوات لم يقفوا عليه؛ فيكون فيما ذكرنا إزالة الشُّبَه والشكوك التي تعترض لهم في الأمور الخارجة عن تدبيرهم وقواهم.* ٨٨٠ظ س١٦]

---

[1] سورة طه، ٢٠/ ١٠٥-١٠٧.
[2] ر م: فقد جعلنا.
[3] م - فيه.
[4] ر ث م: وإذا.
[5] ن + محل الشكور ومحل الكفور.
[6] ر ث م + الوعد والوعيد.
[7] ر: ومحل الهادي إذا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآيتين السابقتين برقم ٤ و ٥، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٨٠ظ/ سطر ٤-١٦.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾[٨]

وقوله: **وخلقناكم أزواجا**. قيل: ألوانا، فيكون في هذا إبطال الحكم بقول القائف لأنهم يستدلون بالتشابه في الألوان ويحكمون بها، ولو كان الأمر على ما قدّروا لارتفع الاختلاف في الألوان فيكون الخلق كلهم على لون واحد. وقيل: **أزواجا**، [أي] فِرَقا شتى ليعرف كلٌّ منهم عنصره ومنتهى أصله. وقيل: **أزواجا**، أي جعل لكل أحد شكلا من جنسه فجعل للذكر أنثى زوجا من جنسه.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾[٩]

وقوله: **وجعلنا نومكم سباتا**. قيل: السبات التمدّد، وقيل: السبات النوم الذي لا حركة فيه، ولهذا قيل للذي شبيه بالميت: مسبوت. وقيل: السبات الراحة، ولذلك سمى السبت لأنه يوم راحة وترك العمل في بني إسرائيل.

ثم في إنشاء النوم دليلُ سلطانه ودخول[١] الخلق بأجمعهم تحت تدبيره؛ إذ لا يتهيأ لأحد الاحتراز من النوم حتى لا يعتريه، بل يقهر الجبابرةَ فيُذلّهم ولا يمكنهم الخلاص عنه بالحيل والأسباب. ثم النوم كأنه من أثقل الأحمال وأشدها، ثم إذا زايل الإنسانَ[٢] وعاد المرء إلى حال اليقظة وجد في نفسه خفة وراحة. ومن شأن هذا الإنسان أنه إذا حمل الحِمْلَ الثقيل مسّه من ذلك فُتور وكَلال لا يزول عنه ساعةَ ما يضع الحِمل عن نفسه بل يبقى ذلك الكلال فيه إلى مدة. فمن تدبر في أمر النوم دلّه على عِظَم شأنه وعجائب تدبيره.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وجعلنا الليل لباسا**، فهذا اللباس لباسُ الأعين لا غيرُ. ألا ترى أنه لا يَستغنى بلباس الليل عما أُخذ عليه من اللباس للصلاة، ولا يعمل لباسُ الليل عَمَلَ اللباس المعروف في دفع أذى البرد والحر. وقال بعضهم: اللباس السكن كما قال في آية أخرى: وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا.[٣] فكأنَ الذي حملهم على هذا التأويل هو أن تمام السكنِ والراحة يقع بالنوم فصرفوه إليه.

---

[١] ر م: ودخلوا.
[٢] ن - الإنسان.
[٣] سورة الأنعام، ٩٦/٦.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وجعلنا النهار معاشا**، أي يُتَعَيَّش فيه لا أن يكون نفسه معاشا كما سماه مُبْصِرا[١] لما يُبصَر به لا أنه في نفسه مبصرا.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وبنينا فوقكم سبعا شدادا**، أي السماواتِ؛ فذَكَّرهم هذا ليُنبِّههم على قدرته وسلطانه فيعرفوا[٢] أنه فعَّالٌ لما يريد قادرٌ على ما يشاء.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾[١٣]

وقوله / عز وجل: **وجعلنا سراجا وهاجا**، فكأن السراج هو الشمس هاهنا جعلها تَتوهّج [٨٨١و] وتَتَلألأ[٣] ما بين السماء ولأرض.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجا**. فمنهم من ذكر أن المعصرات هي السحاب التي أنشئ فيها القطر. يقال للجارية التي قد دنا[٤] حيضُها معصرة؛ فشبّه السحاب بِمَعاصِر الجواري. وقيل: سمي السحاب مُعصِرا لأنه يَعصِر المطرَ. وقيل: هي ذوات الأعاصير،[٥] يعني الرياح، كقوله: فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ،[٦] أي ريح.[٧] وعن الحسن: هي السماوات.[٨] وقال الزجاج: المعصر هو الذي قد أتى وقتُ إرسال القطر منه، كما يقال: مُجْزِر لما أتى وقت جِزاره.[٩]

---

[١] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).

[٢] جميع النسخ: فعرفوا.

[٣] جميع النسخ: يتوهج ويتلألأ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٣ظ.

[٤] جميع النسخ: قد دنت. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] جميع النسخ: أعاصر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ﴿أيودّ أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكِبَرُ وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت﴾ (سورة البقرة، ٢٦٦/٢).

[٧] الإعصار: ريح تثير سحابا ذات رعد وبرق. وجمعه أعاصير (*لسان العرب*، «عصر»).

[٨] *تفسير الطبري*، ١٣/٢٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ١٤، ٢٢٨.

[٩] ر ن م: جوازه. يقال: أَجزر الرجلُ: إذا أَسنَّ ودنا فناؤه كما يُجْزِر النخلُ (*لسان العرب*، «جزر»). المعصرات السحائب لأنها تعصر الماء. وقيل: المعصرات كما يقال: قد أَجَزَّ الزرعُ فهو مُجَزٌّ إذا صار إلى أن يمطر (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٢٧٢/٥).

ثم في إنزال الماء من المعصرات تذكير النعم والقدرة والحكمة، وكلّ وجه من هذه الأوجه الثلاثة يوجب القول بالبعث. فأما وجه تذكير النعم فهو[1] أن القطر ينزل من السماء متتابعا، ثم الله تعالى بلطفه يمنع إتصال[2] بعض ببعض والتصاقه ويرسلُ كل قطرة إلى الأرض بحِيالها[3] ويُنزل بعضها على إثر بعض ليُنْتَفع بها، ولو التصق بعضها واتصل لم يقم لها شيء وكانت يصير سببا للتعذيب والإهلاك؛ فبفضله ورحمته أنزلها متتابعة لينتفع بها الخلق ويتمتعوا بها.

وفيه تذكير القوة والحكمة لأنه أنشأ السحاب الثقال وساقة إلى الموضع الذي قدّر أن يُرسل القطرَ هنالك. ومعلوم أن ذلك الإرسال ليس من فعل السحاب لأن السحاب يمتنع عن إرسال القطر حتى ينتهي إلى الموضع الذي أُمر بإرسال القطر فيه. ولو كان ذلك [مِن فعل] السحاب نفسه لكان أينما مرَ يعمل في الإرسال. ولو كان ذا ثَقْب لكانت الريح متى دخلت في الثقب أرسل السحابُ ما أنشئ فيه من القطر. فإذا لم يوجد ذلك بانَ أنّ[4] الله تعالى بحكمته وقدرته ولطفه هو الذي أنشأ فيه ذلك ودبّر إرسالَه، لا أن يكون ذلك عمل السحاب. ولو أراد أحد من حكماء الأرض أن يعرف المعنى الذي له صَلَح ذلك السحاب أن يستمسك فيه القطر ولا يستمسك في مكان آخر لم يقف عليه. فذَكَّرَهم ليعلموا أن حكمته ليست على الوجه الذي ينتهي إليه حكمُ البشر ولا قدرته مقدّرة بقوى[5] البشر بل هو قادر على ما يشاء فعّال لما يريد. وفيه أن تدبير السماء والأرض والهواء يرجع إلى الواحد القهار، إذ لا يتهيأ لأحد أن يمنع القطر المرسَل من السماء عن الوصول إلى الموضع الذي أمر أن ينتهي إليه. والثجّاج: القطر المتتابع بعضُه على إثر بعض. والثجّ: الصب والإراقة.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **لنخرج به حبا ونباتا**، فجائز أن يكون ذَكَر الحبّ لأنه المقصود من زراعة ما يكون له الحب فذكره لما إليه ينتهي القصد. ويكون ذكر النبات منصرفا إلى مالا حب له لأن القصد من زراعته النبات لا غيرُ. وجائز أن يكون منصرفا إلى شيء واحد لأن الذي فيه الحب[6] فيه البنات أيضا.

---

[1] جميع النسخ: وهو.
[2] جميع النسخ: إيصال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٣ظ.
[3] ر م: بجبالها. بحيالها: أي بانفرادها.
[4] ر ث م – أن.
[5] ر ث م: تقوى.
[6] ر م – فيه الحب.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **وجنات ألفافا**. قد ذكرنا أن الجنة هي اسم المكان الملتَفّ بالأشجار، وهي التي اجتمعت فيها[١] الأشجار.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **إن يوم الفصل كان ميقاتا**، فالميقات الميعاد، أي وَعَد فيه[٢] جمعَ[٣] الأولين والآخرين صالحهم وطالحهم صغيرهم وكبيرِهم. وسُمِّي يومَ الفصل لما يُفصَل فيه بين الأولياء وبين الأعداء ويتبين فيه مثوى الفريقين جميعا. واليوم ليس بيومِ فصلٍ في الظاهر لأن الدنيا تمر[٤] على الفريقين على حالة واحدة وإن كان قد فُصِل بينهما بالتوفيق والخذلان. وقيل: يوم الفصل يومُ الحكم.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **يوم ينفخ في الصور**، قد ذكرناه فيما تقدم.[٥] وقوله عز وجل: **فتأتون أفواجا**. قيل: أمة فأمة يأتي أمةُ كلّ رسول بحِيالها.[٦] وقيل: يُقْرَن كلّ أحد بشيعته على ما يذكره في قوله تعالى: وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ.[٧]

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾[١٩]

وقوله: **وفتحت السماء فكانت أبوابا**، فمنهم من ذكر أنها تُفتَح لإنزال من شاء الله تعالى من الملائكة وتنشق وتَنفطر لشدة هول القيامة. ومنهم من قال: إن الشقّ والفتح والانفطار كلّه واحد، فذَكَرَ الفتح لشدة هول ذلك اليوم. وجائز أن يكون الكل يقتضي معنى واحدا لأنه فيما ذكر فيه الانشقاق قد ذَكر فيه نزول الملائكة بقوله: وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا.[٨]

---

[١] ر ث م: فيه.
[٢] جميع النسخ: فيها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٣ظ.
[٣] ر ث م: جميع.
[٤] جميع النسخ: يمر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] انظر عند تأويل قوله تعالى الآية ٧٣ من سورة الأنعام؛ والآية ٨٧ من سورة النمل؛ والآية ٦٨ من سورة الزمر.
[٦] ر ث م: لحيالها.
[٧] سورة التكوير، ٨١/٧.
[٨] سورة الفرقان، ٢٥/٢٥.

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وسيّرت الجبال فكانت سرابًا**، فجائز أن يكون شبّهها بالسراب لما أنها إذا سيّرت لم توجد[١] في المكان الذي رآها فيه الناظر كالسراب[٢] الذي يُرى من بُعد إذا رآه الناظر فأتاه لم يجده شيئا، لا[٣] أن تكون[٤] الجبال في الحقيقة سرابا لأن السراب هو الذي يَتراءى[٥] من البعد أنه شيء ولا شيء في الحقيقة، وأما الجبال وإن سيّرت فهي في نفسها شيء.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **إن جهنم كانت مرصادا**، منهم من ذكر أنها كانت في علم الله تعالى أنها ترصُد على من حقّت عليه كلمة العذاب فتعذّبه[٦] ولا يمكنه الفرار / عنها.[٧] وقيل: ترصد[٨] [٨٨١ظ] بشهيقها وزفيرها من استوجب العذاب فتعذبه[٩] وتتقرب[١٠] به[١١] إلى ربها[١٢] بطَوَاعِيَّتِها[١٣] له وسخطِها على من سَخَط الله عليه. وقيل: معنى المرصاد أن يكون مَمَرَ كلّ كافر ومؤمن عليها، لكنّ الكافر يقع فيها والمؤمن ينجو عنها.

﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **للطاغين مآبا**، أي مرجعا. والطاغي هو الذي تعدى حدّ الله تعالى وضيّع حقوقه وكفر بأنعمه.

---

[١] ر م: لم يوجد.

[٢] ن – بالسراب لما أنها إذا سيّرت لم توجد في المكان الذي رآها فيه الناظر كالسراب.

[٣] ر ن م: إلا.

[٤] جميع النسخ: أيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٣ظ.

[٥] ر: سرابا؛ ن: يتريا.

[٦] جميع النسخ: فيعذبه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٤و.

[٧] ر + وقيل ترصد على من حقت عليه كلمة العذاب فيعذبه ولا يمكنه الفرار عنها.

[٨] ن: يرصد.

[٩] جميع النسخ: فيعذبه. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ر ث م: ومقرب؛ ن: ويتقرب. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] جميع النسخ: بها. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ر م – إلى ربها.

[١٣] ر ث م: بطواغيتها.

﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **لابثين فيها أحقابا**، ذَكَر الأحقاب ولم يبيّن منتهى العدد، ولو كان اللبث فيها يرجع إلى أمد في حق الكفرة لكان يأتي عليه البيان كما أتى البيان[١] على منتهى يوم القيامة بقوله: فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ،[٢] وقال: تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ،[٣] فلمّا لم يبيّن ثَبَتَ أنه لا يرجع إلى حدّ، وإلى هذا يذهب الحسن.[٤]

ومنهم من ذكر أن معناه أنهم يلبثون ثلاثة أحقاب، والحُقُب ثمانون سنة. يعذّبون بلون من العذاب ثم يعذبون بلون آخر من العذاب بعد ذلك، لا أن ينقطع عنهم العذاب بعد مضيّ الأحقاب، والأحقاب[٥] هي النهاية في الأوقات. فذكر النهاية في الأوقات وما يَكثُر منها[٦] ليعلم أنهم أبدا فيها،[٧] كما قال: خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ،[٨] فذكر السماوات والأرض[٩] لأنهما[١٠] هما اللتان عرفتا[١١] بالدوام فاقتضى ذلك معنى الدوام. فكذلك ذَكَر ما هو النهاية من الأوقات ليُعرَف[١٢] أنهم أبدا فيها مقيمون.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾[٢٤] ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا**، فذكر بعضهم أن البرد هو النوم، ومنهم من ذكر أن معناه الرَّوْح والراحة. وقال بعضهم: **لا يذوقون فيها بردا**، يقطع عنهم الحرّ، **ولا شرابا**، يقطع عَطَشهم. **إلا حميما وغسّاقا**. فالحميم هو الماء الذي قد انتهى في الحر نهايته،

---

[١] ر – كما أتى البيان.

[٢] ﴿يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يَعْرُج إليه في يومٍ كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ (سورة السجدة، ٥/٣٢).

[٣] سورة المعارج، ٤/٧٠.

[٤] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٥/٢٤-٢٦.

[٥] ر – والأحقاب.

[٦] جميع النسخ: فيها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٤ظ.

[٧] ر م – ليعلم أنهم أبدا فيها.

[٨] سورة هود، ١٠٧/١١.

[٩] جميع النسخ – فذكر السماوات والأرض. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ر م: لأنها.

[١١] جميع النسخ: هما اللذان عرفا. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] جميع النسخ: يعرف. والتصحيح من المرجع السابق.

والغساق: الزمهرير. وقال بعضهم هو ما ينفصل عن أبدانهم من الصديد والزُّهومة، وهو الوَدَك.[1] فمعناه -والله أعلم- أنّ الذي يُتطعَّم به[2] أهلُ النار لا يُغذِّيهم[3] ولا يجدون به مُستمتَعًا بل يصير ذلك سبب إهلاكهم. [وإذا اشتدت عليهم الحرارة فاشتهَوْا ما يقطع عنهم حرارتَهم من البرد عُذِّبوا بالزمهرير فيصير البرد أيضا سبب إهلاكهم]،[4] لا أن يقع لهم بذلك البرد راحة وشفاء؛ هم كما وصفهم الله تعالى: فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا،[5] فيبقَوْن أبدا في الهلاك لا يُقضَى عليهم فيستريحوا ولا ينقطع عنهم العذاب فيتلذّذوا[6] بالحياة. وقيل: الغَسّاق لون من العذاب لم يُطلِع الله تعالى عبادَه.

﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **جزاء وفاقا**، أي وافقَ جزاؤُهم أعمالَهم لا يُنقصَون ولا يُزدادون على قدْر ما استوجبوا بل يُجزَوْن مثل أعمالهم. وجائز أن يكون معناه أن جزاءهم وافقَ أعمالهم في الخبث.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **إنهم كانوا لا يرجون حسابا**، فمنهم من ذكر أنهم لا يخافونه. ومنهم من حمله على حقيقة الرَّجاء، أي لم يكونوا يرجون الثواب. والوجه فيه[7] أنهم كانوا قوما لا يؤمنون بالبعث ولا بالجزاء والعذاب حتى يخافوا العقاب ويرجوا الثواب. فإن حملتَه على الخوف فهم لم يخافوه لِما لم يؤمنوا به، وكذلك إن حملتَه على حقيقة الرجاء فهم لم يكونوا يرجونه[8] لِما كذّبوا به.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **وكذّبوا بآياتنا كذابا**، فالكِذّاب والتكذيب في لغة العرب واحد. والآيات جائز أن يُراد بها[9] آياتُ البعث ويرادَ بها آياتُ الواحدانية وآياتُ الرسالة ونحوُها.

---

[1] الوَدَك: الدَّسَم (*لسان العرب*، «ودك»).
[2] ن – به.
[3] ر: لا يعذبهم؛ م: لا يعذبهم.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٤ظ.
[5] ﴿إنه من يأت ربه مجرما ...﴾ (سورة طه، ٢٠/٧٤).
[6] ر م: فيتلذذون.
[7] ر ث م – فيه.
[8] جميع النسخ: يرجون.
[9] جميع النسخ: بالآيات. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وكل شيء أحصيناه كتابا**، فجائز أن يكون الإحصاء والكتاب واحدا.[١] وجائز أن يكون أريد بالإحصاء ما أُثبت في الكتاب، كقوله تعالى: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا.[٢]

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا**، فالزيادة في العذاب هي[٣] دوامه وبقاؤه، لا أن يُزادوا على القدر الذي كان أُعدّ لهم من العذاب؛ لأنه أخبر أنهم لا يُجزَون إلا مثلَها،[٤] فإذا كان الذي عُذِّبوا قِبَلَه جزاءً لهم[٥] لم يجز أن يزدادوا عليه، فثبت أن الزيادة انصرفت على الدوام والبقاء. ولهذا[٦] قال أصحابنا في تأويل قوله: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[٧] وفي كل ما ذكرت فيه[٨] من الزيادة أنه على الثبات والدوام عليه، لا أنه يزيد وينقص.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **إن للمتقين مفازا**، أي مفازا عن أنواع العذاب التي ذكرت في الطاغين.

﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **حدائق وأعنابا**، فالحدائق هي الأماكن التي أحاطت الأشجارُ بأطرافها. وقوله عز وجل: **وأعنابا** ظاهر. وقد ذكر أنهم وعدوا في الآخرة بكلّ[٩] ما يقع لهم الرغبة في الدنيا.

---

[١] ر ن م: واحد.

[٢] سورة الكهف، ١٨/٤٩.

[٣] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٤ظ.

[٤] من ذلك قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزَى إلا مِثْلَها وهم لا يظلمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٠).

[٥] ر م – لهم.

[٦] ر ث م: بهذا.

[٧] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤).

[٨] ر ث – فيه.

[٩] ر ث م: كل.

ثم الأصل أن هذه السورة نزلت على إثر التساؤل بقوله تعالى: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ،[1] فجائز أن يكون الذي حَمَلهم على السؤال ما اعتَرَض لهم من الشبه أو خطَر بباهم فسألوا ليبيَّن لهم وتزول[2] عنهم الشبه؛[3] فذَكّرهم عِظَم نعمه وعجائب تدبيره وقوته وسلطانه ووعد أنّ من أمعن[4] النظر فيها دلّهم ذلك على بعثهم وإزاحة الإشكال عنهم بقوله: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ،[5] وبَيَّن مآبَ من استقام على الصراط المستقيم وسلك سبيلَه، وأخبر أنّ منْ لم يمعن[6] النظر فيها و لم يعط النَّصَفَة من نفسه وضَيَّعَها فمصيره إلى ما ذكر من قوله: إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَآبًا،[7] وسيعلم[8] ذلك بقوله: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، إن حُمل هذا على الوعيد.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾[٣٣]

[٨٨٢و] وقوله عز وجل: / **وكواعب أترابا**، قيل: الكاعب هي التي تكعّبت ثدياها. وذلك حين تبلغ[9] أن تحيض وهي ناهد، وهي أشهى ما يكون إلى الرجال. والأتراب المستويات في السِّن. ففي هذا إنباء أنهنّ يكنّ أبدا على سنّ واحد لا يتغيرن عن تلك الحال ولا يَهْرَمنَ.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **وكأسا دهاقا**. قيل: مَلْآنَ،[10] وقيل: صافيا، وقيل: متتابعا. فوَصَفه بالملآن ليُعلَم أنّ ذلك الشراب لا ينتقص[11] ما داموا يشربون خلافا لما عليه شراب أهل الدنيا. ومَنْ حمله على الصفاء فمعناه أنه صافٍ عن الآفات والمكروهات[12] التي تكون[13] في شراب

[1] الآيتان ١ و ٢ من هذه السورة.
[2] جميع النسخ: ويزول.
[3] ن ث: الشبهة.
[4] ن: أنعم.
[5] الآيتان ٤ و٥ من هذه السورة.
[6] ر: ينعم؛ ن – يمعن.
[7] الآية ٢١ و٢٢ من هذه السورة.
[8] ر ث: وستعلم.
[9] ن: يبلغ.
[10] جميع النسخ: ملآنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥و.
[11] ث: لا ينقص.
[12] جميع النسخ: والمكروه.
[13] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

أهل الدنيا من التصديع وإذهاب العقل وغير ذلك. ومن حمله على التتابع فمعناه أن ذلك الشراب لا ينقطع ولا يَنفَد ماداموا في شربه بل يتتابع عليهم ولا يحدث فيهم حالٌ تمنعهم[١] عن الشرب من السكر وغيره فيمتنعوا عن شربه خلافا لشراب أهل الدنيا. وروي عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: كنّا إذا استحببنا[٢] الساقيَ في الجاهلية قلنا: ادهَقْ[٣] لنا، أي تابعْ لنا.[٤]

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا**، أي لا يسمعون فيها ما يَحِقّ أن يُلْغَى بل يسمعون فيها كلَّ خير، والذي يحقّ أن يلغى ما ذُكِر[٥] من الحَلْف[٦] والباطل والكَذِب، فلا يسمعون شيئا من ذلك كما يُسمَع من أهلها في الدنيا إذا شربوها. وقوله: **كذابا**، إن قرئ بالتخفيف فهو من الكذب، أي لا يكْذِبون. وإن قرئ بالتشديد فهو من التكذيب أي لا يكذّب[٧] بعضهم بعضا، فكأن معناه: أن ذلك الشراب لا يعمل فيهم هذا العمل حتى يحملهم على الكذب والتكذيب[٨] كما يوجد في شراب أهل الدنيا. وقوله عز وجل: **فيها** في الجنة. ثم قوله: **كذابا**. قرأ بعضهم بالتخفيف في الموضعين: هاهنا وفي قوله: وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّبًا.[٩] وقرأ بعضهم بالتشديد في الموضعين. وقرأ بعض القراء بالتشديد في الأول وبالتخفيف في الثاني. وعن الكسائي[١٠] أنه قال: بالتخفيف لغةُ مضر، وبالتشديد لغة يمانيّة. يقولون: كَذَّبَه تكذيبا وكِذَّابا وخَرَّبَه تخريبا وخِرَّابا، ونحو ذلك. **والله أعلم**.

---

[١] جميع النسخ: يمنعهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥و.

[٢] ر ث: استحثثنا.

[٣] جميع النسخ: داهق. والتصحيح من *تفسير روح المعاني* للآلوسي، ٣٠/٢٢.

[٤] عن مسلم بن نِسْطاس قال: قال ابن عباس لغلامه: اسقني دهاقا. قال: فجاء بها الغلام ملآن، فقال ابن عباس: هذا الدهاق (*تفسير الطبري*، ٢٤/٤٠).

[٥] جميع النسخ: ما ذكروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥و.

[٦] ر م: من الخلف.

[٧] ر ث م: لا يكذبون.

[٨] ر ث م – فكأن معناه أن ذلك الشراب لا يعمل فيهم هذا العمل حتى يحملهم على الكذب والتكذيب.

[٩] الآية ٢٨ من هذه السورة.

[١٠] قرأ الكسائيّ وحده: "ولا كِذَابًا" خفيفة الذال، وقرأ الباقون: ﴿ولا كِذَّابًا﴾ مشددة الذال (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥٨).

﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **جزاء من ربك عطاء حسابا**. وقوله: **جزاء**، أي جزاءً جَزَاهم وعطاءً أعطاهم وحسابا[١] حاسبهم. وقال الحسن: جزاهم[٢] بأعمالهم،[٣] أي زادهم على القدر الذي استوجبوا. وقال بعضهم: أعطاهم عطاء كثيرا حتى قال كل واحد منهم: حَسْبي حسبي. والذي يؤيد هذا التأويل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ: جزاء من ربك عطاء حسنا.[٤] وقال بعضهم: جزاءً بأعمالهم التي كتب[٥] الحفظة وأحصاها عليهم، وأعطى عطاء حسابا[٦] أي كثيرا جزاءً لما أخفَوْا من أعمالهم التي لم يُطلِع عليها ملائكتَه[٧] فأعطاهم عطاء بينا ظاهرا يعرفه الناس.

وجائز أن يكون الجزاء عطاءً من ربه لا أنه يستوجب الجزاءَ لما ذكرنا أنه لا أحدَ من هذا البشر إلا وقد سبقت له من الله تعالى نِعَمٌ لو أنفد[٨] جميع عمره في أداء شكره منها لم يصل إلى كنه ما عليه من الشكر؛ إذ من قام بالشكر ووُفِّق عليه زيد له أيضا في النعم لمكان الشكر، فإذا وصل إلى جزاء عمله في الدنيا لم يستوجب به المزيدَ. فثبت أن الجزاء في الآخرة بحق الإفضال من الله تعالى والإنعام لا بحق الاستيجاب، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ،[٩] الآية، فسمّى الكرامة إنعاما. وقال في آية أخرى: وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ،[١٠] فجعل ما آتاهم من النعم[١١] فضلا منه. فثبت أن الذي جزاهم[١٢] به عطاءٌ من ربه، **حسابا**، أي كثيرا.

---

[١] ر م: جزاهم وعطاهم حسابا.

[٢] ر ث م: جزاء.

[٣] *تفسير الطبري*، ٢٧/٣٠.

[٤] جميع النسخ: حسابا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥و. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٢٣/٣٠.

[٥] ث: كتبت.

[٦] ن – وقال بعضهم جزاء بأعمالهم التي كتب الحفظة وأحصاها عليهم وأعطى عطاء حسابا.

[٧] م: ملائكة.

[٨] ر ن: لو أنفذ.

[٩] سورة النساء، ٦٩/٤.

[١٠] سورة الحديد، ٢١/٥٧.

[١١] جميع النسخ: من النعيم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥و.

[١٢] ر م: جزاءهم.

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾[٣٧]

وقوله: **رب السماوات والأرض وما بينهما**، فالربّ المالك، فذَكَّر أنه مالك السماوات والأرض وما بينهما ليَعلموا أنه لم يمتحن أحدا بعبادته لحاجة تقع[1] له أو لمنفعة تصل[2] إليه؛ بل هو الغني وله ما في السماوات وما في الأرض، وإن منفعة ما امتحنوا به من العبادات راجعة إلى أنفسهم إذا وَفَوْا بها وإذا لم يقوموا بأدائها كان الضرر راجعا إليهم. وقوله تعالى: **الرحمن**. بيّن أنه رحمن ليرغبوا في رحمته ويتسارعوا إلى معرفته. وقوله تعالى: **لا يملكون منه خطابا**، هيبة من الله تعالى وتعظيما لحقه فلا يملكون من هيبته الخطاب[3] بالشفاعة أو بالخصومة أو بأي شيء كان.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٣٨]

وقوله تعالى: **يوم يقوم الروح والملائكة صفا**. اختلفوا في الروح. فمنهم من قال: هو جبريل عليه السلام، ومنهم من صرفه إلى أرواح المسلمين، ومنهم من ذكر أنهم الحفظة على الملائكة، يرون الملائكة ولا يراهم الملائكة. وجائز أن يكون الروح الكتب المنزلةَ من السماء كما قال [تعالى]: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ،[4] فتكون[5] الكتب مخاصِمةً مع من ضيّع حقّها أو نبذها وراء ظهره وشافعةً[6] لمن أدّى حقّها وعمل بما فيها. ومنهم من ذكر أن هذا من المكتوم الذي لا يفسَّر، قال الله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي.[7]

وقوله عز وجل: **لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا**. جائز أن يكون هذا منصرفا إلى الشافع، أي الشافع لا يقول فيما يشفع غيرَ الصواب، وما حلّ به من الرهبة والخوف من هيبة / الله تعالى لا يزيله عن التكلم بالحق، بل الله تعالى يُثبّته على الحق ويُجري على لسانه الصواب. وقال بعضهم: معناه لا يشفع إلا من قال في الدنيا صوابا، وهو الحق. [٨٨٢ظ]

[1] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة، ٣١٥و.
[2] جميع النسخ: يصل. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر م – الخطاب.
[4] سورة النحل، ٢/١٦.
[5] جميع النسخ: فيكون.
[6] جميع النسخ: وشافعا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] سورة الإسراء، ٨٥/١٧.

وقيل: معناه أنه لا ينال من الشفاعة حظا إلا من قال في الدنيا الصواب. والصواب هو[1] أن يكون مقيما فيما دان به من التوحيد. وذكر [عن][2] علي بن أبي طالب أنه مرّ[3] بعجوز وهي تدعو فتقول: اللهم اجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم. فقال لها: قولي: اللهم اجعلني من رفقاء محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة، فإن شفاعته لأهل الكبائر من أمته.

{قال رضي الله عنه:} وبهذا الفصل يعارضنا[4] المعتزلة فتقول: إذا قلتم: اللهم اجعل لنا[5] من[6] شفاعة محمد نصيبا، فقد قلتم: اللهم اجعلنا ممن يرتكب الكبائر، إذ شفاعته في زعمكم لأهل الكبائر.

فالجواب عن هذا أن الذي ابتُلي بارتكاب الكبائر دون الشرك إنما ينال الشفاعة بما سبق منه من الخيرات من التوحيد وتعظيمه ربّه عز وجل، فمحاسنه التي سبقت منه هي التي تجعله[7] محلا للشفاعة، ولولاها[8] ما نالها. فإذا قال: اللهم اجعل لي من شفاعة نبيك نصيبا، فهو يقول: اللهم[9] وفّقني على فعل الخيرات واجعلني ممن يعظِّمك ويتقرب إليك بالطاعة حتى أنال بها الشفاعة، لا أن يقصد بدعائه جَعْلَه من أهل الكبائر. والذي يدلّ على صحة ما ذكرنا قولُه [تعالى]: فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ،[10] فأخبر الله تعالى أن تسبيحه[11] ما أنقذه من بطن الحوت ولو لم يكن مسبّحا لم يستوجب الخلاص. وكذلك صاحب الكبيرة يستوجب الشفاعة[12] ويرجى له الخلاصُ بما سبق منه من الحسنات دون أن يستوجبها لارتكاب الكبيرة.

---

[1] ر ث م – هو.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٥ظ.
[3] ر: أمر.
[4] ن: بعارضنا.
[5] ر: اجعلني؛ ن ث م: اجعلنا.
[6] ن + أهل.
[7] ر ن م: يجعله.
[8] ن: ولولا لما.
[9] ن – اللهم.
[10] سورة الصافات، ٣٧/ ١٤٣-١٤٤.
[11] وعبارة *الشرح*، أنه بتسبيحه (ورقة ٣١٥ظ).
[12] ن: الكبيرة.

ثم من قول المعتزلة أنهم يرون الصغائر مغفورة لأربابها إذا اجتنبوا الكبائر. فيقال لهم[١] بأن من دعا الله تعالى وسأله المغفرة فكأنه يدعو[٢] فيقول: اللهم ابتَلْني بالصغائر[٣] حتى تغفرها[٤] لي. فإن قلتم بأنّ دعاءه بالمغفرة لا يقتضي ما عارضناكم به، فنقول:[٥] كذلك فيمن يقول: اللهم اجعل لي من شفاعة محمد نصيبا، إنه لا يقتضي أن يجعله من أهل الكبائر.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **ذلك اليوم الحق**. قيل: معناه أنْ لا يقالُ في ذلك اليوم غيرُ الحق. وجائز أن يكون منصرفا إلى اليوم نفسه، فيكون معناه[٦] أنّ كونه حقا[٧] يكون لا محالة. وقوله عز وجل: **فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا**، أي مرجعا. تأويله أنّ الله تعالى بيّن للخلق سبيل الضلال والهدى، ولم يَصُدّ[٨] أحدا عن سبيل[٩] الهدى، وبيّن أن من سلك سبيل الضلال فمآبه إلى[١٠] النار، ومن سلك سبيل الرشد والهدى فمآبه إلى الجنة، وذلك مآبه إلى الله تعالى واتخاذ السبيل إليه تعالى.

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾[٤٠]

وقوله: **إنا أنذرناكم عذبا قريبا**، أي العذاب الذي أُوعِدتم به قريبٌ مأتاه وإن استبعدتموه[١١] في أوهامكم، قال الله تعالى: أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ.[١٢]

---

[١] جميع النسخ: له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥ظ.
[٢] ر م: من ادعى الله تعالى وسأله المغفرة فكأنه يدعوا؛ ن: تدعو.
[٣] ر: بالصفا.
[٤] ن: يغفرها.
[٥] جميع النسخ: فقولوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ن + أن لا يقال في ذلك اليوم غير الحق.
[٧] ر: متى؛ ن ث: حق.
[٨] ر م: ولم يصدوا.
[٩] ر ث م + الضلال و.
[١٠] ن – إلى.
[١١] ر ث م: ما أتاه وإن استبعدتموه.
[١٢] سورة النحل، ١٦/١. قال الإمام الماتريدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: في قوله: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ وجهان. أحدهما أن يعرف قوله أمر الله، ما أراد به، [والثاني] ما الذي استعجلوه؟ وإنما [الذي] استعجلوه الساعة والقيامة، بقوله: [وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ] يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا، الآية. [سورة الشورى، ٤٢/١٧-١٨] (*تأويلات القرآن*، ٦٩/٨).

وقوله: **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه**، فجائز أن يكون هذا منصرفا إلى الخلائق أجمعَ مؤمنهم وكافرِهم. ثم تخصيص الأيدي بالذكر هو أن التقديم والتأخير في الشاهد يقع بالأيدي، فأضيف إليها وإن احتمل أن لا يكون للأيدي صنع فيما ارتكب من الآثام أو فيما فعل من الخيرات، وهو كالمطر يسمّى رحمةَ الله وإن لم يكن ذلك من أوصافه لأنه برحمة الله ما ينزل من السماء. وسُمّي الكلام لسانا وإن لم يكن هو لسانا لأنه باللسان ما يُتكلَّم.

فكذلك التقديم أضيف إلى الأيدي لما بها يقع التقديم في الشاهد وإن لم يكن للأيدي صنع.

وقوله عز وجل: **ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا**. ذَكَر هذا التمني في الكافر دون المؤمن لأن المؤمن يرى حسناته متقبَّلة وسيئاتِه مغفورةً فيأمن من[1] عقاب[2] الله تعالى، والكافرَ يرى نفسه مؤاخَذة بالسيئات ولا يرى لها حسناتٍ متقبَّلةً فيتمنى أن يكون ترابا ليتخلص من عذاب[3] الله تعالى. وقال بعضهم: إن الوحوش تحشر[4] والطيورَ كلَّها، ثم يقول الله تعالى [لها]:[5] كوني ترابا، فيتمنى الكافر في ذلك الوقت أن يكون ترابا. *والله أعلم*.

---

[1] ن – من.

[2] ر: فيأمن عقبات.

[3] جميع النسخ: عن عذاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و.

[4] جميع النسخ: يحشر. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] الزيادة من المرجع السابق.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النازعات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾[١] ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾[٢] ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾[٣] ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾[٤] ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[٥]

قوله عز وجل:[2] **والنازعات غرقا والناشطات نشطا**، اختلف في تأويله. فمنهم من حمل ذلك كلّه على الملائكة فقال: **والنازعات غرقا**، هم الملائكة الذين يَنزِعون أرواح الكفرة ويُغرِقون إغراقا، أي يُشدِّدون في النزع كما يُغرِق النازعُ في القوس؛[3] أو يشتد [النزعُ] عليه شدةَ الأمر على الغريق؛ أو تَنزع أرواح الكفرة فتَغرِق[4] في النار.

وقوله عز وجل:[5] **والناشطات نشطا**، قيل: أي تَنشِط[6] أرواح الكفرة نشطا عنيفا؛ أي تنزع ملائكة العذاب أرواح الكفرة من أجوافهم نزعا شديدا. وقيل: هذا في حق المؤمنين،

---

[1] ر – سورة النازعات؛ ن م: سورة والنازعات؛ ث + وهي ست وأربعون آيات مكية.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] أغرق النازع في القوس: أي استوفى مدّها. وأغرق في الشيء: جاوز الحد. وأصله من نزع السهم. وفي التنزيل: والنازعات غرقا؛ قال الفراء: ذكر أنها الملائكة وأن النزع نزع الأنفس من صدور الكفار، وهو قولك: والنازعات إغراقا مما يغرق النازع في القوس (*لسان العرب*، «غرق»).

[4] جميع النسخ: ينزع أوراح الكفرة ويغرق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و.

[5] ن: قوله.

[6] جميع النسخ: ينشط. والتصحيح من المرجع السابق.

إن الملائكة تَنشِط أرواح المؤمنين، أي تَحُلّها[1] حلّا رفيقا كما يُنشَط من العقال؛[2] فيخبر بهذا خفة ذلك على المؤمن[3] ويخبر بالأول شدّته على الكافر.

[٨٨٣و] وقوله: **والسابحاتِ سبحا،** / قيل: إن الملائكة يَسُلّون أرواح المسلمين[4] سلّا رفيقا. وقيل: الملائكة تسبح[5] بين السماء والأرض.

وقوله عز وجل: **فالسابقات سبقا،** أي تسبق[6] الملائكة إلى أرواح المؤمنين. وقيل: **فالسابقات سبقا،**[7] الملائكة الذين يسبقون[8] بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام. وقيل: هم الكَروبِيّون[9] الذين لا يَفتُرون عن تسبيح رب العالمين.

وقوله عز وجل: **فالمدبّراتِ أمرا،** هم الملائكة الموكَّلون بأمور الخلائق[10] وأرزاقهم. ومنهم من صرف تأويل الآيات إلى النجوم أنهن النجوم اللاتي يَطْلُعْن من مطالعهن[11] لحوائج الخلق ولأمور جُعِلت لها، ويَغرُبن في مغاربهن ثم يَنشِطن إلى مطالعهن فيطلعن منها؛ أي لا يطلعن كَرها بل ناشطات لأمر الله تعالى إلى ما سُخِّرن له.

والسابحات سَبْحا، النجوم أيضا، وسَبْحُهُنَّ دورانهن[12] في الأفق لأمور خفي ذلك على الخلق، كقوله:[13] كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ.[14]

---

[1] ر ث م: ينشط أرواح المؤمنين أي يحلها؛ ن: ينشط أرواح المسلمين أي يحلها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و.

[2] قال أبو عبيدة: ﴿والناشطاتِ نشطا﴾، قال: هي النجوم تَطْلُع ثم تغيب، وقيل: يعني تَنشِط من برج إلى برج كالثور الناشط من بلد إلى بلد. وقال ابن مسعود وابن عباس: إنها الملائكة. وقال الفراء: هي الملائكة تنشط نفس المؤمن بقبضها. وقال الزجاج: هي الملائكة تنشِط الأرواحَ نشطا، أي تنزعها نزعا كما تنزع الدلوَ من البئر (*لسان العرب*، «نشط»).

[3] ر م: على المؤمنين.

[4] ن: المؤمنين؛ وفي *الشرح* (٣١٦و): الصالحين.

[5] ر م: يسبحون؛ ن ث: يسبح. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و.

[6] جميع النسخ: يسبق. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] جميع النسخ + أي يسبق.

[8] ن – الذين يسبقون.

[9] ر: الكروبين. الكرب: القُرب. والملائكة الكَروبيون: أقرب الملائكة إلى حملة العرش. وروى أبو الربيع عن أبي العالية أنه قال: الكروبيون سادة الملائكة، منهم جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ، هم المقربون (*لسان العرب*، «كرب»).

[10] ن: الخلق.

[11] ن + فيطلعن منها أي لا يطلعن كرها.

[12] ن: دوراتهن.

[13] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و.

[14] سورة الأنبياء، ٣٣/٢١؛ وانظر أيضا: سورة يس، ٤٠/٣٦.

وقوله عز وجل: **فالسابقاتِ سَبْقا**، أي [الملائكة] يسبق بعضها بعضا أو يسبِقْن الشياطين بالرجم والطرد لا تَدَعُهنّ يَقْرُبن إلى السماء،[١] وبه قال الحسن. ***والله أعلم***.

ومنهم من صرف تأويل الآيات إلى مختلف الأشياء فقال: **والنازعاتِ غرقا**، هي القِسِيُّ[٢] ينزعها الإنسان[٣] فيُغرِق[٤] في نزعها. **والناشطات نشطا**، هي الأوهاق[٥] تُنْشَط بها الدابة تكون[٦] منه في جهة. **والسابحات سبحا**، هن السفن. **فالسابقات سبقا**، هن الخيل. **فالمدبراتِ أمرا**، هي الملائكة، وبه قال عطاء.[٧]

ومنهم من صرفها إلى أنفس المؤمنين وأرواحهم[٨] فقال: **والنازعات**، هي الأنفس التي تُغرَق في الصدور.[٩] **والناشطات نشطا**، حين تُنشط[١٠] من القدمين. وقيل: إن أنفس المؤمنين يَنشِطن إلى الخروج عن الأبدان إذا عاينوا ما أعدّ لهم في الجنة. **والسابحات سبحا**، هي أرواح المؤمنين سميت سابحات لسهولة الأمر عليها كما يسهل الخروج من الماء لمن[١١] يعلم السِّباحة. وقوله: **فالسابقات**، هي أرواح المؤمنين أيضا[١٢] سميت سابقات لما تكاد تسبق فتخرج[١٣] قبل وقتها لِما تعاين[١٤] من كرامات الله تعالى وما تبشَّر[١٥] من الخير. يؤيد هذا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».[١٦]

---

[١] جميع النسخ: لا يدعهن يقربون إلى السماء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦ظ.

[٢] هي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر (*النهاية* لابن الأثير، «قسس»).

[٣] ن – الإنسان.

[٤] ث: فيغرقها.

[٥] جمع وَهَق –بالتحريك– وقد يسكّن، وهو حبل كالطِّوَل تشدّ به الإبل والخيل لئلا تَنِدّ (*النهاية* لابن الأثير، «وهق»).

[٦] جميع النسخ: ينشط بها الدابة يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و.

[٧] انظر: *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/١٩٤.

[٨] ث: وأزواجهم.

[٩] جميع النسخ: يغرق في الصدر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦و. ر + وقوله.

[١٠] ر ث م: ينشط؛ ن: يسط. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ن: لم؛ م: من.

[١٢] ن – أيضا.

[١٣] جميع النسخ: لما يكاد يسبق فيخرج. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٤] جميع النسخ: لما يعاين. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٥] ر ث م: وما ينشر؛ ن: وما يبشر. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٦] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٣٢٣؛ وصحيح *مسلم*، الزهد والرقائق ١؛ وسنن *ابن ماجة*، الزهد ٣؛ وسنن *الترمذي*، الزهد ١٦.

وقيل: ذلك[1] عند موت المؤمن؛ إذا حضره الموت صار في ذلك الوقت كالمسجون الذي يتمنى الراحة والخلاص منه،[2] لأنه يرى[3] ما أُعدّ له من الثواب فتتهرع[4] نفسُه يودّ لو خرجت حتى تصل[5] إلى[6] ما أعد لها من الكرامة. والكافر إذا رأى [ما أُعد له من العذاب] عند ما حضر[ه الموت] جعل يتلع[7] نفسه كراهة أن تخرج؛[8] فيصير الدنيا في ذلك الوقت كالجنة له فيما لا يحب مفارقتها من شدة ما يرى من عذاب الله تعالى. وعلى هذا قيل في تأويل قوله عليه السلام: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»:[9] إن ذلك عند الموت؛ إنّ المؤمن إذا حضره[10] الموت وأُرِي ثوابه من الجنة ودّ أن تخرج[11] نفسه فيحبّ لقاء الله تعالى ويحبّ الله لقاءه؛ والكافر يكره في ذلك الوقت أن تخرج[12] نفسه فذلك حين كره لقاء[13] الله وكره الله لقاءه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فالمدبرات أمرا**، قالوا جميعا: المراد منها الملائكة الموكلون بأمور الخلق وأرزاقهم ونحو ذلك. *والله أعلم*.

ثم اختلف في الذي قُصد إليه باليمين والقسم. فمنهم من ذكر أن الذي وقع عليه القسم قوله تعالى: أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ،[14] على معنى أنكم مبعوثون وأن القيامة[15] حق فكأنه أقسم بهذه الأشياء إنهم لمبعوثون، وأضمر الجواب هاهنا لما دلّ عليه المعنى فاكتفى به. ومنهم من ذكر أن القصد من اليمين قوله:

---

[1] ن: وذلك.
[2] ن: الخلاص منه والراحة.
[3] ر ث م – يرى.
[4] جميع النسخ: فيتهوع. أي تعجل.
[5] جميع النسخ: حتى يصل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦ظ.
[6] ث – إلى.
[7] ر ث م: بتبليع.
[8] جميع النسخ: أن يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٤٢٠؛ وصحيح *البخاري*، الرقاق ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الذكر ٥.
[10] جميع النسخ: إذا حضر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦ظ.
[11] جميع النسخ: أن يخرج.
[12] جميع النسخ: أن يخرج.
[13] ن – لقاء.
[14] الآية ١٠ من هذه السورة.
[15] ر ث م: وأن القسم.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾[٦] ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾[٧]

يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة، فأقسم بما ذكر أن النفختين كائنتان. فالنفخة الأولى[١] يموت بها الخلق والنفخة الثانية لإحياء الأموات، والراجفة[٢] هي النفخة. فجائز أن تكون على حقيقة النفخة فتكون[٣] النفخة علامة[٤] الموت والحياة لا أن تكون[٥] علة[٦] الإماتة والإحياء.[٧]

ثم اختلفوا بعد هذا؛ فمنهم من يحمله على التحقيق، فيزعم أن النفخة الأولى يَهلك بها الخلقُ، والنفخة الثانيةَ يحيا بها الخلقُ. ومنهم من ذكر أن النفَخات ثلاث. فالنفخة الأولى للتفزيع والتهويل، قال الله تعالى: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ،[٨] الآية. والنفخة الثانية يهلك بها الخلق، بقوله: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ،[٩] الآية. والنفخة الثالثة يحيا[١٠] بها الخلق بقوله: ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ.[١١] ومنهم من ذكر أن هذا ليس على تحقيق النفخ بل على التمثيل؛ فمُثِّل به إما لخفة البعث والإحياء[١٢] على الله تعالى وسهولة خفة[١٣] النفخ على النافخ، أو مثل به لسرعته[١٤] كما قال الله تعالى: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.[١٥] وقالوا: الرجفة هي الزلزلة والتحرك، **تتبعها الرادفة**، وهي الزلزلة الأخرى.

---

[١] ن: المولى.

[٢] ن: والرجفة.

[٣] جميع النسخ: فجائز أن يكون على حقيقة النفخة فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦ظ.

[٤] ر: علامت.

[٥] جميع النسخ: لا أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ن: عليه.

[٧] ر ث م – والإحياء.

[٨] سورة الحج، ٢٢/١-٢.

[٩] سورة الزمر، ٣٩/٦٨.

[١٠] ن: يحيا.

[١١] سورة الزمر، ٣٩/٦٨.

[١٢] م: ولإحياء.

[١٣] جميع النسخ: وسهولته بخفة. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٤] ر م: بسرعته.

[١٥] سورة النحل، ١٦/٧٧.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾[٨]

ثم إن كان القسم على إثبات البعث ففيها[١] ذكر إشارة إلى أحوال البعث وأفعالها. وإن كان موقعه[٢] على قوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ[٣] **قلوب يومئذ واجفة**، فكأنهم سألوا: كيف تكون[٤] القلوب في ذلك اليوم؟ فقال: تكون[٥] واجفة. والواجفة: / الخائفة الوَجِلة. [٨٨٣ظ]

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **أبصارها خاشعة**، أي ذليلة. ووجه[٦] تخصيص الأبصار والقلوب -والله أعلم- هو أنه لا يتهيأ لأحد استعمال قلبه وبصره، بل يحدث للقلوب فِكَر وبَدَوات،[٧] لا يمكنه أن يدفع عنها الفِكَر، وكذلك هذا[٨] في البصر. فيخبر أن ما نزل بهم من الخوف والهيبة يمنع القلوب والأبصار عن عملها، فلا ينظر إلا إلى الداعي،[٩] ولا يحدث للقلوب فِكَر، بل تكون الأفئدة هواءً لا تَقِرّ[١٠] لشدة ما حل بها[١١] من الخوف. والثاني[١٢] أن المرء إذا حزبه أمر فهو يعمل أنواعا من الحيل ويوقع[١٣] بصرَه على شيء فشيء رجاءَ أن يستدرك ما فيه خلاصه وسلامته من ذلك الأمر. ثم ينقطع عنهم التدبير في ذلك اليوم فتكون[١٤] القلوب هواءً لا تقر في موضع، ولا تقف على تدبير لشدة ما حل بهم، وتكون[١٥] الأبصار خاشعة ذليلة إلى ما يدعو[١٦] الداعي.

---

[١] م: ففيما.

[٢] جميع النسخ: مرجفة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦ظ.

[٣] الآيتان السابقتان.

[٤] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] جميع النسخ: لا يقر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ر ث م: ووجهه.

[٧] ر م: وبدرات. البَدَاة: الرأي يَنشَح. وجمعه بَدًا وبَدَوات. يقال: فلان ذو بَدَوات، وأبو البَدَوات، إذا كانت تظهر له آراء فيَختار أحزمها (*المعجم الوسيط*، «بدو»).

[٨] ر: وهذلك هذا.

[٩] ر ث: فلا ينظر إلى الداعي.

[١٠] جميع النسخ: بل يكون الأفئدة هواء لا يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٦ظ.

[١١] ر ث م: به.

[١٢] ر ث م - والثاني.

[١٣] ر ث م: وتوقع.

[١٤] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٥] لا يقر في موضع ولا يقف على تدبير لشدة ما حل بهم ويكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٦] ن م: إلى ما يدعوا.

﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **يقولون أإنا لمردودن في الحافرة،**[١] أي يقولون: أإنا لَنُرَدُّ[٢] إلى ما كنا عليه في الدنيا في ابتداء الأمر خلقا جديدا. يقال: أتى فلان فلانا فرجع على حافرته، أي[٣] على بحيئه الأول. ويقال [في المثل]: النقد[٤] عند الحافرة، أي عند أول البيع والكلام.[٥] فقالوا هذا على جهة الإنكار[٦] بالبعث والاستهزاء به. قال أبو بكر [الأصم]:[٧] هذا مأخوذ من حافر الدابة، وهو أن الفارس يمكنه أن يصرفها بحافرتها إلى الموضع الذي ابتدأ السير منه من وراءُ وراءُ.[٨]

﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾[١١]

وقوله عز وجل: **أإذا كنا عظاما نخرة،** وناخرة.[٩] فالناخرة هي البالية التي لم تُفَتَّت[١٠] بعد. والنَّخِرَة هي التي صارت رُفاتا ودرسَتْ حتى تنسفها[١١] الريح.[١٢]

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **قالوا تلك إذا كرة خاسرة،** قال الحسن وأبو بكر: هذا منهم تكذيب للبعث أي لا يكون أبدا.[١٣] وقال غيرهما: معناه أن لو كانت كَرَّةٌ كما يزعمها المسلمون

---

[١] ن – في الحافرة.

[٢] م: نرد.

[٣] جميع النسخ: يقول.

[٤] ر م: أنقد.

[٥] قيل: معنى قوله: ﴿أإنا لمردودون في الحافرة﴾ أي في الخلق الأول بعدما نموت. وقالوا في المثل: النَّقْدُ عند الحافِرَةِ والحافِرِ، أي عند أول كلمة. وفي التهذيب معناه: إذا قال قد بعتُك رجعتَ عليه بالثمن. وهما في المعنى واحد (*لسان العرب*، «حفر»).

[٦] ر م: الإبكار.

[٧] هو أبو بكر بن كَيسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م)؛ فقيه معتزلي مفسر. وله *تفسير*، و*مقالات في الأصول*، و*مناظرات* مع العلاف. وله أيضا أنباء في الرفض والتجسيم (*لسان الميزان* لابن حجر، ٥١٥/٣).

[٨] ر م – وراء.

[٩] *حجة القراءات* لابن زنجلة، ٧٤٨.

[١٠] ر ث م: تفت؛ ن: لم يفتت. والتصحيح من *الشرح*، ٣١٦ظ.

[١١] ر ث م: ينسفها؛ ن: ينشقها.

[١٢] ر – وقوله عز وجل أإذا كنا عظاما نخرة وناخرة فالناخرة هي البالية التي لم تفت بعد والنخرة هي التي صارت رفاتا ودرست حتى تنسفها الريح.

[١٣] وعن الحسن قال: خاسرة أي كاذبة يعني: ليست بكائنة. (*تفسير السمعاني*، ١٤٨/٦). وانظر: *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩٨/٢٠؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٤٢١/٨.

فهي كرة خاسرة على المسلمين لأنهم ظنوا أنهم إذا كانوا في الدنيا أنعم حالا وأرغد عيشًا، وكان المسلمون في ضيق من العيش وشدة من الحال، أن يكونوا كذلك في الآخرة؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا.[1] فكانوا يظنون أنهم بما أنعم الله تعالى عليهم إنما أنعم لأنهم أقرب منزلة وأعظم درجةً من المؤمنين؛ إذ لا يجوز أن يُضيّق[2] على أوليائه، ويوسّع على أعدائه. فإذا[3] وسّع عليهم ظنوا أنهم هم المفضَّلون في الدنيا والآخرة وأن من خالفهم هم الأخسرون. ومنهم من[4] قطع هذا الكلام عن مقالة الكفرة وزعم أن هذا الوصف راجع إلى الكفرة. فقيل: **خاسرة**، لما خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم، **وخاسرة**، أي مُخسِرة.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **فإنما هي زجرة واحدة**، ففيه إخبار عن سرعة كون ذلك الوقت وسهولته على الله تعالى.

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **فإذا هم بالساهرة**، قيل: الساهرة هي وجه الأرض. وجائز أن يكون أريد بهذا أن العيون تسهر في ذلك اليوم ولا يَعْتَريها النوم بل تكون[5] مُهْطِعَة إلى الداعي ذليلة.[6]

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾[١٥]

وقوله تعالى: **هل أتاك حديث موسى**، فمنهم من يقول: قد أتاك فخوّفهم به.[7] وقال الحسن: لم يكن أتاه، فأتاه بهذا، كما يقول الرجل لآخر: هل أتاك ما فعل فلان؟ وهو يريد

---

[1] سورة الكهف، ٣٦/١٨.

[2] ر م: أن تضيق.

[3] ن: وإذا.

[4] ث – من.

[5] ر ن م: بل يكون.

[6] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يوم يَدْعُ الدّاعِ إلى شيء نُكُرٍ خُشَّعًا أبصارُهم يَخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ (سورة القمر، ٥٤/٦-٨). وانظر أيضا: سورة إبراهيم، ١٤/٤٢-٤٣.

[7] ر ث م – به.

أن يذكّره بهذا[١] فيُعلمه مع علمه أنه لم يكن عَلِمه من قبلُ. وقد ذكرنا ما في ذكر الأنباء من الفوائد من تثبيت الرسالة والتخويف لمن أساء صحبة الرسل عليهم السلام لئلا[٢] ينزل بهم ما نزل بفرعون وأتباعه حين أساءوا صحبة الرسول[٣] موسى عليه السلام.

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى**. قيل: **طوى**، اسم ذلك الوادي. وقيل: سمّي طوى لأنه بورك مرتين، مرة حين أتاه إبراهيم عليه السلام، ومرة بإتيان موسى عليه السلام. وذكر عن الزجاج: أن طِوى -بكسر الطاء- الذي بورك مرتين.[٤]

ثم أضاف ذلك الحديثَ مرةً إلى موسى ومرةً إلى نفسه [فقال:] **إذ ناداه**، فظاهره أن الله تعالى هو الذي كلّمه، فأضيف إلى الله تعالى لأن أصله من الله تعالى كما ذكرنا[٥] في قوله تعالى: حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[٦] وفي قوله:[٧] إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ.[٨]

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **اذهب إلى فرعون إنه طغى**، أي عتا وطغى في نعمه[٩] فاستعملها في كفران نعمه فلم يشكر الله تعالى بها.

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾[١٨]

وقوله تعالى: **فقل هل لك إلى أن تزكى**، أي هل لك في إجابة مَنْ إذا أجبتَ[١٠] تزكّيتَ؟ أو هل لك رغبة إلى ما تزكو به نفسُك وتنمو؟[١١] ثم في هذه الآية دلالة أنّ مَن أراد أن يدعو آخر

---

[١] ر ث م - كما يقول الرجل لآخر هل أتاك ما فعل فلان وهو يريد أن يذكره بهذا.
[٢] ر م: لأن لا.
[٣] ن - الرسول.
[٤] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٠١/١٩.
[٥] ن: كما ذكرناه.
[٦] سورة التوبة، ٦/٩.
[٧] ر م: في قوله.
[٨] سورة الحاقة، ٤٠/٦٩؛ وسورة التكوير، ١٩/٨١.
[٩] ن: في نعمة.
[١٠] ر ث م: إذا أجيبت.
[١١] ر: إلى ما تزكوا به نفسك ويتموا؛ ن: إلى ما تركوا به نفسك ويتموا؛ م: إلى ما تزكوا به نفسك ويتموا.

إلى ما فيه رشده وصلاحُه فالواجب عليه أن يدعوه[1] أولا بالرفق واللِّين كما أُمر به موسى وهارون عليهما السلام بقوله: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا،[2] وبقوله: **هل لك إلى أن تزكى**. ثم إذا ترك الإجابة ختم كلامَه بالتعنيف كما فعل موسى عليه السلام بقوله: وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا، بعدَ قوله: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [بَصَائِرَ].[3]

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾[١٩]

وقوله: **وأهديك إلى ربك فتخشى**، أي أهديك إلى ربك فتهتدي ثم تخشاه إذا اهتديتَ، أي عرفت عظمته وجلاله فتخشى عقوبتَه فيكون العلمُ مثمرا للخشية؛[4] ألا ترى إلى قوله: إِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.[5] أو أهديك إلى طاعة[6] ربك وأُنذرك عقابَه[7] إذا عصيتَه، **فتخشى**، فلا تعصيه.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾[٢٠]

وقوله: **فأراه الآية الكبرى**، فمنهم من ذكر أن الآية الكبرى هي اليد سميت كبرى لأن سحرهم عُمِل في الحبال والعِصِيّ ولم يُعمَل في اليد، فكانت هذه الآية خارجة من نوع سحرهم فسمِّيت كبرى لهذا المعنى. ومنهم من ذكر أن الآية الكبرى هي العصا[8] لأن غلبة موسى / عليه السلام على السحرة كانت بالعصا حيث تَلْقَفَ[9] ما أتوا به من السحر. [٨٨٤و] ولكن كلّ آياته كانت كبرى كما قال في آية أخرى: وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا،[10] فكانت إحداهما أكبر من الأخرى عند ذوي الأحلام والنُّهَى لمن تأمّل فيها وتدبّر. *والله الموفق*.[11]

---

[1] ث: فالواجب أن يدعو.
[2] سورة طه، ٢٠/٤٤.
[3] سورة الإسراء، ١٧/١٠٢.
[4] ر م: للخبيثة.
[5] سورة فاطر، ٣٥/٢٨.
[6] ر: إلى طاعته؛ ن – إلى طاعة، صح هـ.
[7] ر: عباده.
[8] ر: وهي العصاء.
[9] جميع النسخ: تلقفت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٧و.
[10] سورة الزخرف، ٤٣/٤٨.
[11] ر: والله أعلم.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾[٢١]

وقوله: **فكذّب وعصى**، أي كذب بآيات الله وعصى نبيه موسى فلم يطعه.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾[٢٢]

وقوله: **ثم أدبر يسعى**، قال الحسن: كان خفيفا طَيّاشًا[١] وإلّا فالملوك إذا دُعُوا إلى أمر تدبّروا فيه وتفكّروا؛ إما ليجيبوا[٢] الداعي إلى ما دعاهم أو ليردّوا عليه. فأما الإدبار والسعي فليس إلا من الخفة والطَّيْش. وقال غيره: أدبر عن طاعة الله تعالى وتولى عنه وسعى في جمع السحرة، أو سعى في جمع من قال لموسى عليه السلام: فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ.[٣]

﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾[٢٣] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[٢٤]

وقوله: **فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى**، وذلك اللعين قد علِم أنه ليس برب[٤] السماء والأرض ولكن قد اتخذ لقومه أصناما فأمر العوامَّ منهم أن يعبدوها ليقربّهم ذلك إليه. لكن إذا صاروا من خاصّتِه[٥] أذن لهم بأن يعبدوه وأمر الخواص منهم بعبادته فسمّى نفسَه أعلى الأرباب لهذا.

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾[٢٥]

وقوله: **فأخذه الله نكال الآخرة والأولى**، فمنهم من يقول: أخذه بعقوبة الكلمتين جميعا، الكلمة الأولى قوله: مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي،[٦] والكلمة الثانية قوله: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى.[٧] ومنهم من يقول: أخذه بعقوبة ما تقدم من الأجرام وما تأخر إلى أن غَرِق. ومنهم من يقول: أخذه بالعقوبة في الدنيا والآخرة فغرَّقه في الدنيا وعذَّب روحه بعد مماته، بقوله: النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا، ويدخل في النار مع أتباعه بقوله: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ،[٨] فاتصلت عقوبة الدنيا بعقوبة الآخرة.

---

[١] انظر: *الكشاف* للزمخشري، ٦/٣٠٧؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٣١/٤٢.

[٢] ر: وتفكر وإما يجيبوا؛ ث: يجيبوا.

[٣] ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى﴾ (سورة طه، ٢٠/٥٨).

[٤] ر م: رب.

[٥] ر ن: من خاصية؛ م: من خاصيته.

[٦] سورة القصص، ٢٨/٣٨.

[٧] الآية السابقة.

[٨] سورة المؤمن، ٤٠/٤٦.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَىٰ﴾[٢٦]

وقوله: **إن في ذلك لعبرة لمن يخشى**، وفي ذلك كله عبرة لكن الذي[١] يَعتبر بها مَنْ يخشى العواقبَ ويخاف عقوبة الله تعالى.

﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾[٢٧] ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾[٢٨]

وقوله: **أأنتم أشد خلقا أم السماء**، فجائز أن يكون هذا[٢] صلة قوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ. فيكون [في][٣] قوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ،[٤] [إثبات البعث]،[٥] وفي قوله: **أأنتم أشد خلقا**، تقرير له[٦] أيضا.

ثم قوله تعالى: **أأنتم أشد خلقا أم السماء**، يحتمل أوجهًا. أحدها أن إعادتهم خلقا جديدا وبعثَهم أيسرُ في عقول منكري البعث من خلق السماوات وقد أقرُّوا أنه خالق السماء. فإذا لم يتعذر عليه خلق السماء -وإن كان خلقه أشد في عقولهم من خلق أمثالهم- فما بالهم ينكرون بعثهم وإعادتهم إلى ما كانوا عليه وذلك أهون في عقولهم؟

ويحتمل وجها آخر وهو أن السماء مع شدة خلقها أشفقت على نفسها فأبتْ قبولَ ما عُرِض عليها من الأمانة وخافت نقمة الله تعالى.[٧] فما بال هذا الإنسان مع ضعفه يمتنع عن الإجابة إلى ما دعي إليه، أفلا يُشفق على نفسه، ولا يخاف نقمة الله تعالى، وما خُلقت النار والجنة إلا لأجل[٨] الإنس؟[٩] فيُذكِّرهم بهذا ليخوِّفهم فيرتدعوا[١٠] عما هم فيه[١١] من الطغيان ويجيبوا إلى ما دعاهم إليه الرسول.

---

[١] ر: الذين.
[٢] ر ث م - هذا.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٧ظ.
[٤] ر م - فيكون قوله يوم ترجف الراجفة. الآية ٦ من هذه السورة.
[٥] الزيادة من المرجع السابق.
[٦] ن - له.
[٧] يشير المؤلف رحمه الله تعالى إلى قوله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فَأَبَيْنَ أن يحملنها وَأَشْفَقْنَ منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (سورة الأحزاب، ٧٢/٣٣).
[٨] ر: الأجل.
[٩] ن - الإنس.
[١٠] جميع النسخ: ويرتدعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م: فيهم.

وجائز أن يكون هذا[1] صلة قوله: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ،[2] وإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[3] فيخبر أن السماء مع شدتها وطواعِيَتِها لا تقوم لذلك[4] اليوم فكيف يقوم[5] [الإنسان][6] لِهَوْل ذلك اليوم مع ضعفه؟ فيرجع هذا أيضا إلى التخويف.

وقوله عز وجل: **بناها رفع سمكها فسواها. بناها**، أي خلقها، **رفع سمكها**، سقفها، **فسواها**، بالأرض، أو سواها على ما يوجبه الحكمة ويدل على الوحدانية.

قال {إمام الهدى أبو منصور رضي الله عنه}: ثم لم يفهم أحد من قوله: **بناها**، ما يُفهم من البناء المضاف إلى الخلق، ولا فَهِم من الرفع ما يفهم من الرفع المضاف إليهم، ولا فَهِم من قوله: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا،[7] ما يفهم من البسط المعروف المنسوب إلى الخلق،[8] فما بال بعض الناس فهموا من المجيء الذي أضيف إلى[9] الله تعالى[10] ما فهموا من المجيء الذي يضاف إلى الخلق؟ فلولا آفة حلّت بهم حَمَلَتْهم[11] على أن يفهموا منه المعنى المكروه وإلا لم تنصرف[12] أوهامهم إلى مثل ذلك.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وأغطش ليلها**، قيل: أظلم ليلَها،[13] **وأخرج ضحاها**. ففي[14] إظلام الليل وإخراج الضحى ما ينفي عن منكري البعث الشُّبَهَ التي تعترض[15] لهم. وذلك أنه يَغْطِش[16]

---

[1] ر ث م – هذا.
[2] سورة الانفطار، ٨٢/١.
[3] سورة الانشقاق، ٨٤/١.
[4] ر ث م: بذلك.
[5] ن: تقوم.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٧ظ.
[7] الآية ٣٠ من هذه السورة.
[8] ن – إلى الخلق.
[9] ث + خلق.
[10] مثل قوله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٨٩/٢٢).
[11] ر ث م: فلولا أنه حلت بهم جملتهم.
[12] جميع النسخ: لم ينصرف.
[13] ر ث م – ليلها.
[14] ر م: نفي.
[15] جميع النسخ: يعترض. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] ر م: بطش.

في ساعة لطيفة ويَغشَى ظلمتُها كلَّ شيء ثم يُتلِفها في أدنى وهلة ويُفنيها كأنها لم يكن، ثمّ يُعيدها بعد ما أتلفها[1] حتى لو أراد أحدٌ أن يميّز بين الأولى والثانية لم يقدر عليه، بل وقع عنده أن الأُولى في الثانية،[2] والثانية في الأولى. وهذا بعد ما تلفت الظلمةُ الأولى وذهبت كلّها حتى[3] لم يبق منها[4] أثر. فَلَأَنْ يكون قادرا على إعادتهم[5] خلقا جديدا بعد ما أفناهم[6] -وقد بقي من آثار الخلق الأول بعضُه- أولى. ثم أضاف ذلك إلى السماء لأن بُدُوَّها[7] يظهر من عندها.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **والأرض بعد ذلك دحاها**، قالوا: بسطها. فمنهم من يقول: خلقها مجتمعة ثم بسطها بعدَ ما خلق السماوات، ألا ترى أنه قال:[8] **دحاها**، ولم يقل:[9] خلقها؟ ومنهم من ذكر أنه خلق سماء الدنيا أوّلا، ثم خلق الأرضين بعد ذلك، ثم خلق السماوات الست من بعدُ. / ومنهم من ذكر أنها كانت قبل أن تُبْسَط[10] تحت البيت الْمَقْدِس ثمّ بَسَطَها[11] [٨٨٤ظ] بعد ذلك. قال أبو بكر [الأصم]: هذا لا يحتمل، لأنه لا يجوز أن يكون بجملتها وسعتها تحت بيت المقدس. *والله أعلم*. ولكنّ معناه عندنا إن كان على ما قالوا مُنْصَرِفٌ إلى الجوهر، أي الجوهر الذي خلق منه الأرض كان هنالك، لا أن كانت بجملتها تحته، كما خُلِق هذا الإنسان من النطفة وإن لم يكن بكليته في النطفة، وخُلِق من التراب وإن لم يكن بكليته[12] على ما هو عليه في التراب، وكان معناه أنه خلق من ذلك الجوهر، فعلى ذلك الحكم في ما ذكره.

---

[1] ر م: بلغها؛ ث: أبلغها.
[2] ر م: في الثاني.
[3] ث - حتى.
[4] ر م: منهما.
[5] ر: على عادتهم.
[6] ر: بعد أفناهم؛ م: بعد إفنائهم.
[7] ن: بدونها.
[8] ر: قوله.
[9] ث - يقل.
[10] جميع النسخ: أن يسط. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٨و.
[11] ن: بسطه.
[12] ر ث م: بكلية.

ومنهم من زعم أنّ خلقهما كان[١] معًا. وذكر عن الحسن أن الأرضين خلقت قبلَ السماء بقوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ [سَبْعَ سَمَاوَاتٍ]،[٢] وقال في موضع آخر: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ،[٣] وقال: اسم السماء ما ارتفع من الشيء كما يقال للسقف: سماء لارتفاعه[٤] عن[٥] الإنسان.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **أخرج منها ماءها ومرعاها**، فذكر[٦] ما أنشأه لنا لنحمده وما أخرج منها للأنعام لتذكير النِّعَم أيضا لنشكره[٧] ونحمده[٨] عليه؛ إذ الدواب خُلِقت لنا، فما رجع إلى منافعها فهي راجعة إلينا، إذ بها ما نصل[٩] إلى الانتفاع بالدواب.

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **والجبال أرساها**، أثبتها لئلا تَمِيد[١٠] بأهلها.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **متاعا لكم ولأنعامكم**، ففيه أنّ ما جعله متاعا لنا قد جعل شيئا من ذلك للدواب[١١] أيضا، والذي جعله[١٢] للأنعام لم يجعل لنا فيه شِرْكًا؛ وذلك لأن الذي أنشأه لمتاع البشر منه ما يُستخبَث ويستقذر ومنه ما يستطاب ويُدَّخر. فجعل ما طاب منه للبشر وما خبث منه لمنافع الدواب، والذي أنشأه لمنافع الدواب مما تستخبثه الطباع وتستقذره[١٣]

---

[١] ن: كانا.
[٢] سورة البقرة، ٢٩/٢.
[٣] سورة فصلت، ١١/٤١.
[٤] م: لارتفاعها.
[٥] ث + السماء.
[٦] ث: فذكره.
[٧] ر: يشكره؛ ن ث م: ليشكره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٨و.
[٨] جميع النسخ: ويحمده. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: ما يصل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن: لئلا تمد.
[١١] ر م: الدواب.
[١٢] م: جعل.
[١٣] جميع النسخ: يستخبثه الطباع ويستقذره.

ففضّل أغذية[1] مَن فضّل منازلهم. ففي ما ذكرنا[2] دلالة إباحة التناول من الطيبات؛ إذ الله[3] تعالى منَّ على عباده أن[4] جعل[5] أغذيتهم بما طاب من الأشياء وفضّلهم على الأنعام بذلك.[6] فمن كره ذلك[7] فقد كره الانتفاع بما أنشئ للانتفاع. **والله أعلم.**

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **فإذا جاءت الطامة الكبرى**، قال: **الطامة**، هي الصيحة، سمّيت طامة لأنها تَطِمّ الأشياء وتعمّها. وسمّيت كبرى لأنها إنْ طمّت بالعذاب فهو يدوم ولا ينقطع، وإن أحاطت بالثواب والكرامة فهو يدوم ولا ينقطع، فسمّيت كبرى لدوامها.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾[٣٥]

وقوله: **يوم يتذكر الإنسان ما سعى**، ما عمل. وتذكّره يكون بوجهين. أحدهما بقراءته كتابه، قال الله تعالى:[8] اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا.[9] والتذكّر الثاني يكون بالجزاء. فالتذكّر الأول يكون باللطف من الله تعالى، وإلّا فالمرء قد يكتبُ أشياء ثم ينساه إذا طالت المدة فلا يتذكر[10] بالقراءة. ففي ما لم يتولّ[11] كتابته[12] أحقّ أن لا يتذكر. لكن الله تعالى بلطفه يذكّره بالقراءة فيعرف به صدقَ ما كتبته الملائكةُ ويعرف أنه إذا عوقب عوقب[13] جزاءَ ما كسبت يداه، ويكون الجزاء أبلغ في التذكير[14] فيتذكر في ذلك الوقت.[15]

---

[1] ر م: أغذيته.
[2] ث: ففيما ذكر.
[3] ر ث م: أن الله.
[4] ر م – أن.
[5] ن: أن يجعل.
[6] ر ث م: ذلك.
[7] ن: بذلك.
[8] ر ث م: كقوله تعالى.
[9] سورة الإسراء، ١٧/١٤.
[10] ر ث م: ولا يتذكر.
[11] ر م: لم يتولى.
[12] ر م: كتابه.
[13] ر – عوقب.
[14] ر م: في التذكر.
[15] ن ث + أيضا.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **وبرزت الجحيم لمن يرى**، وقرئ "لمن تَرَى"[1] فأُضيفت[2] الرؤيةُ إلى الجحيم، كقوله: إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا.[3] وقوله: **لمن يرى**، جائز أن تكون[4] الرؤية كناية عن الحضور والدخول؛ فيكون قوله: **لمن يرى**، أي لمن يدخلها ويحضرها، وهو كقوله: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ،[5] ومعناه أن رحمة الله للمحسنين؛ وقال تعالى: وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ،[6] وأريد بالقرب التناول فكنّي عنه بالقرب. فجائز أن يكون الرؤية هاهنا كنايةً عن الدخول والحضور فيكون فيه إخبار عن إحاطة العذاب بجميع[7] أبدانهم. وجائز أن يكون أهل الرؤية هم أهل الجنة فيرونها مشاهَدةً فيتلذذون بذلك لما نَجَوا وفازُوا بالنِّعم[8] كما تألموا[9] بذكرها عند ما كانت غائبة لا يرونها، قال الله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ،[10] وقَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا،[11] الآية.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾[٣٧] ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٣٨] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **فأما من طغى**،[12] أي عصى وتمرد، أو طغى[13] بأنعم الله تعالى فاستعملها في معاصيه، أو جاوزَ[14] حدود الله.

---

[1] قرأ عكرمة: "وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ تَرَى" بالتاء مفتوحة (*المحتسب* لابن جني، ٢/٤١٤؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٠/٢٠٧).

[2] ر م: فتضيف؛ ن ث: فيضيف.

[3] سورة الفرقان، ٢٥/١٢.

[4] ر م: أن يكون.

[5] سورة الأعراف، ٧/٥٦.

[6] سورة البقرة، ٢/٣٥؛ وسورة الأعراف، ٧/١٩.

[7] ن: لجميع.

[8] م: بالنعيم.

[9] ث: كما تأملوا.

[10] سورة المؤمنون، ٢٣/٦٠.

[11] سورة الطور، ٥٢/٢٦-٢٧.

[12] ر ث م + وآثر الحياة الدنيا.

[13] ر م: و طغى.

[14] ن + في.

وقوله: **وآثار الحياة الدنيا**، فجائز أن يكون إيثاره[1] أن يبتغي بمحاسنه الحياةَ الدنيا حتى أنساه ذلك عن الآخرة، وإذا ابتغي بها الحياة الدنيا لم يبقَ له في الآخرة نصيب لأنه قد وُفِّيَ له عملُه. ألا ترى[2] إلى قوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا.[3]

وقوله عز وجل: **فإن الجحيم هي المأوى**، أي يأوِي إليها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[٤٠] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٤١]

وقوله: **وأما من خاف مقام ربه**، فجائز أن يكون أريد بالمقام حسابُ ربّه أو مقامُه عند ربه، فأضيف إلى الله تعالى لأن البعث مضاف إليه فكلّ أحواله أضيف إليه أيضا.[4] وجائز أن يكون الخوف راجعا إلى الحالة التي هو فيها، فيخاف أن يكون مَقامه في موضعٍ نهي الله تعالى عن الْمُقام فيه. وقوله: **ونهى النفس عن الهوى**، فليس هذا نهيَ قولٍ وإنما نهيه إياها أن يكفَّها[5] عن شهواتها ولذّاتها، وكفُّها أن يُشعرها عذابَ الآخرة ويخوِّفها آلامها وعقابها، فإذا فعل ذلك سهل عليها ترك الشهوات الحاضرة وسهل عليها العملُ / للآخرة. [٨٨٥و]

والناس في نهي النفس عن هواها على ضربين. فمنهم من يقهرها فلا يعطيها شهواتها فهو أبدا في جَهد وعَناء.[6] ومنهم من يُذَكِّرها العواقبَ ويُريها ما أُعدَّ لأهل الطاعة ويُعْلمها[7] ما يَحُلّ بالظَّلَمة فيصير ذلك لها كالعِيان فيختار لذّاتِ الآخرة على لذات الدنيا، إذ ذلك أدوم وألذّ ويسهل[8] عليه العمل لآخرته.[9] والهوى هو ميل النفس إلى شهوتها[10] ولذتها. ففيه أن الأنفس جُبلت على حبّ الشهوات والميل إليها ولا تنتهي[11] عن ذلك إلا بما ذكرنا.

---

[1] ن: إشارة.
[2] ن: يرى.
[3] سورة هود، ١٥/١١.
[4] ن – أيضا.
[5] ر: عن يكفها.
[6] ر: وعناد.
[7] ر م: ويعملها.
[8] ر م: وسهل.
[9] ر ث م: للآخرة.
[10] ر م: شهواتها.
[11] جميع النسخ: ولا ينتهي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٨ظ.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **يسألونك عن الساعة**، وهي القيامة سَمِيت ساعةً إما لما يَخِفّ[1] أمرُها على من إليه تدبيرُها، أو سمِيت ساعة لسرعة كونها إذا أتى وقتها، أو سمِيت لقربها إلى الحالة التي كانوا عليها، كقوله تعالى: أَتَى أَمْرُ اللَّهِ.[2]

ثم إن كان هذا السؤال من المؤمنين فهو سؤال استهداء،[3] كأنه لما قيل لهم: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ،[4] و إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[5] قالوا: متى يكون الساعة؟ فنزلت هذه الآية. وجائز أن يكون[6] السؤل من الكفرة -لما ذكرنا أنه ليس في تبيين وقتها كثيرُ منفعة حتى تقع[7] الحاجة للمسلمين إلى تبيينه بالسؤل- فيسألونه سؤالَ استهزاءٍ واستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم ويسألونه[8] استعجالها، بقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا.[9] فكانوا يسألونه عن شيء يعلمون أنهم مُتعنّتون في السؤال قصدا منهم للتمويه[10] والتلبيس على الضَّعَفَة والأتباع لأنهم كانوا يعلمون أن ذلك الوقت ليس هو وقتَ مجيء الساعة؛ فإذا طلبوا الاستعجال علموا أنه لا يتهيأ له أن يريهم في ذلك الوقت، إذ ذلك يخرج مخرج خلاف الوعد؛ فيحتجّون على الضعفة أنه لو كان صادقا في مقالته "إن الساعة تكون" لكان[11] -متى طلبوا مجيئها- يأتيهم بها.

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾[٤٣]

وقوله: **فيم أنت من ذكراها**، أي لستَ أنت مِن علمها في شيء، هذا إنْ ثبتَ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطَّلِع عليها؛ أو لستَ أنت مِن إخبارها في شيء إذا لم يثبت ولم يُعلَم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطَّلِع عليها.[12]

---

[1] ر ث م: ليخف.
[2] سورة النحل، ١/١٦.
[3] ن: استهزاء.
[4] سورة الانفطار، ١/٨٢.
[5] سورة الانشقاق، ١/٨٤.
[6] ن + هذا.
[7] ر م: في تبين وقتها كثير منفعة حتى يقع؛ ث: حتى يقع.
[8] ث: ويسألون. أي يسألون رسولَ الله.
[9] ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مُشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾ (سورة الشورى، ١٨/٤٢).
[10] ر ث م - للتمويه.
[11] جميع النسخ: لكانوا.
[12] ر ث م - أو لست أنت من إخبارها في شيء إذا لم يثبت و لم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلع عليها.

﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **إلى ربك منتهاها**، أي ينتهي إليه[١] علمها فيكون [في][٢] هذا نهيٌ للسائلين عن العود إلى السؤال.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **إنما أنت منذر من يخشاها**، فهو صلى الله عليه وسلم كان منذرا للعالمين جملة، بقوله: لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا،[٣] لكنه ينتفع بإنذاره من يخشى الإنذار.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[٤٦]

وقوله عز وجل **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها**، قال أهل التأويل في هذه الآية: إنهم إذا رأوا الساعة استقصروا هذه الأيام وقَلَّتِ الدنيا في قلوبهم حين[٤] عاينوا الآخرة. وجائز أن يكون تأويله أنهم لو رأوا[٥] الساعة للحالة التي هم فيها لم يلبثوا فيها إلا[٦] عشية أو ضحاها؛ فلا يقع ذلك موقعَ التهويل والتخويف. *والله أعلم*.

---

[١] ر م: إليها.

[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٨ظ.

[٣] سورة الفرقان، ١/٢٥.

[٤] جميع النسخ: حتى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة مدينة ١٧٩، ورقة ٩٠٠ظ.

[٥] ر م: لو أرادوا؛ ن ث: أنهم لو أرادوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٨ظ.

[٦] ر: وإلا.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة عبس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾[١] ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾[٢]

قوله عز وجل: **عبس وتولى أن جاءه الأعمى**، ذكر الحسن أن تعبّس الوجه والتولي كانا بنفس المجيء على ظاهر الآية، فإنه ذُكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده من عظماء المشركين يَعِظُهم ويدعوهم إلى الإسلام. فلما جاءه ابنُ أمِّ مكتوم يسأله أعرض عنه لمكان أولئك القوم وعَبَس وجهَه رجاءَ إسلامهم. وذكر غيره من أهل التفسير أنه عبس وتولى لمّا سأله ابن أم مكتوم عما فيه رشدُه وهُداه فعبس وجهه بقَطْعه الحديثَ عليه.[2]

ثم هذا التعبيس[3] منه[4] عليه الصلاة والسلام كان في أمر لو الْتَأَم ثم وُزن ذلك[5] بخيرات أهل الأرض لَرَجَح[6] على خيراتهم[7] ومحاسنهم؛ لأنه ذُكِر أنه كان مقبلا على رؤساء الكفرة يعظهم ويحرِّضهم على الإسلام رجاء أن يُسلموا؛ فيكون في إسلامهم رجاءُ إسلام كثير من القوم

---

[1] ر – سورة عبس؛ ث + وهي اثنتان وأربعون آيات.

[2] انظر: *تفسير الطبري*، ٣٠/٦٤-٦٦.

[3] ر ث م: التعبس.

[4] ر ث م: من.

[5] ن – ذلك.

[6] ن: ليرجح.

[7] ث + وحسناتهم.

لأنهم كانوا من عِلْيَة القوم وعظمائهم، فكان في إسلامهم رَجاءُ إسلام من يتبعهم من قومهم فيستوجب بإسلامهم من جزيل الثواب وعظيم[1] المنزلة مالا يبلغه آخر بجميع محاسنه. فكان في سؤاله إياه منعُ ما قصد إليه من إحراز جزيل الثواب وكريم الخصال. وإذا كان هكذا فتعبيس الوجه في[2] مثل هذا الحال أمر سهل لا يُستبعد ولا يستنكر. والثاني أن تعبيس[3] الوجه على الأعمى والإعراض عنه لا يظهر للأعمى، لأنه لا يراه فلا يعدّه جفاء، وكان في إقباله على أولئك القوم وحسن صحبته إياهم رجاءُ الإسلام منهم؛ إذ إقباله وحسن صحبته يظهر لهم، وفي الإعراض عنهم ذهاب ذلك الرجاء وإبداء الجفاء منه إياهم.

ومن آثر الوجه الذي فيه اتقاء الجفاء والدعاءُ من الردى إلى الهدى وصلاحِ[4] الدين والدنيا[5] [على الوجه الذي ليس فيه إبداء الجفاء][6] فهو محمود عند ذوي الأحلام والنُّهى. ولأن إقباله على القوم إذ[7] كان لمكان دعائهم إلى / الإسلام -وقد أُمرنا بدعاء الكفرة إلى الإسلام وإن كان في دعائهم إتلاف أنفسنا وأموالنا- فلَأَنْ يَسُوغَ الدعاءُ من وجه ليس فيه إلا تعبيس الوجه على واحد من المسلمين أولى. [٨٨٥ظ]

ولكنَ النبي صلى الله عليه وسلم وُجد منه هذا النوع من الإيثار اجتهادا ورأيا. والأنبياء عليهم السلام قد جاءهم العتاب من الله تعالى بتعاطيهم أمورا[8] لم يَسبِق من الله تعالى[9] لهم الإذن في ذلك، وإن كان الذي تعاطوه من الأمور أمورا محمودة في تدبير الخلق، نحو ما عوتب يونسُ عليه السلام وعوقب بمفارقة قومه بغير إذن،[10] وإن كان مثلُ ذلك المفارقة لو وُجد من واحد من أهل الأرض استوجب بها الحمدَ وحسنَ الثناء، لأن تلك المفارقة لا تخلو من أحد[11] أمور[12] ثلاثة.

---

[1] ر م: وعظم؛ ث: من إسلامهم من جزيل الثواب وعظيم.
[2] ر م - في.
[3] ر ث م: أن تعبس.
[4] ن: والدعاء إلى الهدى وإصلاح.
[5] ر م - والدنيا.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٩و.
[7] ر ث م: إذا.
[8] ن + لمن.
[9] ر + بتعاطيهم أمورا لم يسبق من الله تعالى.
[10] انظر: سورة الأنبياء، ٢١/٨٧-٨٨؛ وسورة الصافات، ٣٧/١٣٩-١٤٨.
[11] ر: لا يخلوا من إحدى؛ ن ث م: لا يخلو من إحدى. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: الأمور.

أحدها أن قومه كانوا أهل كفر وكانوا له أعداء في الدين ففارقهم لينجو[١] منهم ويَسلَم له دينه، ومثل هذا لو وجد من غير الأنبياء عليهم السلام عُدّ ذلك من أفضل شمائله.

والثاني أن في مفارقته[٢] من بين أظهرهم تخويفا لهم وتهويلا،[٣] لأن القوم من قبلُ[٤] كان[٥] لا يفارقهم نبيُّهم من بين أظهرهم[٦] إلا وقتَمَا يريد أن يَنزل بهم العذابُ، فكان في مفارقته إياهم تخويفهم وتهويلُهم، فيدعوهم ذلك إلى الانقلاع عما هم عليه من الضلال والفزعِ إلى الله تعالى، ومَن خوَّف آخر بأمر يكون فيه دعاؤه إلى الهدى ورَدْعُه عن الضلال فقد أبلغ في النصيحة[٧] واستقام على الطريقة.

والثالث أنه يفارقهم ليستنصر بغيره فينصرونه[٨] عليهم ويتقوَّى بهم ليكون على دعائهم إلى الإسلام أمكن وأقدر. ومن كانت مفارقته من قومه على هذه النية فَلَنِعْمَ المفارِقُ[٩] هو! ثم عوتب مع هذا كله، وذَكَر الله تعالى في الكتاب قصته[١٠] للوجه الذي ذكرنا. فكذلك الوجه في معاتبة نبينا محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات.[١١]

ومنهم من ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد إلى تعبيس[١٢] الوجه على ابن أم مكتوم ولا تولّى عنه عمدا لذلك، لكن لمّا قطع عليه حديثه وكان فيه قطع رجاء إسلام[١٣] أولئك[١٤] القوم شقّ ذلك عليه واعتراه من ذلك همٌّ شديد أثَّر ذلك في وجهه لا أن كان منه ذلك على القصد.

---

[١] ن: لينجوا.
[٢] ر م: أن من مفارقته.
[٣] جميع النسخ: تخويف لهم وتهويل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٩و.
[٤] ر م: من قبيل.
[٥] م: كانوا.
[٦] م: أظهر.
[٧] ر م: في الصحبة.
[٨] ن: فينصرونهم.
[٩] ن: فليعم المفارقة.
[١٠] ث: قضية.
[١١] ن: محمد صلى الله عليه وسلم.
[١٢] ر ث م: إلى تعبس.
[١٣] ر م: الإسلام.
[١٤] ن – أولئك.

ووجه آخر[1] أن يقال: إن الله تعالى جعل في قلبه صلى الله عليه وسلم من الشفَقة والرحمة على العالمين حتى بلغ من شفقته أن كادت نفسه تذهب على مَنْ أعرض عن دين الله تعالى والإيمان به حسراتٍ عليه، وحتى قيل له: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[2] وقال: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ،[3] وقال: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[4] وتأويله أنْ لا تحزن بمكانهم كلَّ هذا الحزن؛ فيكون فيه تخفيف الأمر عليه لا أن يكون فيه نهي عن الحزن وعن الحسرة، وكذلك[5] قال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ،[6] ومعناه –والله أعلم– أن لا تُحَمِّلْ نفسك كلَّ هذا التحميل حتى تمتنع عن الانتفاع بما أحل الله لك الانتفاعَ به طلبا لمرضاتهن، لا أن ينهاه عن ابتغاء مرضاتهن بل قد نُدب[7] إلى ابتغاء مرضاتهن، بقوله: ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ،[8] الآية.

فجائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتدّ عليه إعراض أولئك القوم عن الإيمان وكَبُر ذلك عليه حتى تغيَّرَ لونُ وجهِه فظهرت عبوسة وجهه،[9] فنزل قوله تعالى: **عبس وتولى**، يبين[10] شدةَ ما[11] اعتراه من الهمّ حتى أثَّر ذلك في وجهه[12] لا أن يكون فيه مَذمَّة ومَنْقَصة[13] له.

ثم في هذه الآية فوائدُ أُخر. إحداها جواز العمل بالاجتهاد؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَعَل هذا النوع من العمل اجتهادا لا نصا، إذ لو كان الإذن بالتولي والتعبيس سابقا[14] لم يكن يعاتب بفعلٍ ما قد أُمِر به.

---

[1] ن: وجه أخرى.

[2] سورة الشعراء، ٣/٢٦.

[3] سورة النحل، ١٢٧/١٦؛ وانظر أيضا: سورة النمل، ٧٠/٢٧.

[4] سورة فاطر، ٨/٣٥.

[5] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٩و.

[6] سورة التحريم، ١/٦٦.

[7] ن: بدت.

[8] سورة الأحزاب، ٥١/٣٣.

[9] ر م – فظهرت عبوسة وجهه.

[10] ر م: تبين.

[11] ث + نزل.

[12] ث + المنور.

[13] ن: منقصة.

[14] ر ث م: سائغا.

فإن قيل: كيف لا يدلّ المعاتبة على النهي على إقدامه مثلَه فَيَحْرُمَ عليه الاجتهاد؟ قيل[1] له: لو كان هذا[2] نهيا لم يكن يعود إلى العمل بالاجتهاد بعدَ ذلك، وقد وُجد منه -عليه السلام- العَوْدُ بقوله:[3] عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ،[4] وبقوله:[5] يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ،[6] فثبت أنه ليس فيه نهي.

وفيها[7] أنّ الكافر، وإن كان مبجّلا معظّما في قومه، فليس على المؤمنين أن يعظِّموه ويُبَجِّلوه بل يُسْترذَل ويُستخَفُّ به، وأنّ المسلم ينبغي أن يُعظَّم ويُكرَّم وإن كان حقيرا في أعين الخلق.

وفيها[8] آيةُ رسالة نبينا[9] محمد صلى الله عليه وسلم ودلالة نبوته وأنّه[10] لم يختلق هذا الكتاب من عند نفسه؛ لأنّ[11] من تعاطى[12] فعلا حقُّه الستر فهو يستره على نفسه، ولا يَهتك عليها السِّتْر لئلا يُذَمّ[13] عليه. فلو لم يكن مأمورا بتبليغ الرسالة لكان يجتهد في السَّتر[14] على نفسه ولا يُبدِيه[15] للخلائق. ولكنه كان رسولا لم يجد من تبليغه إلى الخلق بُدًّا فبلّغه كما أُمِر.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وما يدريك لعله يزكى**، و"لعلّ" من الله تعالى واجب. وقوله: **يَزَّكَّى**، أي يتزكى بعمله[16] ونيته.

---

[1] ر م: وقيل.
[2] ر ث م - هذا.
[3] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٩ظ.
[4] سورة التوبة، ٤٣/٩.
[5] ر م: بقوله.
[6] سورة التحريم، ١/٦٦.
[7] جميع النسخ: وفيه.
[8] جميع النسخ: وفيه.
[9] ر ث م - نبينا.
[10] ن: وأن.
[11] ن + لأن.
[12] ر م: يتعاطى.
[13] ر م: لئلا يلزم.
[14] م: السر.
[15] ر ث م: ولا ينبذ به.
[16] ر م: بعلمه.

وفي هذه الآية قضاء بإبطال قولِ مَن زعم أن جميع ما في القرآن **وما يدريك**، فهو مما لم يُدْرِه. يُروى ذلك عن سفيان بن عُيَيْنَة[1] رضي الله عنه وغيره؛[2] لأنه قد أدراه[3] هاهنا بقوله: **لعله يزكى**، و"لعلّ" من الله واجب، / وإذا جعلتَه واجبا فقد زكّاه وإذا زكّاه فقد عَلِمه النبيُّ صلى الله عليه وسلم. [٨٨٦و]

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾[٤]

وقوله عز وجل: **أو يذكر فتنفعه الذكرى**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون يتذكر بتذكيرك إياه فينتفع[4] بتذكيرك.[5] والثاني أن يتذكر فيما ذكرتَه من العواقب وما يحق[6] عليه في حاله[7] فينتفع به؛ فتكون[8] المنفعة في التأويل الأول بالتذكر[9] بنفس تذكير[10] الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي التأويل[11] الثاني بتذكره فيما[12] ذَكَّره النبي صلى الله عليه وسلم.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾[٥]

وقوله عز وجل: **أما من استغنى**، أي بما اختاره[13] عما جئت به من الدين، أو استغنى بالذي زين[14] له الشيطان عما جئت به، أو يكون على الغَناء المعروف؛ لأن الذين أقبل عليهم بوجهه

---

[1] سفيان بن عُيَيْنَة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدّث الحرم المكي. من الموالي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، توفي سنة ١٩٨هـ/٨١٤م (*الأعلام* للزركلي، ١٠٥/٣).

[2] قال يحيى بن سلام: بلغني أنّ كل شيء في القرآن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فقد أدراه إياه وعلّمه. وكل شيء قال: «وَمَا يُدْرِيكَ» فهو مما لم يعلمه. وقال سفيان بن عُيينة: كل شيء قال فيه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فإنه أُخبر به، وكل شيء قال فيه: «وَمَا يُدْرِيكَ» فإنه لم يخبرَ به (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٥٧/١٨).

[3] ن ث: قد دراه.

[4] ن – فينتفع.

[5] ر م: بتذكرك إياه فينتفع بتذكرك.

[6] ر ث م: وما نحو.

[7] جميع النسخ: في حالة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٩ظ.

[8] جميع النسخ: فيكون.

[9] ن: بالتذكير.

[10] ر ث م: تذكر.

[11] ر م: تأويل.

[12] ن: فما.

[13] جميع النسخ: بما اختار هو. والتصحيح من المرجع السابق.

[14] ن – زين.

كانوا أهل ثروة وغَناء فأقبل عليهم رجاءَ أن يسلموا فَيَتْبَعَهم[١] أتباعُهم في الإسلام، إذ كانوا من رؤسائهم وأجلَّتِهم.

﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾[٦]

وقوله: **فأنت له تصدى**، أي تُقبل[٢] عليه بوجهك.[٣]

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾[٧]

وقوله: **وما عليك ألا يزكى**، أي ليس عليك غير التذكير [فإن ترك التذكر لم يضرك وليس عليك إلا البلاغ، و][٤]إذا أعرض عنك وعاداك لم يمكن من إلحاق ضرر بك، بل الله يعصمك ويدفع عنك شرّه.

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾[٨] ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وأما من جاءك يسعى وهو يخشى**، أي يعمل لله تعالى ويخشاه. فجائز أن يكون الخشية علة للسعي، فيكون معناه: أن خشيته هي التي حملته إلى السعي. وقد يجوز أن يخرج الكلام مخرج العطف على جعل أحدِهما علةً للآخر ودليلا له،[٥] قال الله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ،[٦] فكان الإحياء الأول دليلا للإحياء الثاني في موضع العطف والترتيب على الكلام الأول. أو أن يكون ابتداءً. فقوله:[٧] **جاءك يسعى وهو يخشى**، اللهَ تعالى ويخاف التَّبِعة وحلولَ النقمة.

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[١٠]

[وقوله تعالى: **فأنت عنه تلهى**، أي تعرض عنه وتتغافل. وقد أمر أن يقول لمن يأتيه من المؤمنين: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ].[٨]

---

[١] ن: ويتبعهم.

[٢] جميع النسخ: مقبل. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣١٩ظ.

[٣] جميع النسخ: بوجهه.

[٤] الزيادة من المرجع السابق.

[٥] ن – له.

[٦] سورة البقرة، ٢٨/٢.

[٧] ن: أو يكون ابتداء فقولك.

[٨] الزيادة من المرجع السابق. يقول الله تعالى: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ (سورة الأنعام، ٥٤/٦).

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾[١١]

وقوله: **كلا**، قال الحسن: معناه أن الذي فعلتَه من التولي عن المؤمنين والإقبالِ على الكفرة ليس[1] من حكمي. وذكر أبو بكر الأصم: لما نزل قوله: عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ -إلى قوله- فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ،[2] تغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف زوال الرسالة وأن يُمْحَى اسمه منها،[3] فلما نزل قوله: **كلا**، عَلِم أنه لم يُودِّعه ربه حيث نهاه عن[4] العوَد إلى مثله. وقال المفسرون: **كلا**، أي لا تَعدْ إلى مثل هذا.

وقوله عز وجل: **إنها تذكرة**، فجائز أن يكون هذا منصرفا إلى السور كلها. وجائز أن يكون منصرفا إلى هذه السورة لأن فيها إثبات التوحيد وإثبات الرسالة من الوجه الذي ذكرنا ودلالة[5] البعث وإبانَة[6] أنّ خلق البشر ليس على العبث،[7] فهي تذكرة لمن تذكَّر[8] بها.[9] وجائز[10] أن يكون منصرفا إلى الآيات التي قبل هذا في هذه السورة، وهو أن فيما تقدم في هذه السورة من الآيات تثبيتَ رسالته بما تقدّم ذكرُنا له. وجائز أن يقال: **إنها تذكرة**،[11] أي هذه المعاتبة تذكرة للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع المؤمنين ليعرفوا من يستوجب التعظيم والتبجيل ومن يستوجب إهانته والاستخفاف.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **فمن شاء ذكره**، جائز أن يكون معناه من شاء الله أن يُذكِّره ذَكَره.[12] أو ما شاء ذَكَره، أي قد مُكِّن كلُّ من التذكُّر،[13] وأنّه ليس أحد بممنوع ولا مجبور على الفعل؛

---

[1] ن + ليس.
[2] الآيات ١-١٠ من هذه السورة.
[3] ر ث م: عنها.
[4] ن: إلى.
[5] ر ث م: دلالة.
[6] ر ن ث: وآياته.
[7] ر ث م: على البعث.
[8] ر ث م: لمن يذكر.
[9] م: ربها.
[10] ث م: أو جائز.
[11] جميع النسخ: إن هذه تذكرة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٠و.
[12] ر م - ذكره.
[13] ر م: من التذكير؛ ث: من التذكرة.

فمَن تَرَكَ التذكّر فهو الذي ضَيَّع ذلك حيث آثر واختار ضدَّه واشتغل بغيره وأعرض عن ذكره. وجائز أن يكون على تحقيق الفعل، أي من تذكر به فهو ذكرٌ له، فكنّى بالمشيئة عن الفعل لما ذكرنا أنها تقترن بالفعل ولا تزايله،[١] فيكون في ذكرها ذكرُ الفعل. أو يكون[٢] على إرادة الفعل قبل وجوده.

﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **في صحف مكرمة**، قيل: هي[٣] الصحف المتقدمة، كقوله: إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ.[٤] وقوله: **في صحف**، أي في أيدي الملائكة، وقوله: **مكرمة**، أي مكرّمة بما يكرّمها[٥] أهل الكرامة، وهم السَفَرَة البَرَرَة، أو مكرّمة على الله تعالى.

﴿مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾[١٤]

وقوله: **مرفوعة**، أي مرفوعة القدر. **مطهرة**، من التناقض والاختلاف، أو مطهرة من أن تنالها[٦] أيدي[٧] العصاة، أو مطهرة من الأقذار والأدناس.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾[١٥]

وقوله: **بأيدي سفرة**، فالسَفَرَة الكَتَبَة.

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **كرام بررة**، أي كرام على الله تعالى، **بررة**، في أعمالهم، كما وصفهم الله تعالى بقوله: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.[٨]

---

[١] جميع النسخ: يقترن بالفعل ولا يزايله. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٠و.
[٢] ث: أو أن تكون.
[٣] جميع النسخ: هو.
[٤] سورة الأعلى، ٨٧/١٨-١٩.
[٥] ر: بما يمكر بها؛ م: بما يكرم بها.
[٦] جميع النسخ: من أن ينالها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر: أي.
[٨] سورة التحريم، ٦٦/٦.

﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **قتل الإنسان**، قالوا: تأويله لُعن الإنسان.[١] وذكر الحسن والمعتزلة أن هذا من الله تعالى على الشتم والتسميةِ له بذلك، واستجازوا الشتم منه. والأصل أنْ ليس في الشتم إلا ظهورُ سفه الشاتم وعَبَثِه، إذ لا ضررَ يلحق بالمشتوم[٢] من جهة الشتم، وإنما ضرر ذلك الشتم على الشاتم خاصةً. وأما[٣] المشتوم فإنما يصير مشتوما[٤] بفعله لا بشتم الشاتم، وجلّ[٥] الله تعالى من أن ينسب[٦] إليه فعل السفه. فلذلك[٧] قلنا: إنه لا يتحقّق معنى الشتم في الكلمة التي عرفت شتما فيما بين الخلق إذا جاءت[٨] من الله تعالى، كما لا يتحقق[٩] من الكلمة التي عرفت اغتيابا فيما بين الخلق إذا جاءت[١٠] من الله تعالى معنى الاغتياب، بل يُحمل[١١] ذلك على الردع والتنبيه فيكون في ذكرها تخويفُ من خوطب بها وتذكيرُ للخلق سفهَه وجهلَه. ألا ترى أن المرء في الشاهد قد يتكلم بما فيه هتك السِتْر على المخاطب ثم لا يُعَدّ ذلك منه اغتيابا إذا قصد به وعظه وزجره / عما هو [فيه][١٢] ورُشْدَه إلى ما فيه صلاح آخرته وأُولاهُ. فكذلك الله تعالى إذا جاء منه ما يعدّ شتما من غيره واغتيابا لم يلحقه وصفُ الشتم والغيبة إذ ذلك منه على التذكير والتنبيه للخلق وعلى التخويف والتهويل لمن نسب إليه ذلك. [٨٨٦ظ]

وقوله عز وجل: **ما أكفره**، أي ما أقبحَ كفره وأوحشه وأَشْنَعَه؛ لأنه عَلِم أن جميع ما أُنعم به من النعم[١٣] فمن الله تعالى، ثم هو لم يشكر نعمه ولا أطاعه فيما دعاه إليه،

[١] ن: أمر الإنسان ما أكفره.
[٢] ر ن م: بالمشئوم.
[٣] ث: وإنما.
[٤] ن: المشتوم.
[٥] ر: وجعل.
[٦] ن: تنسب.
[٧] ن: فكذلك.
[٨] جميع النسخ: إذ جاءت.
[٩] ن: لا تحقق. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٠و.
[١٠] جميع النسخ: إذ جاءت.
[١١] ر م: يحتمل.
[١٢] الزيادة من المرجع السابق.
[١٣] ن ث: من النعيم.

بل وَجّه شكر نعمه إلى من لا ينفعه ولا يضره، وعبد من لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني[1] عنه[2] شيئا، ما هذا إلا غاية الفحش ونهاية القبح. أو ما أوحشَ كُفْرَه وأقبحه بما سَوّى بين الشكور والكفور وبين المفسد والمصلح وبين الولي والعدو، والعقلُ يوجب التفرقة بينهما، فهو بإنكاره البعث كابر عقلَه وعانده، فما أشدّ كفرَ مَن هذا وصفُه! ثم قوله تعالى: **ما أكفره**، أي أيَّ شيء أكفره! فيكون في ذكره تعجيبٌ لمن آمن من الخلائق وتذكيرٌ لهم عن سوء مَن هذا فعلُه وسوءِ معاملته مع ربّه.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[١٨] ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **من أَيِّ شيء خَلَقَه من نُطْفَةٍ خلقه**، فكأنه قال: إنّ الذي كفر قد علم أنه خُلِق من نطفة، وتلك النطفة موات، لا سمع فيها ولا عقل ولا شيءَ من الجوارح. ثم الله تعالى بلطفه وعجيب حكمته دبّر فيها بصرا، يرى بفَتْحةٍ واحدة وفي أدنى وهلة مسيرةَ خَمْسَمِائَةِ عامٍ، وقدّر فيها عقلا يرى به[3] ملكوت السماوات والأرض، وقدّر فيها السمع والبصر وغيرهما من الجوارح. أفترى أنّ من بلغت قدرتُه هذا يَعجَز[4] عن إحياء مَن أماته وعن بعثه بأقلَّ من لحظة؟[5] أو يكون قوله:[6] **مِن نطفةٍ خَلَقَه**، تعريفا[7] منه أنه خلقه من نطفة، ويكون في ذكره ما ذكرنا من الفوائد.

وقوله عز وجل: **فقدَّره**، أي سوّاه على وجه يكون فيه دلالة ربوبيته وشهادةُ وحدانيته، أو قدّره على ما فيه صلاحه ومنفعته، أو قدّره على ما[8] يشاء[9] من القِصر والطُّول والدَّمَامَة[10] والملاحة وغير ذلك.

---

[1] ن + ولا يغني.

[2] م + من الله. لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صدّيقا نبيا إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾ (سورة مريم، ٤١/١٩-٤٢).

[3] ن: بها.

[4] م: يعجزه.

[5] ر ن م: من لحظه.

[6] ن + بأقل من لحظه أو يكون قوله.

[7] جميع النسخ: تعريف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٠ظ.

[8] ر م - ما.

[9] جميع النسخ: نشاء. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] الدَّمَامَة: بالفتح القِصَر والقُبْح (*لسان العرب*، «دمم»).

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **ثم السبيل يسّره**، يحتمل[1] أن يكون المراد من السبيل الدينَ، فكأنه يقول: يسّر له سبيل درك سبيل الله،[2] على ما ذكرنا أن الدين إذا أُطلق أريد به دين الله تعالى، وكذلك الكتاب المطلق يراد به كتاب الله تعالى؛ فعلى ذلك السبيلُ إذا ذكر مطلقا كان منصرفا إلى سبيل الله تعالى. أو يسّر له السبيلَ: سبيلَ الهدى وسبيل الضلال والسبيل الذي لو سلكه نفعه[3] والسبيلَ الذي يضره. أو يسّر له السبيل الذي علم الله أنه يختاره، كقوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ[4] وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ[5] فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ.[6] أو[7] يسّر عليه سبيلَ الخروج من بطن أمه على ضيق ذلك الموضع وكِبَرَ جثته ليعلموا أن من بلغت قوته[8] هذا فهو قادر على ما أراد، لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه أمر.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **ثم أماته فأقبره**، ففي ذكر هذا ذكرُ النِّعم، وهو أن الله تعالى جعل لـمَا يَخبُث ويتغير كِنًّا يُكَنّ فيه فيستره عن الخلق لئلا يَعَافُوه[9] ويستقذروه، لم يجعل ذلك لغيرهم، وجعل لأنفسهم إذا هي[10] تغيرت[11] بالموت وصارت بحيث تستخبث وتُستقذر كِنا[12] تُسْتَر فيه لتغيب[13] عن الخلق فلا يتأذّوا بها، فذكّرهم هذا ليشكروه.[14]

---

[1] ن: ويحتمل.
[2] جميع النسخ: يسر له سبيل درك ذلك السبيل إلى الله تعالى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٠ظ.
[3] ث + والسبيل الذي لو سلكه نفعه.
[4] ن + إلى قوله.
[5] ن - وكذب بالحسنى.
[6] سورة الليل، ٩٢/٥-١٠.
[7] ر: أي؛ ن ث م: أن. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ث: قدرته.
[9] عاف الرجلُ الطعام والشراب يَعافُه عِيافة: كرهه فلم يشربه فهو عائف (*مختار الصحاح* للرازي، «عيف»).
[10] جميع النسخ: إذا هم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٠ظ.
[11] م: تغير.
[12] ن - كنا.
[13] جميع النسخ: بحيث يستخبث ويستقذر كنا (ن - كنا) يستر فيها ليغيب. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ر م: ليشكروا.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ثم إذا شاء أنشره**، معناه -والله أعلم- كذلك إذا شاء أنشره، لأن هذا كلّه إخبار في موضع الاحتجاج؛ فكأنه قال: إنّ الذي خلقه من نطفة، وقدّره ثم أماته[١] فأقبره فهو كذلك يُنشره إذا شاء. وكذلك هذا في قوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ،[٢] أي إن الذي أحياكم ثم أماتكم فكذلك هو الذي يحييكم.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **كلا لما يقض ما أمره**، فمنهم من ذكر أن هذا الخطاب في كل أحد، لا ترى إنسانا قَضَى جميع ما عليه من الأمر على حدّ ما أُمر حتى لا يَغفُلَ عنه ولا يقصّر[٣] فيه، بل من الله تعالى على كل أحد في كل طرفة عين نعمةٌ، لا يتهيأ لأحد أن يقوم بكنه شكرها حتى لا يقع منه في ذلك جفاء ولا تقصير.[٤] ومنهم من يقول: هذا في الكفار خاصة لا يقضون ما أمروا به من التوحيد؛ فإن كان على هذا فهو منصرف إلى ابتداء[٥] الأمر، وإن كان على الوجه الأول[٦] فهو منصرف إلى كنه الأمر. ويستقيم توجيهه إلى الكافر على ما ذكروا؛ لأن لإيمان[٧] المؤمن[٨] حكمَ التجدد في كل وقت، إذ هو في كل وقت مأمور[٩] باجتناب الكفر فهو يجتنبه فذلك يكون [بالإيمان].[١٠] وإذا كان كذلك ثبت أنه في كل وقت موفٍ[١١] لما أمر به[١٢] مجتنب عما نهي عنه، فهو[١٣] بإيمانه راجع عن الزلّات في كل حال، معتقد للوفاء بما أمر به، لذلك كان صرفه إلى الكافر أوجهَ.

---

[١] ر + فأماته.
[٢] سورة البقرة، ٢٨/٢.
[٣] ر م: ولا يقتصر.
[٤] ن: ولا يقصر.
[٥] م: ابتغاء.
[٦] ر ث م: الذي.
[٧] ر ث م: لأن إيمان.
[٨] ر ث م + له.
[٩] ن: بأمور.
[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢٠ظ.
[١١] جميع النسخ: مؤمن. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] جميع النسخ + هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ن - فهو.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فلينظر الإنسان إلى طعامه**، كيف قَدَر له حيث استَعمل فيه السماواتِ والأرضين والهواء والشمس والقمر والليل والنهار. فاستعمال السماء في إنزال المطر منها، واستعمال الهواء في جعلها مسلكًا / للمطر، واستعمال الأرض في جعلها قرارا للمطر، وأَخرج [٨٨٧و] منها ما فيه قوامهم ومنافعهم. فيكون في ذكر هذا فوائد. إحداها[1] في موضع التعريف للخلائق أن منشئ السماوات والأرضين ومنشئ الخلق والشمس[2] والقمر واحد لاتصال منافع بعض ببعض؛ إذ لو لم يكن كذلك لكان[3] لمنشئ السماء أن يمنع منافعَ السماء[4] عن خلق منشئ الأرض.

و[الثانية] فيه تذكير قوته وعجيب حكمته ليعلموا أنه قادر على كل ما يريد فعلَه لا يضعُف عن ذلك ولا يُعجزه شيءٌ؛ لأنه جمع بين منافع ما ذكرنا مع تناقضها واختلافها في نفسها فجَعَلها من حيث المنافعُ متسقة متفقةً وجَعَل كلَّ واحدة منهن كالمتصلة بالأخرى المقترنة بها مع بُعْدِ ما بينهما. فمن قدر على الاتساق بين الأشياء المختلفة وقَدَر على الوصل بين الأشياء المتباعدة بعضُها عن بعض لَقادرٌ على إحياء الأموات والبعث.

و[الثالثة] ذَكّرهم هذا ليتبين[5] لهم حكمته[6] وعلمه فيعلموا[7] أنه لا يخلق الخلق[8] عبثا ولا يتركهم سدى: لا يستأدي منهم الشكر ولا يبعثهم بل ينشئهم ويميتهم فقط فيخرج خلقُه[9] على ما فيه خروجٌ عن الحكمة.

و[الرابعة] لأنه خَلَق البشر على وجه تَمَسُّه الحاجات وتمسّه[10] الشهوات، وقدّر الطعام على وجه إذا تناول منه دفع حاجتَه وسكّن شهوته. ولو أراد أحد أن يتدارك المعنى الذي يعمل في دفع الحاجة وتسكين الشهوة ما هو لم يصل إلى تعرفه، فيؤدي تفكُّره إلى دفع[11] الشبه

---

[1] ر م: أحدها.
[2] ن: في الشمس.
[3] ن: لمكان.
[4] ن – السماء.
[5] ر ث م: لتبين.
[6] ث – حكمته.
[7] جميع النسخ: ليعلموا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢١و.
[8] ر م – الخلق.
[9] ن – خلقه.
[10] جميع النسخ: يمسهم الحاجات ويمسه. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: إلى رفع. والتصحيح من المرجع السابق.

والاعتراضات التي يعتريه في أمر البعث. وغيره إذ كانوا[١] يقدرّون الأمور على قواهم ويسوّونها[٢] على ما ينتهي إليه تدبيرهم، فإذا وجدوا في الطعام معاني هي خارجة من تدبيرهم وقواهم علموا أن ليس الأمر على ما قدّروا، فيرتفع عنهم الرِّيب والإشكال. وكذلك لو أرادوا أن يستخرجوا من الماء المعنى الذي به صلُح أن يكون به حياةُ الأشياء كلِّها مع اختلاف الأشياء وتفاوتها واختلافِ طعومها وألوانها لم يمكنهم ذلك، فيعلموا أن الذي بلغت حكمته هذا المبلغ قادر على ما يشاء، فعّال لِما يريد. ويكون في النظر فيما ذكر [بيانُ][٣] حاجته وافتقاره إلى غيره، ويتبيّن[٤] أن الله تعالى لم ينشئ الخلق لحاجة نفسه وإنما خلق لحاجة البشر إليه.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾[٢٥] ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا**، ليَقِرَ الماء في شقوقها فيصل الخلقُ إلى الانتفاع به. أو شققناها للنبات.

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾[٢٧] ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾[٢٨]

[وقوله عز وجل:] **فأنبتنا فيها حبا وعنبا**، فذكر الحبّ والعنب وأخبر أنه أنبتهما في الأرض، وهما في الحقيقة غير نابتَين في الأرض، ولكن أخرجهما من أصل هو نابت في الأرض فأضافهما إليها[٥] لما يرجع الابتداء إليها، وهو كقوله تعالى: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ،[٦] ورِزْقُنا من السماء المطر لكن الذي هو رزْقُنا من الطعام وغيره إنما نبت[٧] في الأرض وخرج منها بالقطر من السماء فأضيف إليها؛[٨] [إذ يرجع ابتداؤه إليها، وكذلك قال تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ،[٩] وكلنا لم نخلق من التراب، ولكن الأصل يرجع إلى ذلك].[١٠]

---

[١] ر م: إذا كانوا.

[٢] ر م: ويشوونها.

[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢١و.

[٤] جميع النسخ: وتبين. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] جميع النسخ: إليهما. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] سورة الذاريات، ٢٢/٥١.

[٧] ر م: يثبت؛ ن ث: ينبت. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] جميع النسخ: إليه. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] سورة المؤمن، ٦٧/٤٠.

[١٠] الزيادة من المرجع السابق.

فعلى ذلك أضيف الحبّ والعنب إلى ما ذكرنا للمعنى الذي وصفنا. وقوله عز وجل: **وَقَضْبًا**، والقضب هي الرَّطْبة، سميت قضبا لأنها تُقْضَب،[1] وتقطع[2] مرة بعد مرة.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾[٢٩]

وزيتونا، ففي ذكر الزيتون ما ذكرنا من الفائدة، وهو أن الزيتون ألين الأشياء أنبت[3] أصلَه في الجبال التي هي أصلب الأرض. فمن قدر على إخراج ألين الأشياء عن أصلب الأشياء لقادر على الإنشاء والبعث؛ أو من قدر[4] على أن يخرج[5] ألين الأشياء من أصلب الأشياء لقادر على أن يُليّن القلوب القاسية حتى تَلين[6] لذكر[7] الله تعالى.

﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **وحدائق غلبا**، فالحدائق هي البساتين التي أُحدقت بالأشجار وأُحيطت بها.[8] والغُلْب الغلاظ؛ يقال: رجل أغلب، إذا كان غليظ الرقبة، وقوم غُلْب الرقابِ أي غلاظ. وقالوا أيضا: الغُلْب الأشجار الكثيفة الطويلة.

﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[٣١] ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **وفاكهة وأبا**، والأبّ الكلأ، فيخبر أنه أنشأ هذه الأشياء ليكون متاعا للخلق والأنعام لا لمنافع نفسه.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **فإذا جاءت الصاخة**، قال الحسن: هي اسم القيامة؛ يَصُخ لها كل شيء،[9] وبه يقول أبو بكر [الأصم] أنه يصخ لمجيئها كل شيء، أي يخشع لها ويُطَأْطِئُ رأسه للداعي،

---

[1] ث: يقضب.
[2] جميع النسخ: ويقطع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢١و.
[3] ر م: نبت.
[4] جميع النسخ: إذ من قدر. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ث: على إخراج.
[6] ن ث: يلين.
[7] ر ث م: بذكر.
[8] جميع النسخ: وأحاطت بها.
[9] انظر: *النكت والعيون* للماوردي، ٦/٢٠٩.

كما قال الله تعالى: مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ.[١] وقال القُتَبي: **الصاخة**، هي الداهية.[٢] فذكر القيامة بالأحوال[٣] التي تكون[٤] فيها أو بالأفعال التي توجد[٥] فيها على ما ذكرنا. وقال الزجاج: **الصاخّة**، المصِمَّة، تَصَمّ[٦] لها[٧] الأسماع عن كل شيء إلا إلى ما يدعى إليها.[٨]

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾[٣٤] ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾[٣٥] ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **يوم يفر المرء من أخيه**، فجائز أن يكون هذا على تحقيق الفرار. وجائز أن لا يكون على التحقيق ولكن وصف بالفرار لما يوجد منه المعنى الذي يوجد من الفارّ، قال الله تعالى: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ.[٩] والوجه فيه أن الأقرباء من شأنهم أنهم[١٠] إذا[١١] اجتمعوا[١٢] استبشر بعضهم ببعض وأَنِسوا[١٣] بالاجتماع، وإذا غابوا سألوا عن أحوالهم واهتمّوا لذلك. ثم هم في ذلك اليوم يَدَعون السؤال[١٤] عند الغيبة والاستبشارَ عند الحضرة حتى كأنه لا أنساب بينهم، لا أن [لا] يكون بينهم[١٥] في الحقيقة نسب ولكن ما يَحُلّ بكل واحد من الاهتمام يَشغله عن السؤال بحاله والاستبشارِ برؤيته حتى يصيرَ كالفرار / لوقوع المعنى الذي يوجد من الفار لا على تحقيق الفرار، لأنه قال: لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ،[١٦] فما[١٧] يحل من الشأن يمنعه عن الفرار عن نفسه وعن أقربائه. [٨٨٧ظ]

---

[١] سورة القمر، ٨/٥٤.
[٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥١٥.
[٣] ر ث م: بأحوال.
[٤] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢١و.
[٥] جميع النسخ: توجد. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] جميع النسخ: يصم.
[٧] م – لها.
[٨] ث – إليها. *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٢٨٦/٥-٢٨٧.
[٩] سورة المؤمنون، ١٠١/٢٣.
[١٠] ر ث م – أنهم.
[١١] ث: إذ.
[١٢] ر ث م: أجمعوا.
[١٣] ث: وأسروا.
[١٤] ن – السؤال.
[١٥] ن – بينهم.
[١٦] الآية التالية.
[١٧] ن: مما.

أو يكون على حقيقة الفرار. وذلك أن الأقرباء لا يوجد منهم القيام بوفاء جملة ما عليهم من الحقوق حتى لا يوجدَ منهم التقصير، فيخافون في ذلك اليوم أن يؤاخذَوا بذلك فيحملهم على الفرار. أو يفر[1] كل منهم عن تحمل ثقل الأقرباء، كما قال: وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى،[2] وقد كانوا يتعاونون في الدنيا في تحمل الأثقال، فيخبر أنهم لا يتعاونون[3] في ذلك اليوم بل يفرون.

ثم جائز أن يكون هذا في الكفرة. وأما أهل الإسلام فإنه يجوز أن يبقى بينهم حقوق القرابة كما أُبقيت المودة فيما بين الأخِلاءِ بقوله: اَلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ.[4] وإن كان في المسلمين والكفرة جميعا فجائز[5] أن يكون الفرار في بعض الأحوال وذلك في الوقت الذي لم يتفرغ عن شغل نفسه، فأما إذا أَمِن وجاءته البِشارة فهو يقوم بشفاعته ويسأل عن أحواله ولا يفر منه.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**، قالوا: أُفضي[6] إلى كل إنسان ما يَشغله عن غيره.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **وجوه يومئذ مسفرة**، أي مضيئة أو ناضرة ناعمة مشرقة. فيكون فيه إخبار عما هم[7] فيه من النعيم حتى يظهر ذلك في وجوههم.

﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **ضاحكة مستبشرة**، أي مسرورة بنعيم الله تعالى الذي أنعم عليهم، **مستبشرة**، برضاء الله تعالى عنها.[8]

---

[1] ر م: ويفر.
[2] سورة فاطر، ١٨/٣٥.
[3] ث + في الدنيا في تحمل الأثقال.
[4] سورة الزخرف، ٦٧/٤٣.
[5] ن – فجائز.
[6] ر م: أقضي.
[7] ث – هم.
[8] ر – عنها.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **ووجوه يومئذ عليها غبرة**، قالوا هذا أول تغير يظهر في وجوههم كأنما علاها الغبار ثم تَسْوَدَ ثم تُطْمَس وتُرَدّ[١] على أدبارها، كما قال: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا.[٢]

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **ترهقها قترة**، قال أبو بكر [الأصمّ]: **ترهقها قترة**،[٣] أي تغشاها الذلة، أو تعلوها ثم تتلوّن[٤] بعد ذلك فيكون كأنما علاها الغبار، ثم تسْوَدّ[٥] على ما ذكرنا.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **أولئك هم الكفرة الفجرة**، أي الكفرة بأنعم الله تعالى الفجرة المائلة عن الحقوق. *والله الموفق*.[٦]

---

[١] جميع النسخ: يسود ثم يطمس ويرد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢١ظ.

[٢] ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمِنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾ (سورة النساء، ٤٧/٤).

[٣] ث - قال أبو بكر ترهقها قترة.

[٤] جميع النسخ: أي يغشاها الذلة أو يعلوها ثم يتلون. والتصحيح من المرجع السابق؛ ن + الذلة.

[٥] جميع النسخ: ثم يسود. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ث: والله سبحانه وتعالى الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة إذا الشمس كورت[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **إذا الشمس كورت**، هذا ليس بابتداء خطاب، ولكنه[3] جواب عن سؤال تقدّم؛ فيُشبه أن يكون السؤال عن وقت لقاء الأنفس الأعمالَ فنزل قوله: **إذا الشمس كورت**، [يدلّ عليه قوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ.[4]

ثم في قوله: **إذا الشمس كورت**][5] إشارة إلى أحوال ذلك الوقت وآثارها على ما نذكر المعنى الذي له وَقَعَ تبيينُ[6] الأحوال دون[7] تبيين الوقت في سورة "إذا السماء انفطرت".[8]

واختلف في قوله تعالى: **كوّرت**، قال بعضهم: هي فارسية معربة وهي بالعربية غُوِّرت. وقال بعضهم: **كوّرت**، أي ذهب ضوءها، يقال: كَوّر الليلَ على النهار، أي أذهب[9] نوره وضياءه،[10]

---

[1] ر – سورة إذا الشمس كورت؛ ن – كورت؛ ث: سورة كورت وهي تسع وعشرون آيات.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] ن: ولكن.

[4] الآية ١٤ من هذه السورة.

[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢١ظ.

[6] جميع النسخ: على ما يذكر المعنى الذي له وقع لتبيين. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] م – دون.

[8] سورة الانفطار، ١/٨٢.

[9] ن: ذهب.

[10] يقول الله تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض بالحق يُكَوِّر الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر﴾ (سورة الزمر، ٥/٣٩). تكوير الليل على النهار تغشيته إياه، ويقال: زيادته في هذا من ذلك. وفي التنزيل العزيز: ﴿يكور الليلَ على النهار ويكوِّر النهارَ على الليل﴾، أي يُدْخِلُ هذا على هذا. وأَصله من تَكْوِيرِ العمامة وهو لفها وجمعها. وكُوِّرَتِ الشمسُ جُمِعَ ضوءها ولُفَّ كما تُلَفُّ العمامة. وقيل: معنى كُوِّرَتْ غُوِّرَتْ. (*لسان العرب*، «كور»).

فالتكوير يغطّي لونَ الشيء عن الأبصار. فقيل: كُوِّرت الشمسُ، أي حُبس ضوءها على الأبصار بالطمس، فيكون فيه إنباء أنه يُطمس ظاهرها، ثم يَرد التغير في نفسها فتَتْلَف وتتلاشَى.[1] ومنه يقال: كَوَّر العمامةَ إذا لَفّها[2] على رأسه[3] فتغطّيه.[4]

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾[٢]

وقوله تعالى: **وإذا النجوم انكدرت**، تناثرتْ وتساقطت، وهو كقوله: وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ.[5] وقيل: ذهب ضوءها فكأن[6] ضوءها يذهب[7] أولا ثم تتناثر[8] بعد ذلك.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وإذا الجبال سيرت**، أي[9] قلعت عن أماكنها وسيّرت كما قال في آية أخرى: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ،[10] وهي إذا قُلعت تكثرت حتى لا يتبين للناظر سيرُها لكثرتها فيحسبها[11] جامدة وهي تسير. فهذا أول تغير يظهر فيها، ثم تصير[12] كَثِيبًا مَهِيلًا،[13] ثم كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[14] ثم هَبَاءً مُنْبَثًّا،[15] إلى أن تتلاشى وتتلف.[16]

---

[1] جميع النسخ: فيتلف ويتلاشى (ن: وتلاشى). والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢١ظ.
[2] ر ث م: إذا ألفها.
[3] ث: على نفسه.
[4] جميع النسخ: فيغطيه. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة الانفطار، ٨٢/٢.
[6] ر ن ث: فكأنه.
[7] ر ث م: يذهب ضوءها.
[8] ر م: تناثر؛ ن: يتناثر.
[9] ر: إذا.
[10] سورة النمل، ٢٧/٨٨.
[11] جميع النسخ: فتحسبها. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: يصير. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يوم تَرْجُف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ (سورة المزمل، ٧٣/١٤).
[14] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (سورة القارعة، ١٠١/٥).
[15] جميع النسخ: منثورا. بدلنا كلمة «منثورا» بـ «منبثا» لأن كلمة «منثور» في القرآن تأتي صفة للعمل وللؤلؤ لا للجبال، ولكن كلمة «منبثا» تأتي صفة للجبال كما في قوله تعالى: ﴿وبُسّتِ الجبال بَسًا فكانت هباء منبثا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٥-٦).
[16] جميع النسخ: يتلاشى ويتلف. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وإذا العشار عطلت**، فالعشار هي النُّوق الحوامل التي أتى على حملها عشرةُ أشهر، وهي من أنفَس الأموال عند أهلها. فيخبر أن أربابها يعطّلونها[١] في ذلك اليوم ولا يلتفتون إليها لشغلهم بأنفسهم في ذلك، وهو كما قال: يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ -إلى قوله- وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى،[٢] الآية.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **وإذا الوحوش حشرت**، قيل: جمعت. وهو يحتمل وجهين. أحدهما أن تجمع كلّها فتتلف وتُهْلَكَ.[٣] والثاني أن تحشر[٤] في أن تُحْيَا[٥] بعد موتها، فيصنع الله تعالى فيها ما شاء. فيكون في هذا إخبارٌ عن عظم هول[٦] ذلك[٧] اليوم حتى يؤثّر الهولُ[٨] في الوحوش والشمس والقمر والسماوات.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[٦]

وقوله: **وإذا البحار سجرت**، قيل: فُجِّرت، وسنذكر تأويل التفجير[٩] فيما بعد إن شاء الله تعالى.[١٠]

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[٧]

وقوله: **وإذا النفوس زوّجت**، قيل: قُرِنت. ثم اختلف في معنى القِران. فقال بعضهم: قُرِن زوجُها إليها. وقال بعضهم: يُقرَن كلٌّ بأهل شيعته فيُقرَن الكفرةُ بالشياطين، وأهلُ الشراب

---

[١] ث: يعطلون.

[٢] ﴿يوم ترونها تذهل كلّ مرضعة عما أرضعت وتضع كلّ ذاتِ حملٍ حملَها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢/٢٢).

[٣] جميع النسخ: أن يجمع كلها فيتلف ويهلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.

[٤] جميع النسخ: أن يحشر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] جميع النسخ: أن يحييها. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ر ث م – هول.

[٧] جميع النسخ: تلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ث – حتى يؤثر الهول.

[٩] ر م: انفجر.

[١٠] ن – إن شاء الله تعالى. انظر عند تأويل الآية ٣ من سورة الانفطار.

[٨٨٨و] بأهلِ الشراب، وأهلُ الزنى بأهل الزنى. وقال الله تعالى:[1] / وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ -إلى قوله- يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ.[2] ففي هذا إخبار أن المعذَّب منهم إذا رأى عدوه يعذَّب عذابه، ويكون في العذاب الذي[3] هو فيه لم يتسلَّ بذلك شيئا ولم يَنل به راحةً، وإن كان المرءُ في الدنيا إذا رأى[4] عدوَّه يعذَّب عذابه يتسلَّى بذلك.[5]

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾[٨] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[٩]

وقوله: **وإذا الموءودة سئلت**، وقرأ بعضهم: وإذا[6] الموءودة سَألت،[7] وهذا هو الظاهر أن تكون[8] هي السائلةَ،[9] أي تسأل[10] إياهم بأي ذنب قتلت، وتقول: بأيّ ذنب قتلتموني؟ وكانت العرب تُدفِن[11] بناتِها. يقال: وَأَدْتُه أي دَفنتُه.

ثم القراءة المعروفة **سئلت**، وهي تحتمل[12] أوجهًا ثلاثةً.[13] أحدها ذَكَر أبو عبيد[14] وقال: إنّ قَتَلَتَها تُسْأل:[15] بأي ذنب قُتلت الموءودة؟

---

[1] ن – الله تعالى.
[2] سورة الزخرف، ٤٣/٣٦-٣٨.
[3] م – الذي.
[4] ث: إذا كان.
[5] ن – بذلك.
[6] ر م: إذا.
[7] قرأ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وابن مسعود وابن عباس وعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "وإذا الموءودة سَأَلَت بأي ذنب قتلت" (*شواذ القرآن* لابن خالويه، ١٦٩)؛ وانظر: *البحر المحيط* لأبي حيان، ٨/٤٣٣.
[8] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[9] ن + في الحدث.
[10] جميع النسخ: أن يسأل. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ث م: يدفن.
[12] ر ث م: يحتمل.
[13] م – ثلاثة.
[14] هو أبو عُبيد القاسم بن سَلّام البغدادي، الإمام المشهور، ذو التصانيف، له كتب في معاني القرآن وغريب الحديث والفقه وغير ذلك. وكان ثقة علامة. مات سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٤٩٠-٥٠٩؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٤٥٠.
[15] ن: سئل.

و[الثاني] يحتمل أن تسأل[1] الموءودةُ عند حضرة الذين وأدُوها: بأي ذنب قُتلَت. يراد بالسؤال تخويفٌ وتهويل[2] للذين وأدوها لا سؤالُ استخبار واستفهام، وهو كقوله تعالى: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ،[3] وليس[4] يُسأل عن هذا سؤالَ استخبار واستفهامٍ ولكن يُسأل[5] سؤالَ تخويف وتهويل[6] لمن أدّعى أن عيسى عليه السلام[7] هو الذي أَمَرهم أن يتخذوه وأمّه إلهين من دون الله.

و[الثالث] جائز أن تسأل[8] الموءودة: أتدّعي[9] أم لا تدّعي؟[10] وما الذي تدعي[11] عليهم؟ فيُبدَأ بها بالسؤال كما تَرَى[12] المدَّعِيَ في الشاهد هو الذي يُبدَأ بالسؤال[13] فيقال له: ما تدّعي[14] على هذا؟

فقوله: **بأي ذنب قتلت**، كأنها إذا سئلت عن الذي ادّعت وقالت: بأي ذنب قُتِلْتُ؟ *والله أعلم*.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وإذا الصحف نشرت**، أي الكتب نشرت للحساب، وهي التي فيها أعمال بني[15] آدم وقتَ ما تُدفع إليهم[16] بأيمانهم وشمائلهم.

---

[1] جميع النسخ: أن يسأل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[2] ث: والتهويل.
[3] سورة المائدة، ١١٦/٥.
[4] ث: فليس يذهب.
[5] ث: يسألون.
[6] ن – وتهويل.
[7] جميع النسخ: كما يرى. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: أن يسأل. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ث: أن تدعي.
[10] جميع النسخ: أو لا تدعي.
[11] ن: يدعي.
[12] جميع النسخ: كما يرى. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ث – كما يرى المدعي في الشاهد هو الذي يبدأ بالسؤال.
[14] ن: ما يدعي.
[15] ر ث م: ابن.
[16] جميع النسخ: يدفع إليها.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وإذا السماء كشطت**، قيل: قشرت،[1] وذلك أن تتناثر[2] النجوم وتُطمَس الشمس فتُطوَى[3] كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ.[4] وقيل: كشفت،[5] تكشف[6] السماء كما يكشف[7] الغطاء عن الشيء، ويقال: **كشطت**، أي قلعت كما يقلع السقف.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وإذا الجحيم سعرت**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يُحدَث تسعيرُها فيكون فيه عَلَمُ الحدثية، وكذلك في قوله تعالى: وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ.[8] يحتمل أن يُبتدأ تسجيرها ولما تُسجَّر[9] من قبل. وجائز أن يزاد[10] في التسجير[11] والتسعير على ما كان من قبلُ، كقوله:[12] وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ،[13] وقد كان وقودها بغير هذين، ثم يزاد[14] في وقودها بالناس والحجارة.[15]

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وإذا الجنة أزلفت**، قيل: قُرِبت، فأضيف إليها التقريب لأن أهلها إذا قَرُبوا إليها فقد قُرِبت هي إليهم.

---

[1] ر ن م: فشرت.
[2] ر م: أن تناثر؛ ن: أن يتناثر.
[3] جميع النسخ: فيطوى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[4] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتب﴾ (سورة الأنبياء، ١٠٤/٢١).
[5] ر: كسفت؛ ن: كشفت؛ ث م: كسفت. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر: بكسفة؛ ن: يكشف؛ ث م: يكسف. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ث م: كما يكسف.
[8] الآية ٦ من هذه السورة.
[9] ر ث م: ولما سحر؛ ن: ولما يسحر. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: أن يراد. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن ث: من التسجير.
[12] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] سورة البقرة، ٢٤/٢؛ وسورة التحريم، ٦/٦٦.
[14] جميع النسخ: ثم يراد. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ث + وقوله عز وجل علمت نفس ما أحضرت.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **علمت نفس ما أحضرت**، أي ما أحضرت[١] من خير أو شر، كقوله تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا،[٢] الآية، أو تعلم ما أحضرتها[٣] الملائكة الذين كتبوا عليها.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾[١٥] ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس**. الأشياء التي وقع بها القسم[٤] تقتضي[٥] أحكامًا ثلاثةً. أحدها ما من شيء خلقه الله تعالى إلا وفيه دليل[٦] وحدانيته وآية ربوبيته إذا أنعم[٧] النظر فيه. و[الثاني] يُثبِت علمَه وحكمته. و[الثالث] يدلّ على قدرته وسلطانه. وفي تثبيت القدرة والسلطان إيجاب القول بالبعث، [وفي تثبيت الحكمة والعلم إيجاب التصديق بكل ما يخبر الرسول عن الله، وفي تثبيت الحكمة تثبيت البعث أيضا][٨] وإيجاب القول بالرسل ونهي عن عبادة غير الله. فلو أنعموا النظر فيها وتفكروا في أمرها لأدّاهُم[٩] ذلك إلى القول بالبعث ودعاهم إلى وحدانية الرب والإقرارِ بالرسل؛ فلا يَدّعون أن[١٠] معه آلهة أخرى، ولا كانوا ينكرون البعث ولا يكذّبون الرسول.

فأقسم بهذه الأشياء على التأكيد لحججه[١١] ليعلموا أنه رسول من عنده، أو أنّ القرآن من عنده، أو أنّ الأوامر من عنده، أو الرسول من عنده، أو يكون القسم تلقينا من الله تعالى لرسوله بأن يُقسِم لهم بهذه الأشياء ليزيل عنهم الشبه[١٢] والشكوك التي اعترضت للكفرة في أمره صلى الله عليه وسلم ويدعوَهم إلى النظر في حججه وآياته.

---

[١] م - أي ما أحضرت.
[٢] سورة آل عمران، ٣/٣٠.
[٣] جميع النسخ: أو يعلم ما أحضر بها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[٤] ن: القسمة.
[٥] جميع النسخ: يقتضي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ث: دلائل.
[٧] يقال: أنعم النظر في الأمر: أطال الفكرة فيه (*لسان العرب*، «نعم»).
[٨] الزيادة من *الشرح*: ورقة ٣٢٢و.
[٩] ر م: أداهم.
[١٠] ر: أنه.
[١١] م: بحججه.
[١٢] ر ن م: الشبهة.

ثم القسم بما لَطُف من الأشياء[1] ودَقَّ وبما كَثُف[2] وغَلُظ وبما كَبُر وصَغُر وبما ظَهَر وخَفِي يتفق[3] كلها في إزالة الشبهة وإثبات التوحيد والرسالة والبعث، بل الأعجوبة فيما لطف من الأشياء أعظم منها بما كثف[4] وغلظ. فأقسم مرة بالكواكب ومرة بظلمة الليل وبالضحى[5] وبما شاء من خلقه؛ إذ[6] الخلائق كلها في الشهادة على وحدانيته وإثبات ربوبيته وإثبات علمه وقدرته وسلطانه متفقة؛ ولأن ما لطف من الأشياء وخفي منها يتصل بما ظهر منها، فيتضمن ذكرُ ما خفي منها واستتر ذكرَ ما ظهر منها، وفي ذكر ما ظهر منها ذكر منشئها[7] فيكون القسم في الحقيقة بالله تعالى.

ثم اختلف في الْخُنَّس والكُنَّس.[8] قال أبو بكر [الأصم]: إن الخنس والكنس هي النجوم تَخْنُس بالنهار وتظهر[9] بالليل. وقال الحسن: الخنس[10] هي النجوم التي يطلعن في مطالعها ثم يَكْنِسن[11] و يَغِبْن[12] في مغاربها.[13] والكنس هي[14] النجوم التي يطلعن في مطالعها ثم يكنسن ويختفين إلى أن يَعُدْن إلى مطالعهن فيطلعن. وقيل: الخنس الجواري الكنس هي خمس كواكب لهن مَجارٍ[15] في السماء يظهرن / بالليل ويَسْتَتِرن[16] بالنهار، وسائر الكواكب ثوابت. [٨٨٨ظ] ثم قيل: الخُنوس والكُنوس واحد، وهو الاختفاء[17] والغروب في مغاربها والدخول فيها.

---

[1] ن - من الأشياء.
[2] ر م: وبما كشف.
[3] ن: ينفق.
[4] ر م: بما كشف.
[5] جميع النسخ: وما يضحى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.
[6] ر م: إن.
[7] م: منشئهما.
[8] ن: الكنس.
[9] جميع النسخ: يخنس بالنهار ويظهر. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ث م - والكنس هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وقال الحسن الخنس.
[11] ر ث م - ثم يكنسن.
[12] ر م: وتغير.
[13] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٢٣٦-٢٣٧.
[14] ر: هو.
[15] جميع النسخ: مجاري. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.
[16] جميع النسخ: ويسترن. والتصحيح من المرجع السابق.
[17] ر: الاحتفار.

وقيل: الكُنوس الاختفاء،[١] والخُنوس التأخر. وكذا قال الفراء: هي النجوم الخمسة تَخْنُس في مجراها وترجع.[٢] وفي حديث كعب فتخنس[٣] بهم النار[٤] كما تخنس النجوم الْخُنَّس، أي تحيد بهم وتتأخر.[٥] *والله أعلم*. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: هي[٦] الوحوش اللاتي تخنس من الإنس، وتكنس[٧] في مكانهن.[٨] وأيًا ما[٩] كان فهي كلها دالّة على الوجوه التي ذكرنا.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **والليل إذا عسعس**، قيل: إذا أقبل، وقيل:[١٠] إذا أدبر.[١١]

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[١٨]

وقوله:[١٢] **والصبح إذا تنفس**، إذا انفجر وإذا ارتفع. وفي إقبال الليل وإقبال النهار تثبيت القدرة والسلطان؛ وذلك أن ظلمة الليل إذا غشيت سترت وجوه[١٣] الأشياء [حتى لا يجد أحد عن الستر ملجأ، وذلك يكون بأدنى وهلة. ثم النهار إذا أقبل نَزَع [الغطاء] عن الأشياء][١٤] وكَشَفَ[١٥] عنها السِتر. ولو أراد أحد أن يغطّي[١٦] الأشياء كلّها بالحيل والأسباب لم يتمكن منها، ولو أراد نزع الغطاء عنهم لم يملك. فذكّرهم هذا ليعلموا أنَّ من بلغت قدرتُه هذا لا يعجزه أمر ولا يتعذر عليه البعث، بل هو قادر على إحيائهم وبعثهم.

---

[١] ن + والكنوس.

[٢] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ. *معاني القرآن وإعرابه* للفراء، ٢٤٢/٣.

[٣] جميع النسخ: فيخنس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.

[٤] *النهاية في غريب الحديث والأثر* لابن الأثير، ٨٣/٢.

[٥] جميع النسخ: يحيد بهم ويتأخر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.

[٦] ر م – هي.

[٧] جميع النسخ: يخنس من الإنس ويكنس. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٣٧/١٩.

[٩] جميع النسخ: وإنما. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.

[١٠] ر ث م + إذا أقبل و.

[١١] ن + وإذا أدبر.

[١٢] جميع النسخ: وفي قوله. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] جميع النسخ: عن وجوه. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٤] الزيادة من المرجع السابق.

[١٥] ن: وكيف.

[١٦] ث: أن تغطي.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[١٩]

وقوله: **إنه لقول رسول كريم**، فموضع القسم على هذا وعلى قوله تعالى: وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ.[١] ثم تأويل قوله: **إنه لقول رسول كريم**، أي هذا الذي أتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن رسول كريم على ربه، وهو جبريل عليه السلام. ثم نسب [القول] هاهنا إلى الرسول لِما سُمع[٢] منه ولم يكن من قِبَله، وقال[٣] في آية أخرى: حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ،[٤] فسمّاه كلامَ الله على الموافقة؛ أو لِما أنّ ابتداءه يرجع إليه لا أن يكون المسموعُ كلامَه، كما يقال:[٥] هذا قول أبي حنيفة رحمه الله، وهذا قول فلان الشاعر، وليس الذي سمعتَه قولَ من نُسب إليه، ولكن نسب إليه لأن ابتداءه يرجع إليه؛ فكذلك سُمّي كلامَ الله لأنه يدلُّ على كلامه، ولِما يرجع إليه ابتداؤه لا أن يكون هو[٦] نفسَ كلامه.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **ذي قوة عند ذي العرش مكين**. وفي وصفه[٧] بالقوة فائدتان. إحداهما ما ذكرنا أن فيه بيانَ الأمن عن تغيير يقع فيه من الأعداء من الجن[٨] والشياطين والإنس يحتجز عنهم بقوته فلا يتمكنون منه حتى يُغيّروه ويبدِّلوه، ووَصَفه بالأمانة في نفسه ليُؤمن الخلقَ ناحيتَه. أو وَصَفه بالقوة على التخويف والتحذير للذين عادَوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيُخبرهم أنّ معه من يدفع عنه شرَّهم وكيدهم إنْ هموا ذلك به. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام: «إن الله تعالى وَصَفَك بالقوة فما أثر قوتك»؟ فقال: «لَمّا أمرني الله تعالى بإهلاك قوم لوط فقلعت قَرَيَاتِهم ورفعتها بجناح واحد إلى السماء ثم قَلَبْتُها».[٩] وليس بنا إلى تعرّف قوّته حاجةٌ وإنما بنا الحاجة إلى أن نعرف[١٠] ما المعنى والحكمة في ذكر قوته؟

---

[١] الآية ٢٢ من هذه السورة.
[٢] ر ث م: ما سمع.
[٣] ن: قال.
[٤] سورة التوبة، ٩/٦.
[٥] ن: كما قال.
[٦] ن ث + هو.
[٧] أي وصف جبريل عليه السلام.
[٨] ر م + والإنس.
[٩] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٢٤٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٥/٢٧٤.
[١٠] ر ث م: أن يعرف.

وقوله عز وجل: **عند ذي العرش مكين**، فإن كان المراد من العرش المُلك فمعناه: عند ذي المُلك مكين، أي ذي قدرة[١] ومنزلة. وقيل: العرش السرير، فإن كان كذلك فتأويله أنه مكين عند من له سرير المُلك.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **مطاع ثَمَّ أمين**، قيل: إن جبريل عليه السلام رسول إلى الملائكة كما هو رسول إلى الإنس.[٢] فإن كان كذلك ففيه إخبارُ أنّ الملائكة الذين يعبدها بعض الكفرة يطيعون جبريل عليه السلام فيما يأمرهم وينهاهم، فما بالهم يتركون طاعته والائتمار بأمره؟ وقوله عز وجل: **ثَمَّ أمين**، أي هم يأتمنونه،[٣] ولا يتهمونه في شيء مما يجيء به إليهم، فكيف يتهمه هؤلاء فيما يأتي إلى الرسول من الوحي؟

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾[٢٢]

وقوله: **وما صاحبكم بمجنون**، فمنهم من يقول: إنّ[٤] الكفرة نسبوه إلى الجنون حين رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم[٥] جبريلَ[٦] على صورته فغُشِي عليه، وكان يتغير في كل مرة يأتي به جبريلُ عليه السلام الوحيَ لونُ وجهه[٧] فينسبونه إلى الجنون لهذا. ومنهم من يقول: إنما نسبوه إلى الجنون لأنه أظهر المخالفة لأهل الأرض، وكان في أهل الأرض الجبابرةُ والفراعنة الذين من عادتهم القتل والتعذيبُ لمن أظهر المخالفةَ لهم؛ فكان ذلك منه مخاطَرةً بنفسه وروحِه حيث انتصب لمعاداةِ مَن لا طاقة له بهم، ومن قام بخلاف مَن لا طاقة له به وانتصب لمعاداته فذلك منه حُمق وجنون في الشاهد، فنسبوه[٨] إلى الجنون لهذا. ومنهم من ذكر أنهم لم ينسبوه إلى الجنون لما ذكرنا، ولكن شدة سفههم هو الذي حملهم على هذا فنسبوه إلى الجنون مرةً،

---

[١] جميع النسخ: ذو قدر. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٣و.
[٢] ر م: إلى الناس.
[٣] ر م: يأتمنون.
[٤] جميع النسخ: بأن. والترجيح من المرجع السابق.
[٥] ن – صلى الله عليه وسلم.
[٦] ث – جبريل.
[٧] ن + فمنه.
[٨] ر م: نسبوه.

وإلى أنه ساحر أخرى، ومرةً قالوا: يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[1] ومرة قالوا: إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ،[2] فكانوا ينسبونه إلى كل ما ذكرنا، لا عن بحث منهم في حاله[3] ولكن على السفه والعناد. ألا ترى أنهم نسبوه[4] إلى الجنون مرة وإلى[5] السحر ثانيا، وهما أمران متناقضان؛ لأن الساحر هو الذي بلغ في العلم غايته، والجنون هو النهاية في الجهل. ولو كانوا يقولونه عن بحث وتدبّر لكانوا لا يأتون بالمختلف من القول فيظهر جهلهم لمن يريدون صدَّه عن اتباع النبي / صلى الله عليه [٨٨٩و] وسلم، بل كانوا يتفقون على كلمة واحدة فيُصدرون[6] عنها حتى يقعَ التلبيس منهم موقعَه[7] فيصلون إلى مرادهم من صَدّ الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك فيما زعموا أنه يعلِّمه[8] بشر، وأنه إِفْكٌ افْتَرَاهُ،[9] أتوا بالمختلِف من القول لأن اختلاقه[10] وافتراءه يُثبت[11] أنّه عالمٌ بنفسه مستغنٍ[12] عن[13] تعليم غيره؛ وحاجتُه إلى أن يتعلم من غيره يُثبت[14] عجزه وجهله عن الاختلاق بنفسه. فهذا كلّه يدلّ على أنهم لم ينسبوه إلى الجنون لأعلامٍ ظهرت لهم منه[15] ولكنهم قذفوه بكل ما حَضَرهم سفها منهم وعِنادًا.

ثم إن كانوا نسبوه إلى الجنون لِما غُشِي عليه عند ما رأى جبريل عليه السلام على صورته فقد أتاهم بما لو تفكّروا فيه لَعلموا أنه ليس بصاحبهم جِنة، كما قال الله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ.[16]

---

[1] انظر: سورة النحل، ١٦/١٠٣.
[2] سورة ص، ٣٨/٧.
[3] ن: في حالة.
[4] ر ث م: ينسبونه.
[5] ر م: إلى.
[6] جميع النسخ: فيصدروا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٢ظ.
[7] ر ث م: موقعة.
[8] م: علمه.
[9] سورة الفرقان، ٢٥/٤.
[10] جميع النسخ: لأن اختلافه.
[11] ر ث م: تثبيت.
[12] جميع النسخ: مستغني.
[13] ر م: عنه.
[14] ر ث م: تثبيت.
[15] ر ث م – منه.
[16] سورة سبأ، ٣٤/٤٦.

وذلك أنه[١] أتاهم بحكمة أعجزَ حكماء الإنس والجن إتيانَ مثلها[٢] وأتاهم بكتاب عَجَز أهلُ الكتاب عن إتيان مثله. فلو تفكروا فيه لَعلموا أنه ليس من فعل المجانين ولا من علومهم، ولكنه من عند الله أكرمه به. وإن كانوا إنما[٣] نسبوه إلى الجنون لِما خاطر بروحه، فهم -بحمد الله تعالى- لم يتهيأ لهم أن يمكروا به ولا أن يقتلوه، بل أظفره الله عليهم وأظهره على الدين كلّه، فصار ذلك الوجه الذي به نسبوه إلى الجنون آيةَ رسالته وعَلَمَ نبوّته.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **ولقد رآه بالأفق المبين**، قال الحسن: إنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه، أي عظمته وسلطانَه من وجه لا يقع به تشابه.[٤] وخص "بالأفق" لأنه من الأفق تنزل[٥] البركات وتنزل الملائكة وأنواع الخير كلها، والمراد من ذلك الأماكن كلها. وغيره من أهل التفسير صَرَف الرؤيةَ إلى جبريل عليه السلام. ذُكِر[٦] أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريلَ عليه السلام أن يُرِيه[٧] [ربه] على صورته، فقال له جبريل عليه السلام: «إن الأرض لا يَسَعُني ولكن إذا صليت الفجر فانظر إلى أفق السماء فهنالك تراني»،[٨] ففعل فرآه على صورته ثم دنى منه فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى.[٩] فذكر الأفق لأن الشيء من البُعد لا يتهيأ أن يُرى من أقطار الأرض لذلك خصّ[١٠] الأفق؛[١١] إذ كذلك يقع رؤية ما بَعُد. *والله أعلم*.

---

[١] ر ن م: أنهم.
[٢] جميع النسخ: مثله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.
[٣] جميع النسخ: أكرم به وإن كانوا بما. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] انظر: *تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٣١٩/١٠؛ و*تفسير ابن كثير*، ٣٢٥/٧.
[٥] جميع النسخ: ينزل.
[٦] ر ث م: وذكر.
[٧] م: أن يرى.
[٨] روي عن ابن مسعود أنه قال: إن محمدا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أمّا مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته، فأراه صورته فسَدَّ الأفق، وأمّا الأخرى فإنه صَعد معه حين صُعد به (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٠٧/١). وانظر: تفسير الآية ٧ من سورة النجم.
[٩] سورة النجم، ٩/٥٣.
[١٠] جميع النسخ: خصت.
[١١] ر ث م + لأن الشيء.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **وما هو على الغيب بضنين**، وقرئ بظنين.[١] قال أبو عبيدة:[٢] والظنين أولى، لأن الظنين[٣] هو الْمُتَّهَم، والضنين البخيل.[٤] ولم ينسب أحدٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى البخل حتى يُنفَي عنه البخل[٥] بهذه الآية، وقد كانوا يتهمونه على الغيب وهو القرآن فكانوا يقولون: [إِنَّمَا] يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[٦] وليس من عند الله؛ ويقولون أيضا: إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ،[٧] فبرّأه الله تعالى مما قالوا بقوله:[٨] وما هو على الغيب بظنين.

ومن قرأ بالضاد فهو يحتمل أوجها. أحدها[٩] ما ذكره أبو بكر الأصم وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يَضِنّ[١٠] بشيء علّمه الله تعالى عن أحد من أصحابه كما يفعله غيره من العلماء، لأن العلماء لا يريدون أن يُعلِّموا من اختلف إليهم كلَّ ما عندهم من العلوم حتى يَستغنِيَ عنهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يودّ أن يُعلِّم[١١] جميع ما علم من العلوم أصحابَه فكان يقوم على تعليم كلٍّ منهم بقدر طاقته ولم يكن يمتنع عن التعليم بُخلا منه[١٢] وضِنّا.

وجائز أن يكون برّأه الله تعالى من هذا لِما علم أنه يكون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَصّ بعضَ أصحابه بتعليم أشياءَ لم يُطلِع عليها غيرَهم، وتخصيصُ بعض دون بعض بتعليم ما عنده بُخلٌ[١٣] في الشاهد؛ فكأنّ في قوله:

---

[١] قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب: "وما هو على الغيب بِظَنين" بالظاء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٦٤).
[٢] جميع النسخ: أبو عبيد.
[٣] ر م – الظنين.
[٤] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة،٢/٢٩٢.
[٥] ر ث م – حتى ينفى عنه البخل.
[٦] سورة النحل، ١٦/١٠٣.
[٧] سورة الفرقان، ٢٥/٤.
[٨] ن – بقوله.
[٩] ر م – أحدها.
[١٠] ر م: بضنين.
[١١] ر ث م: أن يعلمهم.
[١٢] ن: أمنه.
[١٣] ر ث م: يخل.

وما هو على الغيب بضنين، تكذيب أولئك الذين يّدعون هذا. وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صوموا لرؤيته[١] وأفطروا لرؤيته»،[٢] فكأنه قال هذا لِما علم أنه يكون في أمته من يتقدم الشهر بالصيام، فقال هذا ليعرّف[٣] خطأ من يتقدم[٤] الشهر بالصيام على الخطأ والجهالة، ليس على إصابة الحق؛ فعلى ذلك الحكم فيما ذكرنا.

ثم صرفوا تأويل الغيب إلى القرآن، وهو عندنا في القرآن وفي غيره من الأشياء التي أطلع الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم عليها.[٥]

وجائز أن يكون الضِّنّ منصرفا إلى الشفاعة التي أكرم الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم بها.[٦] فهو لا يَخُصّ بعض أمته دون بعض بالشفاعة بل يعمّهم جميعا فيكون في هذا[٧] تحريضٌ[٨] على الاتباع له والانقياد لطاعته.

ويحتمل وجها آخر، وهو أنه ليس بضنينٍ في أداء شكر ما أنعم الله تعالى عليه حيث غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، بل اجتهد في أداء شكره حتى ذُكِر أنه تورّمت قدماه من طول القيام[٩] فقيل له: ألم يغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، فقال:[١٠] «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا».[١١]

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وما هو بقول شيطان رجيم**، يحتمل وجهين. أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس من شياطين الإنس ولا بمجنون كما[١٢] ذكرتم بل هو رسول كريم.

---

[١] ر م: لرؤية.
[٢] ر م: لرؤية. صحيح *البخاري*، الصوم ١١؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٤.
[٣] ر م: ليتعرف؛ ن: لتعرف.
[٤] ر ث م + من.
[٥] ر م – عليها.
[٦] ر م – بها.
[٧] ن: فيكون هذا.
[٨] جميع النسخ: تحريضا. والتصحيح من *الشرح*، ٣٢٣ظ.
[٩] ر: القيامة.
[١٠] ن: يقال.
[١١] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٥٥/٤، ١١٥/٦؛ وصحيح *البخاري*، التفسير ٢/٤٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الصلاة، ٢٠٠؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ١٨٧؛ وسنن *النسائي*، قيام الليل ١٧.
[١٢] ث + قلتم.

أو الذي أتاكم به من القرآن لم يَتلقَّه[1] من الشياطين ولا هو من قِبَلِهم كما تلقّنته الكهنة والسحرة من أقوالهم، بل هو / ذكر من الله تعالى للعالمين أنزل[ه] إليه الروحُ الأمين القويّ الذي لا يصل إليه الشيطان فيغيّره ويبدّله. [٨٨٩ظ]

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [٢٦]

وقوله عز وجل: **فأين تذهبون**، أي فأين تذهبون عن طاعته واتباعه والانقياد له وقد أتاكم بما[2] يَلزمكم طاعته واتباعُه.

* ثم قوله عز وجل: **فأين تذهبون**، يحتمل أوجها غيرَ ما ذكرنا. أحدها أن هذا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم تلقّاه من رسول كريم على الله تعالى. فإذا لم تؤمنوا به ولم تقبلوه[3] فما ذهبتم إلا إلى قول شيطان رجيم. [٨٨٩ظ س ٥]

ويحتمل **فأين تذهبون**،[4] وإلى من تفزعون[5] إذا أتاكم بأس الله تعالى ونقمته، إذا لم تؤمنوا[6] بالله تعالى وأنكرتم البعث ولم تصدّقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبركم به فإذا حلّ بكم ما أنذركم به فإلى من تلجئون، وهو كقوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ.[7] أو إذا لم تؤمنوا[8] بالله تعالى ولم تتبعوا[9] ما أتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم -وقد تقرر عندكم صدقه بما أتاكم[10] من الآيات المعجزة- فبأي حديث تصدقون[11] بعد ذلك وتذهبون إليه؟ وهو كقوله تعالى: فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ.[12]* [٨٨٩ظ س ١٢]

---

[1] ر: لم يتلقى؛ ن ت: لم يتلقا؛ م: لم يتلق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٣ظ.
[2] ر: لما؛ ن ث م: ما. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر ث م: ولم يقبلوه.
[4] ر – تذهبون؛ ر ث م + وإلى من تذهبون.
[5] ن: يفزعون.
[6] ن: إذا لم يؤمنوا.
[7] سورة الملك، ٢٨/٦٧.
[8] ر م: لم يؤمنوا.
[9] ر م: ولم يتبعوا.
[10] جميع النسخ: إنما أتاكم.
[11] جميع النسخ: تصدقونه.
[12] سورة الأعراف، ١٨٥/٧؛ وسورة المرسلات، ٥٠/٧٧.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٨٩ظ/ سطر ٥-١٢.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **إن هو إلا ذكر للعالمين،** أي عظة للعالمين. يُذكِّرهم بما يَحِق عليهم في حالهم ويُبيِّن[1] لهم ما يؤتى وما يُتقَى وما تصير[2] إليه عواقبهم. أو أن يكون قوله: **ذكر للعالمين،** أي شرف لهم، يُشرِّف[3] قدرُهم به ويصيرون[4] أئمة يُقتدى بهم ويُختلَف إليهم ليُتعلَّم منهم. *والله أعلم.**

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل:[6] **لمن شاء منكم أن يستقيم،** معناه –والله أعلم– أن هذا[7] القرآن ذكرٌ لمن شاء أن يستقيم من العالمين. فهو في نفسه ذكر وآيات وهدى، ولكن ينتفع بهذا الذكر من شاء الاستقامة ويهتدي به من طلب الهداية. قال تعالى: هُدًى لِلْمُتَّقِينَ،[8] وهو في نفسه هدى، ولكن يهتدي بهداه المتقون، ومن ليس بمُتَّقٍ فهو عَمًى عليه ورَجْسٌ،[9] وقال: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[10] وهو كان ينذر[11] من اتبع ومن لم يتبع، ولكن معناه أنه ينتفع بالذي ينذر به من اتبع الذكر. وقال:[12] إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ،[13] وهي في[14] أنفسها[15] آيات ولكن ينتفع بآياته أولوا الأبصار.

---

[1] جميع النسخ: ويتبين.

[2] ن: وما يصير.

[3] ر م – لهم يشرف.

[4] ر م – ويصيرون؛ ث: وتصيرون.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى محلّها. انظر: ورقة ٨٨٩ظ/سطر ٥-١٢.

[6] جميع النسخ + إن هو إلا ذكر للعالمين.

[7] ر: أن هذه.

[8] سورة البقرة، ٢/٢.

[9] الرَّجس: الصوت الشديد، صوت الشيء المختلط العظيم كالجيش والسيل والرعد (*لسان العرب*، «رجس»). قارن هذا التشبيه بما ورد في سورة البقرة، الآيات ٢/١٧-٢٠.

[10] ن + وقال آيات لأولي الأبصار. سورة يس، ٣٦/١١.

[11] ر م: تنذر.

[12] ر م: قال.

[13] سورة آل عمران، ٣/١٣؛ وسورة النور، ٢٤/٤٤.

[14] ث – في.

[15] جميع النسخ: أنفسهم.

وقوله[1] عز وجل: **لمن شاء منكم أن يستقيم،** فهو يحتمل وجهين. أحدهما أن يحمل على تحقيق المشيئة،[2] ويكون تأويله أن من أراد الاستقامة على أمر الله تعالى أو على الحق فهذا الذكر، وهو القرآن، يقيمه[3] على الحق وعلى الأمر ويهديه إلى ذلك. أو أن يكون[4] هذا[5] على تحقيق الفعل، فيكون معناه من استقام منكم على الحق والأمر فهو ذكر له.

والأصل أن المشيئة وصفُ فعلِ كلِّ مختار. وإذا كان هكذا صارت المشيئة مقترنة [به][6] فإذا فَعَل فقد شاء، فكان في إثبات الفعل إثباتُ المشيئة. لذلك استقام حمله على ما ذكرنا وهو أن يُجعل أحدهما كنايةً عن الآخر.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين،** فإن كان قوله: لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ،[7] على تحقيق المشيئة فمعناه أنكم لا تشاءون[8] الاستقامة على ما ذكرنا إلا أن يشاء الله. وإن كان على تحقيق الفعل فتأوِيله أنكم ما استقمتم على الطريقة إلا بمشيئة الله تعالى. وقال بعضهم تأويل قوله: **وما تشاءون،** أي لم تكونوا تشاءون إنزالَ هذا الكتاب فأنزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بغير مشيئتكم. وهذا غير محتمل عندنا لأنه قد سبق من القوم الإرادةُ والسؤال[9] بإرسال الرسول إليهم بقوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[10] فثبت أنه قد سبق منهم السؤال بإرسال الرسول وإنزال[11] الكتاب عليه، ولكن[12] تأويله ما ذكرنا.

---

[1] ر: قوله.
[2] ن: المشية.
[3] ن: يقسمه.
[4] ر م – يكون.
[5] ن: بهذا.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢٤و.
[7] الآية السابقة.
[8] ن: لا يشاءون.
[9] م – والسؤال.
[10] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[11] ث: وانزل.
[12] جميع النسخ: ولكنه. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم في هذه الآية دلالة أنَ كلَ من[١] شاء الله تعالى منه الاستقامة يوجد منه الاستقامة، ولا يجوز أن يشاء من أحد استقامته ولا يستقيم كما قالت المعتزلة؛ لأن الله تعالى مَنَّ على مَنِ استقام بمشيئته استقامتَه، فلو لم توجد[٢] الاستقامة من كلّ من شاء منه الاستقامةَ لم يكن للامتنان معنى، لأن الاستقامة وغير الاستقامة تكون[٣] به[٤] لا بالله تعالى. ***والله أعلم بالصواب.***[٥]

---

[١] ن: كل ما.

[٢] جميع النسخ: فلو لم يوجد.

[٣] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٤و.

[٤] أي تكون عند المعتزلة بالعبد لا بالله تعالى.

[٥] ر ن: والله المستعان؛ ث: لا بالله سبحانه وتعالى والله المستعان والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانفطار[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **إذا السماء انفطرت**، قد ذكرنا[3] أن هذا جوابُ[4] سؤال تقدّم، لم يُبيَّن السؤال عند ذكر الجواب، لأن "إذا" جواب عن سؤال "متى". فجائز أن يكون سؤالهم ما ذكر في إتمام الجواب، وهو قوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ.[5] فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: متى تعلم النفس ما قدّمت وأخّرت؟[6] فنزل قوله: **إذا السماء انفطرت**، الآية، إلى آخرها.[7]

ثم ذَكَر الانفطار هاهنا وهو الشق، وذكر الفتح في موضع آخر وهو قوله تعالى: وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا،[8] وقال في موضع آخر: وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ،[9] و إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ.[10]

---

[1] ر – سورة الانفطار؛ ن م: سورة إذا السماء انفطرت؛ ث + وهي سبع وعشر آيات مكية.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] انظر عند تأويل الآية ١ من سورة التكوير.

[4] ر م + عن.

[5] الآية ٥ من هذه السورة.

[6] ر ث م – فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل متى تعلم النفس ما قدمت وأخرت.

[7] ن: الخ.

[8] سورة النبأ، ١٩/٧٨.

[9] سورة المرسلات، ٩/٧٧.

[10] سورة الانشقاق، ١/٨٤.

فمنهم من ذكر أن شقها وانفطارها[1] أن تُفتح[2] أبوابها. ومنهم من حمله على الشق الذي يعرف من شق الأشياء، وهذا أقرب لأن الآية في موضع التخويف والتهويل، وليس في فتح أبوابها تخويف وإنما التخويف في انشقاقها / بنفسها. [٨٩٠و]

ثم السؤال عن ملاقاة الأعمال وعن علم الأنفس بها[3] فسؤال عن الساعة. وفي ذكر انفطار السماء وانتثار[4] الكواكب[5] وتفجير البحار وتسيير الجبال[6] وجعل الأرض قاعا صَفْصَفا[7] وَصفُ أحوال الساعة وآثارها، وليس فيه إشارة إلى وقت كونها لأنه ليس في التوقف على حقيقة وقتها تخويفٌ وتهويل، وفي ذكر[8] آثارها تخويف، وهو أنه عَظُمَ[9] هولُ ذلك اليوم واشتدّ حتى لا تقومَ[10] له الأشياء القوية الصَّلْبة[11] في أنفسها وهي الجبال والسماوات والأرضون، بل يؤثّر فيها هذا التأثيرَ حتى تصير[12] ﴿الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾،[13] وتصير[14] ﴿كَثِيبًا مَهِيلًا﴾،[15] وينشق السماء، وتصير[16] ﴿الأرض قَاعًا صَفْصَفًا﴾،[17] فكيف يقوم لها الإنسان الضعيف الْمَهين؟ وإذا كانت[18] السماوات والأرضون والجبال مع طَوَاعِيَتها لربها لا تقوم[19]

---

[1] ر – وذكر الفتح في موضع آخر وهو قوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبوابا وقال في موضع آخر وإذا السماء فرجت وإذا السماء انشقت فمنهم من ذكر أن شقها وانفطارها.

[2] جميع النسخ: أن يفتح.

[3] ن – بها.

[4] ر م: وانتشار؛ ث: انتثار.

[5] انظر: الآية التالية وما تليها.

[6] انظر: الآية ٣ من سورة التكوير.

[7] ﴿ويسألونك عن الجبال فقل يَنْسِفُها ربي نَسْفا فَيَذَرُها قاعا صَفْصَفا﴾ (سورة طه، ٢٠/١٠٥-١٠٦).

[8] ر: في ذكر.

[9] ر م: أعظم.

[10] جميع النسخ: لا يقوم.

[11] جميع النسخ: العلية. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٤و.

[12] ن: يصير.

[13] سورة القارعة، ١٠١/٥.

[14] ن: ويصير.

[15] سورة المزمل، ٧٣/١٤.

[16] ن: ويصير.

[17] سورة طه، ٢٠/١٠٦.

[18] ن ث: أو إذا كانت.

[19] ن: لا يقوم.

لهولها[١] وأفزاعها بل تنقطع،[٢] فكيف[٣] يقوم لها الآدمي الضعيف مع خبث عمله وكثرة مساويه مع ربه؟ فيذكّرهم هذه الأحوالَ ليخافوه ويَهابوه فيستعدوا له. فلهذا -والله أعلم- ذُكرتِ الأحوال التي عليها حالُ ذلك اليوم ولم يبيَّن متى وقته؟ ولهذا لم يبين[٤] منتهى عمر الإنسان ليكون أبدا على خوف ووَجَلٍ من حلول الموت به فيأخذَ أُهْبَتَه[٥] ويتشمّر له. ولو بيّن له لكان يقع له الأمن[٦] بذلك فيتركُ التزود إلى دنوّ ذلك الوقت ثم يتأهّب له إذا دنا انقضاءُ عمره.

ثم إن الله تعالى ذكر أحوال القيامة في غير[٧] موضع وجَعَل ذلك مترادفا متتابعا في القرآن فيكون في ذلك معنيان. أحدهما أن للقلوب تغيرا وتقلبا في أوقات، فربَّ قلب لا يلين لحادثة أولَ مرة حتى يُعاد عليه ذكرُه مرة[٨] بعد مرة وحالا بعد حال ثم يلين،[٩] فيكون في تتابع ذكر البعث والقيامة مرة بعد مرة إبلاغٌ في النِّذارة وقطعُ عذر المعتذرين[١٠] يوم القيامة.

والثاني أن القوم كانوا حديثَ العهد بالإسلام، وقد وقع الإسلام[١١] في قلوبهم موقعا، فيكون في تكرار المواعظ تلقيح لعقولهم وتليينٌ لقلوبهم على ما أكرمهم الله تعالى من الإيمان ونصرة رسول رب العالمين، كقوله: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا.[١٢]

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾[٢]

وقوله: **وإذا الكواكب انتثرت**، فإما أن يكون انتثارها لأنها مجعولة لمنافع الخلق، فإذا استغنى عنها أهلُها فلا معنى لبقائها. أو لِما جعلت زينةً للسماء، فإذا انفطرت السماء لم يُحتج إلى زينة بعدَها.

---

[١] جميع النسخ: لها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٤و.
[٢] جميع النسخ: بل ينقطع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ن + لا.
[٤] جميع النسخ: ما لم يبين.
[٥] ر م: هيته.
[٦] جميع النسخ: كان يقع له الأمر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر م: في موضع.
[٨] ن + حتى يعاد عليه ذكره مرة.
[٩] ر ث م: تلين.
[١٠] ر م: المعذورين؛ ث: المعذرين.
[١١] م - وقد وقع الإسلام.
[١٢] سورة الأنفال، ٨/٢.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وإذا البحار فجّرت**، قال قائلون: أي يُفجَّر ماؤها في بحر واحد ثم يَغور ماء ذلك البحر الذي اجتمع فيه المياه إما بما تُنشِّفها[١] الأرض أو يجعل في بطن الحوت الذي[٢] ذكر أن الأرضين قرارُها على ظهره،[٣] أو في بطن الثَّور. ثم يسوّي الله تعالى الأرض كلَّها حتى لا يبقى فيها عِوَج ولا قَعرٌ؛ فتُكبَس[٤] البحار بما شاء إما بالجبال أو بغيرها.[٥] وقال بعضهم: بل يغور ماء كلّ بحر في مكانه لا أن تُجمع[٦] المياه كلُّها في مكان واحد وبحرٍ واحد. وقال بعضهم: بل يمتزج بعضها[٧] ببعض فيصير نارا يعذب[٨] بها أهلها. فكذلك[٩] قوله تعالى: وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ،[١٠] وقوله:[١١] وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ.[١٢] والله أعلم أيّ ذلك يكون.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وإذا القبور بعثرت**، أي بُعث[١٣] مَن فيها، وتَقذف[١٤] القبور من فيها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **علِمتْ نفسٌ ما قدّمت وأَخّرت**، أي تعلم الأنفس [من أوّل][١٥] ما عملت إلى آخر ما انتهى إليه[١٦] عملُها فلا يخفى عليها شيء من أمرها. ومنهم من يقول: ما قدّمت من خير

---

[١] جميع النسخ: ينشفها.
[٢] جميع النسخ: التي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٤ظ.
[٣] ن: على ظهرها.
[٤] ر ث م: فيبس؛ ن: فيكنس. كَبَس الحفرةَ يكبِسها كَبسا: طواها بالتراب (*لسان العرب*، «كبس»).
[٥] ر م: بغير.
[٦] ر ث م: يجمع.
[٧] ن: بعضهم.
[٨] ر م: معذب.
[٩] ر ث م: وكذلك.
[١٠] سورة التكوير، ٦/٨١.
[١١] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٤ظ.
[١٢] سورة الطور، ٦/٥٢.
[١٣] ث: بعثت.
[١٤] ن: ويقذف.
[١٥] الزيادة من المرجع السابق.
[١٦] ر م - إليه.

وأخرت من شرّ فستعرفه في ذلك اليوم. ومنهم من يقول: **علمت نفس ما قدمت**، من العمل أي بما عملت بنفسها **وأخرت**،[١] أي ما سنّت[٢] من السنة فعُمِل بها بعدها.[٣] وهذا الذي ذكروه داخل في تفسير الجملة التي ذكرنا أنها تعلم من أول ما عملت إلى آخر ما انتهى إليه[٤] عملها.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم**، يحتمل "عن ربك"، فيكون تأويله أيُّ شيء غرّك عن[٥] ربك الكريم حتى اغتررت به؟ واغترارُه عن ربه الإعراضُ عن طاعته وعبادته. وقد يستعمل "الباء" في موضع "عن"، قال الله تعالى: عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّٰهِ،[٦] ومعناه[٧] يشربون عنها لا أن يشربوا[٨] فيها كَرْعا،[٩] أو تُجعل[١٠] العينُ آنية لهم.

ثم وجه الجواب للمغترّ بالله تعالى في قوله تعالى: **ما غرك بربك الكريم**، وهو أنّ كرمه دعا الإنسان إلى ركوب[١١] المعاصي لأنه لم يأخذه بالعقوبة وقت جريمته،[١٢] فتجاوزُه عنه أو تأخيرُه العقوبةَ حَمَله على الاغترار؛ إذ ظَنَّ أنه يعفَى عنه أبدا كذلك فأقدمَ عليها، وإلّا لو حلت به العقوبةُ وقتَ ارتكابه المعصيةَ لكان لا يتعاطى المعاصي ولا يرتكبها. فعذره أن يقول: إنّ[١٣] الذي حَمَلني على الإغفال والاغترار كرمُك أو حمقي، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تلا هذه الآية: الحُمْقُ يا ربِّ.[١٤]

---

[١] جميع النسخ: وما أخرت.

[٢] ن: شيت.

[٣] ن - بعدها.

[٤] جميع النسخ: إليها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٤ظ.

[٥] ر - عن؛ ن ث م: من.

[٦] سورة الإنسان، ٧٦/٦.

[٧] ر ث م: ومعناها.

[٨] ن: يشرب.

[٩] كَرَع الماءَ يكرَع كَرْعا إذا تناوله بفيه من غير أن يشرب بكفّه ولا بإناء كما تشرب البهائم؛ لأنها تُدخِل فيها أكارعها (*النهاية* لابن الأثير، ٤/١٤٢).

[١٠] جميع النسخ: يجعل.

[١١] ر ث م: ركون.

[١٢] ن ث: جريرته.

[١٣] ر ث م - أن.

[١٤] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٢٤٥.

أو يكون قوله: **ما غرك بربك الكريم**، أي أيُّ شيء غرّك حتى ادّعيتَ على الله تعالى أنه أَمَرك باتباع آبائك أو تشهد[1] عليه إذا ارتكبتَ الفحشاءَ أن الله تعالى أَمَرك به؟ على ما قال: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[2] ألم أَبعث إليك الرسول ألم أُنزِل إليك الكتب[3] ليُبيِّن لك ما أُمرت به عما نُهيتَ عنه؟

[٩٠ظ] وقيل: نزلت الآية في شأن[4] كَلَدَةَ [بن أسيد] حيث ضرب النبيَّ صلى الله / عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى فأسلم حمزةُ [عندما بلغه ذلك][5] حميةً لقومه، فهَمّ كلدة أن يضربه ثانيا فنزلت الآية: **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم**، حيث لم يُهلكك عند تناولك[6] رسول الله. لكن لو كانت الآية فيه فكلّ الناس في معنى الخطاب على السواء. **والله أعلم**.

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **الذي خلقك فسواك**،[7] ففي ذكر هذا تعريف[8] المنة ليستأدي منه الشكرَ، وفيه ذكر قوّته وسلطانه حيث قدَر على تسويته في تلك الظلمات الثلاث[9] الذي لا ينتهي إليها تدبير البشر ولا يجري عليها سلطانهم ليهابوه ويحذروا[10] مخالفته. وفيه ذكر حكمته وعلمه ليعلموا أنهم لم يُخلقوا عبثا ولا سُدى؛ لأن الذي بلغت حكمتُه وعلمُه[11] ما ذُكر من إنشائه في تلك الظلمات الثلاث من وجه لا يعرفها الخلق لا يجوز أن يخرج خلقُه عبثا باطلا، بل خَلَقهم ليأمرهم وينهاهم ويُرسل إليهم الرسل وينزل عليهم الكتب فيَلْزَمَهم اتباعها ويعاقبهم إذا[12] أعرضوا عنها وتركوا اتباعها.

---

[1] ن: أو يشهد.
[2] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[3] ر ث م: الكتاب.
[4] ن: بيان.
[5] الزيادتان من تفسير *بحر العلوم* للسمرقندي، ٣٧٩/٤.
[6] ر م: لم يهلك عند تناول؛ ث: تناول.
[7] ر ث م + فعدلك.
[8] ر م: التعريف.
[9] لعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).
[10] ر م: ويحذرون.
[11] ن + ليعلموا أنهم لم يخلقوا عبثا.
[12] ن: إذ.

وسنذكر وجه التسوية به في قوله:[1] ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾،[2] أنه سوّاه على ما توجبه[3] الحكمةُ، أو سوّاه بما به مصالحه، أو سوّاه من وجه الدلالة على معرفة الصانع، أو سوّاه فيما تخلق له من اليدين والرجلين والسمع والبصر.

وقوله عز وجل: **فعدلك**، أي سوّاك. ووجهُ التسوية أنْ جَعَل يديه[4] مستويتين[5] لم يجعل إحداهما أطول من الأخرى، وكذلك سوّى بين رجليه. وقرئ بالتخفيف والتشديد.[6] قال أبو عبيدٍ: معنى قوله: **فعدلك**، بالتخفيف أي أمالك، وليس في ذكره كثيرُ حكمة. واختار التشديد فيه. وليس كما ذكر بل في ذكر هذا من الأعجوبة ما في ذكر الآخر، فقوله: عَدَلَك، أي صَرَفك من حال إلى حال؛ ووجه صرْفه -والله أعلم- أنه كان في الأصل ماء مَهينا في صلب الأب فصرَف[7] ذلك الماء إلى رَحِم الأم، ثم أنشأه نطفة، ثم صرفها إلى العَلَقة وإلى المُضْغَة إلى أن[8] أنشأه خَلْقا سويّا. أو صَرَفه على ما عليه من الحال من الصحة إلى السُّقم ومن السُّقم إلى البُرْء؛[9] فيكون في ذكر هذا تعريفُ[10] المنة والقدرة والحكمة كما في الأول، ففيه أعظم الفوائد.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **في أي صورة ما شاء ركبك**، منهم[11] من جعل "ما"[12] هاهنا صلة زائدة، ومعناه: في أيّ صورة شاءَ[13] ركَبك. ومنهم من جعل "ما" هاهنا[14] بمعنى الذي.

---

[1] ر: بقوله.
[2] سورة الأعلى، ٨٧/٢.
[3] جميع النسخ: على ما يوجبه.
[4] جميع النسخ: أن جعله يدين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٥و.
[5] ر ث م: مستويين.
[6] واختلفوا في قوله: ﴿فعدلك﴾ فقرأ الكوفيون بتخفيف الدال، وقرأ الباقون بتخفيف الدال (*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٣٩٩).
[7] ر م: فضرب.
[8] ر م - أن.
[9] ن: إلى الشر.
[10] ر ن م: التعريف.
[11] ن: ومنهم.
[12] جميع النسخ: الماء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٥و.
[13] ن: ما شاء. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ر ث م - صلة زائدة ومعناه في أي صورة ما شاء ركبك ومنهم من جعل الماء هاهنا.

ثم قوله: **شاء ركبك**، يحتمل أن يكون هذا عبارة عما تقدم من الأوقات، وهو أنه قد شاء تركيبك على الصورة التي أنت عليها لا على صورة البهائم وغيرها؛ فيكون في ذكره تذكيرُ المنن والنعم ليستأدي منه الشكرَ. ووجه التذكير أنه أنشأه على صورة يرضاها[1] ولا يتمنى[2] أن يكون بغير هذه الصورة من الجواهر؛ وأنشأه على صورة يعرف المحاسن والمساوئ، ويعرف الحكمة والسفه، ويميز بينهما ويميز بين المضارّ والمنافع؛ وأنشأه على صورة سخر له السماوات والأرضين والأنعام كما قال الله تعالى: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ [جَمِيعًا مِنْهُ]،[3] الآية، وقال عز وجل: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[4] الآية، ولم يسخره لغيره؛ فثبت أن فيه تذكيرَ النعم ليشكروه ويقوموا بحمده.

وجائز أن يكون هذا على الاستئناف في أن يركّبه على ما هو عليه على أيّ صورة شاء من الصور التي يستقذرها، ويمسخه قِرَدا أو خنازير[5] لمكانِ ما يتعاطى من المعاصي، فيكون في ذكره تذكيرُ[6] القدرة والقوة، ليراقب الله تعالى ويَهَابَه فيتركَ معاصيه ويتسارع إلى طاعته.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **كلا بل تكذبون بالدين**، فإن حملت قوله:[7] **كلا**، على التنبيه والردع فممكن أن يُعطَف على ما قبله وعلى ما بعدَه، وكذلك إذا حملتَه على القَسَم بمعنى "حقا"، فإنه يستقيم عطفه على الأمرين جميعا. وقوله عز وجل: **بالدين**، يحتمل أن يكون أريد به دين الإسلام. والأصل أن الدين إذا أُطلق أريد به الدين الحق وهو دين[8] الإسلام. وكذلك الكتاب المطلق كتاب الله تعالى. ويجوز أن يكون أريد به البعث والجزاء، وسُمّي يومَ الدين لما ذكرنا أن الناس يُدانون بأعمالهم. والحكمة فيه -والله أعلم- أنهم قد أقرّوا بأن الله تعالى أحكمُ الحاكمين؛ وتكذيبُهم بيوم الدين يوجب أن يكون أسفهَ السفهاء لا أن يكون أحكمَ الحاكمين،

---

[1] ر ث م: ترضاها.

[2] ر ث م: ولا تتمنى.

[3] سورة الجاثية، ١٣/٤٥.

[4] سورة الإسراء، ٧٠/١٧.

[5] جميع النسخ: أو خنزيرا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٥و.

[6] ن: بذكر.

[7] ث - قوله.

[8] ر ث م - دين؛ ن: الدين.

لأن الدنيا عواقبها الفناءُ[1] والهلاك فهم إذا كذّبوا بالبعث فقد زعموا أنهم ما أنشئوا إلا[2] للهلاك والفناء، ومَن بنى بناء ولم يقصد[3] ببنائه سوى أن ينقضه ويهدمه فهو سفيه عابث في الفعل؛ فلم يَحْصُلوا من تكذيبهم إلا على نفي الحكمة[4] من الصانع وتثبيت السفه له.[5] تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وهو كقوله:[6] وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا.[7] وهم لم يكونوا يدّعون أنهما خلقتا باطلا ولا كانوا يظنون ذلك، ولكن الإنكار الذي وُجد منهم بالبعث والجزاء يقتضي خلقهما باطلا. فعلى ذلك إنكارهم / بالبعث يُزيل عنه [٨٩١و] القولَ بأنه أحكم الحاكمين ويُثبت ما ذكرنا من السفه. سبحانه وتعالى عما يصفون.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾[١٠] ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وإن عليكم لحافظين،** [وهم لم يكونوا يعرفون أنَ عليهم حُفّاظا لأنهم لا يشاهدونهم، وإنما يقع له المعرفة بالخبر،] وهم لم يكونوا يَقبلون الأخبار ولا كانوا يؤمنون بها. ثم أخبرهم أنَّ عليهم حُفّاظا لأن الذي حملهم على الجهل تَرْكُهم [التدبرَ والنظر في الأمر. ففيه دليل أن حجة الله تُلزِم الكفرة، وجهلهم بها لا يُعذرهم لأن الذي حملهم على الجهل تركهم][8] الإنصاف من أنفسهم وإلا لو أنصفوا من أنفسهم لكان إعطاؤهم النَّصَفة يوصلهم إلى تدارك الحق ومعرفة[9] ما عليهم من الواجب.

ثم قد ذكرنا أن المرء إذا كان عليه حافظ[10] أدّاه ذلك إلى المراقبة فيرتدع عن تعاطي ما يؤخذ عليه؛ فَنَبَّهَنا أن علينا حفّاظا لنحتشم[11] عنهم ولا نأتيَ[12] من الأمور ما يسوءهم.[13]

---

[1] ر ث م: الفساد.
[2] ر: لا.
[3] ث: لم يقصد.
[4] ن: الحكم.
[5] جميع النسخ: لله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٥و.
[6] جميع النسخ: قوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[8] هذه الزيادة وما قبلها نقلت من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.
[9] ر م: ومعرفته.
[10] جميع النسخ: حافظا. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ث م: ما يوجد عليه فنبهنا أن علينا حفاظا ليحتشم.
[12] جميع النسخ: ولا يأتي. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر م: يسومهم.

ووَصَف أنهم كرام[١] لِيَتَصْحَبَهم[٢] صحبةَ الكرام، ومن صحبة الكرام أن نُحترم لهم ونتقيَ مخالفتهم ولا نَتعاطَى ما يسوءهم،[٣] وذلك قوله: **كرامًا كاتبين.**

وفي ذكر الكرام فائدة أخرى، وذلك أن قوله: **كرامًا كاتبين،** أي كرام على الله تعالى، والكريم على الله تعالى هو المتقي، قال الله[٤] تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ،[٥] فيكون فيه إيماءٌ لهم أنهم[٦] لا يزيدون ولا ينقصون في الكتابة وإنما يكتبون قدرَ عملهم، كما ذكرنا من الفائدة في وصف جبريل عليه السلام بالقوة والأمانة.[٧]

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **يعلمون ما تفعلون،** فهو يحتمل وجهين. أحدهما أنهم يعلمون ما نفعل[٨] قبل أن نفعل بما عرّفهم الله تعالى، فيكون في تعريفه إياهم إلزامُ الحجة عليهم، ويكون الذي يكتبون امتحانا[٩] امتُحِنوا به؛[١٠] إذ قد فَوّض إلى بعضهم أمر كتابة الأعمال وإلى البعض[١١] إرسالَ الأمطار ونحو ذلك. أو **يعلمون ما تفعلون** وقتَ فعلكم جهةَ الفعل من خير أو شر، فيكون لفعل الخير آثارٌ[١٢] بها يعرفون أن الفاعل[١٣] قصد به جهة الخير، ويكون لفعل[١٤] الشر آثارٌ[١٥] بها يعرفون ذلك أيضا.

---

[١] ر م: إكرام.
[٢] جميع النسخ: ليصحبهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٥ظ.
[٣] جميع النسخ: أن يحترم لهم ويتقي (ر: ويبقي) مخالفتهم ولا يتعاطى ما سوءهم (ر م: يسوهم). والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ن – الله.
[٥] سورة الحجرات، ١٣/٤٩.
[٦] ن – أنهم.
[٧] انظر عند تأويل قوله تعالى الآيتين ٢٠ و ٢١ من سورة التكوير.
[٨] ر ث م: ما تفعل؛ ن: ما يفعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: امتحان.
[١٠] ث: امتحان امتحان به.
[١١] ر م: بعض.
[١٢] جميع النسخ: آثارا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر م + به.
[١٤] ر م: الفعل.
[١٥] جميع النسخ: آثارا. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم عُذْر المسلمين في ترك المراقبة أقلّ من عذر المكذبين بالدين؛ لأن المسلمين علموا أنَ عليهم حُفّاظا يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها عليهم، ثم هم مع ذلك يفعلون ولا يَصحَبونهم صحبة[1] الكرام، ويتركون التيقظ والتبصر؛ والكفرة ينكرون أن يكون عليهم حفاظ،[2] ومن كان هذا حالُه فالإغفال[3] عن مثله غيرُ مستبعد.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[١٣] ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم**، فقد ذكرنا[4] أنّ البَرّ هو الذي[5] أَعطى ما طُلِب منه، والذي طُلِب منه ما ذَكَر في قوله: لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ -إلى قوله- وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ.[6] وفي هذه الآية دلالة على ما ذكرنا أن البِرّ إذا ذُكر دون التقوى اقتضى المعنى الذي يراد بالتقوى؛ لأنه أخبر أن البر هو الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، ثم ذَكَر أنّ الذي جَمَع بين هذه الأشياء فهو المتقي.

ثم احتجّت المعتزلة لقولهم[7] بالتخليد في النار لمن ارتكب الكبيرة بقوله تعالى: **وإن الفجار لفي جحيم** -إلى قوله- وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ،[8] لأن[9] مرتكب الكبيرة فاجر، وقد وصف الله تعالى **إن الفجار لفي جحيم**، ولا يغيب عنها، وزعموا أنه ما لم يأت بالشرائط الذي ذكر في قوله: وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[10] فهو غير داخل في قوله: **إن الأبرار لفي نعيم**.

والأصل عندنا ما ذكرنا أنّ كل وعيد مذكور مقابلَ الوعد فهو في أهل التكذيب لما ذكر من التكذيب عند التفسير بقوله: كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ -إلى قوله- وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ،[11]

---

[1] ث: صحة.
[2] ر ث م: حفاظا.
[3] ر ث م: والإغفال.
[4] ر م: قد ذكر.
[5] ر ث م – هو الذي.
[6] سورة البقرة، ١٧٧/٢.
[7] جميع النسخ: بقولهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٥ظ.
[8] الآية ١٦ من هذه السورة.
[9] م + من.
[10] سورة البقرة، ١٧٧/٢.
[11] ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين﴾ (سورة المطففين، ٧/٨٣-١٠).

وقال: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ -إلى قوله- فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ،[1] وإذا كان كذلك لم يجب قطع القول بالتخليد لمن ارتكب الكبيرة، بل وجب القول بالوقف فيهم.

ثم[2] الله تعالى جَعَل لأهل النار يومَ البعث أعلاما ثلاثة بها يعرفون، ويتبيّن[3] أنهم من أهل النار، [و]لم يجعل شيئا من تلك الأعلام في أهل السعادة. أحدها اسوداد الوجوه بقوله: وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ.[4] والثاني بما يُدفع إليهم كتبُهم[5] بشمالهم ومن وراء ظهورهم، ويُدفع إلى أهل الجنة كتبهم بأيمانهم.[6] والثالث في أن تَخِفَّ موازينهم وتَثقُل[7] موازين أهل الحق؛ فهذه أعلام أهل الشقاء. وفيما ذَكَر اسوداد الوجوه قَرَن به التكذيب بقوله: فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ.[8] وفيما ذكر دفْعَ الكتاب بالشمال ومن وراء الظهر[9] قال فيه: فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ،[10] وقال: وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ -إلى قوله تعالى- إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى،[11] الآية،[12] وقال تعالى عند[13] ما ذكر خِفّةَ الميزان: أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ.[14] ولم يَذكر عند ذكر[15] شيء من هذه الإعلام غيرَ المكذبين؛ فثبت أن الوعيد [المطلق][16] في المكذّبين لا في غيرهم، لذلك لم يَسَع لنا أن نُشرك أهلَ الكبائر مع أهل التكذيب في استيجاب العقاب وقطعِ القول بالتخليد، بل وجب الوقف في حالهم والإرجاءُ في أمرهم.

---

[1] ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون﴾ (سورة المؤمنون، ١٠٤/٢٣-١٠٥).

[2] ر ث م + إن.

[3] جميع النسخ: تبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٥ظ.

[4] سورة آل عمران، ١٠٦/٣.

[5] جميع النسخ: كتابهم.

[6] ن: إلى أيمانهم. انظر: سورة الحاقة، ١٩/٦٩-٣٣.

[7] جميع النسخ: في أن يخف موازينهم ويثقل.

[8] سورة آل عمران، ١٠٦/٣.

[9] ر ن ث: الظهور.

[10] سورة الحاقة، ٣٢/٦٩-٣٣.

[11] سورة الانشقاق، ١٠/٨٤-١٥.

[12] ر: إلا.

[13] ر: عنه؛ م – عنه.

[14] سورة المؤمنون، ١٠٥/٢٣.

[15] ر م – عند ذكر.

[16] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢٦و.

والثاني ذَكَر في مواضع الإيمان بالله تعالى أدنى مراتب أهل الإيمان ووَعَد عليه الجنة / فقال: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ،[١] وقال في موضع آخر:[٢] [سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ] وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ،[٣] وقال: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ،[٤] الآية،[٥] فذكر في هذه الآيات التي تلوناها أدنى منازل أهل الإيمان. وذكر في موضع آخر أعلى[٦] مراتب أهل الإيمان ووَعَد عليها الجنة بقوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ،[٧] الآية، وقال: وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[٨] الآية. [١٨٩ظ]

فجائز أن يكون ذَكَر الجميع على المبالغة لا على جعله شرطا فيجب القول باستيجاب الوعد بأدنى مراتبه على ما ذكر في الآيات الأخر. وجائز أن يكون الجميعُ فيما ذَكر فيه[٩] الإيمان بالله ورسله مضمرا و يكونَ ذكرُ طرف منه على الإيجاز. ألا ترى أنه ذَكَر الكفرَ في بعض المواضع وأوعد عليه النار، وذَكَر في بعض المواضع الكفر مع أسبابٍ أُخَرَ وأوعد عليه النار بعد ذلك بقوله: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ،[١٠] الآية، وقال في موضع آخر:[١١] قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ،[١٢] الآية.

ثم لم يصر جميعُ ما ذَكَر من السيئات مع الكفر شرطا بل وَجَب القولُ بالتخليد لمن اقتصر على الكفر خاصةً؛ فثبت أنْ ليس في ذكر المبالغة دلالةُ جعلِ المبالغة شرطا بل جائز أن يستوجب الوعيد بدونه؛ فلذلك لم يُقطَع القول في أصحاب الكبائر بالتخليد في النار ولا بأنهم مستوجِبون للوعد بل قيل فيهم بالإرجاء.

[١] سورة الحديد، ١٩/٥٧.
[٢] ن – آخر.
[٣] سورة الحديد، ٢١/٥٧.
[٤] سورة النساء، ١٥٢/٤.
[٥] ن – الآية.
[٦] ر م: على؛ ن: في موضع أعلى.
[٧] سورة العصر، ٣/١٠٣.
[٨] سورة البقرة، ١٧٧/٢.
[٩] ر م + ورسله.
[١٠] سورة آل عمران، ٢١/٣.
[١١] ن – الآية وقال في موضع آخر.
[١٢] سورة المدثر، ٤٣/٧٤-٤٤.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾[١٥] ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين**، قال بعضهم: تأويله منصرف إلى أهل النار وأهل الجنة؛ فأهل الجنة لا يغيبون عن الجنة ولا أهل النار عن النار. وقال بعضهم: أريد بها أهل النار خاصةً أنهم لا يغيبون عنها.

وأنكر بعض الناس الخلود لأهل النار في النار ولأهل[1] الجنة في الجنة، وقالوا: لو لم يكن لنعيم الجنة انقضاء ولا لعذاب[2] الآخرة انتهاء لكان يرتفع عن الله تعالى الوصفُ بأنه أول وآخرٌ لأنهما تبقيان[3] أبدا فلا يكون هو آخرًا،[4] وقد قال: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ،[5] فلا بد من أن يكون لهما انتهاء حتى يستقيم الوصفُ بأنه آخر؛ ولأنهما لو لم يوصفا بالانتهاء لكان علمُ الله تعالى غيرَ محيط بنهايتهما فتكون[6] النهاية مجاوزة لعلمه، والله سبحانه وتعالى محيط بالأشياء وعالم بمبادئها[7] وتناهيها؛ فلا بد من القول بفنائهما حتى يكون علمه[8] محيطا بهما؛ ولأنهم إنما استوجبوا الجزاء بأعمالهم وأهل النار استوجبوا العقاب بسيئاتهم، فإذا[9] كانت لسيئاتهم نهاية ولخيرات أولئك نهايةٌ فكذلك يجب أن يكون للجزاء نهاية أيضا.

والأصل عندنا أنّ كلّ من أعتقد مذهبا فهو يعتقده لِيَدِينَ[10] به أبدا ما بقي لا ليتركه. ثم العقاب جُعل جزاء للكفر، والثوابُ جعل جزاء للاتقاء عن المهالك بقوله: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[11] وقال: [وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ] وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.[12] فإذا[13] ثبت أن كل واحد منهما جزاء للمذهب، وكان الاعتقاد للأبد

---

[1] ث: وأهل.
[2] م + النار.
[3] جميع النسخ: يبقيان. والتصحيح من *الشرح*، ٣٢٦و.
[4] جميع النسخ: هو آخر.
[5] سورة الحديد، ٣/٥٧.
[6] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ث م: مبادئها.
[8] ر: عمله.
[9] ن: وإذا.
[10] جميع النسخ: يعتقد التدين (ن + اليدين). والتصحيح من المرجع السابق.
[11] سورة آل عمران، ١٣١/٣.
[12] سورة آل عمران، ١٣٣/٣.
[13] جميع النسخ: وإذا. والتصحيح من المرجع السابق.

فكذلك جزاؤه يقع للأبد والدوام لا للزوال والانقطاع. والثاني أن العلم بزوال النعم مما ينغِّص النِّعَم[١] على أربابها ويُمرِّرُ عليهم لَذَّاتِها ويُكدِّر عليهم ما صفا[٢] منها. فإذا كان كذلك لم يتم لهم النِّعم.[٣] وأهل النار إذا تذكروا الخلاص من العذاب تلذذوا بها وهان عليهم العذاب، فوجب القول بالخلود ليتم النعيم على أهله والعذاب على أهله.

والجواب عن قوله: إنه يرتفع عنه[٤] الوصفُ أنه آخرٌ أنّ الله تعالى استوجب الوصف[٥] بأنه أول وآخر بذاته لا بغيره، وغيرُه يصير أولا وآخرا بغيره؛ ثم ما من شيء إلا وله أولٌ وآخرٌ، ثم لا يوجب ذلك إسقاط الأولية والآخرية عنه.[٦] وقوله بأن الله عز وجل[٧] لا يوصَف بالإحاطة بالأشياء لو وجب القول بالخلود. فنقول بأنّ[٨] العلم بما لا نهاية له هو أن يعلمه غير متناهٍ، والعلم بالتناهي لما[٩] لا نهاية له يوجب الجهل لا العلم. والجواب عن الفصل الثالث ما ذكرنا أنه يعتقد[١٠] المذهب للأبد فكذلك الجزاء يتأبد ولا ينقطع.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[١٧] ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين**، قال بعضهم: إنك لم تكن تدري فأدراك[١١] الله تعالى. وقال بعضهم: هذا على التعظيم لذلك اليوم والتهويل عنه.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **يوم لا تملك نفس لنفس شيئا**. [والإشكال إن قال قائل: كيف قال: **لا تملك نفس لنفس شيئا**][١٢] وذلك اليوم يومُ تُجرَى[١٣] فيه الشفاعاتُ فيَشفع الأنبياءُ

---

[١] جميع النسخ: النعيم. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٦٢٦و.
[٢] ن: ويكثر عليهم ما وصفنا.
[٣] جميع النسخ: النعيم. والترجيح من المرجع السابق.
[٤] ر م: عند.
[٥] ر ث م – أنه آخر أن الله تعالى استوجب الوصف.
[٦] ر م – عنه.
[٧] ن: بأنه تعالى.
[٨] ن: أن.
[٩] ر ث م: بما.
[١٠] ن: نعتقد.
[١١] جميع النسخ: فدراك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٢٦ظ.
[١٢] الزيادة من المرجع السابق.
[١٣] ر م: يجزي.

لكثير من الخلق فيُشفَّع لهم، وإذا كان كذلك فقد ملكت نفسٌ لنفس شيئا؟ ولكن تأويلُه[1] يخرّج على أوجه ثلاثة. أحدها أن الكفرة كانوا يتوادّون فيما بينهم ليتناصر بعضُهم بعضا في النوائب فقال: **لا تملك نفس لنفس شيئا**. قال الله[2] تعالى: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ.[3] أو لا تملك نفس لنفس شيئا إلا بعدَ / [٨٩٢و] أن يُؤذن لها، كما قال عز وجل: لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا،[4] وقد يجرى التشفع في الدنيا لا بالاستئذان من أحد. أو يكون معناه أنّ كلّ نفس سيتبين لها في ذلك اليوم أنها لم تكن تملك شيئا إلا بالتمليك.

وقوله عز وجل: **والأمر يومئذ لله**، أي لا يُنازَع فيه وهو في كلّ وقت لله تعالى، لكنّ الظلمة ينازعون في هذه الدنيا. أو **الأمر يومئذ لله**، أي يتبين لكلّ أحد في ذلك اليوم بأنّ الأمر لله تعالى في ذلك اليوم وقبلَ ذلك اليوم. ***والله المستعان***.[5]

---

[1] ن: تأويل.
[2] ن - الله.
[3] سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥.
[4] سورة النبأ، ٧٨/٣٨.
[5] ر + الحمد لله رب العالمين؛ ن: والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المطففين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [١]

قوله عز وجل: **ويل للمطففين**، فوجه تعييرهم بالتطفيف وإلحاقِ[2] الوعيد بهم[3] لمكانه -وإن كانوا مستوجبين للوعيد وإن أوفَوْا المكيال ولم يطففوا فيه، إذ[4] كانوا جاحدين بالله تعالى ومكذِّبين بالبعث- هو أن الكفرة لم يكونوا اعتقدوا الكفر بالله تعالى[5] لتلذُّذٍ[6] يقع لهم بنفس الكفر ولا التزموه على التحسين لهم إياه، وإنما أعرضوا[7] عن الإيمان لحبّهم الرياسة ولِمَأْكَلَةٍ كانت لهم خافوا زوالها عنهم بالإسلام؛[8] أو زهدوا عنه[9] لما يلزمهم بالإيمان مُؤَن فاختاروا[10] الكفر لئلا يلزمهم[11] تحمّلُها،[12] فكأنّ الذي يحملهم[13] على الصدّ عن الإيمان

---

[1] ر - سورة المطففين؛ ن م: سورة ويل للمطففين؛ ث + وهي ست وثلاثون آيات مدنية.

[2] ن: والإلحاق.

[3] ر ن م - بهم.

[4] ر ث م: إذا.

[5] ن + ومكذبين بالبعث.

[6] ر: ليلذذ؛ ث: ليتلذذ.

[7] ر: وإنما عرضوا.

[8] ن + أو زهدوا عنه بالإسلام.

[9] ر: عند.

[10] جميع النسخ: واختاروا. والتصحيح من *الشرح*، ٣٢٦ظ.

[11] ر ث م + بالإيمان.

[12] م + فكأنهم.

[13] ن: تحملهم.

وترك النظر في آيات الله تعالى وحججه ما ذكرنا. فعُيّروا بالأفعال الدنية التي كانوا يتعاطونها فيما بينهم من التطفيف والهمز واللمز وتركهم إيتاءَ الزكاة، بقوله عز وجل: [وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ] اَلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ،[1] ليتقلعوا عنها فيحملَهم ذلك على النظر في القرآن والتدبر فيه. وهو كما ذكرنا في القتال أنّ فيه ما يحملهم على الإيمان؛ لأنهم كانوا يتزهدون عنه لحبّهم الدنيا فإذا قوتلوا ضاقت عليهم الدنيا فبعثهم ذلك على الإيمان بالله تعالى وعلى النظر في آياته. وذُكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا تلا هذه الآية على أهل مكة تركوا التطفيف فلم يطفّفوا بعد ذلك.[2] قال أهل اللغة: التطفيف النقصان. يقال: إناء طَفّان إذا كان غير مملوء. وقال الزجاج: يقال شيء طفيف أي يسير. فسمي مُطفِّفا لما يَسرِق منه شيئا فشيئا في كل مِكيال.[3]

وفي هذه الآية دلالة أنّ حرمة الربا عامّة على أهل الأديان، وفيها[4] دلالة أنّ حرمة الربا ليست لمكان العاقدينِ[5] وإنما هي حق على العاقدَينِ لله تعالى. وذلك أن الذي يكال له كان يأخذ ما يكال له على علم منه بتطفيف البائع ثم كان يرضى به ويتجاوز عن ذلك ومع ذلك لحقهم التعيير بالتطفيف، فدلّ أن حرمته ليست لمكان العاقدَينِ ولكنها من حق الله تعالى.

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون**، فمنهم من ذكر أن هذا على التقديم والتأخير،[6] ومعناه: ويل للمطففين على الناس إذا كالوا[7] أو وزنوا، وإذا اكتالوا استوفَوْا.[8] ومنهم من قال: بأن "على" هاهنا بمعنى "عن". فكأنه يقول: ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا عن[9] الناس يستوفون.

---

[1] سورة فصلت، ٤١/٦-٧.

[2] عن ابن عباس قال: لمّا قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك (*سنن ابن ماجة*، التجارات ٣٥). قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه (*المستدرك على الصحيحين* للحاكم، ٥/٣٤٣).

[3] *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٢٩٧.

[4] جميع النسخ: وفيه.

[5] ر: العاقلين.

[6] ر م: والتأخر.

[7] ر ث م: اكتالوا.

[8] ر: استوفون؛ م: يستوفون.

[9] ث: على.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**؛ فمنهم من حمل قوله: "هم" بعد ذكر الكيل والوزن على التأكيد والمبالغة، فإن كان[١] على هذا فحقه الوقف على قوله: "كالوا" وعلى قوله: "وزنوا". ومنهم من قال: معناه: وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم، لأن الألف بينهما ليست بمثبتة في المصاحف وهو مستعمَل: كِلْتُه وكِلْتُ له، كقوله:[٢] وعدتُه ووعدتُ له. فإن كان[٣] هذا معناه، لم يستقم الوقف على قوله: "كالوا" و"وزنوا"؛[٤] لأن قوله "لهم" تفسير لقوله: "كالوا" و"وزنوا"،[٥] ولا يجوز قطع التفسير عما له التفسير.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون**،[٦] قال أكثر أهل التفسير: **ألا يظن**: ألا يعلم، وألَا يتيقن. وقال أبو بكر الأصم: **ألا يظن**، بمعنى[٧] ألا يشكّ أولئك في البعث، وهو محتمل لما ذكرنا أنّ الشّك[٨] يوجب الرهبة وارتفاعَه يوجب الأمن، ألا ترى أن المرء إذا أراد أن يسافر إلى مكان فأخبره إنسان أنّ في الطريق الذي يريد أن يسلك[٩] سُرّاقا وقُطّاع الطريق فإنه يترهّب لذلك فيستعدّ له ما يدفع عن نفسه ضررَ قطّاع الطريق وضرر السراق[١٠] وإن لم يتيقن أن المخبر صادق[١١] في مقالته ولا تيقّن[١٢] أن السرّاق يتمكّنون من الإضرار به.[١٣] فكيف لا يشكّ هؤلاء بكون البعث بما يخبرهم النبي عليه السلام ويقيم عليه الحجج؟ وهذا أقلّ منازل الأخبار أن تورث[١٤] شكا.

---

[١] جميع النسخ + هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٧و.
[٢] ر م: لقوله.
[٣] ث + على.
[٤] ر ن ث: أو وزنوا.
[٥] جميع النسخ: أو وزنوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر م + الآية.
[٧] جميع النسخ: معنى. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: لأن الشكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: تريد أن تسلك.
[١٠] ر م: السارق.
[١١] ر م: الصادق.
[١٢] ر م: ولا يتيقن.
[١٣] ر م – به.
[١٤] جميع النسخ: أن يورث. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم الأصل أن حرف الشك يستعمل[1] عند استواء طرفي الداعيَيْن، والظنّ يستعمل عند اختلاف طرفي الداعيَين، وهو أن تغلب[2] إحدى الدلالتين على الأخرى، لذلك يستقيم الحكم والقول بأكثر الظن ولا يستقيم بأكثر الشك.

ثم الظن يتولد من البحث عن الأمر والنظر فيه، فإذا تدبّر فيه فهو لا يزال يرتقي في الظنّ درجة فدرجةً حتى ينتهيَ نهايتَه بلوغَ اليقين ودَرْكَ الصواب.[3] فلذلك حَمل أهل التفسير تأويل [٨٩٢ظ] الظنّ هاهنا على اليقين والعلم، / إذ ذلك نهاية الظن.[4] وحمل أبو بكر [الأصم] على الشكّ لما لا ترتفع[5] الشبهة كلُّها فيما كان طريق معرفته الاجتهادَ. ومثال الظنّ مثال[6] الخوف الذي ذكرنا أنه قد يستعمل في موضع العلم؛ لأنّ الخوف إذا بلغ غايته صار عِلما كالذي يُهدَّد بالقتل أو بقطع[7] عضو ليشرب[8] الخمر أنه يباح له الشرب، وجُعل[9] كالمتيقِن أنه يُفعَل[10] به لا محالةَ لو امتنع عن الشرب لبلوغ الخوف نهايتَه، وإن لم يكن في الحقيقة متيقّنا لما يجوز أن يحصل به ما يمنعه عن القتل، فعلى ذلك الحكمُ في الظنّ. وقوله عز وجل: **[ألا يظن] أولئك أنهم مبعوثون**، للحساب الذي يَحصل عليهم فلا يجدون منه مخرجا فيتخلّصون من العذاب، ليس على ما يَحصل عليه الحسابُ في الدنيا يجد لنفسه الخلاص ووجهَ المخرج عنه.[11]

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٥]

وقوله عز وجل: **ليوم عظيم**، سمّاه عظيما لما ذكرنا من دوام عذابه ودوام ثوابه.[12]

---

[1] ر م – يستعمل.
[2] جميع النسخ: أن يغلب.
[3] ن: الثواب.
[4] ر م: للظن.
[5] جميع النسخ: لا يرتفع.
[6] جميع النسخ: منا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٧و.
[7] ر م: لا يقطع.
[8] ر م: بشرب.
[9] جميع النسخ: ويجعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر – يفعل.
[11] م – للحساب الذي يحصل عليهم فلا يجدون منه مخرجا فيتخلصون من العذاب ليس على ما يحصل عليه الحساب في الدنيا يجد لنفسه الخلاص ووجه المخرج عنه.
[12] ر ث م: عقابه؛ ن: لقائه. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يوم يقوم الناس لرب العالمين**، أي لحكمه أو لحسابه أو لوعده ووعيده، أو يقومون له مستسلمين خاضعين بجملتهم، وإن كان البعض منهم وُجِد منه الامتناع عن الاستسلام في الدنيا؛ فإن الظَّلَمة ينازعونه ويدّعون لأنفسهم أشياء وينكرون[١] له، فأما يوم القيامة فإنهم جميعا يقرون له[٢] وينقادون لحكمه وقضائه، لذلك خصّه بقيام الناس له.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **كلا**، قال الحسن وأبو بكر [الأصم]: حقا،[٣] أي بعثُهم حق فيُبْعَثون. وقال الزجاج: **كلا**، حرف ردع وتنبيه،[٤] أي ليس الأمر على ما ظنوا أنهم لا يبعثون بل يُبعثون ويجازون بأعمالهم؛ فيكون في هذا إيجاب القول بالبعث من[٥] طريق الاستدلال، [وفيما ذكره الحسن وأبو بكر إيجابُ القول به نصا لا استدلالا].[٦]

وقوله عز وجل: **إن كتاب الفجار لفي سجين**، اختلف في السجين، فمنهم من جعله اسم موضع وأشار إليه فقال: هو صخرة تحت الأرض السابعة يوضع كتاب الكافر تحته إلى يوم القيامة. ولكن ليس بنا إلى معرفة ذلك الموضع حاجة لأن الذين امتُحنوا بجعله في ذلك الموضع قد عرفوه، وهم الملائكة. ومنهم من زعم أنه حرف مذكور في كتب الأولين فذُكر ذلك في القرآن. فجائز أن يكون [مبيَّنا في تلك الكتب فترك تبيينه في هذا الكتاب لما كان][٧] المقصود يتحقق[٨] بدون الإشارة إليه. وجائز أن يكون السجّين الموضعَ الذي أعد[٩] للكافرين[١٠] في الآخرة للعذاب، لكن أولُ ما يُرَدّ إليه عملُه الذي أُثبت في كتابه ثم يُلحَق به الروح ثم يَتْبَعُهما جسده في الآخرة،[١١]

---

[١] ر م: فينكرون.
[٢] ن: به.
[٣] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٥٦/١٩.
[٤] *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٢٩٨/٥.
[٥] ن – من.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢٧و.
[٧] الزيادة من المرجع السابق.
[٨] ر ث م: بتحقيق.
[٩] ن: أعيد.
[١٠] جميع النسخ: للكافر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ث – للعذاب لكن أول ما يرد إليه عمله الذي أثبت في كتابه ثم يلحق به الروح ثم يتبعه جسده في الآخرة.

على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والآخرة سجن الكافر وجنة المؤمن»،[1] فَيُردُّ كتابه إلى ذلك[2] السجن ويُردَ كتاب الأبرار إلى الجنة التي أعدت له، ثم يتبعه روحه ثم جسده، فذلك قوله: إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ.[3]

ومنهم من قال [بأن هذا][4] على التمثيل ليس على تحقيق المكان [في السجن ولا على تحقيق المكان][5] في العليين. وذلك أن السجن هو مكان أهل الخبث في الدنيا فمُثِّلت أعمالهم بذلك لخبثها[6] وقبحها، ومثلت أعمال الأبرار بما ذكر من العليين، إذ ذلك[7] مكان أهل الشرف وأُولي القدر فيكون[8] ذلك كناية عن طِيب أعمالهم. وقال الكسائي:[9] السِجين[10] مشتق من السَّجن كقولك: رجل فِسِّيقٌ وشِرِّيبٌ وسِكِّيرٌ.[11]

ثم ذَكَر كتاب الفجار، والفجورُ يكون بالكفر وبغيره فهذا اسم يقع به الاشتراك بين أهل الكفر وأهل الإسلام، لكنه أُلحق عند التفسير بما يوجب[12] صرف الوعيد إلى الكفار بقوله: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ.[13] وكذلك نجد هذا الشرط ملحقا بالتفسير في جميع ما جرى به الوعيد بالاسم الذي يقع به الاشتراك من نحو الفسق وترك الصلاة، بقوله تعالى: قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ،[14] وفيما جرى من الوعيد في الذي لا يؤتي الزكاة. فكان في ذكر التفسير

---

[1] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (صحيح *مسلم*، الزهد ١؛ وسنن *الترمذي*، الزهد ١٦).

[2] م – ذلك.

[3] الآية ١٨ من هذه السورة.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢٧ظ.

[5] الزيادة من المرجع السابق.

[6] ر م: بختثها.

[7] جميع النسخ: وذلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ر م: فيكنى.

[9] انظر: *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٢٥٨؛ *وتفسير ابن كثير*، ٨/٢٧٠.

[10] ر م: السجن.

[11] ر ث ن: وسكيت؛ م: وشريت وسكيت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٧ظ.

[12] ر ث م: يجوز؛ ن – يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] الآية ١٠ من هذه السورة.

[14] ﴿كل نفسٍ بما كسبت رَهينة إلا أصحابَ اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سَلَكَكُمْ في سَقَر قالوا لم نَكُ من المصلين ولم نَكُ نُطعِم المسكين وكنا نَخُوض مع الخائضين وكنا نكذّب بيوم الدين﴾ (سورة المدثر، ٧٤/٣٨-٤٦).

على تقييده بالتكذيب قطعُ الشهادة وإيجاب العذاب على المكذبين، وفي ذكر الاسم الذي يقع به الاشتراك إيجابُ الخوف على المسلمين الذين شَرِكُوا في ذلك الاسم، فتُرِك قطع الشهادة عليهم بالوعيد لما[1] لم يُذكَروا عند التفسير.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وما أدراك ما سجين**، فهو [على][2] تعظيم ذلك اليوم ووصفِه بنهاية الشدة. أو على الامتنان على نبيه صلى الله عليه وسلم أنه لم يعلم ذلك حتى[3] أطلعه الله عليه. وهكذا تأويل قوله: وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ.[4]

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **كتاب مرقوم**، أي الكتاب الذي في السجين[5] مرقوم. والمرقوم، قالوا: مكتوب ومُثبَت. والرقْم عندنا هو الإعلام.[6] يقال: رَقَم الثوبَ، إذا أعلمه. فجائز أن يكون عَلَمُه هو أن يُختَم فيكونَ فيه إخبار أنّه لا يزاد على قدر ما عُمِل ولا يُنقَص منه.[7] وهو كما ذكرنا من الفائدة فيما وُصف جبريلُ عليه السلام بالقوة والأمانة، بقوله: ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ،[8] فوُصف بالأمانة لِيُؤْمَنَ الخلقُ عن خيانته في الكتاب وتغييره. ووصَفه بالقوة ليُعلَم أن غيره لا يتهيأ له أن ينتزع منه ما أُرسل على يده فيغيّرَه. وكذلك وَصَفه بالختم والإعلام ليؤمَن من الزيادة فيه والنقصان.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **ويل يومئذ للمكذبين**، أي للمكذبين بجميع ما يَحِق عليهم تصديقُه، وذلك يكون بالإيمان بالله تعالى وبآياته ورسله وبالبعث.

---

[1] جميع النسخ: بما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٧ظ.

[2] الزيادة من المرجع السابق.

[3] جميع النسخ: حين. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] الآية ١٩ من هذه السورة.

[5] ر ن ث: في السجن.

[6] عَلَمه يَعْلُمه ويَعْلِمه عَلْمًا: وَسَمه بعلامة يُعْرَف بها. أعْلَم نفسه وفرسه: جعل له علامة في الحرب (*لسان العرب*، «علم»؛ و*المعجم الوسيط*، «علم»).

[7] جميع النسخ: منها.

[8] سورة التكوير، ٨١/٢٠-٢١.

﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **الذين يكذبون بيوم الدين**، فالدين اسم لشيئين:[١] اسم للجزاء واسم للاستسلام[٢] والخضوع. فسمِّي[٣] يومَ الدين لما يُدانون بأعمالهم، أو لما يَستسلمون لله تعالى في ذلك اليوم ويخضعون له. وفي تكذيبهم بيوم الدين تكذيبهم قدرةَ[٤] الله تعالى وتكذيبُ رسله، لأن الرسل كانوا يدعونهم إلى الإيمان بيوم الدين فكانوا يكذبونهم بتكذيبهم بذلك / اليوم؛ [٨٩٣و] فيكون تأويله منصرفا إلى ما ذكرنا من تكذيبهم بجميع ما يَحِقُّ عليهم[٥] التصديقُ به.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وما يكذب به إلا كلُّ معتدٍ أثيم**، فالمعتدي هو الذي يتعدّى حدودَ الله تعالى، والأثيم الذي يأثم[٦] بربه، فتكون[٧] مجاوزته عن الحدود وإثمه[٨] بربه هو الذي يحمله على التكذيب، وإلّا لو قام بحفظ حدوده ولم يأثم[٩] بربه لكان لا يكذّب بيوم الدين. أو يكون فيه إخبارُ أنّ المكذِّب[١٠] به معتدٍ أثيمٌ.

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين**، قالوا: **أساطير الأولين**،[١١] أباطيل الأولين. وقال أبو عبيدة: الأساطير هي التي لا أصل لها.[١٢] ومعناه عندنا ما سَطَره الأولون، أي كَتَبه، فالسطر الكتابة. فيخبرون أنها ليست من عند الله تعالى بل مما كتبها

---

[١] ر م: الشيئين.
[٢] جميع النسخ: الاستسلام. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٧ظ.
[٣] ر م: فيسمى.
[٤] جميع النسخ: تكذيب لقدرة الله. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ث م - عليهم.
[٦] جميع النسخ: يتأثم. يقال: تأثم فلان إذا فعل فعلا خرج به من الإثم (*لسان العرب*، «أثم»).
[٧] جميع النسخ: فيكون.
[٨] جميع النسخ: والتأثم.
[٩] ر: لم يأثم.
[١٠] م - بربه فيكون بمجاوزته عن الحدود وإثمه بربه هو الذي يحمله على التكذيب وإلا لو قام بحفظ حدوده ولم يأثم لكان لا يكذب بيوم الدين أو يكون فيه إخبار أن المكذب.
[١١] ر ث م - قالوا أساطير الأولون.
[١٢] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١٨٩/١.

الأوّلون التي[1] لا نظام لها، ولم يكونوا[2] يقولون هذا في كل ما يتلو عليهم ولكنهم كانوا يعارضونه بهذا عندما كان يتلو عليهم[3] من نبأ[4] الأولين وكانوا ينسبونه إلى السحر إذا أتاهم بالآيات المعجزات.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **كلّا بل رَانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون**، قيل: الرَّيْن الستر والغِطاء، وقيل: الرَين الصَدَأ. فالله تعالى سمّى الإيمان الذي هو في النهاية من الخيرات نورا، وسمّى الكفرَ الذي هو في النهاية من الشرور[5] ظلمةً. فإذن كان[6] الإيمان منوّرا للقلب والكفر مظلما. فإذا اشتغل بالأسباب الداعية إلى الكفر شيئا بعد شيء من الآثام، فكلّ سبب من ذلك يعمل من إظلام القلب حتى تتم[7] الظلمة، على ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال: «هو العبد[8] يُذنب الذنبَ فتُنكَت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب منها صفا قلبه، وإن لم يتب وعاد[9] فأذنب نُكِتت[10] في قلبه نكتة سوداء وإن عاد نُكِتت[11] في قلبه حتى يسودّ القلب أجمع، فذلك الرَّين».[12] ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره شيئا فشيئا بأسباب تتقدم[13] الإيمان حتى يحمله ذلك على الإيمان، فذلك تمام الانشراح.

---

[1] جميع النسخ: الذين.
[2] جميع النسخ: ولم يكن.
[3] ر ث م – ولكنهم كانوا يعارضونه بهذا عندما كان يتلو عليهم.
[4] ن: نبأ.
[5] ث: الشر.
[6] جميع النسخ: فإذا كان.
[7] جميع النسخ: يتم.
[8] ر م: العبيد.
[9] ر م: فأعاد.
[10] ن ث: نكت.
[11] ن ث: نكت.
[12] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبه، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبَه، ذاك الرين الذي ذكر الله تعالى في القرآن ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٩٧/٣؛ وسنن *ابن ماجة*، الزهد ٢٩).
[13] جميع النسخ: يتقدم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٨و.

وعلى ذلك يخرّج تأويل ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ الإيمان يبدو لُمْظَةً[1] بيضاءَ في القلب كلما ازداد عِظَمًا ازداد ذلك البياض فإذا استكمل[2] الإيمانَ ابيضّ القلب كله.[3] ومعنى قوله: "يبدو لمظة[4] في القلب بيضاء" إلى قوله: "حتى يستكمل[5] الإيمان"، عندنا بالأسباب الداعية إلى الإيمان فلا يزال ينشرح منه شيء فشيء حتى يؤمنَ، لا أن يكون الإيمان ذا أجزاء، ولكن للإيمان مقدمات فينشرح شيء فشيء بكل مقدمة منه حتى يفضي به إلى الإيمان.

ثم إنّ الله تعالى سمّى السواتر عن الإيمان بأسامي، مرة قال: طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ،[6] ومرة قال: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً،[7] الآية، ومرة قال:[8] أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا.[9] فكأنّ الذين وُصفوا بالقُفْل على قلوبهم هم الذين انتهَوْا في الكفر غايته حتى لا يُطمع منهم الإيمانُ وهم المتمردون المعتقدون للتكذيب، وهم الرؤساء منهم والأئمة. ومنهم من هو مطبوع على قلبه وهم الذين اعتقدوا الكفر لا عن تمرد وعناد ولكن لِما لم تُلِحْ[10] لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان. وذكر الزجاج أنّ أوّل منازل الستر الغَيْن[11] وهو السِتْر الرقيق كالسحاب الرقيق في السماء يعمل في غشاء القلب غشاءَ السحاب الرقيق للون[12] السماء، ثم إذا[13] ازداد سُمّي رَيْنا، ثم يرتقي إلى الطبع إلى أن يصير كالقُفْل على القلب.

---

[1] ت: اللمظة.

[2] ر م: فاستكمل؛ فإذا استعمل.

[3] قال علي رضي الله عنه: «إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان عِظَما ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل الإيمان ابيضّ القلب كلّه، وإن النفاق يبدو لمظة في القلب، فكلما ازداد النفاق عظما ازداد ذلك سوادا، فإذا استكمل النفاق اسودّ القلب كلّه، وَايْمُ الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود». قال: واللمظة هي الذوقة، وهو أن يَلمُظ الإنسان بلسانه شيئا يسيرا، أي يتذوقه فكذلك القلب يدخل فيه من الإيمان شيء يسير، ثم يتسع فيه فيكثر (شعب *الإيمان* للبيهقي، ١/١٤٤).

[4] ت – بيضاء في القلب كلما ازداد عظما ازداد ذلك البياض فإذا استكمل الإيمان ابيض القلب كله ومعنى قوله يبدو لمظة.

[5] ن: يستعمل.

[6] ﴿ذلك بأنهم استحبُّوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٠٧-١٠٨).

[7] ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٥).

[8] جميع النسخ – قال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٨و.

[9] ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (سورة محمد، ٤٧/٢٤).

[10] ر ن م: لم يلح.

[11] ت م: العين. انظر: *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٢٩٩.

[12] ن: يكون؛ م: بلون.

[13] ر ت م – إذا.

وفي هذا دليل على أن لله[1] تعالى تدبيرا وصنعا في أفعال العباد، لأنه أنشأ الكفر ظلمة في القلب حتى تمنعه[2] تلك الظلمة عن درك الخيرات ونور الإيمان؛ إذ كلّ مَن اعتقد الكفر فهو ليس يعتقده ليمنعه عن درك الأنوار، وإذا لم يوجد منه هذا ثبت أنه صار كذلك بتدبير الله تعالى وصنعه؛ إذ لا يجوز أن تحدث[3] الظلمة في القلب إلا بمحدِث لها، وإذا انتفى الصنع من الكافر[4] ثبت أنه بتدبير الله تعالى ما صار كذلك، وأنه أنشأه مظلما. *والله الموفق*.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **كلّا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**. اختلف في قوله: **يومئذ**. فذكر أبو بكر الأصم أنّ هذا في الدنيا، يقول: إنهم حُجِبوا عن عبادة ربهم بما عَبَدوا غيرَ الله تعالى فصارت عبادتُهم غير الله حجابا من عبادته. وذكر أهل التفسير أنّ هذا في الآخرة. ثم منهم من يقول: إنهم حُجِبوا عن لقاء ربهم. وأوجبوا بهذا القول الرؤية[5] للمؤمنين. ومنهم من يقول: هم محجوبون، أي عن كرامته[6] التي أعدّها لأوليائه وعن رحمته، فعوقبوا بالحَجْب عن ذلك جزاءً لصنيعهم؛ لأنهم في الدنيا ضَيّعوا نِعَم الله فلم يقبلوها بالشكر، ولم يؤمنوا برسوله الذي بعثه رحمة للعالمين، فأُبلِسوا من رحمته وكرامته في الآخرة عقوبةً لهم ومجازاةً، وهو كقوله تعالى: نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ،[7] أي جعلهم كالشيء المنسيّ الذي لا يُعبأ به؛ فعلى ما وُجِد[8] منهم[9] من المعاملة لآياته وحججه بتركهم الالتفات إليها عوملوا بمثله في الآخرة. وقال في آية أخرى: قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا.[10]

---

[1] ر: أن الله.
[2] جميع النسخ: يمنعه.
[3] ر ث م: يحدث.
[4] ر ث م: الكلام.
[5] جميع النسخ: بالرؤية. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٨و.
[6] ر م: أي عن ذكر الله تعالى.
[7] ﴿نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٧).
[8] جميع النسخ: وجدت.
[9] ر ث م – منهم.
[10] سورة طه، ٢٠/١٢٥.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ [١٦]

وقوله عز وجل: **ثم إنهم لصالو الجحيم**، فمن صَرف الحَجْب إلى الدنيا فهو يقول: ثم إنهم يَصلَون الجحيمَ بعد ما عبدوا غير الله تعالى وحُجِبوا عن عبادته. ومن صَرف التأويل إلى أمر الآخرة فهو يقول: إنهم يَصلَون الجحيم بعد ما يظهر فيهم من أثر الحجاب من سواد الوجوه وإعطاءِ الكتاب بشمالهم ومن وراء ظهورهم.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[١٧]

[٨٩٣ظ] وقوله عز وجل: **ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون**، تأويله أنهم / يُعرَفُون أنهم صَلُوها بتكذيبهم بها وحُجِبوا عن الله تعالى بتكذيبهم بذلك اليوم، وإلا لو آمنوا وأقرّوا أن النار حق والبعث حق لم يكونوا يَصْلَوْنها؛ فيُعَرّفون حتى يُقِرُّوا بذلك، بقوله:[١] فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ.[٢]

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[١٨] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾[١٩] ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **كلّا إنّ كتاب الأبرار لفي عليين**، فذَكَر الأبرار هاهنا مقابل الفجار في الأول. ثم بيّن الفجار أنهم المكذبون بيوم الدين. وذلك أول منازل الكفرة،[٣] فإذا أريد بالفجار[٤] الكفارُ أريد بالأبرار الذين آمنوا، فلذلك قيل بأن الأبرار هم المؤمنون. والبَرُّ هو الذي يَكثُر[٥] منه تعاطي فعل البِرّ، فيسمَى[٦] بارّا إذا كَثُر منه البِرّ.[٧] والفاجر هو الذي يَكثُر[٨] منه فعلُ الفجور. فجائز أن يكون الوعيدَ في الذين بلغوا في الفجور غايتَه ويكون حكمُ من دونهم متروكا ذكرُه فيوصَل إلى معرفة حكمه بالاستدلال. ويكونُ الوعد في الذين أكثروا أفعال البِرّ ويكون حكمُ من دونهم معروفا بغيره من الأدلة.

---

[١] ن: لقوله.
[٢] سورة الملك، ١١/٦٧.
[٣] ن ث: الكفر.
[٤] ر ث م: الفجار.
[٥] ن: يكبر.
[٦] ر ن م: يسمى.
[٧] ن - البر.
[٨] ن: يكبر.

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **يشهده المقرّبون**، فذَكَر شُهودَ المقرَّبين[١] في ذكر كتاب الأبرار، ولم يذكر شهودهم عند ذكر كتاب الفجّار، فجائز أن يكون شهودُهم على التعظيم لعلمه[٢] والدعاء له وغير ذلك. وقيل: المقرّبون هم مقرّبو[٣] أهلِ كلّ سماءٍ.[٤]

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **إن الأبرار لفي نعيم**، فالبَرّ هو الذي يبذُل ما سئل عنه ويجيب إلى ما دعي إليه، فإذا أجاب الله تعالى فيما دعاه إليه من التوحيد وَوَفّى بأوامره وانتهى عن مناهيه فهو من الأبرار. ثم ما ذكرنا يكون بوجهين. أحدهما[٥] بالاعتقاد وبتحقيقه بالفعل والمعاملة؛ فهذا قد وَفى بما طُلب منه قولا وفعلا فيكون هذا ممن يُقطَع فيه القولُ باستيجاب الوعد المذكور للأبرار. والثاني أن[٦] يقوم بوفاء ما طُلِب منه اعتقادا ولم يَفِ ما اعتقده بفعله، فالحكم في مثله الوقفُ ولا يُقطَع فيه القولُ باستيجاب الموعود، بل لله تعالى أن يجازيه بما ضَيّع من حفظ حدوده بقدر ما وُجد من التضييع ثم يُلحِقه[٧] بأهل كرامته، وله أن يعفو عنه بفضله وسعة رحمته.

والفجور هو الميل. والميل يكون بوجهين. أحدها بترك الاعتقاد والفعل جميعا، و[الثاني] ميلٌ في المعاملة، وهو أن يخالف فعلُه عَقْدَه. فالذي وُجد منه الميل عن الوجهين جميعا يَحُلّ[٨] به ما أُوعِد لا محالة. وأما الذي خالف فعلُه عقده فإنه يُوقف[٩] فيه ولا يُشهَد أنه من جملة من يَلحقهم الوعيد لا محالة.

ثم قد[١٠] ذكرنا أنّ البِرّ إذا ذُكر على الانفراد أريد به ما يراد بالتقوى أو البِرُّ جميعا، وكذلك التقوى إذا أُفرِد اقتضى معنى البر. فإذا قُرنا جميعا أريد بالتقوى جهةٌ وبالبِرّ جهةٌ.

---

[١] ر م: المقربون.
[٢] ر م: بعلمه.
[٣] جميع النسخ: مقربوا.
[٤] جميع النسخ: السماء. والتصحيح من *تفسير الطبري*، ٢١٢/٢٤.
[٥] ر م: إحداهما.
[٦] ن + يكون.
[٧] ر ن م: يلحق.
[٨] ر م: يحمل.
[٩] جميع النسخ: توقف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٨ظ.
[١٠] ر – قد.

وذلك أن التقوى هو أن يُتَّقَى المهالكُ، وذلك يكون بالإجابة إلى ما دعي[1] إليه قولا وفعلا، والانتهاءِ عما نُهِي عنه قولا وفعلا. وهذا هو معنى البِرّ أيضا. فإذا ذُكِرا[2] معا أريد بالتقوى الاجتناب عن المحارم، وأريد بالبِرّ إتيان المحاسن. وكذلك الإيمان إذا ذكر بالانفراد[3] أريد به ما يقتضي الإسلامُ من المعنى والإيمانُ جميعا. وكذلك الإسلام يقتضي معنى الإيمان إذا ذكر بالانفراد؛ لأن الإسلام هو أن ترى[4] الأشياء كلَّها سالمة لله تعالى، ولا تَجعلَ[5] لأحد فيها شركا؛ والإيمان أن تصدّق[6] الله تعالى بأنه ربّ كلّ شيء، وإذا صدّقتَ أنه ربّ كلّ شيء فقد جعلتَ الأشياء كلَّها سالمة له. فهذا معنى قولنا:[7] إنه يراد بالإيمان إذا ذُكِر بالانفراد ما يراد بالإسلام، فإذا ذُكرا[8] معا أريد بالإسلام ما يقتضيه ظاهرُه من جَعْل الأشياء كلِّها سالمةً له، وأريد بالإيمان ما يقتضيه ظاهرُه، كقوله: إنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[9] الآية. وكذلك هذا[10] الحكم في الخوف والرجاء إذا ذُكِر كل واحد[11] من الحرفين مفردا اقتضى كلُّ واحد منهما معنى الآخر، وإذا ذُكِرا معا أريد بكل[12] واحد منهما ما يقتضيه ظاهرُه ولم يُصرَف إلى ما يراد بالآخر.

وقوله عز وجل: **لفي نعيم**، فجائز أن يكون هذا في الآخرة، يصفهم أنهم أبدا في نعيم. وجائز أن يكونوا في نعيم في الدنيا[13] والآخرة معًا،[14] فيكونون في الدنيا في نعيم العقول دون نعيم الأبدان؛ وذلك أنهم يُطيعون العقلَ فيما يدعوهم إليه فيتنعّمون بعقولهم،

---

[1] ر م: دعا.
[2] ر م: فإذا ذكر.
[3] جميع النسخ: إذ بالانفراد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٨ظ.
[4] ر ث م: أن يرى.
[5] ر ث م: ولا يجعل.
[6] جميع النسخ: أن يصدق. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: قوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر م: فإذا ذكر.
[9] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٥.
[10] ر م - هذا.
[11] ر م: أحد.
[12] م: كل.
[13] ن م: في نعيم الدنيا.
[14] ر م - معا.

لكنّ الذي يدعوهم إليه عقولهم ما تأبى[١] أنفسهم الإجابةَ له ويشتدّ عليها ذلك، فهم في نعيم العقول لا في نعيم الأبدان. ونعيم الآخرة نعيم البدن والعقل جميعا؛ فيتنعّم أنفسهم وعقولُهم ولا يُحمَّلون ما تأبى[٢] أنفسُهم احتمالَها. قال الله تعالى: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً،[٣] وقال تعالى: [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ] فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً،[٤] الآية؛ فثبتَ أنهم في الدنيا والآخرة[٥] لفي نعيم.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾[٢٣]

وقوله: **على الأرائك ينظرون**، قد ذكرنا أنّ كلّ ما تتشوّق[٦] إليه[٧] الأنفس وتشتهيه[٨] في الدنيا فعلى مثله جرت البِشارة لأهل الجنة في الدنيا. وذُكِر أنّ أهل اليمن كان إذا شرُف قدرُ أحدهم وعلتْ[٩] رتبته في الدنيا اتخذ لنفسه أريكة نسبت إليه فيقال: هذه أريكة فلان. فجرت البشارة لأهلها بالأرائك لِما يُرغَب إلى مثلها في الدنيا، لا أنّ[١٠] أرائكها / شبيهة [٨٩٤و] بالأرائك التي تتخذ[١١] في الدنيا؛ لأنّ أرائك الجنة مطهَّرة من الآفات التي[١٢] هي آثار الفناء، لكنّها ذكرت بهذا الاسم لما لا وجهَ بالوصول إلى تعرفها بغير اسم المعتاد فيما بين الخلق. والأريكة هي السُرُر[١٣] في الحِجال.

وقوله عز وجل: **ينظرون**، يحتمل وجهين.[١٤] أحدهما أن يقع النظر في الحَجَل، وذلك عن تلاقي الإخوان واجتماعهم على الشراب. والنظر الثاني يكون إلى مملكته، فيكون ذلك خارجا من الحِجال،

[١] ر ث م: تأتي.
[٢] ر ث م: تأتي.
[٣] سورة النحل، ٤١/١٦.
[٤] سورة النحل، ٩٧/١٦.
[٥] ر: وفي الآخرة.
[٦] ن: يتوق.
[٧] ر ث م – إليه؛ ن: إليها.
[٨] ر م: وتشتهي؛ ن ث: ويشتهي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٩و.
[٩] ن – وعلت.
[١٠] ن ث: لأن.
[١١] ر ث م: يتخذ.
[١٢] ن ث: اللاتي.
[١٣] ر ن م: السرير.
[١٤] ر م: يحتمل أن يكون.

على ما روي عن النبي[1] صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنّ الرجلَ من أهل الجنة لَيَرى جميعَ ما لَه بنَظْرة واحدة، وأقلُّ ما يُعطَى الرجلَ مثلُ سَعَة الدنيا وعرضِها»،[2] فذلك النظر[3] يجاوز عما في الحِجال فيقع خارجا منها.

﴿تعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **تعرف في وجوههم نضرة النعيم**، أي تعرف -لو نظرت في وجوههم- نضرةَ النعيم. فجائز أن تكون[4] النضرة منصرفة إلى نفس الخلقة، وهو أنهم أُنشئوا على خلقة لا تتغير[5] ولا تفنى بل بَهجَة نَضِرَة. أو تكون[6] نضارتهم بما أُنعِموا من النعيم. ثم خُصَت الوجوه لأن النظر[7] من بعض إلى بعض يكون إلى الوجوه،[8] لا إلى غيرها من الأعضاء؛ فخُصَّت الوجوه بالذكر لهذا، لا أن تكون[9] النضرة لها خاصة، بل النضرة تشتمل[10] سائرَ البدن. والثاني أنّ السرور إذا اشتدّ في القلب أَثَّر في الوجه،[11] وكذلك الحزن يُؤثِّر[12] في الوجه إذا اعترى في القلب؛ فيكون في ذكر[13] نضرة الوجه إخبارٌ عن غاية ما هم عليه من السرور.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾[٢٥] ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٢٦]

وقوله: **يسقون من رحيق مختوم**، قال بعضهم: الرحيق هو الخمر الذي لا غِشّ فيه، وهو أن يكون مطهَّرا من الآفات. وقال بعضهم: هو شيء أعده[14] الله لأوليائه لم يُطلعهم

---

[1] ن: من النبي.

[2] قال عليه السلام: «يلحظ المؤمن فيحيط بكل ما آتاه الله وإن أدناهم يتراءى له مثل سعة الدنيا» (*مفاتيح الغيب* للرازي، ٩٨/٣١).

[3] م – النظر.

[4] جميع النسخ: أن يكون.

[5] جميع النسخ: لا يتغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٩و.

[6] جميع النسخ: أو يكون.

[7] م: لأن النظرة.

[8] ن + لا إلى الوجود.

[9] جميع النسخ: لا أن يكون.

[10] جميع النسخ: يشتمل. والتصحيح من المرجع السابق.

[11] ر ن م: في الوجوه.

[12] جميع النسخ: يتأثر. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] ر م: ذكره.

[14] جميع النسخ: أعد. والتصحيح من المرجع السابق.

على ماهيته[١] في الدنيا على ما قال: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ،[٢] فهو شراب تَقَرّ به[٣] أعينُهم مما أُخفِي لهم إلى الوقت الذي يشربونه.

وقوله عز وجل: **مختوم ختامه مسك**، فجائز أن يكون راجعا إلى حال الإناء الذي فيه الرحيق، وهو أنه مختوم لم تتناوله[٤] الأيدي. وكذلك ترى المرءَ في الدنيا يختم نفيس شرابه الذي في الإناء بالفِدام في الدنيا. فيخبر أنّ ذلك الشراب في الإناء على الوجه الذي كانوا يُؤثِرونه في الدنيا، وأخبر أنّ ختامه بأَنْفَسِ شيء عرفوه في الدنيا، وهو المسك، ليس كالختام في الدنيا لأنهم يختمون أوانيهم في الدنيا بالشيء الرَّذْل وبما لا قدر[٥] له عندهم. وجائز أن يكون منصرفا إلى الشاربين أنهم لا يشربون أبدا، بل يكون لهم[٦] ختمٌ، ولكن لا تنقطع[٧] لذةُ الشراب عنهم بل أبدا يجدون من ذلك ريح المسك.

*وقيل: **ختامه مسك**، ما بقي في الكأس من البقية يكون ذلك مسكا.* [٨٩٤و س٢٥]

وقوله: **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**، فجائز أن يكون أراد به الشرابَ الذي وَصَفَه في قوله: [**يُسْقَوْنَ مِن**][٩] **رحيق مختوم**.[١٠] والتنافس حرف يستعمل في الخيرات، كأنه يقول: فليرغبوا في الشراب الذي هذا وصْفه الذي لا غَوْلَ فيه ولا هم [عنه] يُنزَفون،[١١] لا في الشراب الذي يذهب[١٢] العقولَ[١٣] ويُضعِف الأبدان ويُتلف الأموالَ. أو فليتنافسوا في النعيم الذي وُصِف هاهنا، لا في النعيم الذي ينقطع ولا يدوم. فكأنه يقول: فليرغبوا فيما يُعقِب[١٤] لهم

---

[١] ر: مابتيهيا؛ ن: ماتيتها؛ ث: مايثتها؛ م: مآيتها.
[٢] سورة السجدة، ١٧/٣٢.
[٣] ر م: بهم.
[٤] جميع النسخ: لم يتناوله.
[٥] جميع النسخ: وبما قدرة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٩و.
[٦] جميع النسخ: له. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: لا يقطع.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٩٤و/سطر ٢٥.
[٩] الزيادة من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ + الآية. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنْزَفون﴾ (سورة الصافات، ٤٧/٣٧).
[١٢] ر - يذهب.
[١٣] جميع النسخ: بالعقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] جميع النسخ: تعقب.

النعيم الدائم والشراب الذي لا تنقطع[1] لذّته.* و[ذلك][3] التنافس[4] إنما يكون بالمسارعة[5] في الخيرات وترك الاتباع للشهوات والانتهاءِ عن المعاصي، وهو كقوله: لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ،[6] أي فليكن عملهم بما يُثمِر لهم ما ذُكِر من النعم،[7] لا في الذي ينقطع ويكون عُقْباه النار.

﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **ومزاجه من تسنيم**، قيل: التسنيم شيء أعدّه الله تعالى لأوليائه لم يُطلعهم عليه في الدنيا، وهو من قرة الأعين التي لا تعلمها[8] الأنفس. فوُصف مرة المزاجُ[9] بالمسك، ومرة بالكافور بقوله: كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا،[10] ومرة أُخبر أنه ممزوج بالتسنيم، ولم يُبيّن ما التسنيم؟ والسَّنام [اسم][11] ما ارتفع من الشيء. فيجوز أن يكون سُمِّي تسنيما لأنه ينحدر إليهم من الأعلى. وأُخبر أنه ممزوج بما[12] إلى مثله ترغب الأنفس في الدنيا وتشتاق[13] إليه. ألا ترى أن الشراب في الدنيا إذا كان ممزوجا فهو في القلوب أوقعُ منه، وتكون[14] الأنفس إليه[15] أرغبَ منه إذا كان غيرَ ممزوج، فرُغِّبوا بمثله في الآخرة. وذَكَر بعض أهل التفسير أنّ المقربين يُسقَون من ذلك الشراب صِرْفا، ويُمزَج لغيرهم. وقال الحسن: المِزاج يكون للمقرّبين وغيرهم، وجعل الممزوج منه أشرفَ على ما ذكرنا.

---

[1] جميع النسخ: لا ينقطع.

* وقعت هنا قطعة متأخرة عن موضعها فقدمناها إلى محلها. انظر: ورقة ٨٩٤و/ سطر ٢٥.

[3] الزيادة من *الشرح*، ٣٢٩و.

[4] ر م: لذته التنافس.

[5] جميع النسخ: في المسارعة. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] سورة الصافات، ٦١/٣٧.

[7] ر ن م: من النعيم.

[8] جميع النسخ: لا يعلمها.

[9] جميع النسخ: بالمزاج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٩ظ.

[10] سورة الإنسان، ٥/٧٦.

[11] الزيادة من المرجع السابق.

[12] جميع النسخ: لما.

[13] ن ث: ويشتاق.

[14] جميع النسخ: ويكون.

[15] ر م: إليها.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **عينا يشرب بها المقرّبون**، والمقرّبون[١] هم الذين يسارعون في الخيرات في الدنيا، فتركوا مُنَى الأنفس واتقَوا المهالك والزلاتِ فهم المقرّبون. وأضاف التقريب إلى الغير لأنهم بغيرهم ما وُفِّقوا لاكتساب الخيرات وعُصِموا عن ارتكاب المهالك والزلات، لا بأنفسهم؛ فنالوا فضلَ التقريب[٢] بما أجهدوا أنفسَهم في الدنيا للأمور التي ذكرنا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾[٢٩] ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون**، فوجه ذكْر صنيع[٣] الكفرة بالمؤمنين في القرآن وجعلِه آيةً تتلى،[٤] / [٨٩٤ظ] وإن كان المؤمنون بذلك عارفين، يُخرّج على ثلاثة أوجه. أحدها في تبيين[٥] موقع الحجج في قلوب المؤمنين وعملها بهم، وذلك أن المؤمنين لما سَخَتْ أنفسُهم باحتمال الأذى والمكروه من الكافرين انتصبوا لمعاداة[٦] آبائهم وأجدادهم وأهاليهم، ورَفَضوا شهواتِهم وتركوا أموالهم واختاروا اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينِه. ومعلوم أنهم لم يُحمِّلوا أنفسَهم كلَّ هذه المُؤَن طمعا ورغبة في الدنيا لِما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يُرغَب في مثله من نعيم الدنيا؛ فثبت أنَ الحجج هي التي حملتهم ودعتهم إلى متابعته لا غير. فيكون فيما ذكرنا تثبيتُ رسالته وإن لم يكن في الآية إشارة إلى الحجج التي اضطرّتْهم إلى تصديقه والانقيادِ له؛ فيكون في ذكره تقريرٌ لمن تأخر عنهم من المؤمنين لرسالته عليه السلام.

والثاني أنّ أولئك المؤمنين صبروا على ما نالهم من المكاره، واستقبلهم من أنواع الأذى في قيامهم بأمر الله تعالى ليكونَ في ذكره تذكيرٌ لمن تأخرهم من المؤمنين أنّ عليهم الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكر، وأنه لا عذرَ لهم في الامتناع عن القيام بما ذكرنا وإن نالهم من ذلك أذًى ومكروهٌ. بل الواجب عليهم الصبر على ما يصيبهم، والقيامُ بما يَحِق عليهم.

---

[١] ن ث: فالمقربون.
[٢] ن ث: التقرب.
[٣] ن: صنع.
[٤] ر ث م: يتلى.
[٥] م: في تبين.
[٦] ر: لمعادات.

أو ذَكَر ما لقي الأوائلُ من السلف من المعاداة والشدائد من الكفرة بإظهارهم دينَ الإسلام، ثم نِلنا نحن هذه الرتبة وأُكرِمْنا بالهدى بلا مشقة وعَناء، لنشكر[1] الله تعالى بذلك ونحمده عليه لعظيم[2] آلائه[3] لدينا وجزيل مننه علينا.

وقوله عز وجل: **من الذين آمنوا يضحكون**، فَضِحْكهم يكون لأحد وجهين. إما على التعجب منهم أن كيف اختاروا متابعة محمد صلى الله عليه وسلم، وحمَّلوا أنفسهم في الشدائد، ورَضُوا بزوال النِعَم[4] عنهم من غير منفعة لهم في ذلك؛ وهم قوم كانوا لا يؤمنون بالبعث فكانوا يكذّبون بما وُعِد المؤمنون من النعيم في الآخرة؛ فكان يحملهم ذلك على التعجب فيضحكون متعجبين منهم. أو كانوا يضحكون على استهزائهم بالمؤمنين، يقولون: إن هؤلاء آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدّقوه فيما يُخبرهم من نِعم[5] الآخرة، ولا يعرفون أنه كذلك، فكانوا يُجهِلون المؤمنين على ما جَهِلوا بأنفسهم، وظنّوا أن لا بعث ولا جنة ولا نارَ.

قال أبو بكر [الأصم]: المجرم هو الوثّاب في المعاصي. وذكر أبو بكر أن في ذكر صنيع الكفار بالمؤمنين دلالةَ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أنهم كانوا يضحكون عن المؤمنين ويتغامزونهم وينسبونهم إلى الضلال سرّا من المسلمين، فأطلع اللهُ تعالى نبيّه[6] عليه الصلاة والسلام على ما أسرّوا من الأفعال ليجعل لهم من أفعالهم حجةً عليهم لنبوته ورسالته عليه السلام. [وقوله تعالى: **وإذا مروا بهم يتغامزون**، يَغمِز بعضهم بعضا].[7]

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين**، قال بعضهم: لاهين أو مُعجَبين بحال المؤمنين أو مسرورين،[8] كما قال تعالى: إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا.[9]

---

[1] ر ث م: نشكر؛ ن: ليشكر.

[2] ر م: لعظمة.

[3] ر م: ثنائه؛ ن: ءلائه.

[4] ر ث م: النعيم.

[5] جميع النسخ: من نعيم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٢٩ظ.

[6] م: بنبيه.

[7] الزيادة من المرجع السابق.

[8] ر م: ومسرورين.

[9] ﴿وأما من أوتي كتابه وراءَ ظَهْرِه فسوف يدعو ثُبورا ويَصْلَى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا﴾ (سورة الانشقاق، ١٠/٨٤-١٣).

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون**، فيجوز أن يكونوا نسبوهم إلى الضلال لتركهم دينَ آبائهم، ورأوا ما اختاروه من تحمّل الشدائد ورضُوا بضِيقٍ[١] من العيش ضلالا منهم.

﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **وما أرسلوا عليهم حافظين**، أي لم يُرسَلوا بحفظ أعمال المسلمين. فيكون في ذكر هذا تسفيهُ أحلامهم، وهو أنهم تركوا النظرَ[٢] في أحوال أنفسهم وجعلوا يَعدّون على المسلمين عيوبهم كأنهم[٣] أُرسِلوا عليهم حُفَّاظا، وما أرسلوا. أو يكون هذا إخبارا عن الكفار أنهم يقولون: ما أُرسِل على أحد حافظٌ يحفظ عليه أعمالَه، فيكون هذا على الإنكار منهم بالكرام[٤] الكاتبين.

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون**، ويكون ضِحكهم على المجازاة[٥] للكفرة بما كانوا يَضحكون منهم في الدنيا.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾[٣٥] ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **على الأرائك ينظرون**، فمنهم من وقف على قوله: **على الأرائك**، ومنهم من رأى موضع الوقف على قوله: **ينظرون**. فإذا وُقِف على قوله: **على الأرائك**، كان معناه أنهم ينظرون هل جوزي الكفار ما أوعدهم الرسل في الدنيا أو لا بعدُ؟ وإذا وُقِف[٦] على قوله: **ينظرون**، كان قوله تعالى: **هل ثوب الكفار**، أي قد جوزي الكفار **ما كانوا يفعلون**، فهم ينظرون كيف يعاقَبون؟

---

[١] ر م – بضيق.
[٢] ن + وهو أنهم تركوا النظر.
[٣] ر م – كأنهم.
[٤] جميع النسخ: بكرام. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٠و.
[٥] ر م: على المجازات.
[٦] جميع النسخ: وإذا وقفت. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم القول أن كيف احتملت أنفسهم النظرَ إلى الكفار بما هم فيه من التعذيب؟ والمرء إذا رأى أحدا في شدة العذاب لم يحتمل طبعه ذلك ويُنغَّص[1] عليه العيشُ. فجائز أن يكون الله تعالى أنشأهم على خلقة لا تقبل المكاره ولا تجدها بل تنال[2] اللذاتِ كلَّها والمَسارَّ. أو ارتفع عنهم المكروه لبلوغ العداوة بينهم وبين أهل النار غايتَها. وكذلك نرى[3] المرء في الشاهد إذا عادى إنسانا واشتدت[4] العداوة فيما بينهما، ثم رآه يُعذَّب بألوان العذاب لم يَثْقُل عليه ذلك، بل أحبّ أن يُزاد منه. ثم جائز أن يُرفَع إليهم أهل النار إذا اشتاقوا النظر إليهم فيرونهم، أو يُجعَل في بصرهم من القوة ما ينتهي إلى ذلك المكان.

[٨٩٥و] / ثم ذكر بعضهم أن هذه السورة مكية، ومنهم من ذكر أنها نزلت بين مكة والمدينة وهي مكية، ومنهم من ذكر أن أولها مدنية وآخرها مكية. **والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.**[5]

[1] ر ث م: ويغص. نَغَّصَ فلانا: كَدَّر عليه. يقال: نَغَّصَ عليه عيشَه (*المعجم الوسيط*، «نغص»).

[2] جميع النسخ: لا يقبل المكاره ولا يجدها بل ينال.

[3] جميع النسخ: يرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٠و.

[4] م: واشتد.

[5] ر ث – وإليه المرجع والمآب؛ ن – بالصواب وإليه المرجع والمآب؛ ث + الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانشقاق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[١] ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[٢]

قوله عز وجل:[2] **إذا السماء انشقت**، هو جوابُ سؤال تقدّمَ، لِما ذكرنا أنّ حرف "إذا" حرف جوابٍ، وليس بحرف ابتداء؛[3] فكأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ملاقات[4] الأعمال: متى وقتها؟ فقال تعالى: **إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت**، فذلك[5] وقتُ ملاقات[6] الأعمال. وقيل: ذُكر في الخبر أنّ أخوينِ أحدهما مسلم والآخر كافر، قال للمسلم: أتُرانا[7] بعد الموت مبعوثين؟[8] فقال له: بلى، والذي خلقك والجِبِلَّةَ الأوّلين، فنزلت هذه السورة تبين[9] لهم وقتَ بعثهم أنّه عند انشقاق السماء ومدّ[10] الأرض ونحوه.

---

[1] ر – سورة الانشقاق؛ ن م: سورة إذا السماء انشقت؛ ث + وهي خمس وعشرون آيات مكية.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] انظر مثلا عند تأويل قوله تعالى الآية ١ من سورة التكوير.

[4] ن: عن ملاقاة.

[5] ر م: فكذلك.

[6] ن: ملاقاة.

[7] جميع النسخ: أترابا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٠و.

[8] ن ث: مبعوثون.

[9] ن: يبين.

[10] ن: ومنه.

ثم ذَكَر الجواب في ابتداء السورة ليكون المرء أَذْكَرَ[1] لها، لأنه[2] يكون أدعى[3] لها، وإذا ذُكر في وسط السورة لم يُتحفَّظ إلا بالتلاوة. ولهذا المعنى -والله أعلم- جُعلت ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓر﴾ و﴿كٓهيعٓصٓ﴾ و﴿طٰهٰ﴾ رءوسَ السور؛ لأن الكفرة[4] كانت من عادتهم الإعراضُ عن القرآن وتركُ الاستماع إليه ليفهموه؛ فابتُدئت السورة بما ذُكر[5] من الرموز والإشارات ليحملهم ذلك على الفكر[6] فيه والنظر؛ إذ[7] لم يكن سبق منهم[8] العلم بمعرفة ما يراد من قوله: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓر﴾. ثم ذَكَر انشقاقَ السماء ومدّ الأرض وإلقاءها[9] لما جُعل فيها ليعرفوا شدة ذلك اليوم فيخافوه ويستعدّوا له.

وقوله عز وجل: **وأذنت لربها وحُقّت**، قيل: سمعت لربها وأطاعت وأجابت إلى ما دعيت إليه. ثم المراد من الإذن مختلِف، فحقّه أن يُصرَف كل شيء إلى ما هو الأولى به.[10] ألا ترى أنّك إذا قلت: أَذِن الرجل لعبده في التجارة، فلستَ[11] تريد بقولك[12] "أذن" ما تريد[13] به إذا أذنتَ لغيرك أن يتناول[14] من طعامك، بل تريد بالإذن للعبد الأمرَ بأن يتّجر[15] حتى لو لم يفعل تلومه على ذلك، وتريد بالآخر إباحة التناول. قال الله تعالى: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا،[16] وقال في موضع آخر: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ،[17]

---

[1] ر م: ليكون المراد ذكر؛ ن: ليكون المراد ذكر؛ ث: ليكون المرء ذاكرا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٠و.
[2] ر: لأن.
[3] ن ث: أوعى.
[4] ر: لأن الكفر.
[5] جميع النسخ: بما ذكرت. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م: على الكفر.
[7] جميع النسخ: إذا.
[8] م: منه.
[9] جميع النسخ: وألقاها. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] م: فيه.
[11] ن: فليست.
[12] ر م: لقولك.
[13] ن ث: ما يريد.
[14] م: أن يتناولوا.
[15] ر: أن يتجي.
[16] سورة آل عمران، ١٤٥/٣.
[17] ث + وقال في موضع آخر. سورة يونس، ١٠٠/١٠.

فكان المراد من الإذنين مختلفا؛ فثبت أن حقه أن نحمله[١] إلى ما[٢] إليه أَوْجَهُ، وهو إلى الطاعة والإجابة هاهنا أوجه، لذلك حملوه عليه.

وقوله عز وجل: **وحُقَّت**، أي حُقّ لها أن تَسمع[٣] وتطيع. وجائز أن يكون الإجابة[٤] منصرفةً إلى أهلها، ثم نسب إليها ذلك وإن كان المراد منه الأهلَ، كقوله تعالى: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا،[٥] ولا يوجد من القرية عُتُوّ وإنما يوجد من أهلها. فإن كان كذلك ففيه أنه لا يتخلّف أحدٌ عن الإجابة[٦] إلى ما دعاه إليه الربُّ تعالى خلافا لما كانوا[٧] عليه في الدنيا، فإن كثيرا من أهل الدنيا أعرضوا عن طاعته واشتغلوا بمعصيته.

ثم الإجابة والطاعة والطوع والكَره ومثل هذه الأوصاف إذا أضيفت إلى من هو من أهل الاختيار فهو على الطوع المعروف والإجابة المعروفة؛ وإذا أضيفت[٨] إلى من ليس هو من أهل الاختيار فهو على تغيّر[٩] الهيئة على ما عليه الخلقة، نحو الأرض توصف[١٠] بالحياة[١١] إذا أنبتت، وتوصف[١٢] بالموت إذا يبس ما عليها[١٣] وصارت مُتهشِّمة، ويراد[١٤] بها[١٥] أنها[١٦] صارت بهيئة لو وجدت تلك الهيئة في الروحانيين لصار أحدهما عَلَما لحياته والآخرُ علما لوفاته. وقال تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ[١٧] فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ،[١٨]

---

[١] جميع النسخ: أن يحمله.
[٢] ر ث م + دعاه.
[٣] ن: يسمع.
[٤] جميع النسخ: للإجابة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٠و.
[٥] سورة الطلاق، ٦٥/٨.
[٦] جميع النسخ: من الإجابة.
[٧] جميع النسخ: على ما كانوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث م: وإذا أضيف.
[٩] ر ث م: على تعيين؛ ن: على تعيير. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: يوصف. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ن: الحياة.
[١٢] جميع النسخ: ويوصف. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر ث م: إذا يبس عليها.
[١٤] ر: فراد؛ م: فراه.
[١٥] جميع النسخ: بهما. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] ر ث م: أنهما.
[١٧] جميع النسخ: ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وقوله (ر: قوله) تعالى.
[١٨] سورة فصلت، ٤١/١١.

وهما لا توصفان[1] بطوع ولا بكراهة،[2] ولكن[3] خلقتا على هيئة لو وُجدت تلك الهيئة فيمن وُصف بالطوع والإكراه كان ذلك منه طوعا. وقال إبراهيم عليه السلام: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ،[4] وهي[5] في الحقيقة لا تُضلّ ولكنها أنشئت على هيئة لو كانت تملك[6] الإضلال لَعُدّ[7] ذلك منها إضلالا.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وإذا الأرض مدت**، قيل بُسطت وسوّيت بكَبْس[8] الشِّعاب والأودية بالجبال أو بما شاء[9] فصارت[10] قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا.[11]

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[٤] ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **وألقت ما فيها وتخلت**، أي ألقت ما وضع فيها من الموتى والكنوز فتخلت عنها. فنسب التخلي إليها وإن كان مَن فيها هو الذي خلا عنها فكانت[12] هي الحابسة لأنه إذا خلا عنها[13] خَلَتْ هي عنه.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا**، الكادح هو الساعي وهو الذي اعتاد ذلك. وهذا في كل إنسان[14] تراه أبدا ساعيا إما في عمل الخير أو في عمل الشر،[15]

---

[1] جميع النسخ: لا يوصفان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٠ظ.
[2] ر ث م: ولا كره؛ ن: وإكراه. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر م – ولكن.
[4] سورة إبراهيم، ٣٦/١٤.
[5] ر م – وهي. أي الأصنام.
[6] ن: يملك.
[7] ر ث م: يعد.
[8] ر: بكسر. كبَس الحفرة يكبِسها كَبْسا: طواها بالتراب وغيره (*لسان العرب*، «كبس»).
[9] ر ث م: أو تماسا؛ ث: والجبال أو تماسا.
[10] جميع النسخ: فصار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٠ظ.
[11] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾ (سورة طه، ١٠٦/٢٠-١٠٧).
[12] جميع النسخ: وكانت. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: إذا عنها خلا عنها؛ م + ما فيها وتخلت أي ألقت ما وضع فيها.
[14] جميع النسخ: كل الإنسان. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ر ن ث م: أو عمل الشر.

أو فيما / ينفعه أو فيما يضره حتى لو همّ بترك السعي لم يقدر؛ لأنّ تركه السعيَ نوع من السعي. [٨٩٥ظ] وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال، حين تلا هذه الآية: «أنا ذلك الإنسان»؛ فهذا ليس أنه هو المخصوص بالخطاب لأنه بيّن الإنسان فقال: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ،[١] الآية. [وقال:][٢] وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ،[٣] ولا يجوز أن يكون هو المرادَ بهذا كله. فكل أحد على الإشارة إليه[٤] مرادٌ بقوله تعالى: **يا أيها الإنسان**، فلذلك[٥] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا ذلك الإنسان».

وقوله عز وجل: **إلى ربك كدحا**، فجائز أن يكون معناه أنِ اجعلْ كدحَك إلى ربك في أن تسعى[٦] في طاعته وطلب مرضاته، فإنك ملاقيه لا محالة، أي تلاقي جزاء عملك إن خيرا فخير وإن شرا فشر. وجائز أن يكون الملاقات كناية عن البعث؛ إذ البعث قد يُكنّى عنه بلقاء الرب، قال الله تعالى: فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ.[٧]

وسُمّي ذلك اليوم يوم المصير إلى الله تعالى ويومَ البروز بقوله تعالى: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا.[٨] ووجه التسمية بهذه الأسامي ما ذكرنا أنّ المقصود من خلق العالم العاقبةُ؛ فسمى بروزا لما للبروز أنشئ؛ وسمّى مصيرا إلى الله تعالى لمصيرهم إلى ما له خُلقوا، وإن كان الخلق كلهم بارزين له قبل ذلك ولم يكونوا عنه غائبين، فيصيروا إليه خصوصا لذلك اليوم.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾[٧] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا**، فسمّاه حسابا يسيرا لوجوه. أحدها أنّ المؤمن اعتقد تصديقَ الرب في كل ما دعاه إليه، وإذا كان [اعتقاده][٩] على التصديق سَهُل عليه تذكّر ما قد عمله بتذكّر[١٠] الجملة. ووجه آخر أنه إذا نظر في كتابه

---

[١] الآية التالية.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٠ظ.
[٣] الآية ١٠ من هذه السورة.
[٤] ر م – إليه.
[٥] ن: فكذلك.
[٦] ر ث م: في أن يسعى.
[٧] ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يُشرك بعبادة ربه أحدا﴾ (سورة الكهف، ١٨/١١٠).
[٨] سورة إبراهيم، ١٤/٢١.
[٩] الزيادة من المرجع السابق.
[١٠] ر ن: تذكير ما قد عمله بتفكر؛ ث م: تذكير ما قد عمله بتفكر. والتصحيح من المرجع السابق.

رأى حسناته مقبولة، وسيئاته مغفورةً له؛[1] فسُمِّي ذلك اليومُ يسيرا له لما أُثبت فيه من الخيرات ومُحي عنه من السيئات، كما سمِّيت الخيرات يُسرَى وسُمِّي ما يجزى[2] عليها يُسرى أيضا،[3] فكذلك الذي أوتي كتابَه بيمينه يُجْزَى عليه الخيرَ؛ فسمى[4] حسابا يسيرا. وجائز أن يكون المسلم يحاسب في أن يُذكَّر ما[5] أُنعم عليه في الدنيا، ولا يحاسب حسابَ توبيخ وتهويل بأن يقال له: لم فعلتَ كذا؟ والكافر يسأل سؤالَ توبيخ، فيقال له: لم فعلت كذا؟ على الإنكار منه[6] بما فعل، وفي ذلك تعسير عليه.

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:[7] سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من نُوقِشَ في الحساب فهو معذَّب» وفي بعضها: «من حوسب عُذِّب» قالت: قلت يا رسول الله! ألم يقل الله تعالى: **فسوف يحاسَب حِسابا يسيرا** وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا،[8] قال: «يا عائشُ! ذلك العَرْضُ، ولكن من نوقش الحسابَ هَلَكَ».[9]

{قال الفقيه رحمه الله:} [ليس] في ظاهر قوله عليه السلام: «من نوقش الحسابَ عُذِّب» دفعٌ لما قالته عائشة رضي الله عنها، لأن الفهم من قوله عليه السلام: «من نوقش الحساب»[10] غير الفهم من قوله تعالى: **فسوف يحاسب حسابا يسيرا**، فليس ظاهر[11] قوله[12] جواب لها، وكان الظاهر من الكلام الأول على ما فهمته عائشة رضي الله عنها. ولكن وجه الجواب فيه أنّ قوله عليه السلام «من حوسب عُذِّب». وقوله عز وجل: **فسوف يحاسب حسابا**، ليس على كل حساب[13] وإنما هو على الحساب الذي لا يناقش فيه؛

[1] ر ث م – له.
[2] ر ن م: يجرى.
[3] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ (سورة الليل، ٩٢/٥-٧).
[4] ر ث م: يجرى عليه الخير يسمى.
[5] ر م: في أن يذكرنا.
[6] ر م: فيقال له فعلت كذا على الإنجاز؛ ث – منه.
[7] ر ث م: قال.
[8] الآية التالية.
[9] صحيح *البخاري*، العلم ٣٥، التفسير ٤٧، ٨٤؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٨٠.
[10] ن – عذب دفع لما قالته عائشة رضي الله عنها لأن الفهم من قوله عليه السلام من نوقش الحساب.
[11] جميع النسخ: ففي ظاهر.
[12] ر م: حسابا يسيرا فليس في قوله ظاهر؛ ن ث: حسابا يسيرا فليس في ظاهر قوله.
[13] ر م: الحساب.

فأما [الحساب][1] الذي هو عرض فليس مما يعذَّب عليه.[2] فيكون فيه إبانةُ أنّه لا يُفهَم بالخطاب العامّ عمومُ المراد كما فهمته عائشةُ رضي الله عنها بل يجوز أن يكون[3] الخطاب عامّا والمراد منه خاصا.

﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾[٩] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾[١٠] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾[١١] ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾[١٢] ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وينقلب إلى أهله مسرورا**، [فهو في شأن الذي أوتي كتابه بيمينه]، وقال في شأن الذي أوتي كتابه وراء ظهره: **ويصلى سعيرا إنّه كان في أهله مسرورا**، فهذا لأن المسلم إنما تأهّل[4] على قصد تحصيل[5] النفع لنفسه في العاقبة، وتكون[6] معينةً[7] له على أمور الآخرة؛ فحصل له ذلك النفعُ بإحرازه السرورَ الدائم بذلك، والكافرَ تأهّل[8] للمنافع الحاضرة وسُرّ بها[9] سرورا أنساه[10] السرورُ أمرَ العاقبة فحقّ عليه العذاب لتركه السعي للآخرة لا لسروره بأهله، وهو كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ،[11] الآية. والكلُّ منا يريد العاجلة ولا بدّ له منها، لكن الذي يصلى جهنمَ هو الذي ابتغى العاجلة ابتغاءً أنساه[12] ذلك عن الآخرة؛[13] فكذلك المسرور بأهله إنما حلّتْ به النقمة لِما منعه السرور عن النظر للعاقبة لا لنفس السرور؛ إذ كل متأهّلٍ لا يخلو عن السرور بأهله. *والله أعلم.*

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٠ظ.
[2] ن: عليهم.
[3] ن – أن يكون.
[4] ن: إنما يأهل.
[5] ث: تحصل.
[6] جميع النسخ: ويكون.
[7] ر: معينته.
[8] ن + بذلك.
[9] جميع النسخ: وسر بهم.
[10] ر ن م: أنشأه.
[11] ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٨).
[12] ر ن م: أنشأه.
[13] ر م: على الآخرة.

وقوله عز وجل: **وأما من أوتي كتابه وراء ظهره،**[1] فالإيتاء من وراء الظهر يحتمل وجهين. أحدهما أن استُقْذر منه لِخُبْث منظره فأُوتي من وراء ظهره.[2] [أو أوتي من وراء ظهره] مجازاة له بما سبق من صنعه، وصنعُه [هو] أنه نَبَذ كتاب الله وراء ظهره وترك أوامره ونواهيَه وراء ظهره كذلك؛[3] فجوزي أيضا بدفع كتابه وراءَ ظهره. ودُفِع إلى المؤمن كتابُه بيمينه لِما في كتابه[4] من المحاسن والبركات. واليمين أنشئت لتستعمل[5] في البركات وأنواع الخير وسميت أيضا باسم مشتق من اليمن[6] والبركة. والشمال جعلت لتُستَعمل[7] في الأقذار والأنجاس، فدُفِع[8] كتابُ مَن خَبُث عمُله إليه بشماله أيضا أو من وراء ظهره. ولأنّ[9] أهل الإيمان قبلوا أوامر[10] الله تعالى ونواهيه [٨٩٦و] واستقبلوها بالتعظيم والتبجيل، / ومن أراد تعظيم الآخر في الشاهد وتبجيلَه[11] أخذه بيمينه؛ فجوزوا في الآخرة بالتعظيم لهم بأن أُوتوا[12] كتبَهم بأيمانهم. وأما الكافر فإنّه استخفّ بأمر الله تعالى وطاعته فجوزي في الآخرة بأن أوتي كتابَه بشماله التي تستعمل في الأقذار إهانةً وتحقيرا.

وقوله عز وجل: **فسوف يدعو ثبورا،** الثبور والويل حرفان يُتكلَّم بهما عند الوقوع في المهالك، فيكون في ذكر الثبور ذكرُ وقوعه في المهلكة التي يَحِقّ له دعاءُ الثبور والويلُ على نفسه، دعا به أو لم يَدْعُ،[13] على سبيل الكناية عن الوقوع في الهلاك.[14] وهو كقوله تعالى: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا،[15] فالضحك كناية عن السرور، والبكاءُ كناية عن الحزن، فمعناه أنه يستقبله ما يَحزَن له طويلا، كان هناك بكاءٌ أو لم يكن.

[1] م + وترك أوامره ونواهيه.
[2] م: من وراء الظهر.
[3] ر ث ن: وراء ظهره؛ م + من وراء الظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣١و.
[4] ن – ودفع إلى المؤمن كتابه بيمينه لما في كتابه.
[5] جميع النسخ: ليستعمل.
[6] ر م: من اليمين.
[7] جميع النسخ: ليستعمل.
[8] ن: قد وقع.
[9] ر ث م: لأن.
[10] جميع النسخ: أمر. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: تبجيله.
[12] جميع النسخ: بأن أوتي.
[13] ر ث م: لم يدعو؛ ن: لم يدعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ر م: في المهلك.
[15] سورة التوبة، ٨٢/٩.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾[١٤]

وقوله عز ووجل: **إنه ظن أن لن يحور**، فيه دلالةُ أنّه إنما حلّ به ما ذُكر من العذاب لأنه كان للبعث ظانّا ولم يكن به متيقنا، وكذلك الله سبحانه حيث قسم الوعد والوعيد بين الفريقين ذَكَر في آخره ما يُبيّن أن الذي أوعد بالعذاب هو المكذِّب، وذَكَر الوعيد هاهنا وبيّن أن الذي يَحُل به هذا الوعيد هو الذي كان ظانًّا بالميعاد و لم يكن متحققا. وقال الله تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ -إلى قوله- وَذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ،[١] فبيّن[٢] أنّ الوعيد في المكذبين. وقال تعالى: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ -إلى قوله- فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ،[٣] ليُعلَم أن الوعيد الدائم في المكذِّبين خاصةً، فيكون فيه دفع قول المعتزلة: إنّ أهل الكبائر يخلَّدون في النار.

﴿بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **بلى إنّ ربّه كان به بصيرا**، أي كان بصيرا بما سبق من أعماله الخبيثة فيحاسبه على علم منه بما كسبت يداه، ويعذّبه على علم منه باكتساب ما استوجب من العذاب، خلافا لأمر ملوك الدنيا أنهم يُحاسِبون على تذكير الغير لهم ما عليه من الحساب، ويعذِّبون على تعريف الغير لهم ما استوجب به التعذيب، لا على علم منهم بذلك. أو يكون معناه أنه كان به بصيرا في الأزل أنه ماذا يعمل إذا أنشأه وإلى ماذا ينقلب أمره: إلى النار أو إلى الجنة؟[٤] فَخَلَقَه[٥] على علم منه[٦] أنه يعادي أولياءه ويعمل بمعاصيه.

ولقائل أن يقول بأن المرء في الشاهد لا يَشرع في الأمر الذي يعلم أنه في العاقبة يضرّه ولا ينفعه، ولو شرع فيه وأتمّه[٧] كان مذموما عند الناس ولم يكن محمودا، فأيّ حكمة في إنشاء عدوّه وهو عالم أنه يسعى في معاداته؟

---

[١] ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ (سورة السجدة، ٣٢/٢٠).

[٢] ر ث م: فتبين.

[٣] ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تُتلى عليكم فكنتم بها تكذبون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/ ١٠٤-١٠٥).

[٤] ث: أو إلى الجلقة.

[٥] ن: فخالقه.

[٦] ر م - منه.

[٧] ن: ولو أتمه.

فجوابه -والله أعلم- أن الذي شرع في الأمر الذي علم[1] أن إتمامه يضرّه ولا ينفعه إنما لحقته[2] المذمة لما سعى في إضرار نفسه، وأما الذي أعرض عن طاعة الله تعالى وكَفَر به فإنما اكتسب الضررَ على نفسه خاصةً بأن أوقعها في المهالك ولم يضرَ غيرَه؛ لذلك لم تلحقه[3] المذمّة في خلقه وإنشائه. وفي هذا دلالة أنّ الله تعالى حيث خلق الخلق لم يخلقهم لمنفعة له ولا لمضرة تلحقه[4] من جهتهم، بل منافعهم ومضارّهم راجعة إلى أنفسهم.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فلا أقسم بالشفق**، فمنهم من حمل قوله **فلا**، على دفع منازعة وقعت فيما بين القوم على ما نذكر[5] في سورة "لا أقسم بهذا البلد"،[6] إن شاء الله تعالى، وإنما القسم قوله تعالى: **أقسم**؛ ومنهم من جعل "لا" بحق[7] الصلة. فإن كان على الوجه الأول لم يجز حذف "لا" من الكلام،[8] بل حقه أن يقرأ: **فلا، أقسم**. وإن كان بحق الصلة استقام حذفُه[9] كما قرأ بعض القراء:[10] فَلَأُقسِم بالشفق.[11]

ثم الشفق هو أثر النهار؛ فجائز أن يكون القسم واقعا على النهار كلّه وإن كان ذَكَر طرفا منه. والثاني أن الشفق يجتمع فيه أثر النهار وهو النور الذي فيه، وأثر الشمس وهي الحمرة التي تكون[12] فيه؛ فيكون القسم واقعا على النهار بما فيه كما كان واقعا على الليل بما فيه لقوله: وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ؛[13] فيكون فيه حجةٌ لقول أبي حنيفة رضي الله عنه أنّ وقت العشاء[14]

---

[1] م – علم.
[2] م: إنما لحقه.
[3] جميع النسخ: لم يلحقه.
[4] جميع النسخ: يلحقه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣١ظ.
[5] ن: على ما يذكر.
[6] ر ث م – بهذا البلد.
[7] ن: يحق.
[8] ث: في الكلام.
[9] ر ث م: من حذفه.
[10] م + ان.
[11] نسبه الزمخشري والقرطبي إلى الحسن. *الكشاف*، ٤/٤٥٦؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٢٣/١٧.
[12] ر ث م: يكون.
[13] الآية التالية.
[14] ن – العشاء؛ م: وقتا لعشاء.

لا يدخل حتى يغيب[١] البياض[٢] لأن وقتها يدخل بغيبوبة الشفق. والشفق وجدناه مشتملا على البياض والحمرة فما لم تتم[٣] الغيبوبة لم يَهْجُمْ وقتُها، ألا ترى أنّ الصلاة التي تلي[٤] الغروبَ لا يدخل وقتُها حتى يتمّ غروبُ الشمس؛ فعلى ذلك الصلاة التي تلي[٥] غروبَ[٦] الشفق لا يدخل وقتها حتى تتم[٧] الغيبوبة.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **والليل وما وسق**، قال بعضهم: **وسق**، أي وما ساق[٨] وحمل معه من[٩] الظلمة والنجم[١٠] والدابّة وغير ذلك. والوَسْق الحِمْل، يقال: وَسْقُ بعيرٍ، أي حِمل بعير. وقال بعضهم: **وَسَق**، أي جَمَع وساقَ كلَّ شيء إلى مأواه من الطير والسباع. فذكر النهار والليل لما فيهما من المنافع.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **والقمر إذا اتسق**، فالاتساق الاجتماع. ومعناه: استوى وكمل إذ ذاك[١١] اجتماعُه، وذلك[١٢] في الليالي[١٣] البِيضِ. وقال أبو بكر الأصم: معناه أنه جمع وسوّى بعد أن كان كالعُرْجُون القديم؛[١٤] فيذكّرهم[١٥] قوّتَه ليعلموا أنه قادر على بعثهم.

---

[١] ر م: تغيب.
[٢] ر م: الشفق.
[٣] جميع النسخ: لم يتم.
[٤] ر ن ث: يلي.
[٥] جميع النسخ: يلي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣١ظ.
[٦] م: الغروب.
[٧] جميع النسخ: حتى يتم.
[٨] ر: وما وسق؛ م - أي وما ساق.
[٩] ر م - من.
[١٠] م: والتحمد.
[١١] ر ن ث: ذلك.
[١٢] م - إلى مأواه من الطير والسباع فذكر النهار والليل لما فيهما من المنافع وقوله عز وجل والقمر إذا اتسق فالاتساق الاجتماع ومعناه استوى وكمل إذا ذاك اجتماعه وذلك.
[١٣] ر ن ث: في ليالي.
[١٤] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿والقمر قَدَّرْناه منازلَ حتى عاد كالعرجون القديم﴾ (سورة يس، ٣٦/٣٩).
[١٥] ر: فتذكرهم.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **لتركبُنّ طبقا عن طبق**، قرئ بنصب الباء ورفعها،[١] وكلا القرائتين في المعنى واحد، وإن كان[٢] في الظاهر إحداهما للجمع والأخرى للوُحْدان[٣] [ولكن المراد منه الجملة].[٤] فإن قوله: لتركبَنَّ منصرف إلى كل إنسان في نفسه خاصة، لا على / الاقتصار على شخص واحد؛ لِما ليس في قوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ،[٥] إشارةٌ إلى شخص بعينه ولكن المراد منه الجملة؛ وإحدى القرائتين بحرف الجمع: لتركبُنَّ بالرفع؛[٦] فثبت أنّ الخطاب منصرف إلى الجملة. [٨٩٦ظ]

ثم قوله: **لتركبُنّ طبقا عن طبق**، قيل: حالا بعد حال. ثم جائز أن يصرف إلى دار الآخرة فكأنّه قال: لتركبنّ حالَ الآخرة بعدَ حال الدنيا، فيكون فيه تصريح القول على إيجاب[٧] البعث. ويحتمل أن يكون ذلك في الدنيا؛ فينتقل إلى حال المضغة بعد كونه نطفة،[٨] وإلى حال العلقة وإلى حال الطفولة إلى أن يبلغ أَشُدَّه، فلا يزال يركب[٩] حالةً بعد حالة. فيكون في تنقّله[١٠] من حال إلى حال إبانةُ أنّه لم يُرَدْ من إنشائه أن يتغير عليه الأحوال فقط، بل أريد به العاقبة التي بها صار إنشاءُ الخلق حكمةً لا عبثا؛ فيكون قوله: **لتركبنّ**، منصرفا إلى كل إنسان في نفسه خاصة لا على الاقتصار على شخص واحد لما ذكرنا.

ومنهم من قال: إنما أراد بهذا الخطاب رسول[١١] الله صلى الله عليه وسلم. ذُكر ذلك[١٢] عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما. لكن قال ابن مسعود رضي الله عنه:

---

[١] ﴿لتركبَنّ﴾ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلَف، وافقهم ابن محيص والأعمش. ﴿لتركبُنّ﴾ الباقون (*الميسر في القراءات الأربع عشرة* لمحمد فهد خاروف، ٥٨٩).

[٢] ر ث م: إن كان.

[٣] جميع النسخ + وإحدى القراءتين بحرف الجمع ليذكر بالرفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣١ظ.

[٤] الزيادة من المرجع السابق.

[٥] الآية ٦ من هذه السورة.

[٦] ر ن ث – وإحدى القراءتين بحرف الجمع لتركبن بالرفع.

[٧] ن: على الإيجاب.

[٨] ر ث م: مضغة.

[٩] ث: تركب.

[١٠] جميع النسخ: في نقله. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ن: لرسول.

[١٢] جميع النسخ – ذلك. والتصحيح من المرجع السابق.

لتركبَنَّ يا محمد،[١] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لتركبَنّ السَّماءَ حالا بعد حال.[٢] فإن كانت التأويل على ما ذكره ابن مسعود رضي الله عنه ففيه بِشارةٌ له[٣] بإسلام قومه وإجابتهم له، فيقول: إنهم سيطيعونك ويصيرون لك[٤] أنصارا بعد صدِّهم الناسَ عن الإيمان وجَفْوتِهم إياك.[٥] ومن قال: لتركبَنّ سماءً بعد سماء فيقول ذلك ليلةَ أُسرِي به. والتأويل الأول أقرب لأن موقع القسم في قوله: لتركبَنّ، والإسراءُ لم يكن يعرفه قومُه حتى يكونَ في ذكره رفع الاشتباه عن أولئك القوم. فأما ظهور الإسلام وعلوّ النبي على أعدائه فمما يشاهده الناس، فيتحقق في الآخرة[٦] ما أخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الغيب فيكون تأكيدا لرسالته؛ فلذلك قلنا: إنّ الحمل على المعنى الأول أحق. *والله أعلم*.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **فما لهم لا يؤمنون**، الأصل أن كل من اعتقد مذهبا فإنما يعتقده لحجة تقرّرت عنده أو شبهة اعترضت له ظنَّها حجةً، فأما أنْ يعتقده جُزافا[٧] فليس يفعله. فقال الله تعالى في هؤلاء: **فما لهم لا يؤمنون**، أي[٨] أيُّ حجة لهم تمنعهم[٩] عن الإيمان بالله تعالى وبرسوله وتدعوهم[١٠] إلى الشرك والتديّن[١١] به؟ ثم قد ذكرنا أن ما خرج مخرج الاستفهام من الله تعالى فحقّه أن يُنظَر ما يقتضي ذلك الكلام من الجواب أنْ لو كان من مستفهِمٍ فيُحمَل الأمرُ عليه،[١٢] وحقُّ جواب هذا الكلام أن يقول: لا شيءَ يمنعه عن ذلك.

---

[١] روي عن ابن مسعود ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبقا عن طَبق﴾ يا محمد حالا بعد حال (*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٤٥٩).

[٢] روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿لَتَرْكَبَنَّ طبقا عن طبق﴾ يعني بفتح الباء قال: يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم حالا بعد حال. وروي عنه أيضا ﴿لَتَرْكَبَنَّ طبقا عن طبق﴾ قال: يا محمد السماء طبقا بعد طبق (*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٤٥٩).

[٣] م – له.

[٤] ر: ويبصرون ذلك.

[٥] ن – إياك.

[٦] في الآخرة، أي في آخر الأمر وفي مستقبل حياة النبي عليه السلام.

[٧] جميع النسخ: حراما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٢و.

[٨] ر – أي.

[٩] جميع النسخ: يمنعهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] جميع النسخ: ويدعوهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر م: والتريين؛ ن ث: والتزين. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ر – عليه.

فقوله: **فمالهم لا يؤمنون**، أي لا حجة لهم فيما اختاروا من الشرك وإنما يتديّنون به تشهّيا وتمنّيا؛ فيكون هذا على النفي في أن لا حجة لهم. أو كأنه يخاطب رسوله عليه الصلاة والسلام فيقول: سلْهم لماذا لا يؤمنون؟ وإذا سألهم لم يجدوا لأنفسهم حجة في الإعراض عن الإيمان، فيرجع الأمرُ إلى انتفاء[1] الحجة أيضا.

ثم المعتزلة احتجت[2] علينا بهذه الآية في تثبيتهم القدرة قبل الفعل، وزعمت أنه لو لم يكن أُعطِي قوةَ الإيمان لم يكن يعاتَب على تركه؛ لأنه لا عذر للعبد أعظم من أن يقول إذا قيل له: لم لا تؤمن؟[3] فيقول: إني[4] لم أقدر عليه؛ ولأن[5] قوله تعالى: **فما لهم لا يؤمنون** حرفُ تعجيب، ولو كانت[6] القوة ممنوعة قبل الفعل لكان له أن يقول: إنما لم أُؤمِنْ لأَني مُنِعتُ عنه، فيرتفع عنه التعجيب؛ فدلّ أنه أُعطِي القوةَ فلم يبق له في التخلّف[7] عن الإيمان عذر.

والجواب عن الفصل الأول أنّ الكافر إنما[8] لحقته كلفة الإيمان لأنه هو الذي ضيّع القوة باختياره فعلَ الكفر، وإنما ترتفع[9] الكلفة إذا مُنعت عنه الطاقة، فأما إذا كان هو الذي ضيّعها[10] فالكلفة عليه قائمة. والأصل أن القدرة في الصحيح السليم تَحْدُث[11] تِباعا على قدر حرصه على العبادة ومِيلِه[12] إليها. ثم العبد متى اشتغل بفعل صار مُضيِّعا لضدّه من الأفعال، لا أن كان ممنوعا عن الفعل الذي هو ضد هذا؛ فكذلك[13] إذا آثر الكفر وأتى به فقد صار باختياره الكفرَ مضيّعا لقوة الإيمان، لا أن صار ممنوعا عنها؛ لذلك لحقتْه كلفةُ الإيمان.

---

[1] جميع النسخ: إلى ابتغاء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٢و.
[2] ر: احتجب.
[3] ر م: لا يؤمنون؛ ث: لا يؤمن.
[4] ر: لأنا؛ ن ث: لأني؛ م – إني. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] م: ولأنه.
[6] ن: كان.
[7] ر م: الخلف.
[8] جميع النسخ: إذا. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: وإنما يرتفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: ضيعه.
[11] جميع النسخ: يحدث. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ن: ومثله.
[13] جميع النسخ: فلذلك. والتصحيح من المرجع السابق.

وأما ما ذكر من أمر التعجيب فقد وصفنا وجه التعجيب في ذلك. وهو أنهم لم يلتزموا الكفر[١] بحجة دعتْهم إلى القول به، والمرء إذا قلد مذهبا قلّده لا عن حجة وبرهان، فعجّب الخلقَ باختيارهم الكفرَ لا عن حجة.

ثم لو كان الأمر على ما ظنّتِ المعتزلة أنَ الله تعالى قد أعطاهم جميع أسباب الهداية ولم يُبق في خزانته شيئا منعَه عنهم لكان التعجيب راجعا إليه لا إلى الذين لم يؤمنوا، فيقول: ما لي لا أَصِل[٢] إلى هدايتهم ولم يَبق عندي شيء به هدايتهم إلا وقد أعطيتهم، لا أن يُعَجِّب الخلقَ عن صنيعهم.[٣] فليس الذي اختاروه في القول سوى وصفِهم ربّ العالمين بالعجز، والعاجز لا يصلح أن يكون ربّا. ***والله الموفق.***

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون،** فمنهم من صرف التأويل إلى سجود الصلاة، والمراد منه عندنا سجود التلاوة، وهو سجود الاستسلام / والخضوع على [٨٩٧و] الشكر لما أُكرِم المرءُ من الإيمان وهُدِي إليه،[٤] لأن سجود الصلاة يكون عند فعل الصلاة لا عند ذكر التلاوة.

ثم في الآية دلالة وجوب السجدة على السامع؛ لأنهم عوتبوا بتركهم السجود عند ما يتلى عليهم وقُرِّعوا به، والتقريع يجري في ترك اللازم لا في ترك ما ليس عليه؛ ولأن المعنى الذي به[٥] وجب السجود على التالي قائم في السامع؛ إذ التالي[٦] إنما لزمه السجود بما ذكر[٧] من آيات الله تعالى وقامت عليه من الحجج؛ فلزمه[٨] أن ينقاد لها ويخضع.[٩] [والسامع قد قامت عليه الحجج فيلزمه أن يخضع لها. ***والله تعالى أعلم***].[١٠]

---

[١] ر م: لم يلزموا الكفر؛ ث: الكفرة.
[٢] ر م: لي الأصل.
[٣] ر ث م: عن صنعهم.
[٤] جميع النسخ: وهدي الله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٢و.
[٥] ث م: له.
[٦] ر ث م: أن التالي.
[٧] ر: لما ذكرنا؛ ن ث م: لما ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: فيلزمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٢ظ.
[٩] ر ث م: فيلزمه أن يخضع.
[١٠] الزيادة من المرجع السابق.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **بل الذين كفروا يكذبون**، فهو يحتمل وجهين. أحدهما أنهم يكذّبون بنبوّة[1] محمد صلى الله عليه وسلم فيحملهم ذلك على التكذيب بالقرآن؛ لأنهم إذا[2] كذبوا رسالته لم يصدّقوه فيما يأتي من الأخبار، لا أن يكون في الأخبار معنى يحملهم على التكذيب، بل القرآن يحملهم على التصديق والإيمان لو أمعنوا[3] النظر فيه وبذلوا من أنفسهم الإنصاف. أو يكون معناه أنّ الذين كفروا هم المكذّبون؛ فيكون الكفرُ منهم تكذيبا والتكذيبُ منهم كفرا.

﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **والله أعلم بما يوعون**، يحتمل أوجها. أحدها ما يضمرون من الكيد والمكر برسول الله صلى الله عليه وسلم، فالله أعلم بكيدهم لا يتهيأ لهم أن يُنفذوا كيدهم فيه إلا ما كتب الله عليه، فيكون فيه بِشارة له بالنصر والتأييد. والثاني **والله أعلم بما يوعون**، في قلوبهم من التصديق ويُظهرون من التكذيب بألسنتهم؛ أو بما يوعون[4] من التكذيب بألسنتهم وقلوبهم معا. وذلك[5] أن البعض منهم كان قد أيقن برسالته فكان يصدقه بقلبه ويكذّبه بلسانه على العناد منه والتمرد؛ ومنهم من لم يكن عرف صدقَه بقلبه لِما تَرَكَ الإنصاف من نفسه بإعراضه عن النظر في حجج الله تعالى، فكان يكذّبه بقلبه[6] ولسانه جميعا.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فبشرهم بعذاب أليم**، فالبِشارة إذا فُسّرت استقام حملها على الحزن والسرور جميعا، وأما البشارة المطلقة إنما تستعمل[7] في موضع إدخال الفرح والسرور في القلب.

---

[1] جميع النسخ: رسوله؛ ن + سيدنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٢ظ.
[2] ث: إنما.
[3] جميع النسخ: لو أنعموا. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر ث م: أو بما يمحون.
[5] ر: ذلك.
[6] ن: في قلبه.
[7] جميع النسخ: إنما يستعمل. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، فجائز أن يكون منصرفا إلى كلّ من آمن. وجائز أن يصرف إلى من[١] آمن من الذين كانوا يوعون[٢] ما ذكرنا. وقوله عز وجل: **لهم أجر غير ممنون**، نذكره[٣] في سورة "والتين والزيتون" إن شاء الله تعالى.[٤]

---

[١] ن + يصرف.

[٢] ر: يوعدون.

[٣] ن ث: يذكره.

[٤] ث + وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البروج[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾[١]

قوله عز وجل: **والسماء ذات البروج**، فقوله: **والسماء ذات البروج** على القَسَم، وكذلك ما ذكر عقيبَه. ثم اختلف[2] في موضع القسم في هذه السورة، فمنهم من ذكر أنّ القسم لمكان قوله: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ،[3] ومنهم من يقول: القسم موقعُه على قوله: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ؛[4] وهو أشبه لأنه في موضع الاحتجاج على الكفرة، ولو حُمِل القسم على قوله: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، كان ذلك منصرفا إلى المؤمنين، والمسلمون[5] قد تيقّنوا بصدق ما يأتي به الرسول من الأنباء، والقسم يُذكَر على تأكيد ما يقصد إليه ليُزال عنه الريبُ، فإذا كان[6] المسلمون غير مرتابين في أنبائه استغنوا عن تأكيده بالقسم؛ فلذلك قلنا: إن صرفه إلى قوله تعالى: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ، أليق. فيكون فيه تحذير لمن كذّب رسولَه صلى الله عليه وسلم أنّ بطشه لمن كذّب رسوله لشديدٌ، وقد علموا ذلك بما وصل إليهم من نبأ عادٍ وثمودَ وفرعونَ وغيرهم. وجائز أن يكون موضع القسم على قوله: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ،

---

[1] ر – سورة البروج؛ ث + وهي عشرون آيات مكية.

[2] ن + في قوله.

[3] الآية ٤ من هذه السورة.

[4] الآية ١٢ من هذه السورة.

[5] ن: والمسلمين.

[6] ن: وإذا كان.

وذلك أنّ أهل مكة كانوا أهل تعذيب لمن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، فكان في ذكر[1] ما نزل بالمتقدمين من الفراعنة[2] من العذاب وصبرِ أولئك المعذَّبين على دينهم وضنِّهم به وحسنِ ثناء الله تعالى عليهم تصبيرٌ لهم وتهوين على ما يَلقَون من العذاب لينالوا من حسن ثناء الله تعالى ما ناله مَن صَبَر ممن[3] تقدّمهم من السلف. وكذلك ذَكَرَ[4] سحرة فرعون وأحسنَ الثناء عليهم بصبرهم على تعذيب فرعون فقالوا: فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا،[5] ليكون ذلك عونا لهم على الصبر بما يلقون من الكفرة من التعذيب.

ثم أكّد الأمر بالقسم لأنه لا كلُّ مسلم يُبتلَى بتعذيبهم[6] يبلغ يقينُه مبلغا لا يعتريه شك ولا تتخالجه[7] شبهة في ذلك، فأكّد الأمرَ بالقسم لرفع الريب والإشكال، وقال تعالى: وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ -وفي بعض القراءات: قُتل معه ربيون كثير-[8] فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا،[9] فذكّر المؤمنين ما لقي السلفُ[10] من الكفرة وابتُلُوا بقتل الرسل وثباتهم على الدين، ليستعينوا به على ما يصيبهم في سبيل الله ولا ينقلبوا[11] على أعقابهم إذا أُخبِروا[12] بقتل الرسول.

وفي ذكر هذه الأنباء دلالة أنّ قول الرسول عليه الصلاة والسلام لعمارٍ رضي الله عنه: «إن عادوا فَعُدْ»،[13] حين أكره على إجراء كلمة الكفر على لسانه فأجرى وقلبُه مطمئن بالإيمان، ليس على الأمر به / والإيجاب عليه والتحصيل بطريق العزم، بل معناه: إن عادوا فلك [٨٩٧ظ] العود على سبيل الرخصة؛ لأنه لو كان على الأمر لم يكن في ذكر نبإ أصحاب الأخدود

[1] ن: في موضع ذكر.
[2] ث: عن الفراعنة.
[3] جميع النسخ: من.
[4] ث – ذكر.
[5] سورة طه، ٧٢/٢٠.
[6] ن: تعذيبهم.
[7] جميع النسخ: ولا يتخالجه.
[8] قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: "قُتِلَ مَعَهُ" بضم القاف وكسر التاء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ١٦٩).
[9] ﴿... والله يحب الصابرين﴾ (سورة آل عمران، ١٤٦/٣).
[10] ن: من السلف.
[11] جميع النسخ: ولا ينقلبون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٢ظ.
[12] ن: إذا اجيزوا.
[13] *المستدرك على الصحيحين* للحاكم، ٣٨٩/٢؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٣٦٢/٨.

وسحرة فرعون فائدة سوى أن يُترك العمل بهما. ومعلوم بأن تلك الأنباء إنما ذكرت ليُعمَل بها لا ليُترَك بها العملُ؛ لذلك حمل قوله: «فعد» على الرخصة لا على الأمر به؛ ويكون المراد من قوله عليه الصلاة والسلام أيضا: «من لم يقبل رُخَصَنا كما يقبل عزائمنا فليس منا»،[١] أي لم ير العمل به موسّعا بل استكره وأبى قبوله، لا أن يكون فيه[٢] أمر بترك العزيمة وإيجاب العمل بالرخصة. *والله أعلم*.

ثم نرجع[٣] إلى قوله تعالى: **والسماء ذات البروج**، فقال بعضهم: هي البروج المعروفة وهي أطراف البناء، وإذا بنى بناءً اتخذ على طرفه برجا ليشدّد بنائه به. ومنهم من قال: البروج القصور. ومنهم من قال: البروج النجوم، لقوله: وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ،[٤] وزينة السماء هي الكواكب، بقوله: بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ.[٥] ومنهم من قال: هي مجاري الشمس والقمر والكواكب فمنازلها هي البروج.

ثم ذَكَر السماء بالبروج ليُعرَف [بها][٦] حدثُها ودخولها تحت تدبير الغير؛ إذ ذَكَرها بالمنافع المجعولة[٧] فيها ليعلم الخلقُ أنها سخِّرت للمنافع فيعرفوا بها حدثَها؛ إذ المسخر لمنافع الغير داخل تحت قدرة من سخره،[٨] و المقدور محدَث، وهم لم يشهدوا بدءَها[٩] ليعرفوا به حدثها، ولا كلّ أحد يعرف حدثيّة الشيء لكونه محدودا في نفسه إذا لم يشهدوا[١٠] بدءه،[١١] فذَكَرها حيث ذَكَرها بما فيها من المنافع المجعولة للخلق؛ إذ ذلك أظهر وجوه الدلالة[١٢] على الحدثيّة ليعلموا بها حدثيتها.[١٣]

---

[١] روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٧١/٢)؛ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يحب أن تقبل رخصه كما يحب أن تؤتى فريضته» (*مصنف ابن أبي شيبة*، ٢٣٤/٦).

[٢] ر ث م – فيه.

[٣] ر ن م: ثم يرجع.

[٤] سورة الحجر، ١٦/١٥.

[٥] ﴿إنا زَيَّنَّا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٦-٧).

[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٣و.

[٧] جميع النسخ: المجعول.

[٨] ن: قدرة و سخره.

[٩] جميع النسخ: بدوها. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ر م: لم يشاهدوا.

[١١] جميع النسخ: بدوه. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ث: الوجوه الدالة.

[١٣] ر م: حديثها.

ألا ترى أن إبراهيم صلوات الله عليه احتجّ على قومه بنفي الإلهيّة عن الكواكب بأُفُولها؛ إذ ذلك أظهر وجوه الحدثية ولم يحتج عليهم بانتقالها من موضع إلى موضع، ولا بكونها محدودة في نفسها،[1] بل احتجّ عليهم بما ذكرنا ليتحقق عندهم حدوثها ودخولُها تحت سلطان الغير.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **واليوم الموعود**، قيل: هو[2] يوم القيامة، فسمي[3] موعودا لما وُعد من جمع[4] الأولين والآخرين في ذلك اليوم.[5] ثم أقسم بذلك اليوم وإن كانوا منكرين له لِما قرّره عليهم بالحجج وألزمهم القول به. وقيل: **اليوم الموعود** هو كلّ يوم يأتي فيأتي بما وُعِد فيه من الرزق وغيره. *والله أعلم*.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وشاهد ومشهود**، اختلف في تأويله. فمنهم من قال: الشاهد هو الله تعالى، والمشهود هو الخلق، واستدل[6] على ذلك بقوله: كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.[7] وقيل: الشاهد الرسول صلى الله عليه وسلم، والمشهود أمته، قال الله تعالى: وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هٰؤُلَاءِ.[8] ومنهم من يقول: الشاهد هو الكاتبان اللذان يكتبان على بني آدم أعمالهم، والمشهود هو الإنسان الذي يُكتب عليه. ومنهم من يقول: الشاهد والمشهود هو الإنسان نفسُه، أي جَعَل عليه من نفسه شُهودا بقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.[9]

---

[1] ن – إذا لم يشهدوا بدءه فذكرها حيث ذكرها بما فيها من المنافع المجعولة للخلق إذ ذلك أظهر وجوه الدلالة على الحدثية ليعلموا بها حدثيتها ألا ترى أن إبراهيم صلوات الله عليه احتج على قومه بنفي الإلهية عن الكواكب بأفولها إذ ذلك أظهر وجوه الحدثية و لم يحتج عليهم بانتقالها من موضع إلى موضع ولا بكونها محدودة في نفسها.

[2] جميع النسخ: هي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٣و.

[3] ر ث م: يسمى.

[4] ر م: من جميع.

[5] ﴿قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٤٩–٥٠).

[6] ن + بذلك.

[7] ﴿وكنتُ عليهم شهيدا ما دمتُ فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ (سورة المائدة، ٥/١١٧).

[8] سورة النحل، ١٦/٨٩.

[9] سورة النور، ٢٤/٢٤.

ومنهم من يقول: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم[1] عرفةَ؛ سمي يوم الجمعة شاهدا لأنه هو الذي يشهدهم ويأتيهم، وسمي عرفة مشهودا لأنّ عرفة اسم مكان والناس يأتونها ويشهدونها ولا يأتيهم؛ فعظَّم شأنَ عرفة لما يعظِّمها أهل الأديان كلُّهم،[2] وعظَّم يومَ الجمعة لأنه يوم عيد المسلمين، ولكل أهل دين يومٌ يعظِّمونه فأكرم الله تعالى المؤمنين بهذا اليوم ليعظِّموه مكانَ[3] اليوم الذي يعظِّمه[4] غيرُهم من أهل الأديان، فأقسم بهما.

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **قتل أصحاب الأخدود**،[5] اختلف في تأويله. فمنهم من صرفه إلى المعذِّبين، ومنهم من صرفه إلى المعذَّبين. فمن صرف إلى المعذِّبين[6] حَمَل قوله: **قتل**، على اللعن أي لُعنوا، كقوله[7] تعالى: قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ،[8] أي لعنوا. ومن صرفه إلى[9] الذين عذِّبوا حمله على القتل المعروف.

ثم اختلف في قصة أولئك الذين عذِّبوا، فإن كان القَسَم في الكفرة فما ينبغي[10] أن يفسر على وجه من ذلك ما لم يتواتر فيه الخبرُ عن المصطفى عليه الصلاة والسلام، بل حقه أن يُقتصر على ما جاء به الكتاب؛ لأن هذه الأنباء حجة لرسالة نبيّنا عليه السلام[11] لأنهم وجدوها موافقة للأنباء[12] المذكورة في كتبهم وقد علموا أنه لم يَصل إلى تعرّفها إلا بالله[13] تعالى؛ إذ لم يروه يختلف إلى من عنده علم الأنباء ليصل إلى معرفتها بهم. فإذا فسرت على وجهٍ أمكن أن يقع فيها زيادة أو نقصان على ما ذكر في الكتاب[14] فيجدوا به[15] موضع الطعن والقدح،

---

[1] ن – يوم.
[2] جميع النسخ: كلها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٣و.
[3] ث م: فكان.
[4] ر: ويعظموه فكان اليوم الذي يعظموه.
[5] ر ث م + قيل أصحاب الأخدود.
[6] م: إلى الذين عذبوا.
[7] ر: أي لعنه وقوله.
[8] سورة الذاريات، ١٠/٥١.
[9] ر – إلى.
[10] م + فيما ينبغي.
[11] ر ث م – بل حقه أن يقتصر على ما جاء به الكتاب لان هذه الأنباء حجة لرسالة نبينا عليه السلام.
[12] ر: الأنبياء.
[13] ر م: إلى الله.
[14] ن + إلا من الوجه الذي ذكرنا.
[15] ر: ما ذكروا في الكتاب فيجدوا بهم.

لذلك لم يسع أن يزاد على القدر الذي جرى ذكره في الكتاب إلا من الوجه الذي ذكرنا. وإن كان القَسَم في المؤمنين وَسِع القول بحمل التأويلات التي ذكرها[1] أصحاب التفسير لارتفاع المعنى الذي ذكرنا في الكفرة. *والله أعلم*.

ثم في ذكر[2] هذه النبأ تقرير رسالته ونبوته عليه الصلاة والسلام عند الكفرة[3] لما ذكرنا أنه لم يختلف إلى من عنده علم هذه الأنباء[4] ليعلم به، فإذا أنبأهم على وجهها تيقنوا أنه بالله تعالى عَلِمَ. وفيه تصبير لرسول الله / صلى الله عليه وسلم وتخفيفُ الأمر عليه، لأنه يخبره أن [٨٩٨و] قومك ليسوا بأول من آذوك وعاندوك بل لم يزل سلفهم تلك عادتُهم بأهل الإسلام. وفائدة أخرى ما ذكرنا أن في ذكره بعض ما يستعين به من ابتُلي بأذى الكفرة. وفيه أن أولئك الكفرة بلغ مِن ضَنِّهم بدينهم ما يقاتلون عليه مَن أظهر مخالفتهم في الدين ليعلموا أن القتال لمكان الدين[5] ليس بأمر شاقٍ خارج عن الطباع[6] بل الطباع جبلت على القتال مع من عاداهم في الدين؛ فيكون فيه ترغيب المسلمين على القتال مع الكفرة إذا امتُحنوا به.[7] *والله أعلم*.

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **النار ذات الوقود**، فمنهم من جعل الوَقود مَنْ أُلقِي فيها من المؤمنين، ومنهم من جعل الوقود صفة تلك النار التي عُذِّبوا بها.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **إذ هم عليها قعود**، أي عظماؤهم وكبراؤهم جُلوس عند الأخدود. ففيه[8] أنّ أتباعهم هم الذين كانوا يَتولَّون إلقاء[9] المؤمنين في النار، وكبراؤهم جلوسٌ هنالك.

---

[1] ر - موضع الطعن والقدح لذلك لم يسع أن يزاد على القدر الذي جرى ذكره في الكتاب إلا من الوجه الذي ذكرنا وإن كان القسم في المؤمنين وسع القول بحمل التأويلات التي ذكرها.

[2] ر م: ثم ذكر.

[3] ر م - عند الكفرة.

[4] جميع النسخ: النبأ.

[5] ن: الذين.

[6] جميع النسخ: من الطباع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٣ظ.

[7] ر ث م - به.

[8] ر: وفيه.

[9] ر م: لقاء.

﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون الشهود هم العظماء والفراعنةَ. أو يكون منصرفا إلى الأتباع، وهو أنَ الأتباع كانوا يُلقُون المؤمنين في النار ويشهدون أنهم على الضلال وأنهم ورؤساؤهم على الهدى والحق، وهو كما قال في موضع آخر: وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا.[١]

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد**، فذَكَر **العزيز الحميد**[٢] ليُعلَم أنه لا يلحقه ذُلّ[٣] بما يَحُل من الذل بأوليائه وأهل طاعته، ولا في حمده قصور[٤] بقهر أوليائه، خلافا لما عليه أمر[٥] ملوك الدنيا. وذلك أن ملوك الدنيا إذا حل بأولياء واحد منهم ذُلٌّ كان الذل حالًّا فيه أيضا، وإذا قُهر بعض أتباعه فترك نصرَهم وهو قادر على نصرهم واستنقاذِهم لم يُحمد[٦] ذلك منه ولحقته المذمة. وذلك لأن الملِك إنما استفاد[٧] العز بأتباعه وأنصاره فإذا استذلّ أتباعُه زال ما به نال[٨] العزَّ فلحقه الذلُّ؛ ونال الحمد أيضا بالإحسان إلى مملكته فإذا ترك نصرهم وهو مُمَكَّن من ذلك فقد ترك إحسانه إليهم فصار به غير ممدوح ومحمود. والله تعالى استحق العز والحمد بذاته لا بأحد من خلائقه فلم يكن في إذلال أوليائه ما يوجب النقص في وصف الحمد ولا ما يوجب قصورا في العز.

والثاني أنّ الدنيا وما فيها أنشئت للإهلاك، ولعل الإهلاك بما[٩] ذكر أيسر عليهم من هلاكهم حتفَ أنفهم،[١٠] وكان في ذلك النوع من الهلاك نيلُ درجة الشهداء وهي التي ذكرها الله تعالى

---

[١] ﴿ألم تر إلى الذين أُوتُوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبْت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾ (سورة النساء، ٥١/٤).

[٢] ن ث - فذكر العزيز الحميد.

[٣] ن: دل.

[٤] ر: ولا بحمده تصور.

[٥] ن - أمر.

[٦] ر: واستعاذتهم لم يحمدوا.

[٧] ن: إنما استنقاذ.

[٨] م - نال.

[٩] ر ث م: إنما.

[١٠] جميع النسخ: أنفسهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٣ظ.

في قوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ [يُرْزَقُونَ]،[1] الآية، ولا تُنال[2] تلك الدرجة بموتهم حتف أنفسهم فهذا أبلغ نصرا منه إياهم.

ثم للجزاء والعقاب دار أخرى فيها يظهر تعزيز[3] الأولياء وقمع الأعداء[4] فلم يكن في ترك النصر في الدنيا ما يوجب وَهْنا ولا ذُلًّا. وأما ملوك الدنيا إذا تركوا نصرهم وقت مُلكهم لأوليائهم لم يُتوقع منهم النصر بعد ذلك، إذ ليست في أيديهم إلا المنافع الحاضرة، لذلك لحقتهم المذمة بترك النصر. ***والله أعلم.***

ثم ليس في إهلاك أولئك القوم الذين آمنوا واقتدارِهم عليهم إيهامُ أنهم كانوا على الحق والصواب وأن المؤمنين كانوا على الخطإ؛ لأن الإهلاك إنما يصير آية إذا كان على خلاف المعتاد، وإهلاكُهم لم يكن كذلك لأن عددهم كان كثيرا وكان في المؤمنين قلةٌ، وإهلاكُ الكثير للقليل غير مستبعد بل هو أمر معتاد، وغلبةُ الفئةِ القليلة الفئة الكثيرةَ هي التي تخرج[5] من حد الاعتياد فيكون فيها آية أنّ الفئة القليلة على الحق والآخر على الباطل، وذلك نحو غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدر بمن معه من المسلمين مع قلة أعدادهم وضعفهم في أنفسهم وكثرةِ أتباع الكفرة وقوتهم وجلادتهم في أنفسهم. ***والله أعلم.***

ثم قوله تعالى: **وما نقموا منهم،** أي لم يكن من المؤمنين بمكانهم جُرْمٌ[6] يُنتقَم منهم بالإحراق سوى أن آمنوا بالله تعالى. وقيل: ما عابوا عليهم وما أنكروا منهم سوى أن آمنوا بالله تعالى.[7] وفي هذا تبيينُ سفههم وعتوِّهم، لأنهم علموا أن ما لهم من النعم كلِّها من الله تعالى، فكان[8] الذي يحق عليهم أن يؤمنوا بالله تعالى ويشكروه بما خوّلَهم من النعم، ويدعوا غيرهم[9] إلى الإيمان به، لا أن يقتلوا أو يعذِّبوا من آمن به.[10] ثم قوله عز وجل: **العزيز الحميد،**

---

[1] سورة آل عمران، ٣/١٦٩.

[2] جميع النسخ: ولا ينال.

[3] ر م: بعزيز.

[4] جميع النسخ: الأولياء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٣ظ.

[5] ن ث م: يخرج.

[6] ر ث م + من.

[7] ث – وما أنكروا منهم سوى أن آمنوا بالله تعالى.

[8] ر م + الله.

[9] ر – غيرهم؛ م: غير.

[10] ر: من آمنه أنه؛ م: من آمن أنه.

فالعزيز هو الذي لا وجود له،[١] أو هو عزيز لا يلحقه ذل فيكون العزّ مقابل الذُلّ.[٢] وقال أهل التفسير: العزيز المنيع،[٣] والعزيز هو الذي لا يُعجزه شيء. والحميد[٤] المستوجب للحمد من كل أحد بذاته.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **الذي له ملك السماوات والأرض،**[٥] فذكر هذا ليُعلَم أنه لا يدخل في ملكه قصورٌ بقتل أوليائه وأنصارِ دينه. لأن الخلق كلهم عبيد الله تعالى وإماؤه. والسيد إذا قتل بعضُ مماليكه بعضا لم يلحق السيدَ بذلك ذل ولا نقصٌ، وإنما يدخل عليه الذلّ إذا قتلهم / غيرُ مماليكه؛ فإذا كان الخلق بأجمعهم عبيد الله[٦] لم يكن في قتل بعضٍ بعضا نقصٌ يدخل في ملكه. [٨٩٨ظ]

وقوله: **والله على كل شيء شهيد،** أي يحفظ عليهم أعمالهم فيجازيهم بها لا يَعزُب[٧] عنه شيءٌ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات،** فالفتنة المحنة، وهي مأخوذة من فَتَن الذهبَ إذا أذابه؛ لأنه يُذيبه ليُميّز[٨] به بين ما خَبُث منه وبين ما صفا، وبين الذهب وبين ما ليس بذهب؛ فاستعملت في موضع المحنة[٩] لأن المحنة هي الابتلاء ليتبين بها الصادق من الكاذب والمحقُّ من المُبْطِل، وذلك يكون بالأمر والنهي فسُمّي الأمر والنهي من الله تعالى امتحانا لهذا، وإن كان الله تعالى لا يخفى عليه شيء. ثم وجه فتنتهم أنهم اتخذوا الأخاديد وأوقدوا فيها النيران ليُلقوا[١٠] فيها من ثبت على الإيمان ودام عليه، ويتركوا إلقاء من رجع عن دينه، فقيل "فَتَنُوا" لهذا.

---

[١] عَزّ الشيء يَعِزُّ عِزًّا وعِزّة وعَزازة، إذا قلّ لا يكاد يوجد، فهو عزيز (*الصحاح* للجوهري، «عزز»).
[٢] ر م – الذل.
[٣] ر م: العز المنع.
[٤] جميع النسخ: وهو الحميد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٤و.
[٥] ر ث م + الآية.
[٦] ن – وإماؤه والسيد إذا قتل بعض مماليكه بعضا لم يلحق السيد بذلك ذل ولا نقص وإنما يدخل عليه الذل إذا قتلهم غير مماليكه فإذا كان الخلق بأجمعهم عبيد الله.
[٧] ر: لا يعذب.
[٨] ن: ليتميز.
[٩] ر ث م: الفتنة.
[١٠] ن: لتلقوا.

وقوله عز وجل: **ثم لم يتوبوا**، ففيه أنهم لو تابوا لكان يُعفَى عنهم ولا يعاقبون مع عِظَم جرمهم بربهم في ذات الله تعالى؛ فيكون فيه إظهارُ كرمه وعطفه على خلقه. وقوله: **فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق**، فمنهم من صرف قوله: **ولهم عذاب الحريق**، إلى الدنيا فقال:[1] تلك النار التي عَذَّبوا بها المؤمنين سُلِّطت عليهم حتى أحرقتهم؛ وجائز أن يكون ذلك في جهنم أيضا، فيكون فيه إخبارُ أنّ[2] نار جهنم تدوم عليهم بالإحراق ولا تَفتُر عنهم.[3]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، فمنهم من صرف هذا الخطاب إلى الذين عُذِّبوا[4] من المؤمنين، ومنهم من صرفه إلى المعذِّبين، وهو أنهم لو آمنوا مع عِظَم جرمهم وإساءتهم بأولياء الله تعالى لكان يعفو عنهم وتَسعهم[5] رحمته. [وجائز أن يكون هذا منصرفا إلى كلّ مَن آمن بالله تعالى].[6]

وقوله عز وجل: **لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**، فقوله: **من تحتها الأنهار** يحتمل وجهين. أحدهما من تحت أهلها، والثاني من تحت أشجارها. والجنة اسم للمكان الذي فيه الأشجار الملتفّة، فيخبر أن الماء يجرى من تحت ما به صار جنةً، وهي الأشجار. وليس يراد بقوله: تحتها[7] أي تحت تُرْبَتها؛[8] لأن تحتها تكون قناة أو بئر،[9] و ليس بهما كثير نزهة.

وقوله: **ذلك الفوز الكبير**، فالفائز[10] هو الذي يَظفَر بما يأمُل[11] وينجو عما يخاف ويحذر. ووصف أنه كبير،[12] لأنه ليس لما أنعم زوال ولا انقطاع.

---

[1] جميع النسخ + بأن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٤و.
[2] ر ث م: بأن.
[3] جميع النسخ: يدوم عليهم بالإحراق ولا يفتر عنهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ن - عذبوا.
[5] جميع النسخ: ويسعهم.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] ر ن ث: تحت الجنة.
[8] ر م: تربها.
[9] جميع النسخ: يكون قناة وبئرا.
[10] جميع النسخ: والفائز. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن ث: بما تأمل.
[12] ر م: كثير.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **إن بَطْشَ ربك لشديد،** أي أخذُه للانتقام شديد يشتدّ على الذي يعذّب، كقوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ.[١]

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **إنه هو يبدئ ويعيد،** قال بعضهم: يبدئ العذاب ثم يعيده، وقال بعضهم: يبدئ الخلق ثم يعيده بعدَ ما أماته.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **وهو الغفور الودود، الغفور** هو السَّتور يستر على المذنب ذنبَه إذا تاب حتى لا يُذكَر به، ولولا ذلك لم يكن يصفو له نعيم الآخرة عن التنغيص. وقوله: **الودود،** الذي يتودّد إلى خلقه فيما ينعم عليهم ويُحسن إليهم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «جُبلت القلوب على حُبِّ مَن أحسن إليها وبغضِ من أساء إليها»،[٢] فجعل الإحسانَ سبب التودد. والثاني أن كل من وادَّ آخرَ فالحق عليه أن يَودّه في الله تعالى لأنه به نال ما به يتودد. قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا،[٣] فكأنه يقول: هو المستوجِب للمودّة من الخلق.

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ذو العرش المجيد،** فمنهم من جعل المجيد نعتا للعرش، ومنهم من جعله[٤] نعتا لله تعالى.[٥] فمن جعله نعتا للعرش فهو مستقيم لأنه وصفَه في مكان آخر بالكريم بقوله: لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ.[٦] والمجيد يَقرُب معناه معنى الكريم لأن الكريم هو الذي عَظُم قدره وشَرُف، والمجيد كذلك هو الشريف المعظَّم. وعظم قدر العرش في قلوب الخلق وعَلا

---

[١] سورة هود، ١٠٢/١١.

[٢] روي هذا الكلام حديثا مرفوعا وموقوفا. انظر: *الكامل* لابن عدي، ٢٨٦/٢؛ وشعب *الإيمان* للبيهقي، ١٢١/٤.

[٣] سورة مريم، ٩٦/١٩.

[٤] ن: من جعل.

[٥] قرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾ بالخفض، وقرأ الباقون وقُتيبة: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ بالرفع (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٦٦).

[٦] سورة المؤمنون، ١١٦/٢٣.

حتى[1] زعمَ بعضُ الناس أنه مكان الربِ تعالى. والكريم في الشاهد هو الذي يُطمَع عنده وجودُ ما يرجى ويُؤمَل ويُؤمَن منه ما يُتقى ويُحذَر. وسمَّى لله تعالى النبات كريما بقوله: فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ،[2] لِما فيه من عِظَم المنافع. والكريم[3] هو النافع للخلق.

﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فَعَّال لما يريد**، أي ما يريد تكوينه يُكوِّنُه؛ فيكون فيه إيجابُ القول بخلق أفعال[4] العباد وأنه شاء لكلِّ أحد ما عَلِم أنه يكون منه؛ لأنه امتدح جلّ وعلا بالفعل لما يريد، ولو لم يثبت له صنعٌ في أفعال العباد لكان لا يختصّ بهذا الامتداح، بل يكون كل واحد مستوجبا لهذا المدح؛ فثبت أن كون حقائق الأشياء بما لله تعالى فيه صنع. والثاني أن إحداث شيء في سلطانِ آخرَ وفي مملكته من حيث لا يشاؤه ولا يريده آية الضعف والقهر، ومَن ذلك وصفُه لم يجز أن يكون ربا، لذلك لزمَ وصف الله تعالى بذلك. وجائز أن يكون قوله تعالى: **فعال لما يريد**، أي البعثِ، وهو أنه أنشأ هذا الخلق للعاقبة. وهكذا فعل كلِّ مختار أنه يقصد بفعله العاقبة / إلا أن يكون جاهلا بها. [٨٩٩و]

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾[١٧] ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود**،[5] فقد وصفنا ما في ذكر الأنباء[6] من الفوائد، وقد ذكرنا أن فيها إثباتَ رسالته على ما تقدم ذكره غير مرّة.[7]

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **بل الذين كفروا في تكذيب**، أي كفروا أنعم الله تعالى فهم في تكذيب بأنعم الله تعالى، أو لَمَّا جحدوا أنعم[8] الله تعالى لم يوفقهم للإيمان[9] به، فحصلوا[10] على التكذيب.

---

[1] ر م + من.
[2] سورة لقمان، ١٠/٣١.
[3] ن - والكريم.
[4] ر م - بخلق أفعال؛ ث: القول بخلق.
[5] ر ث م + الآية.
[6] ر م: فقد وصفناها في ذكر الأنباء.
[7] انظر مثلا عند تأويل الآية ٤ من هذه السورة.
[8] ر: نعم.
[9] ن: في الإيمان.
[10] م: فجعلوا.

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **والله من ورائهم محيط**، أي من وراء تكذيبهم محيط بما ينزل بهم من العذاب؛ ليس يوعدهم عن غفلة وخيال كما يفعله ملوك الدنيا: قد يوعِدون بالعذاب ولا يَدرون أنهم يتمكنون من ذلك أم لا. والله تعالى يُنزِل عليهم عذابه كما أوعد. أو يكون قوله: **من ورائهم محيط**، أي عالمٌ بما يُسِرّون ويُخفُون عن الخلق، لا يَعزُب عنه شيء.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **بل هو قرآن مجيد**، فسمّاه مجيدا وكريما[1] وحكيما.[2] وهذه أوصافُ مَن وصِف بها في الشاهد فإنما استحق الوصف بفعل وُجِد منه، ولا يوجد من القرآن فعل يستحق به الوصفَ؛ فالوصفُ به يحتمل أوجها. أحدها **مجيد**، أي يصير من تبعه و عمِل بما فيه مجيدا حكيما كريما، كقوله تعالى: وَالنَّهارَ مُبْصِرًا،[3] أي يُبصَر[4] فيه.[5] أو يكون قوله: **مجيد**، كريما،[6] أي [كريم] على الله تعالى. أو سمّاه كريما مجيدا حكيما لعظم قدره. أو سمّاه كريما حكيما مجيدا، لِما يوجد منه ما يوجد من الكرماء والحكماء والأمجاد.

﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **في لوح محفوظ**، فمنهم من حقّق اللوح والقلم، وقد وصفه أهل التفسير. ومنهم من جعل اللوح عبارة عما يلوح، أي يظهر للمَلَك من الأمر لا على تحقيق اللوح. وسمّت[7] الباطنية القلمَ[8] المبدَعَ الأول واللوحَ المبدَع الثاني، وجعلوا المبدَع الأول علة[9] للمبدَع[10] الثاني. وزعموا أن المبدَع الأول يدلّ له إنشاء المبدَع الثاني، فهو المنشئ له.

---

[1] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إنه لقرآن كريم﴾ (سورة الواقعة، ٧٧/٥٦).

[2] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ (سورة يونس، ١٠/١-٢).

[3] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لِتَسْكُنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ١٠/٦٧).

[4] ر م: أي تبصر.

[5] جميع النسخ: به.

[6] جميع النسخ: كريم.

[7] ر م: وسميت.

[8] ر: للقلم.

[9] ر ث م: + كون؛ ن: + يكون.

[10] جميع النسخ: المبدع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٥و.

وسمّت المبدَع الأول بارئا والمبدع الثاني خالقا ورحمانا.[1] وسمّت الفلاسفة المبدعَ الأول عقلاً والثاني نفسا، ثم حدث التوالد من الأنفس. فأما جَعْلهم الأول أصلا وعلة لنشوء[2] ما ذكروا فذلك يحتمل أن يُجعل الأولُ أصلا للثاني وعلةً، كما استقام أن تجعل[3] النطفة أصلا لخلق البشر. ولكنه لا يجوز أن يسمى بواحد من [هذين][4] الاسمين اللذين ذكرتهما الباطنية والفلاسفة؛ لأنه لا يجوز إنشاء الأسماء لهذه[5] الأشياء اختراعا بل نسميهما[6] بما جاءت به التسمية[7] من عند الحجة، وإنما جاءت التسمية من عند الحجة باللوح والقلم، فلا نسميهما بغيرهما.

وقوله عز وجل: **محفوظٍ**، أي عن أعدائه. فلا يتمكنون من تغييره وتبديله. وأخبر أنه أنزله إليه على يدي رسول قوي، فلا يقدر أحد أن يغلبه فيحرّفَ ما فيه. ووصفه بالأمانة في نفسه بقوله: [إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ] ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ،[8] ليؤمَنَ من[9] تغيّره[10] بنفسه. ***والله الهادي***.[11]

---

[1] ن ث م: خالقا رحمانا.

[2] ر ث م: ليسوا.

[3] ر ث م: أن يجعل.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٥و.

[5] جميع النسخ: بهذه. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] جميع النسخ: تسميتها. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] جميع النسخ: بل تسميتهما ما جاءت بهما التسمية. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] سورة التكوير، ١٩/٨١-٢١.

[9] ر ن ث - من.

[10] ر ث م: تغييره؛ ن: يعتبره. والتصحيح من المرجع السابق.

[11] ر + للعباد والموفق للرشاد.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطارق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾[١] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾[٢] ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[٣]

قوله عز وجل: **والسماء والطارق**، إن الله جل وعلا عظّم قدر السماء في أعين الخلق لِما جعلها مَعْدِن رزقهم ومسكنَ أولي القَدْر من خلقه وهم الملائكة. وفيها خلق الجنةَ وخلقها بغير عمد تُرَى.[2] فأقسم بها لِما عظّم من شأنها وجعل مصالح الأغذية بزينتها[3] وهي الشمس والقمر.

وأقسم بالنجم الثاقب وهو المتلألئ من النجوم المضيء، أو الذي[4] يَثقُب الشيطانَ أو يُحرقه؛[5] ولما فيها أيضا من عظم البركات. فمن بركاتها[6] أنها جُعلت بحيث يُهتدى بها في البر والبحر، ويوصل بها إلى لطائف[7] التدبير إلى أنْ ظنّ بعض الناس أن الأنجم السبعة هي المدبِّرات. وبها ما مُنع الشياطين عن الصعود إلى السماء لِيُتَّقَى[8] بها التلبيس عن الوحي؛ لأنهم لو لم يُحَفَظوا عنها لكانوا إذا وقفوا على أخبارها أسرعوا بحملها[9] إلى الكهنة فيؤدي ذلك إلى التلبيس. ومِن عِظَم قدرها أنها تقطع[10] في الليلة الواحدة ميسرةَ ألف شهر فأقسم بها أيضا.

---

[1] ر – سورة الطارق؛ ن م: سورة والسماء والطارق؛ ث + وهي سبع وعشرة آيات مكية.

[2] جميع النسخ: يرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٥و.

[3] ن: تزينها.

[4] جميع النسخ: والذي. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] جميع النسخ: أو يخرقه. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ر م: وبركاتها؛ ن ث: وبركتها. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ن: الطائف.

[8] ر م: يسعى؛ ث: لينفى.

[9] ر م: تحملها.

[10] م: يقطع.

ويجوز أن يكون هذا من الله تعالى تعليما لرسوله عليه الصلاة والسلام بأن يُقسم به دون أن يكون ذلك قسما منه تعالى؛ لأنهم[1] لم يكونوا يرتابون في ألوهيته وربوبيته[2] وصدق إخباره فيُزالَ[3] عنهم الريب بالقسم، وإنما كانوا يرتابون في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فَعَلَّمَه القسم بما ذكر ليؤكّد أمره فيحملَهم ذلك على النظر في أمره. ويجوز أن يكون القسم بعين هذه الأشياء لكونها معظّمة عند الكفرة، وليس للمسلمين أن يُقسموا لها فيما بينهم. أو يكون القسم بهذه الأشياء هو القسم بخالقها، فكأنه أمره بالقسم بخالق هذه الأشياء على الإضمار. *والله أعلم*.

[٨٩٩ظ] واختلف في تأويل **الطارق**. / فقال بعضهم: ما يجيء به الليل، يقال: طرقتُه بالليل، إذا أتيتَه. وقال الزجاج: **الطارق** هو الساكن، يقال: أطرق في الكلام مَلِيّا، إذا وقف وسكن.[4] وقال بعضهم: هو النجم يطرُق بالليل ويخفَى بالنهار، وهو النجم الثاقب ذَكَرَه تفسيرا للطارق.

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إن كل نفس لما عليها حافظ**، اختلف في قوله: "**إن**"، قال بعضهم: أريد به هاهنا "ما"، وقوله: **لَمَّا**، صلة في الكلام؛ فمعناه: ما من نفس عليها حافظ وإنما الحافظ على بعض دون بعض. والثاني أن يكون الحافظ على بعضٍ ما في النفس دون بعض وذلك البعض هو الذي يُظهره، فأما الذي يُخفيه فإنه لا يشهده كاتباه. ومنهم من حمل قوله تعالى: **لمّا**، على الاستثناء، فقال معناه: ما من نفس إلا عليها حافظ. قال الزجاج: حرف "لمّا" استعمل في موضع[5] الاستثناء، يقال في اللغة: أقسمتُ عليك لمّا فعلتَ كذا، أي إلا فعلتَ كذا؛[6] فإن كان معناه ما ذكروا ففيها إلزام التيقّظ والتبصّر. والنفس من طبعها إذا سُلِّط عليها من يراقبها ويحفظها احتشمت [من][7] مراقبها[8] وخافته وتكون[9] متيقظة

[1] ر ث م - لأنهم.
[2] ر: ألوهية وربوبية.
[3] ر م: فزال.
[4] *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٣١١/٥.
[5] ث + إلا.
[6] المرجع السابق، ٣١١/٥.
[7] الزيادة من *الشرح*، ٣٣٥و.
[8] ر م: احتشمت عليه الملكان أيضا مراقبها؛ ن: احتشمت مراقبتها.
[9] ر ن م: ويكون.

فلا ترتكب[١] من الأمور إلا ما تعلم أنه لا تلحقها[٢] فيه[٣] التَبِعة من الحفّاظ. فسلِّط عليها الملكان أيضا لتكون متيقظة في كل قول وفعل فلا تُقبِلَ إلا على ما فيه نفعُ العاجل والآجل.[٤] وسمى الله تعالى الملكين ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾،[٥] ومن صحِب المكرَّم من الخلائق احتشم منه وتوقّى عن إتيان ما يُستحيى من مثله؛ ومن أراد أن يكتب إلى أحد كتابا لم يُثبت في كتابه شيئا يؤخذ عليه ويُذمّ به، بل يُحكِم الأمرَ ويُصلحه غايةَ ما يحتمله الوسعُ؛ فكان في ذكر الحافظ على الأنفس إلزامُ التيقظ والتبصر من الوجوه التي ذكرنا.

وقوله عز رجل: **حافظ**، قال بعضهم: يحفظ عليها رزقها حتى تستوفيَ[٦] به؛ فإن كان على هذا فالحفظ يكون لها لا عليها. وقال بعضهم: يحفظ عليها عملَها خيرَها وشرَّها.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾[٥] ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فلينظر الإنسان مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ من ماء دافق**، فالأصل أن إمعان النظر فيما خلق منه الإنسان مما يوصل المنكرين للبعث والمنكرين للرسالة إلى القول بهما. وذلك أن النطفة التي خُلق منها الإنسان لو رُئِيَتْ موضوعة على طَبَقٍ ثم رام أحد أن يعرف وأن ينتزع منها المعنى الذي به صلح أن ينشأ منها العلقة والمضغة وخُلق منها الإنسانُ لم يُدرك. ولو اجتمعت[٧] الإنس والجن على أن يركّبوا عليها جارحة من جوارح الإنسان لم يتهيأ لهم تركيبها، أو يعرفوا المعنى الذي صلح أن ينشأ منه السمع والبصر لم يقفوا[٨] عليه. فتبين أن الذي بلغت قدرته هذا لا يخفى عليه أمرٌ ولا يُعجزه شيءٌ، وتبين لهم حكمته. وإذا عرفوا حكمته أدّاهم ذلك إلى القول بالبعث؛ لأنه لولا البعث لكان[٩] يخرج إنشاء الخلق عبثا باطلا، فيخرج عن أن يكون حكيما، ولَزِمَهم أن يصدّقوا الرسل بجميع ما أخبروهم[١٠] به.

---

[١] جميع النسخ: ولا يرتكب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٥ظ.
[٢] جميع النسخ: ما يعلم أنه لا يلحقه.
[٣] ر ث م – فيه.
[٤] جميع النسخ: فسلط عليه الملكان أيضا ليكون متيقظا في كل قول وفعل فلا يقبل إلا ما فيه نفع العاجل والآجل.
[٥] سورة الانفطار، ٨٢/١١.
[٦] جميع النسخ: يستوفي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: ولو اجتمع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر م: لم يوقفوا.
[٩] جميع النسخ: وإلا كان.
[١٠] ر ن: ما أخبرهم؛ ث م: ما أخبرتهم.

وفيه دلالة خلق الشيء لا من شيء، إذ لا يجوز أن يكون الإنسان بكليته من النطفة مُستجِنًا؛[1] فظهر أنه لا يسع في الشيء الواحد ما لا يحصى ذلك من الأضعاف؛ ولا يجوز أن يكون ذلك عمل النطفة أيضا لأنها[2] موات لا يحتمل[3] أن تصير[4] كذلك إلا بتدبير مدبِّر عليم، فيكون فيما ذكرنا إيجابُ القول بحدوث[5] العالم. ولأنها لو صارت مضغة وعلقة وخَلْقا سويا بطبعها لكانت لا تخلو[6] نطفةٌ إلا وهي تنتقل[7] إلى ما ذكرنا؛ ألا ترى أن النار لِما كان من طبعها الإحراقُ، والثلجَ إذ كان من طبعه التبريدُ لم يجز أن ينتقل واحد منهما عن طبعه الذي أنشئ عليه. ثم قد وجدنا نُطَفا تخلو[8] عن هذه[9] المعاني التي ذكرنا، فثبت أنها نقلت إلى ما ذكرنا بتدبير حكيم مدبِّر، لا بطبعها.

ثم الأُعجوبة فيما فيه خُلق الإنسان ليست بأقلّ من الأعجوبة مما منه خلق. وذلك أن الإنسان خلق في الظلمات على ما أراد الله تعالى وصوّره كيف شاء، ولو أراد أحد أن يعلم علمَ ذلك أو يصوّر مثله في حالة العِيان لم يملك. وجُعِل ذلك المكان فيما ينمو فيه الولد ويغذو فيه خصوصا من بين سائر الأماكن. ولو أراد حكماء الإنس والجن أن يعرفوا الوجه الذي به صلح ذلك المكان للنماء والغذاء وأُعلِموا فيه فنونَ العلم لم يعرفوا. فمن تفكّر فيما ذكرنا عَلِم أنّ قدرته ذاتية لا يلحقها فناء ولا عجز، وعلم أنّ علمه ذاتي ليس بمكتسب فيُتوهَّمَ خَفاء الأمور عليه.

وقوله عز وجل: **من ماء دافق**، يعني النطفة التي يَدفُقها الرجلُ في الرحم. والدافق [معناه][10] مدفوق، أي يُدفق به، كقوله: ليل نائم، أي يُنام فيه وهَمٌّ[11] ناصب، أي يُنصَب به. وقال الزجاج: **ماءٍ دافق**، أي ذي اندفاق.[12]

---

[1] ر م: مستحسنا؛ ن ث: مستحيا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٥ظ.
[2] ر م: وأنها.
[3] ر م: لا يحتمله.
[4] جميع النسخ: أن يصير. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر: بحدث.
[6] جميع النسخ: لا يخلو.
[7] جميع النسخ: ينتقل. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: يخلو.
[9] جميع النسخ: من هذه. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] ر م: وهو.
[12] *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٣١١/٥.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **يخرج من بين الصلب والترائب**، اختلف في تأويله. فمنهم من يقول: [من][1] بين صلب الرجل[2] وترائب المرأة، وهي الأضلاع الثمانية: أربع عن يمينها وأربع عن يسارها. وقال بعضهم: الترائب هي الأطراف، وقال بعضهم: الترائب موضع القلادة منها، وقال بعضهم: الترائب ما دون / التراقي وفوق الصدر. ثم من الناس من صَرَف تأويلها إلى الرجل [٩٠٠و] خاصةً فقال: قوله: **من بين الصلب والترائب**، أريد به صلبُ الرجل وترائبُه، وزعم أن الماء الذي يكون الولد منه[3] ليس مَعْدِنُه الصلب خاصة بل يجتمع من أطرافه كلها.[4] ومن حمله على المعاني الأُخر[5] صرف الأمر إليهما جميعا، وهو أن الماء الذي يخلق منه الولد يكون منهما جميعا. و ذَكر[6] أبو بكر الأصم أن الصلب كناية عن الرجل، والترائب كناية عن المرأة؛ فيكون هذا اسما لهما مأخوذا عن أصل ماء يكون منهما، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ،[7] الآية، فأضاف الأبناء إلى الأصلاب.

وفي إخراج الماء من بين الصلب والترائب لطفٌ من الله تعالى؛ لأنه لو اجتهد الخلائق باستخراجه من بين ما ذُكر بحِيَلهم وقُواهم ووضعِه في الرحم لم يقدروا عليه. ثم الله بلطفه وضع هذه الشهوة فيما بين الخلق، واستخرج بها الماء من بين الصلب والترائب، لا أن يكون أحد[8] يملك إخراجها[9] بالأسباب والحيل؛ كما وضع فيهم شهوة الأكل والشرب في كل جارحة من جوارح الأكل باللطف، لا أن يكون ذلك العملُ بالأكل والشرب خاصةً. وكذلك يرى الإنسانُ إذا سقى أصلَ شجرة ظهرت منفعة السقي في أغصانها وأوراقها وأثمارها. ولو أراد أحد أن يعرف أنه لأيّ معنى صلح أن يكون الماء بالمحل الذي ذكرنا،

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٥ظ.

[2] ر ن م: الرجال.

[3] م - منه.

[4] جميع النسخ: كله. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] ن: الآخر.

[6] ر ث م + وذلك.

[7] سورة النساء، ٢٣/٤.

[8] ن - أحد.

[9] م - من بين ما ذكر بحيلهم وقواهم ووضعه في الرحم لم يقدروا عليه ثم الله بلطفه وضع هذه الشهوة فيما بين الخلق واستخرج بها الماء من بين الصلب والترائب لا أن يكون أحد يملك إخراجها.

وأراد أن يستخرج المعنى المجعول في الطعام من القوة التي ذكرنا لم يتدارك ذلك. فيكون فيما ذكرنا أبلغُ حجة على الثنويّة؛ لأنهم ينكرون خلق الأشياء لا عن أشياءَ،[1] وزعموا أنا لم نشاهد[2] كون الشيء لا من شيء، والشاهد دليل الغائب، فلزم ذلك في الذي غاب عنا. فمن قَدَر على تصوير الولد في تلك الظلمات وفي الأماكن الضيقة، وقَدَر أن يجعل في الماء والطعام المعانيَ[3] التي يعجز الخلق عن استدراكها لَقادرٌ على إنشاء الخلق لا من شيء، إذ الأعجوبة فيما ذكرنا ليست بدون الأعجوبة عن إنشاء شيء لا من شيء.

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **إنه على رجعه لقادر**، قال بعضهم: إنه على ردّه إلى صلب[4] أبيه لَقادر، وقال بعضهم: إنه على بعثه لقادر. وهذا[5] أشبه التأويلين؛ لأن الآية في موضع الاحتجاج على الكفرة ولم يُذكَر عن أحد التنازع في نفي الردّ إلى الصلب وإنكاره حتى يدفع المنازعةَ بهذا، وكانوا أهل إنكار بالبعث فاحتجّ عليهم بابتداء الخلقة. وكذلك أكثر ما جرى به الاحتجاج في إثبات البعث في القرآن إنما احتجّ عليهم بالابتداء. وإن كان التأويل على ردّه إلى صلب أبيه فوجه الرد هو أن يرد من حالة الشيب إلى حالة الشباب،[6] ثم من حالة الكبر إلى حالة الصغر،[7] ثم إلى حالة الطفولة،[8] ثم يُردّ مضغةً ثم يردّ علقة ثم نطفة ثم تردّ[9] النطفة إلى صلب أبيه. لا أن يوصف الله تعالى بالقدرة على رده –وهو على حاله[10] نسمةً عظيمة– إلى صلب أبيه مع ضيق ذلك المكان، لأن هذا[11] محال، والله تعالى لا يوصف بالقدرة على المحال؛ وليس فيما لا يوصف بالقدرة على محال نفيُ القدرة عنه في الأزل.

---

[1] ر ث م: لا من شيء.
[2] ن: لم يشاهد.
[3] ث + الذي.
[4] ن: على صلب.
[5] ر م: هذا.
[6] ن: من حاله السبب إلى حاله الشباب.
[7] ن + ثم إلى حاله.
[8] ر م: الطفولية.
[9] جميع النسخ: يرد.
[10] ر م: على حالة.
[11] جميع النسخ: ولأن هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٦و.

وبهذا يجاب من سأل فقال: أيقدر الله تعالى على إدخال الدنيا في بَيْضَة؟ فيقال له:[١] إن أردت إدخالها في البيضة في أن يصغّر[٢] الدنيا ويضيقها حتى يجعلها[٣] أضيق من البيضة، أو يوسّع[٤] البيضة حتى تسع[٥] فيها[٦] الدنيا فهو على ذلك قادر. وإن أردت أنه قادر على إدخالها فيها على إبقاء البيضة بحالها وإبقاء[٧] الدنيا بحالها فهذا محال، لما فيه من انقلاب البعض كُلًا والكل بعضا. فكذلك يوصف الله تعالى على رد النسمة إلى الصلب بالوجه الذي ذكرنا، لا أن يردّها على ما هي عليها إلى الصلب لما في ذلك من الإحالة.

وكذلك إذا سئلنا عن حركات أهل الجنة والسكون، هل لهما غاية؟ فنقول: لا. فإن قالوا: هل يعلم الله تعالى غايتها وعددها؟ فنقول له: يعلمها غير منقطعة لا أن يعلمها منقطعة. ولم يكن في قولنا: إنه لم يعلمه منقطعا إثباتُ جهل ولا نفيُ العلم عنه، بل الجهل إنما يتحقق إذا وصف العلم بالانقطاع فيما لا ينقطع، فكذلك ليس في نفي الوصف بالقدرة على المحال إثباتُ عجزه. *والله أعلم*.

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **يوم تبلى السرائر**، أي يُظهَر ما كان أخفِي منها. فجائز أن يكون الإظهار منصرفا إلى التي لم يطّلع عليها الملائكةُ فتكتبها[٨] عليه، فيذكّره الله تعالى تلك السرائر كيف شاء فيقرّرها عليه. أو يُنطق جوارحه بها، كقوله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ،[٩] الآية. أو يكون إظهار القراءة ما عليه فيظهر ذلك للخلق وإن كان قد أسرّها عنهم في الدنيا. ثم سمّى ذلك ابتلاء، لأن الابتلاء هو الاختبار، وإنما يكون الابتلاء بالسؤال أو بالأمر والنهي، فسمّى ما يسأل عنه في الآخرة ابتلاء.

---

[١] ن – له.
[٢] ر ث م: في أن تصغر.
[٣] ر م: تجعلها.
[٤] م: توسع.
[٥] ن: يسع.
[٦] جميع النسخ: فيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٦و.
[٧] ر ث م: بقاء.
[٨] جميع النسخ: فيكتبها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).

﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فماله من قوة ولا ناصر**، يحتمل وجهين. أحدهما أن ليست له قوة في كتمان ذلك على نفسه، ولا له[١] قوة نفي العذاب عن نفسه أَنْ لو كَتم؛[٢] أو ما له من قوة يمتنع بها ولا ناصرٍ يمنعه عن نزول العذاب به. ووجهه[٣] أنّ الكفار كانوا يفتخرون بقواهم وكثرة أنصارهم في الدنيا،[٤] فكانوا يظنّون أنهم لو أريدوا بالتعذيب[٥] دفعوا ذلك بأنصارهم وبما لهم من القُوَى. فيخبر الله تعالى / أنّ قواهم وكثرة أنصارهم لا تنفعهم[٦] في الآخرة ولا تدفع[٧] عنهم بأس الله تعالى، وكانوا يعبدون الأصنام لتُقرِّبهم[٨] إلى الله تعالى وتنصرهم[٩] من العذاب كما قال: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ،[١٠] فتبيّن[١١] أنها لا تغني[١٢] عنهم من الله تعالى شيئا. [٩٠٠ظ]

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **والسماء ذات الرجع**، قال أبو عبيدة: الرجع هو الماء،[١٣] أي السماءِ ذات المطر. وقال غيره: **ذاتِ الرجع**، أي تعود[١٤] في كل عام إلى ما كانت عليه في العام الذي قبله بالمطر. والرجع هو العَود. ويحتمل: **ذاتِ الرجع**، أي تتكرر[١٥] إلى[١٦] إدرار بركتها على الخلق ليستوفوا[١٧] منها.

---

[١] ر م: دلالة.
[٢] ر ث م: أو لو كتنم.
[٣] ر: ووجد.
[٤] ث م + لا ينفعهم في الآخرة.
[٥] جميع النسخ: التعذيب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٦ظ.
[٦] جميع النسخ: لا ينفعهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: ولا يدفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر: ليقربهم.
[٩] ر: وينصرهم.
[١٠] سورة يس، ٧٤/٣٦.
[١١] ن: فيبين.
[١٢] جميع النسخ: لا يغني. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢٩٤/٢.
[١٤] جميع النسخ: أي يعود. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٦ظ.
[١٥] جميع النسخ: يتكرر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] ر ن ث − إلى.
[١٧] جميع النسخ: استوفوا. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **والأرض ذات الصدع**، قيل:[١] **ذات الصدع** بالنبات. أو **ذات**[٢] **الصدع**، أي ذات أودية وأنهار يجتمع فيها الماء فينتفع بها الخلق لسقي أراضيهم ودوابهم. فعظَّم أمرَ السماء والأرض فأقسم بهما:[٣] إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ، يعني القرآن، وليس بِالْهَزْلِ.[٤] وفي إخراج النبات من الأرض حكمة عجيبة ولطفُ تدبير. وذلك أن النبات شيء ليّن يَنثني[٥] بأدنى مَسّ، ثم إنّ الله تعالى بلطفه صدع له الأرض اليابسة الصَّلْبة وأخرجه[٦] منها غير مُنْثَنٍ[٧] ولا متكسّر[٨] ليعلموا أن مدبّره حكيم فيلزمَهم به التوحيد. وجَعَل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء،[٩] إذ الأرض إنما يتصدع للنبات إذا أصابه المطر من السماء، فيكون في ذلك إنباءٌ أيضا أن مدبّرهما واحد، ولولا ذلك وإلا لم يتصل منفعة إحداهما بالأخرى.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾[١٣] ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **إنه لقول فصل**، أي بيّن، بَيَّن فيه الحلال والحرام وما يُتقي عنه وما يؤتَى، وبيّن فيه الصوابَ من الخطأ، وبيّن فيه الوعدَ والوعيد. أو يكون معنى الفصل التفريق، وهو أنْ فرّق الوعد من الوعيد والحلال من الحرام والحق من الباطل، فوضع كلَّ شيء موضعه ولم يَخلُط أحدهما بالآخر. وقوله: **وما هو بالهزل**، أي باللَّعِب والباطل.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾[١٥] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا**، وقوله: **وأكيد كيدا**،[١٠] يحتمل وجهين. أحدهما أي أُجزيهم جزاءَ كيدهم؛ فسَمّى الجزاءَ باسم ما له الجزاء وإن لم يكن ذلك كيدا،

---

[١] م ث + قوله.
[٢] ن: و ذات.
[٣] ر + وقوله عز وجل؛ ن ث + وقوله.
[٤] الآيتان التاليتان من هذه السورة.
[٥] ر م ث - ينثني.
[٦] ن: وأخرج.
[٧] م ث: وأخرج غير منثني؛ ن: غير مثني.
[٨] ث: ولا مكسر.
[٩] ر ن: بمنافع السماء متصلة.
[١٠] ر - وقوله وأكيد كيدا.

كما سمّى الجزاء للسيئة سيئة مثلَها[1] وإن لم يكن الجزاء سيئة، وكما سمّى جزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الجزاء اعتداء، بقوله: فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ،[2] وقال: نَسُوا اللّٰهَ فَنَسِيَهُمْ،[3] أي[4] جزاهم جزاء النسيان، أو[5] جعلهم كالشيء المنسي الذي لا يُعبأ به، لا أن يكون منه في الحقيقة نسيان؛ فكذا سمّى جزاء الكيد كيدا لا أن يكون الجزاء كيدا.

ووجه آخر أن الكيد في الحقيقة والمكر هو أن يأخذه من وجه أَمْنِه، فيلحقَ الكائد اسمُ الذمّ لأنه أخذه من وجه لم يَشْعُر به. وهذا المعنى في الكيد الذي أضيف إلى الله تعالى غير موجود، لأن الله تعالى قد بين له الطريق الذي إذا سلكه وقع له به[6] الأمنُ من الطريق الذي إذا سلكه حلّ به البوار والهلاكُ؛ فإذا سلك هذا الطريق كان سلوكه عن عِناد منه أو عن ترك الإنصاف من نفسه فوجد ما يكره من الكيد، لا من الكائد؛ فلم يلحقه بذلك الوصفِ المعنى المكروهُ.

ثم كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ما ذكر[7] في آية أخرى وهو قوله تعالى: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّٰهُ.[8]

﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **فمهل الكافرين،** فمَهِّل أو أَمهِل لغتان، فكأنه يقول: **أمهلهم رويدا،** ولا تجازهم بصنيعهم، فإن الله تعالى يجازيهم بصنيعهم عن قريب، وقد فعل ذلك بما سلَّط رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم وسَبْيِهم؛ فيكون في هذا بشارة منه لرسوله صلى الله عليه وسلم بالنصر عليهم وبغلبة إياهم. وفي ذلك [أيضا] آية رسالته، لأنه قال لهم هذا عند قلة أعوانه وضعفه. ثم إن الله تعالى كثّر أنصاره وأظهره[9] عليهم كما قال لهم، ليعلموا أنه عَلِم ذلك بالوحي. *والله الموفق بالصواب.*[10]

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلُها﴾ (سورة الشورى، ٤٠/١٢).
[2] سورة البقرة، ١٩٤/٢.
[3] سورة التوبة، ٦٧/٩.
[4] ر: أو.
[5] م: أي.
[6] ر ن ث: وقع أريد.
[7] ث - ما ذكر.
[8] سورة الأنفال، ٣٠/٨.
[9] ر ن ث: وأظهر.
[10] ر ن ث - بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعلى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **سبح اسم ربك**، قيل فيه من أوجه. أحدها أن سبح ربك، وقيل: سبح اسمه،[3] وقيل: سبِّح ربّك بأسمائه. فمن قال: سبّح ربك فمعناه أن نزّهه[4] عن جميع المعاني التي يحتملها غيرُه من الآفات والحاجات والأضداد والأنداد، فيكون القول به توحيدا. وروي عن مقاتل بن سليمان أنه قال: تأويله وحِّد ربك.[5] وتوحيده ما ذكرنا. وقال بعض المفسرين: تأويله أنْ صلِّ لربك. وهذا محتمل؛ لأن الصلاة بنفسها تسبيح،[6] [لأنه][7] بالافتتاح يَقطع وجوهَ المعاملات [التي] بينه وبين الخلق، ويمنع نفسه عن حوائجها فيجعلها لله[8] تعالى. وهذا هو التوحيد والإيمان؛ لأنه بالإيمان يجعل الأشياء كلها لله تعالى سالمة؛ فصارت الصلاة تسبيحا لعينها لا للتسبيح المجعول فيها. ومن حمل التسبيح على الاسم فقال: نزه اسمَه،

---

[1] ر – سورة الأعلى؛ ن: سورة سبح اسم ربك الأعلى؛ ث + وهي عشرة آيات مكية؛ م: سورة سبح اسم ربك.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] ن: أحدها أن سبح اسم ربك وقيل أن سبح ربك.

[4] جميع النسخ: أن نزه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٧و.

[5] انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٤٧٦.

[6] م: التسبيح.

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٧و.

[8] ر: الله.

فذلك يرجع إلى الأسماء الذاتية [وإلى الأسماء الصفاتية. فتنزيهه الأسماء الذاتيةَ][1] هو أن لا يشرك غيره[2] فيُسمّيه بها، والأسماء الذاتية قوله: الله الذي لا إله غيره، والرحمن[3] وما أشبهه من الأسماء. وتنزيهه[4] الأسماء الصفاتيةَ / أن ينزّهها عن المعاني التي استوجب الخلقُ الوصفَ به كقولك: [٩٠١و] عالم، حكيم، رحيم، مجيد. فمن وُصِف بالعلم من الخلائق فإنما استوجب الوصف به بأغيار[5] دخلن فيه، واستوجب الوصف بالحكمة والوصف بالمدح بالأغيار. والله تعالى استحق الوصف به بذاته[6] لا بالأغيار[7] فينصرف التنزيه إلى الأغيار؛ إذ صفاته ليست بأغيار[8] للذات[9] وهي لا تفارق[10] الذات، فالامتداح الواقع بالصفات امتداح بالذات الموصوف بها. ***والله الموفق.***

وقال بعضهم: معناه سَبِّحه[11] بالحمد والثناء، وهو يرجع إلى ما ذكرنا من التأويل الأول؛ وهو أن يحمده بالثناء الذي يتضمن التوحيد والتنزيه عن معاني الخلق. ومن قال: سبح ربك بأسمائه فهذا ظاهر، وهو أن يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأسماؤه معروفة لا يُحتاج إلى إظهارها.

وقوله عز وجل: **الأعلى**، فظاهره[12] يقتضي أن يكون هناك أدون وأسفلُ، وكذلك قوله: "الله أكبر" فظاهره[13] يقتضي الأصغر. ولكن معنى قوله: **الأعلى**، أي هو أعلى من أن تمسّه[14] حاجةٌ أو تلحقه[15] آفة، وكذلك هذا في الأكبر؛ ويكون الأكبر والأعلى في النهاية عن تنزيه المعاني التي ذكرنا؛ وهو كقوله هو أحسن وأجمل، فإذا قلت أحسن وأجمل أردت به النهاية في الحسن والجمال. أو يكون **الأعلى** بمعنى العليّ، والأكبر بمعنى الكبير، وذلك جائز في اللغة.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٧و.
[2] ر م – غيره.
[3] جميع النسخ: الرحمن.
[4] ر م – وتنزيهه.
[5] ر ث م: بأعيان.
[6] م – بذاته.
[7] ن: لا بأغيار.
[8] ث – والله تعالى استحق الوصف به بذاته لا بالأغيار فينصرف التنزيه إلى الأغيار إذ صفاته ليست بأغيار.
[9] ث: بالذات.
[10] جميع النسخ: لا يفارق. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: سبح. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: فظاهر.
[13] ن: فظاهر.
[14] جميع النسخ: أن يمسه. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] جميع النسخ: أو يلحقه.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **الذي خلق فسوى**، يحتمل[١] أوجها. أحدها أن يكون سوّاه على ما قدّره خلافا لأفعال الخلق؛ لأن الفعل من الخلق يخرج مرةً سويا على ما قدّره، ومرة بخلافه. أو يكون سوّى الخلق كلَّه في دلالة وحدانيته وشهادة ربوبيته؛ فما من خلق خَلَقَه إلا إذا[٢] تفكّر فيه العاقل دلت[٣] خلقتُه على معرفة الصانع ووحدانية الرب. أو سوّاه على ما فيه مصلحته ومنفعته. أو سواه على ما له خُلِق؛ ألا ترى أن الإنسان إذا أُمر بالركوعَ والسجود خَلَقَه من وجه يتمكن من الركوع والسجود؛ فهذا معنى قولنا أنّه سوّاه على ما له خُلق. *والله أعلم*.

﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **والذي قدّر فهدى**، [فالتقدير يتوجه إلى المعاني التي ذكرناها في قوله: فَسَوَّى. وقوله: **فهدى**]،[٤] يحتمل أوجها. أحدها هداه إلى ما أحوجه إليه؛ فهدى العبدَ معيشتَه من أين يأخذها، وهدى كلّ دابة إلى رزقها وعَيْشها فعرفتْ كلُّ دابة رزقها. أو يكون قوله: **فهدى**، أي هدى به.[٥] أو تكون[٦] الهداية منصرفة إلى أمر الدين، وذلك يرجع إلى الخصوص من الخلق الذين لهم عقول مميزة؛ فيكون معناه هدى فيمن هدى.[٧] وطعنت المعتزلة علينا بهذه الآية فقالت: إنّ الله تعالى يقول: **قدّر فهدى**، وأنتم تقولون[٨] قدَّر فأضلَّ؛ ولكن هذا [الطعن في][٩] التحقيق راجع إليهم لأنهم يحملون تأويل الهداية على البيان، وإذا كان كذلك وقد بيّن الله تعالى سبيل الهدى وسبيل الضلال جميعا فإذًا قد أضلّه حيث بيّن لهم سبيلَ الضلال على قولهم.

---

[١] ن: ويحتمل.
[٢] ر: أدنى.
[٣] ن: دل.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢٧و.
[٥] لعل المؤلف رحمه الله يقصد بقوله هذا: أي اهتدى العبد بهداية الله وتبيينه إلى ما اختار لنفسه.
[٦] جميع النسخ: أو يكون.
[٧] ث – فيمن هدى؛ م: فمن هدى.
[٨] ن: يقولون.
[٩] الزيادة من المرجع السابق.

ثم ليس في قوله: **قدر فهدى**، نفيُ الإضلال، إذ التخصيص بالذكر لا يدلّ على نفي ذلك عما عداه، فلم يجب قطع الحكم على ما ذكر. وقد ذَكر في موضع آخر المكرَمين بالهدى فقال: الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ،[1] الآية، فثبت أن الهدى راجع إلى الخصوص. فقوله: **قدّر**، أي قدّر لخلقه معايشهم وهداهم وجهَ أخذ المعيشة.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾[٤] ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[٥]

وقوله عز وجل: **والذي أخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى**، ففي هذه الآيات[2] تعريف الرب الأعلى، كأنه يقول: الرب الأعلى الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى والذي أخرج المرعى. ثم ذكر هذه الأشياء التي يُعْرَف[3] انقضاؤها وبدوّها وإنشاؤها وإهلاكها من المرعى وغيره؛ لأن وجه الدلالة بمعرفة الصانع بالأشياء التي يُعرَف بدوُّها وانقضاؤها وحدوثها وفناؤها أقربُ منه بالأشياء التي لم يشهد الخلق بدوها ولا انقضاءها، وهي السماوات والأرضون؛ إذ المرء يصل إلى وحدانية الرب ومعرفة الصانع بالأشياء التي تَحدُث وتتغيّر[4] بأدنى نظر وتأمل، ولا يصل[5] إلى ذلك فيما تدوم[6] إلا بلطائف فكرٍ وفضل بصر وزيادة تأملٍ. وجائز أن يكون خصّ المرعى بالذكر لِما بالمرعى قوام هذا الخلق؛ لأنه لا بدّ للبشر من الدوابّ والأنعام للتعيش، والدواب حياتها بالمراعي، فكان قِوام الخلق في التحصيل بإخراج المراعي، فذكّرهم هذا ليستأدي منهم الشكرَ. وإذا[7] كانت الدواب لم تُنشَأ[8] لأنفسها وإنما أنشئت للخلق ليتمتعوا بها، ثم الله تعالى بفضله أنشأ للدواب مراعيَ وقدّر لها أقواتها ولم يضيعها، فكيف يُضيّع هذا الخلقَ -وهم الذين قصد[9] إليهم من خلق هذا العالم- فلا يَرزقهم ويُخرجُهم من تدبيره؟

---

[1] سورة البقرة، ٢/١-٢.
[2] جميع النسخ: هذه الآية. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٧ظ.
[3] م: تعرف.
[4] جميع النسخ: يحدث ويتغير. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م: ولا نصل.
[6] ر ث م: يدوم.
[7] جميع النسخ: أو إذا. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: لم ينشأ. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] م: قصدوا.

وقوله عز وجل: **فجعله غثاءً أحوى**، قيل: الغُثاء اليابس الذي تحمله[1] السيول والأمطار. **أحوى**، أي أسودَ من قِدَمه. وقيل: الأحوى هو[2] الأخضر الذي يَضرِب إلى السواد. وهو على التقديم والتأخير، أي جعله غثاء بعد ما كان أحوى.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾[٦] ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾[٧]

وقوله عز وجل: / **سنقرئك فلا تنسى**، أي سنحفظ[3] عليك ما أوحينا إليك من القرآن [٩٠١ظ] فلا تنسى. وفي حفظه عليه السلام ما يوحى إليه دلالةُ رسالته لأنه لم يكن يعرف الكتابة ولا كان يتلو الكتب، ثم كان يقرأ جميع ما يُلقى إليه بمرة واحدة مع ما كان مأمورا أن لا يحرّك لسانه بشيء مما يوحى إليه إلى أن يُقضَى إليه الوحيُ،[4] ومن كانت حالته ما ذكرنا تَعذَّر عليه حفظُ ما يلقى إليه بمرات وإن كان ذلك لسانَه، فكيف يضبطه بمرة واحدة؟ فكان حفظه بالمرة الواحدة نوعا من آيات نبوّته.

وقوله عز وجل: **إلا ما شاء الله**، قال بعضهم: تأويله إلا ما شاء الله من ذلك، فإنه يُنسيك ما أراد أن يُنسيَكه. ولكن ما أُرَى هذا التأويل صحيحا؛ وذلك أن الذي أوحَى إليه آيةُ نبوته، فرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ثم أُنسِي فَلِمَنْ طَعَن في رسالته أن يستقرئه تلك الآية، فلا يتهيأ له أن يقرأها إذا كان قد أُنسي، فيجد في ذلك موضعَ الطعن عليه. وقد روي في بعض الأخبار أنه أنسي، ولكنه من أخبار الآحاد ولا يجوز قطع[5] الحكم به؛ لأن خبر الآحاد يُوجب علم العمل ولا يوجب علمَ الشهادة، وهي في موضع الشهادة هنا.[6] ولكن تأويله عندنا -والله أعلم- يخرّج على أوجه ثلاثة. أحدها أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا آمنين على أنفسهم بالعصمة عن الزلات التي لديها يُخاف زوالُ ما أُنعِموا به وإن ظهرت عصمته اليوم عندنا. ألا ترى إلى قصة إبراهيم عليه السلام عند مُحاجَة قومه

---

[1] جميع النسخ: يحمله.

[2] م: هي.

[3] ث: أي سيحفظ.

[4] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿لا تُحَرِكْ به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ (سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٩)؛ وقوله: ﴿فتعالى الله الملك الحق ولا تَعْجَلْ بالقرآن من قبل أن يُقْضَى إليك وحيُه وقل رب زدني علما﴾ (سورة طه، ٢٠/١١٤).

[5] ر م - قطع.

[6] جميع النسخ: هاهنا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٧ظ.

قال: أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا،[1] وقال: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[2] فخاف زوالَ ما أُكرِم به، وخشي أن يُبتلَى بما ابتلي[3] به أهلُ المعاصي حتى فزع إلى الدعاء. وقال في قصة شعيب عليه السلام: وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا،[4] وقال في قصة يوسف عليه السلام: مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ.[5] فثبت أنه لم يتبيّن لهم حقيقة العصمة عن الوقوع في الزلات التي تزيل النِعَم، فكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُؤمَن عما يُعقِب[6] الإنساءَ، بل قيل له: **سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله**، ألا ترى إلى قوله: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ،[7] فثبت أنهم كانوا على خوف ووَجَلٍ عن ارتكاب ما يُسلَب به الوحيُ ويُنسَى.

أو يكون الاستثناء راجعا إلى إنساء حكمه،[8] وهو أن يُنسخ حكمه حتى يترك وينسى فيصيرَ[9] كالمنسي كقوله: نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ،[10] أي جعلهم كالشيء المنسيّ بما أبلسهم[11] من رحمته، لا أن يكون هناك حقيقة نسيان؛ فكذلك إذا نسخ حكمُه وتُرك صار كالمنسي وإن لم تكن[12] فيه حقيقة نسيان؛ فيكون نسيانه[13] منصرفا إلى حكم التلاوة لا إلى عينها.[14]

أو يكون عليه السلام يذهب خاطرُه عن بعض ما يوحى إليه إذا اشتغلت[15] فكرتُه في أشياءَ أُخَرَ، فيصير الذي ذهب[16] عن وهمه كأنه نسيه وإن كان يعود ذلك إليه عند إحضاره ذهنَه،

[1] سورة الأنعام، ٦/٨٠.
[2] ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٣٥).
[3] م - بما ابتلي.
[4] ﴿قدِ افْتَرَيْنا على الله كَذِبًا إن عُدْنا في ملتكم بعد إذ نَجّانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ (سورة الأعراف، ٧/٨٩).
[5] سورة يوسف، ١٢/٧٦.
[6] جميع النسخ: عما تعقب.
[7] سورة الزمر، ٣٩/٦٥.
[8] ث: حكمته.
[9] ر م: ويصير.
[10] سورة التوبة، ٩/٦٧.
[11] ر ث م: بما أنسيهم.
[12] جميع النسخ: وإن لم يكن.
[13] ث: النسيان.
[14] ر ث م: أعينها.
[15] ن: إذا اشتغل.
[16] ر ث م - عن بعض ما يوحى إليه إذا اشتغلت فكرته في أشياء أخر فيصير الذي ذهب.

كما نرى[1] المرء في الشاهد يذهب عن وهمه جميعُ ما في فاتحة الكتاب من الحروف إذا أعمل رَوِيّته في أشياء أخر حتى يصير كالناسي لها وإن كان يعود إلى تذكرها إذا رام أن يقرأها. فعلى هذه التأويلات يستقيم أن يوجّه إليها الاستثناء. *والله أعلم*.[2]

وقوله عز وجل: **إنه يعلم الجهر وما يخفى**، أي ما يَجهر بعض لبعض من الخلائق، وما يُسِرّ بعض عن بعض. أو يعلم ما يطّلع[3] عليه الملائكة من أعمالهم، ويعلم ما يَعْزُب عنهم، فعلمُه فيما أسرَ العبدُ كعلمه فيما أظهر وجَهر به، فذكّرهم هذا ليكونوا متيقظين، فلا يُخفون[4] ولا يجهرون إلا الذي يحق علهم، إذ الله تعالى حفيظ عليهم [لا يَغفُل عنهم].[5]

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾[٨]

وقوله عز وجل: **ونيسرك لليسرى**، قالوا: أي نيسّرك[6] للخير ولعمل أهل الجنة، فسمّيت أعمال الخير [يُسْرَى لأن ثمرتها اليسرى، وهي الجنة؛ وسميت المعاصي عُسْرَى][7] لأنها تُعقِب ذلك. *والله أعلم*.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾[٩]

وقوله عز وجل: **فذكر إن نفعت الذكرى**، فظاهر هذا يقتضي أن لا يُذكِّر إلا من نفعته الذكرى، ولكنّ تخصيص الحكم في حال بوصف لا يوجب قطع الحكم فيما كان الحال بخلاف ذلك الوصف، بل يلزمه أن يُذكِّر من نفعته ومن لا تنفعه؛ قال الله تعالى: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ،[8]

---

[1] ر ث م: كما ترى؛ ن: كما يرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٨و.

[2] في نسخة *الشرح* (مكتبة ولي الدين أفندي تحت رقم ٤٢٦، ورقة ٣٣٨و/سطر ١٢-١٧) زيادة: «والإشكال على رد الشيخ رحمه الله أن الله تعالى يُنسي على من كان عنده تلك الآية التي أنساها الله تعالى على نبيه حتى لا يعارضه بها. ولكن الجواب قد ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إن مما يتلى في كتاب الله تعالى 'الشيخ والشيخة إذا زنيا..." فيجوز أن يكون محفوظة عندهم وعلى موجب ما رده نسخ التلاوة وينبغي أن لا يجوز فإن تفسيرها أن يُنْسَى عن القلوب. قلنا: ليس كذلك فإن عمر كان يحفظها والتلاوة منسوخة ولكن الله تعالى يجوز أن يأمر بتلاوة عامة القرآن ولم يأمر بالبعض ابتداء كما أمر بالعبادة في بعض الأوقات دون بعض وأمر بتفسير بعض القرآن ونهي عن تفسير المتشابه ابتلاء، كذا هذا».

[3] ن: تطلع.

[4] ر م: فلا يخافون.

[5] الزيادة من المرجع السابق.

[6] جميع النسخ: قالوا ونيسرك. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] الزيادة من المرجع السابق.

[8] ر ن ث + الآية. سورة الغاشية، ٨٨/٢١.

أمر بالتذكير على الإطلاق. ثم قوله تعالى: **إنْ نَفَعَتِ الذكرى**، يحتمل وجهين. أحدهما أنْ ذَكِّر فقد نفعت الذكرى، وهو كقوله تعالى: وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا،[1] ومعناه قد كان وعد ربنا مفعولا. وقد نفعت[2] الذكرى لأنه بتذكيره أسلم مَن أسلم منهم، وبه فازوا وبه نالوا الدرجاتِ[3] العُلَى. وقال تعالى: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ.[4] أو يكون قوله تعالى: **فذكر**، ما نفعت الذكرى، فسيأتي على أقوام حال[5] لا تنفعهم الذكرى لديها، وتلك حالة المعاينة لبأس الله تعالى وعذابه.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **سيذكر من يخشى**، أي يتّعظ بها من يخشى الله تعالى أو الميعادَ، قال الله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ،[6] أي بالقرآن. وذلك أن الذي يحملهم على الإيمان / بالآخرة إيمانُهم بهذا الكتاب؛ لأن في القرآن تذكيرا للآخرة وأمرا بالاستعداد لها، [٩٠٢و] فكذلك[7] خشيته[8] تحمله[9] على الاتعاظ بالذكرى والانتفاع بها. والخشية هي الخوف اللازم في القلب.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾[١١] ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى**، فأضاف[10] التجنب هاهنا إلى الأشقى، وهو[11] الشقي،[12] وفيما ذَكَر الأتقى أضافَ التجنّب إلى نفسه، بقوله: وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى،[13] فيكون في هذا دلالةُ الإذن بإضافة الخيرات إلى الله تعالى،

---

[1] سورة الإسراء، ١٠٨/١٧.
[2] جميع النسخ: وقد تعقب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٨و.
[3] ر: للدرجات.
[4] سورة الذاريات، ٥٥/٥١.
[5] الزيادة من المرجع السابق.
[6] سورة الأنعام، ٩٢/٦.
[7] ر ث م: وذلك.
[8] م: خشية.
[9] ر ث: يحمله.
[10] ر م: فأضافت.
[11] ر ث م: وهي.
[12] ر م: الأشقى.
[13] سورة الليل، ١٧/٩٢-١٨.

وفي الأول دلالةُ منع إضافة الشرور إليه. وهذا لأن إضافة الخيرات إلى الله تعالى يخرج مخرج الشكر له وهو حقيق بأن يُشكَر نعمُه، وليس في إضافة الشرور إلى آخر شكر، فلم يصلح أن يضاف إليه. *والله أعلم*.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **ثم لا يموت فيها ولا يحيى**، أي لا تنقضي[1] عنه أفعال الموت، وهي آلامها وأوجاعها، بل يبقى في آلامها أبدا، قال الله تعالى: وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ،[2] أي لا يُقضَى عليه حتى يتخلصَ من أوجاعها. **ولا يحيى**، فالحياة التي يُنتفع بها في الدنيا هي التي يرتفع عنها آلام الموت وأوجاعه.[3] فقوله: **ولا يحيى**، أي لا يرتفع عنه ألم الموت. أو يكون قوله: **لا يموت فيها** فيستريحَ، **ولا يحيى** حياةً يتلذذ بها.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **قد أفلح من تزكى**، أي أتى بما يُزكِّي[4] به نفسَه، أو أتى بما يُطهِّر نفسَه به. وسنذكر[ها][5] في سورة "والشمس وضحاها" مع تأويل الفلاح،[6] إن شاء الله تعالى.[7]

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[١٥]

وقوله: **وذكر اسم ربه فصلى**، يحتمل أن يكون أريد به أنواع العبادات لا الصلاة المعروفةُ وحدها؛ لأن الصلاة اسم للدعاء والثناء ولأنواع من المكرُمات[8] فإنه يذكر ما يصل[9] [به] إلى العبادات، ومن أعرض عن ذكره حُرِم من العبادات.[10] أو يكون منصرفا إلى الصلاة المعروفة فيكون قوله: **وذكر اسم ربه فصلى**، أي يصلي[11] بتقديمه اسم الرب،

---

[1] جميع النسخ: لا ينقضي.
[2] سورة إبراهيم، ١٧/١٤.
[3] ر ث م – فالحياة التي ينتفع بها في الدنيا هي التي يرتفع عنها آلام الموت وأوجاعه.
[4] ر م: بما تزكو؛ ن ث: بما تزكوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٨ظ.
[5] أي تزكية النفس.
[6] ن: القلاع.
[7] ن – إن شاء الله تعالى. انظر عند تأويل الآيتين ٩ و ١٠ من سورة الشمس.
[8] ر م: من الكرامات؛ ث: من المكارم.
[9] جميع النسخ: فإنه يقول يذكر الرب ما يصل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ن: إذ العبادات.
[11] ن: نصلي.

ويكون[1] [ذلك][2] منصرفا إلى الافتتاح؛ فيكون فيه[3] حجةُ لأبي[4] حنيفة رحمه الله أنّ المصلي له أن يفتتح صلاته بأي أسماء الله تعالى أحبَّ. ثم ذِكر اسم الرب يقتضي المعاني التي ذكرنا في قوله تعالى: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى.[5]

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[١٦] ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى**، أي تؤثرون[6] حياتها على حياة الآخرة. ويكون الخطاب منصرفا إلى المنافقين والكفرة، لا إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. ثم كانوا في الإيثار مختلفين، فمنهم من آثرها في أن ينظر[7] في الدنيا وأعرض عن النظر في الآخرة وجَحَدَها، ومنهم من كان أغلبُ سعيه لأمر[8] الدنيا، ومنهم من كان يؤثر بعضَ أحوالها على الآخرة. وقوله عز وجل: **والآخرة خير وأبقى**، أي إيثار الحياة الآخرة خيرٌ وأبقى من إيثار الحياة الدنيا.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾[١٨] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى**، قال بعضهم: الآيات الأربع في صحف إبراهيم وموسى[9] أوّلهنّ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى -إلى قوله- خَيْرٌ وَأَبْقَى،[10] وقال بعضهم: السورة[11] كلّها أنزلت على إبراهيم وموسى عليهما السلام. فإن كانت السورة كلّها في الصحف الأولى فجميع ما في هذه[12] السورة ذكر فيها بحق الحاجة لهم إلى تعرفها،

[1] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٨ظ.
[2] الزيادة من المرجع السابق.
[3] ر – فيه.
[4] ر: أبي حنيفة.
[5] الآية ١ من هذه السورة.
[6] جميع النسخ: أي يؤثرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: من آثارها في أن نظر. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ن ث: لا من.
[9] جميع النسخ: موسى وإبراهيم. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ (سورة الأعلى، ١٤/٨٧-١٧).
[11] ر ن: السور.
[12] ر ث م – هذه.

ويكون قوله: سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى،[1] مذكورا بحق الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ووجه الثناء ما ذكر في قوله: يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ،[2] إلى آخر الآية. وهو يستحق الثناء بهذا الحرف لما في حفظه عليه السلام جميعَ ما يوحى إليه بمرة واحدة إكرام له وتفضيلٌ، فصلح أن يثنى عليه بهذا.

وفي قوله تعالى: **إن هذا لفي الصحف الأولى صحفِ إبراهيم وموسى**، دلالةُ أنَّ اختلاف الألسن لا يغيّر الأشياء عن حقائقها؛ لأن الله تعالى شهد بكون هذا في الصحف الأولى، فليس في الصحف الأولى بهذا اللسان؛ فيكون فيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله في تجويز القراءة بالفارسية.

والله أعلم.[3]

---

[1] الآية ٦ من هذه السورة.

[2] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).

[3] ر ن ث - والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الغاشية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[١] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[٢] ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾[٣]

قوله عز وجل: **هل أتاك حديث الغاشية**، قيل: معناه قد أتاك حديث الغاشية، فإما أن يكون الإتيان سابقا، أو أتاه حديث الغاشية بنفس هذه الآيات.[2] ثم في هذه الآيات ترغيب فيما تُحمَد[3] عاقبته، وتحذيرٌ عما يُذَم في العاقبة، وتبيين أنّ العاقبة المحمودة متصلة باكتسابه وكَدْحِه، وكذلك العاقبة المذمومة ينالها بعمله ونَصَبه. ثم اختلف في تأويل **الغاشية**. فقيل: الغاشية هي[4] النار تَغْشاهم،[5] كما قال تعالى: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ.[6] وقال في آية أخرى: وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ.[7] ومنهم من يقول: **الغاشية** هي الساعة، سميت غاشية لأنها تغشى الصغير والكبير، والمحمود والمذموم، / والسعيد والشقيّ[8] فتعمّهم[9] جميعا. [٩٠٢ظ]

---

[1] ر – سورة الغاشية؛ ث + وهي ست وعشر آيات مكية.

[2] ر م: هذه السورة.

[3] جميع النسخ: فيما يحمد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٨ظ.

[4] ث – هي.

[5] ر ن م: يغشاهم.

[6] سورة الزمر، ١٦/٣٩.

[7] سورة إبراهيم، ٥٠/١٤.

[8] م: والشقي والسعيد.

[9] جميع النسخ: فيعمهم. والتصحيح من المرجع السابق.

وهذا التأويل أقرب؛ لأنه ذكر الغاشية أوّلا ثم ذكر الجزاء بعد ذلك بقوله: **وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة**، وقولِه عز وجل: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ.[1] ثم قوله: **وجوه يومئذ خاشعة**، أي ذليلة. وإنما خصّ الوجهَ بالذكر لأن الحزن والسرور إذا استحكما في القلب أثّرا[2] في الوجه، فيكون في ذكر الوجه وصفٌ للغاية التي هم عليها من الذُلّ.

وقوله عز وجل: **عاملة ناصبة**، قال بعضهم: [هذا منصرف][3] إلى عُبّاد الكفرة، وهو أنهم بَقُوا أبدا في النصَب والعمل في الدنيا والآخرة. وجائز أن يكون نَصَبها وعملُها في النار، وهو أنها لم تعمل في الدنيا بل تكبّرت[4] عن طاعة الله تعالى، فأعملَها وأنصبها في الآخرة بمعالجة الأغلال والسلاسل في النار الحامية. أو عملت في الدنيا بالمعاصي ونَصَبت في الآخرة، فيكون فيه تبيين العمل والجزاء.

﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾[٤] ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [٥]

وقوله عز وجل: **تصلى نارا حامية**، أي حارّة قد أحماها الله تعالى من[5] يومِ خُلِقت إلى الوقت الذي تُسقى[6] منها. وقوله عز وجل: **تسقى من عين آنية**، قيل: الآني الذي قد[7] انتهى في الحرّ غايتَه حتى لا حرَّ أحرُّ[8] منه.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾[٦] ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ليس لهم طعام إلا من ضريع**، اختلف في الضريع. فمنهم من يقول: سُمّي ضريعا لأنهم يتضرعون عنه ويجزّعون إذا أُطعموا. ومنهم من جعل الضريع لونا من ألوان العذاب لم يبيّنه الله تعالى للخلق. ومنهم من قال: الضريع اسم لِنَبْت قد عرفته العربُ فيما بينهم يأكله الإبل والدوابّ ما دام رَطْبا، فإذا هاج ويبس تركت الدواب أكلَه وعافته[9] لخبثه

---

[1] الآية ٨ من هذه السورة.
[2] م: أثر.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٩و.
[4] ث: بل تكبر.
[5] ر – من.
[6] جميع النسخ: يسقى. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ث – قد.
[8] ر: أخر.
[9] ر ث: وعاقبته؛ م: وعاقبه.

وكثرة ما عليه من الشوك. ويسمّونه شِبْرِقا في الربيع، وإذا هاج وجفّ سمّوه ضريعا.[١] فذلك النبت في الدنيا يعمل في إسمان الدابة ويغنيها[٢] من الجوع. فنفى الله تعالى وجه الإسمان والإغناء وحصّل أمره على الخبث، بقوله: **لا يُسمن ولا يُغني من جوع**، وهو كقوله:[٣] فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ،[٤] فالسدر اسم شجرة ذات شوك في الدنيا، فأنشئت في الآخرة بلا شوك. ووَصَف خمرَ الجنة، فقال: لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ،[٥] والخمر في الدنيا تعمل[٦] في التصديع وهي تُنزف، فنفى [عنها][٧] هذه الآفات وجعلها شرابا سائغا لَذَّةً للشاربين؛ فكذلك الضريع نفى عنه ما يقع به الإسمان والإغناء وحصّل أمره على الخبث. ***والله أعلم.***

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ [٨] ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [٩]

وقوله عز وجل: **وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية**، أي نَعِمتْ[٨] بما عاينت من عاقبة عملها الصالح في الدنيا، ورضيت بما أُوتِيَتْ جزاءً عن سعيها في الدنيا. جعل الله تعالى في وجوه الخلق يوم القيامة آثارَ صنائعهم في الدنيا؛ فمن أطاعه جعل عَلَم طاعته في وجهه يومَ القيامة،[٩] ومن عصاه جعل أثرَه في وجهه يُعرَف به.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [١٠]

وقوله عز وجل: **في جنة عالية**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون قد علا قدرها وعظُم شأنها؛ فتكون **عاليةٍ**، نعتا للجنة، فوصفها بالعلو من هذا الوجه. والثاني يحتمل العلو من حيث الدرجات والمكانُ. ***والله أعلم.***

---

[١] الضريع: نبات أخضر مُنتِنٌ خفيف يَرمي به البحر وله جَوْفٌ، وقيل: هو يَبِيس العَرْفَج والخُلَّة، وقيل: ما دام رطبًا فهو ضريعٌ، فإذا يبس فهو الشِّبْرِقُ، وهو مَرْعَى سَوْءٍ لا تَعقِدُ عليه السائمةُ شَحْمًا ولا لحمًا، وإن لم تفارقه إلى غيره ساءت حالها. وفي التنزيل: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع﴾؛ قال الفراء: الضريع نبت يقال له الشِّبْرِق، وأهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس. وقيل: الضريع طعام أهل النار، وهذا لا يعرفه العرب (*لسان العرب*، «ضرع»).

[٢] ر: وتغنيها؛ ن: ونغها.

[٣] ن: في قوله.

[٤] سورة الواقعة، ٥٦/٢٨-٢٩.

[٥] سورة الواقعة، ٥٦/١٩.

[٦] ر ث م: يعمل؛ ن: في الدنيا في الدنيا يعمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٩و.

[٧] الزيادة من المرجع السابق.

[٨] جميع النسخ: ناعمة. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ن – القيامة.

﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [١١]

وقوله عز وجل: **لا تسمع فيها لاغية**، [أي][١] ما يَحِقّ أن يُلغَى[٢] من الشتم ومن كلّ ما يُؤَثِّم صاحبَه، بل هم كما وصفهم الله تعالى: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ.[٣] ثم الذي يحمل المرء على شتم المرء إما ضِغن أضمره في صدره، أو خصومة حدثت بينهما، أو آفةٌ تدخل[٤] في عقله لسكر[٥] أو ما أشبهه.[٦] والله تعالى نفى عن الشراب الآفاتِ[٧] بقوله: لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ،[٨] ونزَع الغلَّ عن صدورهم فارتفعت دواعي[٩] السفه كلُّها فلا تَسمع فيها ما يحق أن يُلغَى.[١٠]

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **فيها عين جارية**، أي عيونها جارية تأخذها العين وتجري[١١] على وجهها، ليست كمياه الدنيا في أن بعضها يجري[١٢] على وجه الأرض وبعضها تحتها، نحو ماء القناة وماء البئر.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾[١٣] ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾[١٤] ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾[١٥] ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فيها سرر مرفوعة**، قال بعضهم: مرفوعة بعضها فوق بعض، ترتفع[١٣] ما شاء الله، فإذا جاء وليّ الله تعالى ليجلس عليها تطامنت له فإذا استوى عليها ارتفعت حيث شاء الله تعالى. وقال بعضهم: معنى المرفوعة هاهنا أنها أنشئت مرفوعة القدر عند أهلها،

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٩و.
[٢] ر ن م: أن يلقى.
[٣] سورة الحجر، ٤٧/١٥.
[٤] جميع النسخ: يدخل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ن م: بسكر؛ ث: بفكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر م: وما أشبهه.
[٧] م: والآفات.
[٨] سورة الواقعة، ١٩/٥٦.
[٩] ر م: وداعي.
[١٠] ر ن: أن يلقى به؛ ث + به؛ م: أن يلقى فيه.
[١١] جميع النسخ: يأخذها العين ويجري. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ث: تجري.
[١٣] ر ث م: يرتفع؛ ن: ثم يقع. والتصحيح من المرجع السابق.

فوُعِدوا في الآخرة على ما هي عليه رغبتهم في الدنيا وإيثارُهم لها. والمرء يرغب في الوجهين اللذين ذكرناهما في الدنيا، فعلى مثلها جرى الوعد في الآخرة.

وكذلك يرغب في الأكواب والنمارق المصفوفة والزرابيّ المبثوثة فوعد لهم مثلها في الآخرة. وقال في موضع آخر:[1] وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ.[2] ورفعها يكون من الوجهين اللذين ذكرناهما في السرر؛ فوعدوا بها أيضا في الآخرة لرغبتهم[3] بها في الدنيا.[4]

وقوله عز وجل: **وأكواب موضوعة،**[5] فالأكواب[6] هي الكِيزان التي لا عرى لها، فإما أن يكون وصفا لكِبَر تلك الأكواب في أنفسها حيث لا عُرَى لها كالحِباب[7] في الدنيا. أو يكون فيه أن لهم خَدَما وولدانا يتولَّون نقلَها[8] إلى أين أحبّوا وليست لها عرى يمدّون أيديهم إليها فيرفعونها.[9]

وقوله عز وجل: **ونمارق** / **مصفوفة،** قيل هي الوسائد وضعت على البُسُط. وكذلك [٩٠٣و] تبسط[10] الوسائد في الدنيا، فرغّبوا كذلك في الآخرة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[١٧] ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾[١٨] ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾[١٩] ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت**[11] **[وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت]**[12] **وإلى الأرض كيف سطحت،** فخصّ الإبل بالذكر من بين جملة الدواب، وخُص السماء والجبال والأرض بالذكر، وتخصيصُها يكون لأحد وجهين. أحدهما أن الإبل كانت من أخص دواب أهل مكة، عليها كانوا يسافرون، وعليها كانوا ينقلون ما احتاجوا إليه؛

---

[1] جميع النسخ - آخر. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٩و.
[2] سورة الواقعة، ٥٦/٣٤.
[3] ر ث: لترغيبهم؛ م: لترغيبها. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ن - فوعدوا بها أيضا في الآخرة لترغيبهم بها في الدنيا.
[5] ن - وقوله عز وجل وأكواب موضوعة.
[6] ر ث م: والأكواب.
[7] الحِبَاب جمع حُبّ، وهو وعاء الماء كالزير والجَرّة (*المعجم الوسيط*، «حب»).
[8] ن: بقلبها.
[9] ث - فيرفعونها.
[10] جميع النسخ: يبسط.
[11] جميع النسخ + إلى قوله. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٩ظ.
[12] الزيادة من المرجع السابق.

وهي أيضا -أعني مكة- مُنشأة[1] بين الجبال، فكانت لا تفارقهم[2] الجبال، وكانت السماء من فوقهم والأرض من تحتهم، فخُصّت هذه الأشياء بالذكر ليعتبروا بها ويتدبروا.

و[الثاني] يحتمل وجها آخر، وهو أن المنافع المجعولة في الدواب كلها تجتمع في الإبل؛ لأن منافع الدواب أن يُنتفع بظهرها وبضَرعها وبصُوفها وبلحمها وبنسلها.[3] فكلّ ذلك يوجد في الإبل، فصارت الإبل[4] كالأم[5] للمنافع المتخذة في الدواب والبركات المعقودة فيها. وكذلك عِظَم المنافع والبركات المعقودة فيها متصلة بالسماء، ففيها جعلت أرزاقهم، وفيها عينُ[6] الشمس التي بها[7] مصالح الأغذية، وتراها[8] مُزيَّنة بزينة الكواكب فهي أيضا كالأم في المنافع. وكذلك الأرض كالأم في المنافع؛ إذ[9] فيها مأوى الخلق، وقُدّر[10] فيها أقوات الخلق وأرزاقهم، ومنها يخرج ما يتخذون منه اللباس. ثم بالجبال قوامُ الأرض ولولاها لكانت الأرض تَميد بأهلها؛ فخصّت هذه الأشياء بالذكر لما ذكرنا.

ثم قوله: **أفلا ينظرون**، يحتمل وجهين. أحدهما على الأمر، أي فلينظروا. والثاني أن يكون على سؤال تقدَّم منهم لأمر اشتبه عليهم فنزلت هذه الآية: **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت**، إلى آخر الآيات، أي لو نظروا في هذه الأشياء لكان نظرهم فيها وتفكّرهم بها[11] يُزيح[12] عنهم الإشكال، ويوضح لهم ما اشتبه عليهم. وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لمّا ذَكَر الله تعالى ما ذكر من نعيم الجنة عَجِبت قريش وقالت:[13] يا محمد ائتنا بآيةٍ أنّ ما تقوله حقٌّ، فأنزل الله تعالى: **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت.**[14]

---

[1] م: منشؤه.
[2] جميع النسخ: لا يفارقهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٩ظ.
[3] جميع النسخ: ونسلها. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر ث م: في الإبل.
[5] جميع النسخ: كالأنعام. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر: عن.
[7] ر: فيه؛ م: به.
[8] ر: ويريها.
[9] ن: إن.
[10] ر - قدر.
[11] ر: بسببها.
[12] جميع النسخ: نزع. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر م: وقال.
[14] ن + الخ أي لو نظروا في هذه الأشياء. *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٦٤٦.

ثم النظر في رفع السماوات والتفكر[١] في خلقها بغير عمد يرونها،[٢] والنظرُ والاعتبار في خلق الإبل ونَصب الجبال، وسطحِ الأرض -وهو البسط- ممّا يوجب القول بالبعث ويدعو إلى وحدانية الرب تعالى، وإلى القول بإثبات الرسالة. وذلك أن الذي كان يحملهم[٣] على إنكار البعث هو أنهم كانوا يُقدرّون الأشياء بقُوى أنفسهم فكانوا يظنون أن القوة لا تبلغ[٤] هذا، إذ إحياء الموتى خارج عن وُسعهم. فلو نظروا وتفكروا في خلق السماوات والأرض لَعلموا أن قوة الله غير مقدّرة بقُوى الخلق، وذلك أن السماوات خلقت ورفعت في الهواء بغير عمد وأُقرت، كذلك لا تنحدر عن موضعها ولا تتصعد.[٥] ولو أراد أحد أن يُقرّ في الهواء ريشةً حتى لا تسقط ولا تتصعّدَ[٦] لم يقدر عليه؛ فيكون في ذلك تنبيهُ أنّ قدرتّه قدرة ذاتيّة ليست بمستفادة. وكذلك الجبال يرونها[٧] مع شموخها وارتفاعها وصلابتها زيّنت بالمياه والأشجار الملتفّة من وجه لو تفكّر[٨] فيه الخلائقُ[٩] فاستفرغوا مجهودَهم لِيعلموا مِنْ أي موضع يجتمع الماء، وكيف يَنبُع وكيف ينبت الأشجار من بين الأحجار لم يصلوا إلى معرفته،[١٠] فيعلمون[١١] أنّ علمه ليس بالذي يحاط[١٢] به. فيكون في ذكر هذا[١٣] إنباءٌ أنّه لا يخفى عليه أمرٌ ولا يُعجزه شيءٌ، بل العالم كلّه تحت تدبيره، يفعل بهم ما يشاء ويحكم ما يريد؛ وأن الذي قدر على خلق هذا لقادرٌ على إحيائهم وبعثِهم للجزاء.

وفي خلق هذه الأشياء ما يدعوهم إلى الوحدانية لأن الله تعالى جعل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء. فالقَطْر ينزل من السماء إلى الأرض الغَبراء المتهشّمة فيُنبت لهم من ألوان النبات رزقا لهم ولأنعامهم، فلو كان مدبّر السماء غيرَ مدبّر الأرض لكان يمنع[١٤] منافع السماء

---

[١] ر: وتفكر؛ ث: والفكر.
[٢] جميع النسخ: ترونها.
[٣] ر م: يحمل.
[٤] جميع النسخ: لا يبلغ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٩ظ.
[٥] جميع النسخ: لا ينحدر عن موضعها ولا يتصعد. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] جميع النسخ: لا يسقط ولا يتصعد.
[٧] جميع النسخ: ترونها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث م: لو تفكروا.
[٩] ن: الخلق.
[١٠] م: إلى معرفة.
[١١] جميع النسخ: فيعلموا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن: تحاط.
[١٣] ر م - هذا.
[١٤] ن - يمنع؛ ث م: منع.

عن خلق مدبر الأرض. فلو تفكّروا فيها لكان يزول عنهم الإشكالُ، فلا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقولون: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا.[1]

وقولنا: إنّ فيه إثباتَ الرسالة، وذلك أنّهم بما أُنعِموا من النِّعم التي ذكرناها لا بد من أن يستأدي منهم الشكرَ، ولا يُعرَف شكرُ كل شيء على الإشارة إليه بم[2] يكون؟ فلا بدّ من رسالة يُطلِعهم على ذلك.

فإن قيل: كيف أمروا بالنظر في كيفية خلق هذه الأشياء، وهم لو نظروا آخرَ الأبد لِيعرفوا كيف خلقت هذه الأشياء لم يهتدوا[3] ذلك الوجه.

فجوابه أنهم لو تداركوا ذلك الوجه وفهموه لكان النظر فيها لا يرفع عنهم الإشكالَ، إذ يقدّرونه بأفعال الخلق التي يُهتدَى إليها، فارتفاع التدارك وخروجه عن أوهامهم هو الذي يوضِّح لهم المشكل ويُزيل عنهم الشبهةَ، إذ به عرفوا أنه حاصل بقدرةٍ من لا تُقدَّر[4] قدرته بقدرتهم وأنّه خلافهم من جميع الوجوه. **والله الموفق.**

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[٢١] ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[٢٢] ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾[٢٣] ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾[٢٤]

[٩٠٣ظ] وقوله عز وجل: **فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم / بمصيطر**، ففي هذه الآية -والله أعلم-[5] أمرٌ من الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام أن لا يجازيَهم بصنيعهم إذا استقبلوه[6] بما يكره من أذًى يوجَد منهم واستخفافٍ يجيء منهم، فيقول:[7] ذكِّرْ بالله[8] تعالى وذكرهم عظمَ نعمه، وذكرهم كيف هلك مكذّبو الرسلِ، وكيف نجا من صدّقهم، وعظِّم أمرَهم؟ ولا تَقْهَرْهم[9] ولا تُجازِهم بصنيعهم، وكِلْ ذلك إلى الله تعالى.

[1] ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عُجاب﴾ (سورة ص، ٥/٣٨).
[2] جميع النسخ: ثم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٠و.
[3] ر + إلى.
[4] جميع النسخ: لا يقدر.
[5] ن – والله أعلم.
[6] ر م: استقبلوها.
[7] ر ن م: فنقول.
[8] ن: من الله.
[9] ر م – ولا تقهرهم.

وقوله عز وجل: **لست عليهم بمصيطر**، قال بعضهم: بمسلَّط، وقال بعضهم: لست[1] بجبار. فإن أريد به الوجه الأول فهو مما يحتمل [النسخ]،[2] ويجوز أن يسلَّط عليهم في أن يُؤذَن بقتالهم وأسْرهم وقهرهم ببذل الجزية؛ ولهذا قيل: إنّ هذا كان قبل نزول سورة براءة. وإن كان تأويله:[3] لستَ بجبار عليهم على ما روي عن مجاهد،[4] فهذا الوجه مما لا يَرِد[5] عليه النسخُ، ولا يجوز أن يصير جبارا عليهم، ولا يكون قوله: **إلا من تولى وكفر** استثناءً، ويكون معناه: لكن **مَن تولّى وكفر فيعذبه الله العذابَ الأكبر**، أي من أعرض عن طاعة الله وكفر بوحدانيته وبكتبه ورسله فيعذّبه العذاب الأكبر. وعلى التأويل الذي قيل: إن المسيطر هو المسلَّط بالسيف والأسر والقهر وأخذ الجزية[6] التي هي صَغار عليهم يكون قوله تعالى: **إلا من تولى وكفر** على الاستثناء، أي من اعرض عن طاعة الله تعالى وكفر بوحدانيته فستُسلَّط[7] عليهم بالسيف والأسر وأخذ الجزية. وقيل: **إلا من تولى وكفر**، أي أعرض ولزم الإعراض فتكون[8] مسيطرا عليهم. أو تولّى[9] وقتَ التذكير فستُنْصَر[10] عليه. *وبالله النجاة*.

وفي هذه الآية بِشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالظفر على الذين تولَّوا عن طاعة الله تعالى وكفروا به. وفيه[11] آية رسالته؛ لأنه قال هذا في وقت ضَعفه وقلّةِ أنصاره، وكان الأمر كما قال الله؛ إذ نصره[12] الله تعالى بالرُّعْب مَسيرة شهرين،[13] وفُتحت له الفتوحُ ليُعلَم أنه بالله تعالى عَلِمَ.

---

[1] ر م – لست.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٠و.

[3] ر: التأويل.

[4] *تفسير الطبري*، ٣٠/٢٠٧؛ و*تفسير ابن كثير*، ٨/٤١٠.

[5] ر م: مما يرد.

[6] ن: والقهر بالجزية.

[7] ر م: فسلط؛ ن: فسيسلط.

[8] ر ن: فيكون.

[9] وفي الشرح: أي تولى (ورقة ٣٤٠و).

[10] ر ن ث: فستبصر.

[11] أي وفي قوله هذا.

[12] ر: ان نصره.

[13] *المعجم الكبير* للطبراني، ١١/٦١، ٦٤؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٢/٦٠٨. وفي الرواية المشهورة: «نُصرتُ بالرعب مسيرة شهرٍ» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٣٠١؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [٢٥] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [٢٦]

وقوله عز وجل: **إن إلينا إيابهم**، أي مرجعهم. وقوله: **ثم إن علينا حسابهم**، أي في الحكمة[١] أن نحاسبهم؛[٢] وإذا كانت الحكمة توجب[٣] حسابهم وتعذيبهم كان عليه أن يحاسبهم؛[٤] لِما في تركه ترك الحكمة، وفي تركها[٥] سفه. تعالى الله عن ذلك. ***وبالله النجاة ومنه التوفيق***.[٦]

---

[١] جميع النسخ: من الحكمة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٠و.
[٢] ن: أن يحاسبهم.
[٣] ر ن م: يوجب.
[٤] ر م + في تركه.
[٥] ر ث م: وفي تركه.
[٦] ر + والصلاة والسلام على رسوله محمد الطيبين الطاهرين؛ ث + والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفجر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالْفَجْرِ﴾[١] ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[٢] ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾[٣]

قوله عز وجل: **والفجر وليال عشر**، كان[2] العرب من عادتهم أنهم إذا استحسنوا شيئا عظّموه، وإذا عظموه أقسموا[3] به. ثم إن الله تعالى جعل في الحج وأوقاته لطائف من الحكمة وعجائبَ من التدبير. فمن لطيف حكمته وعجائب تدبيره أنه جعل المكان الذي يُحَجّ فيه مأمنا للخلق من وجه لا يعرف الخلائق المعنى الذي به وقع الأمنُ، وألّف[4] بين الخلق حتى رغبوا[5] جميعا في الاجتماع هنالك مع تباغضهم وتعاديهم فيما بينهم من وجه لا يدرك معناه، وجَعَل أهلها يتقلّبون[6] في البلاد آمنين حتى قال تعالى لنبيه: لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ.[7] وسَخّر[8] أهل الآفاق في حمل ما يقع لأهل مكة إليه حاجةٌ من المِيرَة[9] وغيرها،

---

[1] ر – سورة الفجر؛ ن م: سورة والفجر؛ ث + وهي ثلاثون آيات مكية.

[2] ر ث م: كانت.

[3] ر: قسموا.

[4] ر م: والألف.

[5] ر م: يرغبوا.

[6] جميع النسخ: ينقلبون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٠ظ.

[7] ر ث م – حتى قال تعالى لنبيه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد. سورة آل عمران، ١٩٦/٣.

[8] جميع النسخ: سخر. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] الميرة: الطعام يجمع للسفر وغيره (*المعجم الوسيط*، «مار»).

وجَعَلَهم بحيث يرغبون في الإتيان إليها مع عظم ما يلزمهم من المؤن، [ثم لم يمنعهم ذلك عن الإتيان][1] إلى مكة للحج. فثبت أنّ فيها معاني ولطائفَ هي خارجة عن قواهم وتدبيرهم. فكان في ذكرها ما يوجب القول بالقدرة على البعث، ويزيل عنهم الشبهة في أمرهم. فاقسم لِما عَظُم من شأنها بهذه الأوقات والأيام لمكانِ أنها أوقات الحج، فعامّة[2] أركان الحج تؤدّى فيها. وعادة العرب أنهم[3] يقسمون بآبائهم وأجدادهم وأصنامهم لما هي معظمة عندهم، وهذه الأشياء معظّمة عندهم فجرى[4] القسم بها جريا على عادتهم.

ويدخل في أوقاتها الشفع والوَتْر والفجر. فقالوا: الشفع يوم النحر لأنه اليوم العاشر من الشهر، والوتر يوم عرفة لأنه اليوم التاسع. وجائز أن يكون أريد بالشفع والوتر والليل إذا يسر العباداتُ جملةً، إذ ما من عبادة إلا وفيها شفع ووتر.

|٩٠٣ظ س٣٦ *وجائز أن يكون أريد بالوتر هو الله تعالى وأريد بالشفع الخلائقُ؛ إذ خلقهم أزواجا، والله تعالى هو الواحد بذاته، فيكون القسم بذاته وبجميع الخلق. ويحتمل أنه أريد بالشفع والوتر الخلائقُ جملة؛ إذ فيهم المعنيان جميعا: الشفع والوتر، فيكون قسما بجميع الخلائق.[5]* ٩٠٣ظ س٣٧|

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **والليل إذا يسرِ**، أي يُسرَى بها. وفي ذلك كناية عن الجهاد والإغارة بالليل كما يذكر في قوله: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا،[7] فيكون هذا كله إشارة إلى جملة العبادات. ووجه القسم بالعبادات أن الله تعالى عظّم أمرَ العبادات في قلوب الخلائق حتى تراهم جميعا يستحسنونها ويعظِمون أمرها، وإنما يقع الاختلاف بينهم في ماهيتها، لا أن يقع[8] التمانع بينهم في أنفسها، فأقسم بها.*

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٠ظ؛ ر م + إلى أسباب؛ ن + عن الاتساب؛ ث + إلى انتساب.

[2] ث م: فغاية.

[3] ن: يؤدي فيها وعادة أنهم.

[4] ر – أنها أوقات الحج فعامة أركان الحج تؤدى فيها وعادة العرب أنهم يقسمون بآبائهم وأجدادهم وأصنامهم لما هي معظمة عندهم وهذه الأشياء معظمة عندهم فجرى.

[5] ر ث م – الخلائق جملة إذ فيهم المعنيان جميعا الشفع والوتر فيكون القسم بجميع الخلائق.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة، ٩٠٣ظ/سطر ٣٦-٣٧.

[7] سورة العاديات، ١٠٠/١-٣.

[8] ر م: ولا أن يقع؛ ث: وأن يقع.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة، ٩٠٣ظ/سطر ٣٦-٣٧.

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **هل في ذلك قسم لذي حجر**، يحتمل أن يكون تأويله أنّ وجه القسم بهذه الأشياء يعرفه ذوو[1] الحجر، وهم ذَوُو[2] الألباب والحِجا، لا أن يعرفه الجهلة. قالوا: وموقع القسم على قوله: إنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ.[3]

وجائز أن يكون وقع التنازع فيما بينهم، وكانوا / يزعمون أنّ أوقات الحج -وهي[4] الليالي [٩٠٤و] العشر- والشفع والوتر ليس يُقسَم بها، فقال: **هل في ذلك قسم لذي حجر**، أي للعاقل إذا تدبر فيها عَرَف أنّ هذه الأوقات بالتي[5] يحتمل أن يقسم بها أو هذه الأوقات بالتي[6] تدلّهم على القول بالبعث. وقيل:[7] إنما أقسم بهذه الأيام لعظم قدرها[8] وخطرها عندهم، لما فيها من صلاح معايشهم، ويكون لهم فيها سَعة العَيش. أما الفقراء فبالهدايا والبُدْنِ، وأما غيرهم فبأنواع[9] المكاسب والتجارات؛ فإنهم كانوا يستعدون الأشياء ويهيّئون[10] من السنة إلى السنة للتجارة في هذه الأيام، فأقسم الله تعالى بهذه الأيام لكونها معظّمة عندهم. وقيل: إن موضع القسم غير مذكور في هذه السورة لأنه كان على إثر حادثة عندهم معروفة استُغني عن ذكرها لشهرتها عندهم، فأَقسم أنها حق.[11] *والله أعلم*.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾[٦] ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾[٧] ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد**. في ذكر نبأ عادٍ وثمودَ وفرعونَ فوائد ثلاثٌ. أحدها في موضع التخويف لأهل مكة[12]

---

[1] ث م: ذوا.
[2] جميع النسخ: ذوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٠ظ.
[3] الآية ١٤ من هذه السورة.
[4] ر م: هي.
[5] جميع النسخ: بالذي. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر ث م - يحتمل أن يقسم بها أو هذه الأوقات بالتي.
[7] ر ث م: قيل.
[8] ر م - لعظم قدرها؛ ن ث: قدر هذه الأيام.
[9] جميع النسخ: بالهدايا والبدن وأما غيرهم بأنواع. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ث: ويهيئونه.
[11] ر: لحق؛ ث: الحق؛ م: بشهرتها عندهم فأقسم أنها لحق.
[12] ر م - مكة.

الذين كذّبوا رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو أنّ أولئك القوم كانوا أكثرَ أموالا وأولادا وأعدادا، وأكثرَ في القوة من هؤلاء الذين كذّبوا محمدا -عليه أفضل الصلوات- فلم يُغْنِهم ذلك كلُّه من الله تعالى شيئا. بل الله تعالى انتقم منهم لرسله -عليهم السلام- بما كذّبوهم. فما بال هؤلاء الذين كذّبوا محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخافون[1] مقته وحلولَ النقمة بهم[2] بتكذيبهم رسولَه، وليسوا بأكثر من أولئك في العدد والمال والقوة؟

وفائدة أخرى أن أولئك كانوا يزعمون أنهم بالله تعالى أولى من محمد عليه الصلاة والسلام وأتباعِه، بما[3] بَسَط لهم من النِعم[4] وضيّق على الرسول وأتباعه. فبَيّن[5] أنّ الذين تقدّمهم من مكذبي الرسل كانوا أرفعَ منهم في القُوى والأموال والأولاد والأعداد، وكانت رسلهم في ضِيق من العَيش؛ ثم كانوا هم أولى بالله تعالى من المكذبين المفتخرين بكثرة الأعداد والقوى. فبيّن لهم هذا ليعلموا[6] أنْ ليس الأمرُ على ما ظنُّوا وحسبوا.

والثالث أنهم كانوا يمتنعون عن الإيمان بالله تعالى وبرسله، وكانوا يقولون: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ،[7] فيكون في ذكر هذا نفيُ التقليد لأولئك؛ لأنه كان[8] في آبائهم من أُهلك بتكذيبهم الرسلَ، وهم الفراعنة وأتباعهم، وفيهم من نجا وهم الرسل وأتباعهم المصدّقون لهم؛[9] فما بالهم قلّدوا المُهلَكين منهم دون الذي نَجَوْا. ثم الآية لم تُسَق[10] ليُعرَف نسبُ عاد وثمود وفرعون حتى تشتغل[11] بتعرّفه، وإنما سيقت للأوجه[12] التي ذكرنا، فالاشتغال بتعرّف أنسابهم وأحوالهم نوع من التكلّف.

---

[1] ر ث م: لا يخافوهم.
[2] ر ث م - بهم.
[3] جميع النسخ: لما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٠ظ.
[4] ر م: من النعيم.
[5] ر ث م: فتبين.
[6] ر ث م: لعلموا.
[7] ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مُتْرَفُوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ (سورة الزخرف، ٢٣/٤٣).
[8] ن + كان.
[9] جميع النسخ: لها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤١و.
[10] ر ث م: لم يسبق.
[11] ن: يشتغل.
[12] ر ث: الأوجه.

وقوله: **ألم تر كيف فعل ربك**، فقوله: **ألم تر**، يحتمل وجهين. أحدهما[١] قد رأيت، أي علمت، كما يقال في الشاهد: ألم[٢] تر إلى ما فعل فلان؟ أي قد رأيت وعلمت، فيخبره بصنيعه على جهة التشكي منه. ويحتمل أن يكون[٣] هذا ابتداء إعلام منه، فيقول له: اعلم[٤] أنّ ربك فعل بعاد كذا.

واختلفوا في قوله: **إرم**، فقال بعضهم: الإرم[٥] هو أبو عاد، وقال بعضهم: أبو القبيلة، فنسب إليه عاد، كما يقال: هو من بكر بن وائل وإن لم يكن ابنه. وقال بعضهم: **إرم**، مساكن عاد، وقيل: هو اسم الذي بنى تلك الأماكن.

وقوله عز وجل: **ذاتِ العماد**، قال بعضهم: ذات الأجساد الطوال، أي عادٌ ذات الأجساد الطوال كما ذكر في القصة. وقال بعضهم: ذات البناء[٦] المشيّد المرفوع في السماء كالعُمُد الطوال؛ فيرجع إلى الإرم على تأويل من جعَله عبارة عن المساكن. وقال بعضهم: **ذات العماد**، هي الخيام لها إطناب وعُمُد. وكانوا[٧] أصحابَ خيام وقِباب، وكانت مساكنهم مرفوعة بالعماد.

وقوله عز وجل: **لم يخلق مثلها في البلاد**، قال بعضهم: هذا وصف القوم بالشدة والقوة وعِظَم الخلقة وفضل البصر في الأمور، كقوله تعالى: وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً،[٨] وقال حكاية عنهم: وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً،[٩] وقال تعالى: وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ،[١٠] فوصفهم بفضل البصر. وجائز أن يكون أريد بها المساكن[١١] التي[١٢] بنوها أنْ ليس مثلها في البلاد.

---

[١] ر ث م + أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤١و.
[٢] ن - يحتمل وجهين أحدهما قد رأيت أي علمت كما يقال في الشاهد ألم تر.
[٣] جميع النسخ: أنه يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ن: فيقول اعلم.
[٥] ر م - الإرم.
[٦] ر: بنات؛ م: بنان.
[٧] ر م: كانوا.
[٨] ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة﴾ (سورة الأعراف: ٦٩/٧).
[٩] ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة﴾ (سورة فصلت، ١٥/٤١).
[١٠] ﴿وعادا وثمود وقد تبيّن لكم من مساكنهم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾ (سورة العنكبوت، ٣٨/٢٩).
[١١] م: بالمساكن.
[١٢] جميع النسخ: الذين. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وثمود الذين جابوا الصخر بالواد**، وقال بعضهم: اتخذوا من الصخور جَوابِيَ، أي قِصاعا، كما قال تعالى: وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ.[١] وقال بعضهم: قطعوا[٢] في الصخور بيوتا، كقوله: وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ،[٣] فيكون في هذا إخبارٌ عن قُواهم وشدّتهم.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وفرعون ذي الأوتاد**، قال بعضهم: سمّاه ذا الأوتاد [لأنه كان اتخذ في الجبال مساكن فسمي ذا الأوتاد].[٤] والوَتِد الجبل.[٥] وقال بعضهم: سمي ذا الأوتاد لأنه كانت له أوتاد نَصَبَها لتعذيب مَن غَضِب عليه. وقال بعضهم: إنّه كان نَصَب على الطرُق أناسا، على كل طريق إنسانا راصدا وحافظا. وقيل: أي ذي[٦] قصور وبنيان مشيّدة مرفوعة تشبه[٧] الجبال؛ إذ هي أوتاد الأرض.

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾[١١] ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد**، وطغيانهم في البلاد تمرّدهم[٨] وعُتوّهم فيها.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[١٣]

[٩٠٤ظ] وقوله عز وجل: **فصب عليهم ربك سوط عذاب**، قال / بعضهم: عذّبهم بسوطهم الذي كانوا به[٩] يعذّبون الخلق ويضربونهم. وقال أبو بكر الأصم: إن السوط لونٌ من العذاب، فعذّب عادا بلونٍ منه، وعذّب ثمودَ بلون منه، وفرعونَ وأتباعَه بلون منه.

---

[١] ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقُدُور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾ (سورة سبأ، ١٣/٣٤).
[٢] ر ث م – قطعوا.
[٣] سورة الحجر، ٨٢/١٥.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤١و.
[٥] ر ن ث: الحبل.
[٦] جميع النسخ: ذو. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: يشبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: وتمردهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م – به.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **إن ربك لبالمرصاد**، قال[1] أبو بكر الأصم: يَرْصُد عذابَه بأعدائه، ينتظر به آجالَهم ثم يُوقِع بهم العذابَ إذا أتى الأجل. وعندنا أنه يرصُد عليهم ما عملوا، فلا يشتد عليه ولا يَعْزُب عنه شيء من عملهم بل يحفظ عليهم ما استتر منها وما ظهر. وقيل: أي لا يجاوزه ظلمُ ظالم ولا يفوته هارب.

ثم لم ينصرف فهم أحد في قوله تعالى: **إن ربك لبالمرصاد**، إلى إثبات[2] مكان، فما بال بعض[3] الناس انصرف وهمهم في قوله: ٱلرَّحْمٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَى،[4] على جعل العرش مكانا له.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾[١٥] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[١٦] ﴿كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقد عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلّا**. والإشكال أن يقول قائل: قول ذلك[5] الإنسان **ربي أكرمنِ وربي أهاننِ**، خَرَج موافقا لما قاله الرب تعالى؛ لأنه قال: **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه**، فخرج قوله: **ربي أكرمن** على الموافقة لما قال. وكذا قول هذا الإنسان حيث ابتُلي بنقيضه: **ربي أهاننِ**، خَرَج موافقا لما قال: **وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه**. فإذا كان الأول إكراما كان الذي[6] يضادّه إهانةً. ألا ترى أن الله تعالى سَمى المال خيرا والفقرَ شرًا، وسمّى المطيع محسنا والعاصي مسيئا. فكذا إذا استقام القول بالإكرام عندما ينعم عليه ويُكْرَم استقام القول بالإهانة إذا ضُيّق عليه الرزقُ ولم يكرم. وإذا كان هكذا فكيف ردّ عليه مقالته بقوله: **كلّا**، وهو في ذلك صادق؟

ولكن نحن نقول: إن الرد بقوله: **كلّا**، لم يقع على نفس القول ولا انصرف إليه؛ وإنما انصرف إلى ما أراده بقوله؛ لأن القائل بهذا كافر بالله تعالى وباليوم الآخر، فكان يقول: لا بعث ولا جزاء، وإنما يجازون بأعمالهم في هذه الدنيا، فمن أَحسن أُحسِن إليه ومن أساء أهين به.

---

[1] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤١و.
[2] جميع النسخ: إلى إيثار. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ن – بعض.
[4] سورة طه، ٥/٢٠.
[5] جميع النسخ: تلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: الله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤١ظ.

فيكون قوله: **كلا**، أي ليس الأمر كما صوّره في نفسه بل الدنيا دار عمل، وللجزاء بالكفر والإيمان دار أخرى.[1] وهذا كقوله: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ،[2] وهم لم يكونوا كاذبين في شهادتهم ومقالتهم[3] بل كانوا صادقين أنه رسول الله،[4] وأنّ الله تعالى يعلم أنه رسوله.[5] ولكنهم كانوا اعتقدوا تكذيبه في قلوبهم فكانوا يُظهرون خلافَ ما أضمروا في أنفسهم؛ فإلى[6] ما أضمروا انصرفَ التكذيبُ لا إلى نفس القول، كذا هذا. ولأن أهل الكفر كانوا أصنافا. فمنهم من كان يرى إذا بسط عليه النِّعَم[7] في الدنيا وأُكرم فإنما بسط عليه لِما استوجبه بفضله،[8] وإذا ضيق عليه وابتلي بالشدة فإنما ضُيّق عليه بإساءته[9] وبما كسبت يداه. ومنهم من كان يظنّ أنّه من الله تعالى بمنزلة وأنه مستوجب[10] للإنعام، وأنه إذا بُلي بضيق العيش وأصابته شدةٌ أصابته ذلك من عند محمد عليه الصلاة والسلام فيتشاءمون به. ألا ترى[11] إلى قوله: وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ.[12] وعلى هذا كان ظنّ[13] [قومِ][14] فرعون؛ قال الله تعالى: فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ.[15]

فقوله:[16] **فأكرمه ونعّمه**، أي أكرمه في نفسه بأن أصحّ جسمَه أو جعله رئيسَ قومه، **ونعّمه**، أي بَسَط الدنيا عليه، فيقول: ربي أكرمني، فكان يَبْطَر[17] بذلك.

---

[1] ر م: آخرة.
[2] سورة المنافقون، ١/٦٣.
[3] ر م + كاذبين.
[4] ن – الله.
[5] ن: رسوله.
[6] ر ث م: قال.
[7] ر ث م: النعيم.
[8] جميع النسخ: بفعله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤١ظ.
[9] ر: باسدته.
[10] ر م: استوجب.
[11] ر: ألا يرى.
[12] سورة النساء، ٧٨/٤.
[13] ر: يظن.
[14] الزيادة من المرجع السابق.
[15] سورة الأعراف، ١٣١/٧.
[16] جميع النسخ + ربه. والتصحيح من المرجع السابق.
[17] جميع النسخ: ينظر. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله: **وأما إذا ما ابتلاه**، أي إذا اختبره فضَيّق عليه رزقَه فيقول: ربي أهانني، فكان يُظهر بذلك الجزعَ. والله تعالى اختبره بالنعم ليستأديَ منه الشكر[1] بما أنعم، وابتلاه بضيق العيش ليصبرَ لا ليجزع. فلا شَكَرَ هذا بالنعم[2] بل[3] بَطِرَ، ولا صَبَرَ هذا على الشدائد بل جَزِع. فجائز أن يكون المراد بقوله: **كلا**، منصرفا إلى هذا ردا لاعتقادهم وصنيعهم. وهو أنه لم يُكرم ولم يُنعم ليبطر به، ولا ضَيّق عليه رزقَه ليجزع، بل إنما أنعم ليشكر، وقدّر عليه رزقَه ليصبر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **بل لا تكرمون اليتيم**، فجائز أنهم كانوا لا يكرمونه ويُهينونه[4] مع ذلك، لأن إكرام اليتيم ليس بواجب، أما إهانته فحرام.[5] وجائز أن لا يَثبت الإهانة منهم مع نفي الإكرام؛ لأن الإيجاب إذا ذكر في مضادة الإيجاب اقتضى ذلك إثبات المقابلة، وإذا ذكر الإيجاب في مضادّة النفي أمكن أن يثبت فيه المقابلة وأمكن أن لا يثبت. ألا ترى أنه إذا قيل: "فلان جائر" كان فيه إثبات المقابلة، وهو نفي العدل؛ لأنّ قوله "جائر" إثبات الجَور، فكان في ذكره نفيُ العدالة، وفيه إثبات المقابلة. وإذا قلت: "ليس بعدل" / لم يكن فيه تحقيق لإثبات المقابلة [٩٠٥و] وهو الجور، بل يجوز أن يكون جائرا ويجوز أن لا يكون. وقد يراد بالنفي إثبات المقابلة[6] أيضا، قال الله تعالى: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ،[7] فكان في نفي الربح إثباتُ المقابلة[8] في أنها خسرت.

ثم إكرام اليتيم هاهنا يحتمل أوجها ثلاثة. أحدها أن يكرمه في أن يحفظ عليه مالَه حتى لا يُضيعه ويكرمَه في نفسه، وهو أن يتعاهد أحوالَه عن أن يدخل فيها خللٌ.[9] والوجه الثاني أن يكرمه فيعلِّمه آدابَ الشريعة ويرشدَه إليها. والوجه الثالث أن يكرمه فيَبذُل له من ماله[10] قدرَ حاجته[11] إليه، ويصطنع إليه المعروف. فيكون التعبير هاهنا في إهانة اليتيم أن يترك الإكرام الذي هو من باب حفظ ماله فيكون تضييعا. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م – منه الشكر.
[2] ر م ث: النعم.
[3] ن ث م: وبل. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤١ظ.
[4] ر م: لا يكرمون و يهينوه؛ ن ث: لا يكرموه ويهينوه. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: حرام.
[6] ر ث م – وهو الجور بل يجوز أن يكون جائرا ويجوز أن لا يكون وقد يراد بالنفي إثبات المقابلة.
[7] سورة البقرة، ١٦/٢.
[8] ن – أيضا قال الله تعالى: فما ربحت تجارتهم فكان في نفي الربح إثبات المقابلة.
[9] ث: الخلل.
[10] ر م: من له.
[11] م: حاجة.

﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[١٨]

وقوله عز وجل **ولا تحاضون على طعام المسكين**، أي لا تَحُثّون[1] غيرَهم على إطعام المسكين.[2] وجائز أن لا يحضّوا[3] ولا يتولّوا[4] بأنفسهم الإطعام. ويحتمل أن لا يَلُوا ذلك بأنفسهم ويحضّون غيرَهم. ففي هذه الآية ترغيبٌ للمسلمين بإكرام اليتيم وتعاهدِ ماله، وتبيينٌ[5] أنّ عليهم أن يُطعموا بأنفسهم وأن يحثُّوا الأغنياء بإطعام المساكين. ***والله أعلم***.

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وتأكلون التراث أكلا لما**، فاللمّ الجمع، يقال: لَمَّ المال، إذا جمعَ. فكأنه يقول: يجمعون ما لم يرثوه بأنفسهم -وذلك نصيب الأيتام- إلى ما يرثون[6] من أنصبائهم فيأكلون جميعا، فيكون في هذا تثبيت الإهانة منهم للأيتام. وقال بعضهم: **تأكلون التراث أكلا لَمّا**، أي شديدا.

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وتحبّون المال حبا جمّا**، قال أبو بكر: أي تحبونه[7] حبّا وَفيا وافرا ليس فيه قصور. فيكون فيه إخبار عن غاية حبّهم الدنيا وشدة حرصهم عليها. وجائز أن يكون على التقديم والتأخير، وهو أنهم يحبّون المال الجمَّ حبّا، أي المالَ الكثير.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[٢١]

وقوله: **كلا**، ردع وتنبيه. فمنهم من ردّ هذا الردع إلى قوله: رَبِّي أَكْرَمَنِ، ورَبِّي أَهَانَنِ،[8] فكأنه يقول: كلّا ليست هذه الدار دارَ جزاء فيكونَ الإكرام والإهانة بحقّ الجزاء، وإنما دار محنة وابتلاء. ومنهم من حمله على الابتداء، فقال: **كلا إذا دكت الأرض دكا دكا**، بمعنى حقا.

---

[1] جميع النسخ: لا يحثون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٢و.
[2] ن: المساكين.
[3] جميع النسخ: أن يحضوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر: ولا يلوا؛ ث: ولا سوا.
[5] ر م: ويبين.
[6] جميع النسخ: يرثوا.
[7] ن: يحبونه.
[8] الآية ١٥ و ١٦ من هذه السورة.

يخبر عن ندمه في ترك[1] إكرام اليتيم وترك إطعام المسكين والحض عليه. **إذا دكّت الأرض**، أي دُقّت وكسرت، وذلك يومُ الحساب والبعث.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **وجاء ربك والملك صفا صفا**، يحتمل أوجها. أحدها أن يكون معناه: وجاء ربك بالملك؛ إذ يجوز أن يستعمل الواو مكان الباء، ألا ترى إلى قوله تعالى: قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ،[2] ومعناه: بربك. وإذا حمل على هذا ارتفعت الشبهة واتضح الأمر؛ لأنه لو كان قال: وجاء ربك بالملك لكان لا ينصرف وهمُ أحد إلى الانتقال من مكان إلى مكان. وقال تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّٰهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ،[3] ومعناه –والله أعلم– بظلل من الغمام؛ لأنه قال في موضع آخر: وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ؛[4] فثبت أن معناه ما ذكرنا، وإذا ثبت هذا ارتفع الريب والإشكال.

ومنهم من ذكر أن معنى قوله: **وجاء ربك**، وقوله: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّٰهُ، أي أمرُ الله، دليله ما ذكر في سورة النحل، قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ،[5] فذكر مكان قوله: "وجاء ربك"، "أمر ربك".[6]

ويحتمل أن يكون قوله: **وجاء ربك**، أي جاء وعدُه ووعيدُه، فنسب المجيء إلى الله تعالى وإن لم يكن ذلك وصفا له؛ لأنه يجوز[7] أن تنسب[8] آثار الأفعال إلى الله تعالى نسبةَ حقيقة الفعل وإن لم يوصف به، كما قال الله تعالى: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[9] فأضيف النفخ إليه وإن لم يوصف بأنه نافخ. وقال: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ،[10] فأضيفت[11] الكتابة إليه

---

[1] ر م: عن مذمة في تركه.
[2] سورة المائدة، ٢٤/٥.
[3] سورة البقرة، ٢١٠/٢.
[4] سورة الفرقان، ٢٥/٢٥.
[5] سورة النحل، ٣٣/١٦.
[6] ث: قوله وجاء أمر ربك.
[7] جميع النسخ: لا يجوز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٢و.
[8] جميع النسخ: أن ينسب.
[9] سورة التحريم، ١٢/٦٦.
[10] سورة المائدة، ٤٥/٥.
[11] ر: فإضافة.

وإن لم يوصف بأنه كاتب[1] لِما أنّ ما ظهر من آثار فعله. ويقال: المطر رحمة الله، أي من[2] آثار رحمته، لا أن يكون المطر صفة له. ويقال: الصلاة أمر الله، والزكاة أمر الله، أي بأمر الله يُصلَّى وبأمره يزكّى، لا أن تكونا[3] وصفين له.

ووجه آخر أن يكون معنى قوله تعالى: **وجاء ربك**، أي جاء الوقت الذي به صار إنشاءُ هذا العالم حكمةً؛ إذ لولا البعث للجزاء لكان إنشاءُ هذا العالم ثم الإهلاكُ خارجا مخرج العبث لِما وصفناه من قبلُ بقوله:[4] أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[5] فثبتَ أنّ خلقه إنما صار حكمةً بالبعث. وقال الله تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ،[6] وقد كان المُلك له قبلَ ذلك اليوم ولكن مُلكُه لكل أحد يتبيّن في ذلك الوقت. وقال: وَبَرَزُوا لِلّٰهِ جَمِيعًا،[7] وقد كان كلُّ شيء له بارزا، ولكن معناه أنه أتى الوقت الذي له برزَ الخلائقُ.

ثم الأصل في كل ما أضيف إلى الله تعالى أن تنظر[8] إلى ما يليق أن يوصل بالمضاف إليه فتصلَه به وتجعلَه مضمرا فيه. قال الله تعالى: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ،[9] ولم يفهم إثباتُ الحضور، وكان معناه أنّ علمه محيط / بهم، وهو مطّلع عليهم. وقال: فَأَتَاهُمُ اللّٰهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا،[10] لم يفهم به الانتقال بل كان معناه أنه جاءهم بأسُه، وجاء لأوليائه نصرُه. وقال:[11] قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّٰهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ،[12] ولم يفهم بهذا الإتيان ما فهم من الإتيان الذي يضاف إلى الخلق.

[٩٠٥ظ]

---

[1] ث: كانت.

[2] ر م - من.

[3] جميع النسخ: لا أن يكونا.

[4] ث: لقوله.

[5] سورة المؤمنون، ٢٣/١١٥.

[6] سورة المؤمن، ٤٠/١٦.

[7] سورة إبراهيم، ١٤/٢١.

[8] جميع النسخ: أن ينظر.

[9] ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/٧).

[10] ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ (سورة الحشر، ٥٩/٢).

[11] ر م: قال.

[12] سورة النحل، ١٦/٢٦.

وقال الله تعالى: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[١] وكان معناه إن تنصروا دينَ الله، لا أن الله تعالى يَلحقه ضعفٌ يحتاج إلى من يُقوِّيه. وقال الله تعالى: وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ،[٢] وكان معناه أنه يُحذِّركم عذابَه، لا أن أريد به تحقيقُ النفس. ومثل هذا في القرآن أكثر[٣] من أن يحصى. فثبت أنّ محل الإضافات ما ذكرنا، فلذلك حُمِل على الوعد والوعيد أو على الوقت الذي صار خلق العالَم حكمة أو على ما صَلَح فيه من الإضمار.

ومما يدلّ على أنه لا يُفهَم بالمجيء معنى واحدٌ[٤] بل يقتضي معانيَ أنّ المجيء إذا أضيف إلى الأعراض[٥] فُهِم به غيرُ الذي يفهم به إذا أضيف إلى الأجسام؛ فإنه إذا أضيف إلى الأعراض[٦] أريد به الظهور. قال الله تعالى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ،[٧] ومعناه إذا ظهر نصرُه، ولم يُرَد به الانتقال. ولو كان مضافا إلى الجسم فُهِم منه الانتقال من موضع إلى موضع، وقال الله تعالى:[٨] وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ،[٩] ومعناه ظهر الحقّ واضمحلّ الباطل، لا أن كان[١٠] الحق في مكان فنقل عنه إلى غيره فثبت أن المجيء إذا أضيف إلى شيء وجب أن يوصل به ما يليق به لا أن يفهم به كلِّه معنى واحدٌ.[١١]

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حكاية عن الله تعالى: «من تقرّب إليّ شِبرا تقربتُ إليه ذراعا، ومن تقرّبَ إليّ ذراعا تقربتُ إليه باعا، ومن أتاني ساعيا أتيتُه هَرْوَلَةً»،[١٢] لم يفهم من هذا التقرّب[١٣] ما يفهم به إذا أضيف إلى الخلق، وكان معناه: من تقرّب إليّ بالطاعة والعبادة تقربت إليه بالتوفيق والنصر أو بالإحسان والإنعام. وقال موسى على نبينا

---

[١] سورة محمد، ٧/٤٧.

[٢] سورة آل عمران، ٢٨/٣.

[٣] جميع النسخ: كثير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٢ظ.

[٤] ن ث: واحدا.

[٥] ث: على الأعراض.

[٦] ث – فهم به غير الذي يفهم به إذا أضيف إلى الأجسام فإنه إذا أضيف إلى الأعراض.

[٧] سورة النصر، ١/١١٠.

[٨] ن – الله تعالى.

[٩] سورة الإسراء، ٨١/١٧.

[١٠] جميع النسخ: لا أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] جميع النسخ: واحدا. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤١٣/٢، ٥٣٤؛ *وصحيح مسلم*، التوبة ١.

[١٣] ر ث: التقريب.

وعليه الصلاة والسلام: «يا ربّ[1] أقريب أنتَ فأُناجيك أو بعيد فأناديك؟»[2] ولم يرد به المكان؛ وإنما أراد بقوله: أراضٍ أنتَ مني فأناجيك أو ساخط عليّ فأناديك في أنْ أُعلِنَ بالبكاء والتضرع.

ثم الأصل في المجيء المضافِ إلى الله تعالى أن يُتوقَّف فيه ولا يُقطَع الحكمُ على شيء؛ لما ذكرنا أن المجيء ليس يراد به وجه واحد؛[3] لأنه إذا أضيف إلى الأعراض أريد به غير الذي يراد به إذا أضيف إلى الأجسام والأشخاص. والله تعالى لا يوصف بالجسمية حتى يفهم من مجيئه ما يفهم من مجيء الأجسام، ولا يوصف بالعرض ليراد به ما يراد من مجيء الأعراض، فحقه الوقفُ في تفسيره مع اعتقاد ما ثبت بالتنزيل من غير تشبيه.[4] **والله أعلم**.

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **وجيء يومئذ بجهنم**، قيل فيه من أوجه. أحدهما أنها أُظهرت وبُرّزت لأهلها، على ما قال في آية أخرى: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ،[5] لا أنها كانت في مكان فنقلت عنه. وقد يراد بالمجيء الظهورُ، قال الله تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ،[6] ومعناه: ظهر لكم، لا أن كان في مكان آخر فجيء[7] به إليهم. وقال بعضهم: جيء بأهلها إليها، أي إلى جهنم؛ فتكون[8] حقيقة المجيء من الأهل ثم نسب إليها؛ لأنهم إذا أتوها فقد أتتهم هي، وهو كقوله: إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا،[9] فنسب الإتيان إلى الذي يأتيه الوعد، فيكون الوعد هو الذي يأتي أهله. وقال بعضهم: **وجيء يومئذ بجهنم**، أي تجيء زَفْرَتُها وشهيقها وتغيّظها على أهلها، لا أن يُغَيَّرَ[10] عن مكانها. ومنهم من حمله على حقيقة المجيء فذكر أنه يؤتى بها، ولها سبعونَ ألفَ زِمامٍ، على كل زمام سبعون ألف ملك.[11] **والله أعلم بذلك.**

---

[1] ن – يا رب.
[2] شعب *الإيمان* للبيهقي، ١٧١/٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٠/١.
[3] جميع النسخ: وجها واحدا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٢ظ.
[4] ر ث م: نسبة.
[5] سورة الشعراء، ٩١/٢٦.
[6] سورة التوبة، ١٢٨/٩.
[7] جميع النسخ: يجيء. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: فيكون.
[9] ﴿جناتِ عدنٍ التي وعد الرحمنُ عبادَه بالغيب إنه كان وعده مأتيا﴾ (سورة مريم، ٦١/١٩).
[10] ر: لا أن يعتبر؛ ن ث م: لا أن يغير. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُؤْتَى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام. مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها» (*صحيح مسلم*، الجنة ٢٩؛ و*سنن الترمذي*، صفة جهنم ١).

وقوله عز وجل: **يومئذ يتذكَّر الإنسان،** يحتمل أن يتذكَّر إشفاقَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونصيحتهم[١] لهم، فيعلم أنه كان فيما توهّم بهم من الظنون الفاسدة مبطلا، فيكون تذكّره[٢] ذلك تصديقا منه للرسل عليهم الصلاة والسلام. **وأنى له الذكرى،** أي لا ينفعه تصديقُه إيّاهم، إذ[٣] لم يصدّقهم في الدنيا. أو يتذكّر في أن يتلهّف على ما فرّط في جنب الله من التقصير في حقوقه والتضييعِ الذي سبق منه حيث لم يشكر نعمَه ولم يوجّه إليه العبادة، فيكون تلهّفُه[٤] ذلك إيمانا، ولكن لا ينفعه تلهفُه في ذلك الوقت؛ لأن تلك الدار ليست بدار امتحان بل [هي][٥] دار جزاء. والذي يحمله على التصديق مشاهدته الجزاء والحِساب، وعند المشاهدة ترتفع[٦] المحنة، ويكون إيمانه ذلك ضروريا، لا حقيقة؛ فلذلك لا ينفعه، وإنما ينفعه الطاعة وقتَ مَلْكِه نفسَه. فأما إذا خرج مِلْكُ نفسه من يده لم يقع له بالإيمان جدوى. وقال بعضهم: **يتذكر الإنسان،** أي يتعظ، **وأنى له الذكرى،** أي أنّى له الانتفاع بالموعظة.

ثم في هذا التذكّر[٧] بيان لطف من الله تعالى يُعطيه حتى يتذكّر، وإلا فالإنسان يذهب عليه ما قد كتبه في وقت إذا أتى عليه حينٌ، حتى لو أراد أن يتذكّر وقتَ كتابته لم يقدِر / عليه. [٩٠٦و]

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[٢٤]

ثم الله تعالى يذكّره في الآخرة جميعَ ما سبق منه في الدنيا فيتذكر ذلك فيقول: **يا ليتني قدّمت لحياتي،** أي يا ليتني قدمت لنفسي حياةً تَسْلَمُ[٨] لي، أو حياة تَبْقَى[٩] لي لذتها، فهذا هو تلهفُه[١٠] وتذكُّره[١١] في ذلك اليوم، يتلهّف على ما فاته من الخيرات، ويندم على ارتكابه المعاصي وكفرانِه نعمَ الله تعالى.

---

[١] ر م: وليصحبهم.
[٢] ر م: يذكره.
[٣] ن: إن.
[٤] ن: يلهفه.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٢ظ.
[٦] ن: يرتفع.
[٧] ر م: التذكير؛ ن: في هذه التذكير.
[٨] جميع النسخ: يسلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣و.
[٩] جميع النسخ: يبقى. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر: يلهفه.
[١١] ر ن م: ويذكره.

ومعنى قولنا: "حياةً تسلم[1] لي أو أتلذّذ[2] بها" هو أنّ الكافر وإن كانت[3] له حياة في الظاهر فإنما حياته للتعذيب، فتلك له في الحقيقة ليست بحياة بل هي إهلاك. ألا ترى أنّ الإنسان إذا أخذ في النزع فهو في ذلك الوقت حيٌّ بعدُ، لكن حياتُه للإهلاك فليست هي في الحقيقة حياة لكنها[4] إهلاك؛ فعلى ذلك حياة المخلَّد في النار.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾[٢٥] ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد**، قرئت هذه الآية على نصب الذال والثاء، وعلى الخفض منهما.[5] فمن قرأها على الخفض فهو يحتمل وجهين. أحدهما أن العذاب في الدنيا[6] وإن اشتدّ من الملوك على الإنسان فهو لا يبلغ عذابَ الله تعالى لأعدائه في الآخرة وإن خفّ. أو **لا يعذِّب عذابه أحد**، أي لا ينبغي لأحد في الدنيا أن يُعذِّبُ أحدا بعذاب الله تعالى وهو النار، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «لا يعذّب أحد بعذاب الله».[7] فإن كان على النصب فهو يحتمل وجهين أيضا. أحدهما أن يكون التأويل منصرفا إلى صنف من الكفرة، وهم الذين بلغوا في الكفر أعلى مراتبه، فلا يعذَّب مَن دونهم بعذابهم. والثاني لا يعذَّب أحدٌ مكان أحدٍ كما يفعله ملوكُ الدنيا في أنهم يعذِّبون الوالدَ مكانَ الولد، ويعذِّبون متّصلي الذين استوجبوا العذاب.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾[٢٧] ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[٢٨] ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾[٢٩] ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **يا أيتها النفس المطمئنة**، فالمطمئنة هي الساكنة التي لا ترتاب ولا تضطرب،[8] فتكون[9] طُمَأْنِينَتُها بوعد الله ووعيده وأمره ونهيه وتوحيده. ثم يجوز أن يكون هذا في أمر الدنيا

---

[1] جميع النسخ: يسلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣و.
[2] ر م: فالتلذذ؛ ن ث: فأتلذذ. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر: فإن كانت.
[4] ن: كلها.
[5] قرأ الكسائي ويعقوب: "لَا يُعَذَّبُ" "وَلَا يُوثَقُ" بفتح الذال والثاء، وقرأ الباقون: ﴿لَا يُعَذِّبُ﴾ ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ بكسر الذال والثاء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٧١).
[6] ث + في الدنيا.
[7] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٨٢/١؛ وصحيح *البخاري*، الجهاد ١٤٩؛ وسنن *النسائي*، تحريم الدم ١٤.
[8] جميع النسخ: لا يرتاب ولا يضطرب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣و.
[9] ر ث م – فتكون؛ ن: فيكون.

فيكون قوله عز وجل: **ارجعي إلى ربك**، أي ارجعي إلى ما أمرك ربك، **راضية**، بوعد الله ووعيده، فتكون[1] راضية بالذي وُعد لها[2] في الآخرة جزاء لِكَدْحها وسعيها في الدنيا، **مرضية**، عند الله تعالى. **فادخلي في عبادي**، أي مع[3] عبادي الصالحين، **وادخلي جنتي**، أي ادخلي بما[4] تستوجب به الجنةَ. وجائز أن يكون هذا في الآخرة، وهو أن[5] يقال للنفس التي اطمأنت[6] في الدنيا بوعد الله تعالى ووعيده وعملت بطاعته: **ارجعي إلى ربك راضيةً مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**. وقيل: **يا أيتها النفس المطمئنة** بالدنيا **ارجعي** إلى طلب الآخرة وما أعدّ الله لأوليائه فيها. وقيل: **المطمئنة**، على عبادة[7] [غير الله][8] **ارجعي** إلى طاعة الله تعالى، فإنكِ إذا فعلت ذلك رضي الله عنك ورضيتِ بعطاء الله وثوابه إياكِ في الآخرة. *والله تعالى أعلم بالصواب*.[9]

---

[1] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣و.
[2] ر ث م: وعدها.
[3] ر م – مع
[4] جميع النسخ: فيما.
[5] ر م – أن.
[6] جميع النسخ: اطمئن. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: على عباده. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] الزيادة من المرجع السابق.
[9] ر ن ث: والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البلد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[١]

قوله عز وجل: **لا أقسم بهذا البلد**، اختلف في قوله: **لا**.[2] قال بعضهم: **لا** هاهنا في موضع الدفع والردّ[3] لمنازعة كانت بين قوم، فدفعَ الله تعالى المنازعة من بينهم بقوله: **لا**. وكانت تلك المنازعة معروفة فيما بينهم فَتَرك ذكرَها لذلك، كما ذَكَر الجوابَ في بعض السور ولم يذكر السؤال لِما كان السؤال عندهم معروفا فترك ذكره، وهو كقوله تعالى: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا،[4] وغير ذلك. ومنهم من يقول بأن حرف **لا** مرة تستعمل[5] في حق الصلة والتأكيد، ومرة في موضع النفي، فيظهر مرادُه بما يُعقِبه من الكلام؛ فإن[6] كان الذي يعقبه إثباتا فهو بحق التأكيد، وإن كان الذي يعقبه من الكلام نفيا فهو في موضع النفي. ثم الذي عَقَبه [هنا] من الكلام إثبات وليس بنفي، فدلّ أنه في موضع التأكيد، فكأنه قال: لَأُقسم[7] بهذا البلد.

---

[1] ر – سورة البلد؛ ن م: سورة لا أقسم بهذا البلد؛ ث + وهي عشرون آيات مكية.

[2] ر - لا.

[3] م: في موضع الرد.

[4] سورة الزلزال، ٩٩/١.

[5] جميع النسخ: يستعمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣و.

[6] ن: وإن.

[7] ر م: لا أقسم.

ثم كان حقه أن يُقرَأ: "لأقسمنّ بهذا البلد" بإثبات النون، كما يقال: "لأفعلنّ" في اليمين، لكن نون التأكيد قد تذكر[1] في موضع وقد لا تذكر، قال تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ.[2] والله أعلم.

وقوله عز وجل: **بهذا البلد**، قالوا: أريد **بهذا البلد** مكةُ، فاقسم بها بما عظَّم شأنها بما سبق ذكرُنا له،[3] وبخاصة[4] هي معظّمة في أعين أهلها. ثم كان من عادة الكفرة القَسَمُ بكل ما يعظّمونه، فعاملهم الله تعالى من الوجه الذي جرَت به العادة فيما بينهم ليؤكِّد ما قصد إليه بالقسم فيُزيلَ عنهم الشبهة[5] التي اعترضت لهم.[6]

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **وأنت حل بهذا البلد**، قال بعضهم: وأنت نازلها، من الحُلول، وقال بعضهم: وأنت حَلال بهذا البلد. والحِلّ والحَلال لغتان. فإن كان على هذا فالحِلّ غير منصرف إلى نفسه وإنما انصرف إلى ما أُحلّ له؛ لأنه لا يجوز أن يكون هو بنفسه حلالا أو حراما. فالحِلّ والحرمة إذا أضيفا[7] إلى من له الحلّ والحرمة فإنما يراد بالحل والحرمة[8] الشيءُ الذي أُحلّ له والشيء الذي حُرِّم عليه، لا أن يكون الوصف راجعا إلى المضاف إليه. فإذا قيل: هذا محرَم، أريد به أنّ الأشياء / محرّمة عليه؛ وإذا قيل: هذا حلال ليس بمحرم، أريد به أن الأشياء له حلال. وإذا أضيفا[9] إلى من لا يُخاطَب بالحلّ والحرمة أريد بهما عين ذلك الشيء، كقوله: هذا لحم حلال أو صيد حلال، وهذا لحم[10] حرام، فيريد به[11] أن ذلك اللحم حلال وذلك الصيد حرام أو حلال. [٩٠٦ظ]

---

[1] جميع النسخ: قد يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣و.

[2] ﴿إنما جُعل السَّبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٢٤).

[3] انظر: تأويل الآية ٧ من سورة الشورى.

[4] جميع النسخ: ولخاصة. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] ر م: الشبه.

[6] ر م – لهم.

[7] ر ث: إذا أضفنا.

[8] ث – فإنما يراد بالحل والحرمة.

[9] ر ث م: وإذا أضفنا.

[10] ن ث: الخمر.

[11] جميع النسخ – به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣ظ.

ثم اختلفوا في الذي أُحلّ له. فمنهم من صرفه إلى القتال فقال بأنه أحلّ له القتال فيها، وذلك يوم فتح مكة. ومنهم من قال بأنه أحلّ له الدخولُ فيها إذا جاء من الآفاق بغير إحرام، ولا يَحِلّ ذلك لغيره. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «إنّ مكة حرام حرّمها الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض والشمس والقمرَ ووضع هذين الجبلين، لم تحلّ[1] لأحد قبلي ولا تحل[2] لأحد بعدي، و لم تحل[3] لي إلا ساعة من نهار وهي ساعتي هذه. هي[4] حرام بحرام الله تعالى إلى يوم القيامة: لا يُختَلَى خَلاها[5] ولا يُعْضَد شَوْكُها ولا يُنفَّر صيدُها ولا يُرفع لُقَطَتُها إلا مَن نَشَدها».[6] فقال العباس رضي الله عنه: إلا الإِذْخِرَ، يا رسول الله، فإنه لا غنا لأهل مكة عنه للقبر والبنيان.[7] فقال عليه السلام: «إلا الإذخر».[8] فبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قد أحلت له ساعةً من نهار. والحِلّ يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما. وذكر أبو بكر الأصمّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤذيه أهلُ مكة فيتأذّى[9] بهم فيخرج من بين أظهرهم فيحلّ له الصيد في ذلك الوقت. ولكن لا يسع صرفُ التأويل إلى هذا إذ لا يعرف مثل هذا إلا بالخبر والنقل. ثم في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان العباس رضي الله عنه "إلا الإِذْخر" دلالة أنّ التحريم لم يكن منصرفا إليه، ولا يحتمل أن يكون التحريم شاملا له. ثم استثناه بما ذكر العباس رضي الله عنه من حاجة أهل مكة إليه لِما لم يكن بين ما ذُكر من التحريم والتحليل كثيرُ مدة يجرى في مثلها النسخ، ولكن تَرَك بيانَ الحِلّ إلى أن سأله العباس رضي الله عنه ثم بيّن. وهو دليل قول أصحابنا -رحمهم الله- أنّ تأخير البيان جائز.

---

[1] جميع النسخ: لم يحل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣ظ.

[2] جميع النسخ: ولا يحل. والتصحيح من المرجع السابق.

[3] جميع النسخ: ولم يحل. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] ر م – هي.

[5] في حديث تحريم مكة: «لا يختلى خلاها»، الخلا، مقصور: النبات الرطب الرقيق ما دام رطبا، واختلاؤه: قطعه (*النهاية* لمجد الدين ابن الأثير، «خلا»).

[6] ر ث م: إلا من سدها.

[7] ن ث: للغير والشان.

[8] الإذخر بكسر الهمزة: حشيشة طيبة الرائحة تُسقَّفُ بها البيوت فوق الخشب (*النهاية* لمجد الدين ابن الأثير، «إذخر»). مسند *أحمد بن حنبل*، ١/٢٥٩، ٣١٥؛ وصحيح *البخاري*، جزاء الصيد ٩، الجزية ٢٢، المغازي ٥٣؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٤٥.

[9] ن: ويتأذى.

ثم قوله عز وجل: **وأنت حل بهذا البلد،** يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون القسم منصرفا إلى نفسه، فأقسم به لِما عظّم من أمره وشأنه كأنه قال عز وجل: لا، أقسم بهذا البلد وبالذي هو حِلٌّ بهذا البلد. أو يكون منصرفا إلى مكة ويكون قوله: **وأنت حل بهذا البلد،** خَرَج مَخرج التعريف لمكة لكونه فيها، أي البلد الذي أنت نازل[1] به وحالّ به أو حلال فيه.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [٣]

وقوله عز وجل: **ووالد وما ولد،** قال بعضهم: الوالد هو آدم عليه السلام، **وما ولد،** هم[2] أولاده وذريّته، ولكن آدم وأولاده ليسوا بمخصوصين[3] بالدخول تحت اسم الوالد والولد، بل ذلك فيهم وفي جملة الروحانيين؛ فيكون القسم بالخلائق أجمع، ويكون **ما** على هذا التأويل بمعنى "الذي".[4] ومنهم[5] من جعل **ما**[6] "ما" جَحْدٍ فقال: **وما ولد،** أي الذي لا يلد، وهو العاقر؛ فاقسم بالبشر جملةً: من يلد منهم ومن لا يلد.[7] وأقسم بهم أيضا لِما جعلهم مفضَّلين على كثير من الخلائق.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [٤]

وقوله عز وجل: **لقد خلنا الإنسان في كبد.** فعلى هذا [القول] موقع القسم.[8] ثم اختلفوا في **كبد.**[9] فقال بعضهم: الكبد الانتصاب، أخبر أنه[10] خلق الإنسان مُنْتصِبا، وخَلَق كلَّ دابة مُنْكَبًّا. وقال بعضهم: الكَبَد الشدة والمعاناة. وقال بعضهم: خلقه منتصِبا في بطن أمه، ثم يُقْلَب وقتَ الانفصال.

[1] ن: تارك.
[2] ر م – هم.
[3] ر ث م: مخصوصين.
[4] ن: والذي؛ ث: والذي ولد.
[5] ن – ومنهم.
[6] جميع النسخ: الماء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٢ظ.
[7] ن: ومن يلد.
[8] أي فعلى التأويل الأخير من كون القسم بالبشر جملة: من يلد منهم ومن لا يلد يكون موضع القسم قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾.
[9] ث م – فعلى هذا موقع القسم ثم اختلفوا في كبد.
[10] م – أنه.

ولقائل أن يقول: أيُّ حكمة في ذكر هذا وفي تأكيده[١] بالقسم، وكلٌّ يعلم أنه خُلق كذلك؟

فجوابه أنّ في ذكر هذا [وفي تأكيده بالقسم][٢] إبانةَ أنهم لم يُخلَقوا عبثا باطلا، بل خلقهم الله تعالى ليمتحنهم ويأمرهم بالعبادة، كما قال: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.[٣] فإن كان التأويل منصرفا إلى الشدة والمعاناه فتأويله أنه خلقهم لِيُكابِدُوا للمعاش والمعاد جميعا، وخلقهم للشدة ليعتبروا ويتذكروا. وإن كان منصرفا إلى الانتصاب ففيه تعريفٌ لعِظَم نِعَم الله تعالى عليهم من غير أن كانوا مستوجبين لذلك ليستأدي منهم الشكرَ بذلك. وإن كان التأويل على ما ذُكر أنه خلقه منتصبا في بطن أمه ثم يُقْلَب وقتَ الانفصال ففيه أنّ الله تعالى قادرٌ على ما يشاء وأنّه لا يُعجزه شيء، لأنه[٤] لا يتهيأ[٥] لأحد أن يُقلِب[٦] أحدا فيجعلَ أعلاه أسفله إلا أن يجد مثله في المكان سعة، ثم إن الله تعالى قَلَبه فجعل[٧] أعلاه أسفلَه في ذلك المكان الضيق ليتبيّن[٨] لهم أنه لا يُعجزه شيءٌ فيحملَهم ذلك على الإيمان بالبعث والنشور. *والله أعلم*.

ومعنى قوله: **لقد خلقنا الإنسان في كبد**، عندنا: لقد خلقنا الإنسان لما له يُكابِد، فإن كانت مكابدته في طاعة الله تعالى وكان مؤثِرا لها فقد خلق للجنة،[٩] وإن كانت مكابدته في أمر الشيطان فهو للنار خُلق. وعلى هذا يخرج قوله تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،[١٠] أي ذرأ مَن يعلم أنه يؤثِر طاعة الشيطان وعصيان[١١] الرحمن لجهنم، وذرأ مَن يعلم أنه يعبد الله ويوحّده للعبادة [للجنة] بقوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.[١٢]

---

[١] ر م: هذا أو في تأكيده.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٣ظ.
[٣] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.
[٤] ن: أنه.
[٥] م: يتهيأ.
[٦] ر م: أن القلب.
[٧] جميع النسخ: فجعله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤و.
[٨] جميع النسخ: فيتبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: الجنة. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] سورة الأعراف، ١٧٩/٧.
[١١] ن: وغضبان.
[١٢] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.

[٩٠٧و] / والأصل أن الحكيم[١] يقصد بفعله العاقبة إلا الذي ليست له معرفة بالعاقبة، فأما مَن عرف العاقبة فابتداءُ فعله يقع لتلك العاقبة، فإن كانت عاقبته[٢] النارَ فابتداء الخلق من الله تعالى يقع لذلك الوجه، وإن كانت عاقبته الجنة فهو لذلك الوجه ما خُلق. فعلى ذلك يُخرَّج تأويل[٣] قوله عليه السلام: «السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه».[٤] وهو لا يوصف[٥] بالسعادة والشقاوة في ذلك الوقت، ولكن معناه أنه إذا آثر الشقاوة في حالة الامتحان خلق لذلك،[٦] وإذا آثر السعادة فكذلك[٧] أيضا. وقال نوح عليه السلام: وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا،[٨] وهم في وقتِ ما وُلدوا غيرُ موصوفين بواحد من الوصفين بل يصيرون[٩] كذلك، فتبين أنهم خلقوا لذلك. فموقع القسم على ما له يُكابِد ليس على المكابدة نفسها، لأن المكابدة[١٠] من الإنسان ظاهرة لا يحتاج إلى تأكيدها بالقسم. وقولنا: إن المقصود من ابتداء الفعل العاقبةُ[١١] قولُ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أردت أمرا فدَبِّر عاقبته فإن كانت رشدا فأَمضِه وإن كانت غيا فانته».[١٢]

وزعمت المعتزلة أن الله تعالى لم يخلق أحدا من البشر إلا ليعبده، ولو كان الأمر على ما زعموا وظنوا لأدى ذلك إلى الجهل بالعواقب، أو أوجب[١٣] أن يكون الفعل خارجا مخرج الخطأ؛ لأن كلّ من صنع أمرا يريد غير الذي يكون يكون[١٤] جاهلا بالعواقب أو عابثا بالفعل، لأن من بنَى[١٥] لشيء يعلم أنه لا يكون عُدّ ذلك منه عبثا، ولو كان غيرَ الذي يريده

[١] جميع النسخ و*الشرح*: أن الحكم أبدا.
[٢] م: كان عاقبة.
[٣] ر م: تأويله.
[٤] *كشف الأستار عن زوائد البزار* للهيثمي، ٢٣/٣؛ و*كشف الخفاء* للعجلوني، ٥٤٨/١.
[٥] ر ث م: وهؤلاء بوصف.
[٦] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤و.
[٧] ر ن ث: فلذلك.
[٨] ﴿إنك إن تَذَرْهُم يُضلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾ (سورة نوح، ٢٧/٧١).
[٩] ر ن م: بل يصيروا.
[١٠] ر + نفسها.
[١١] ر ث م – العاقبة.
[١٢] *كتاب الزهد* لابن المبارك، ١٤؛ وانظر: *مصنف عبد الرزاق*، ١٦٥/١١.
[١٣] جميع النسخ: أو وجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤و.
[١٤] جميع النسخ – يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] ر م: من أنشأ؛ ث: من نشأ.

وهو أن يَبني ليَسكن فيه[1] ثم يَنقُضَ قبل أن يسكن كان الذي حمله على البناء جهلُه بالعواقب. وجَلَّ الله تعالى من أن يلحقه خطأٌ في التدبير أو جهلٌ بالعواقب. فثبت بما ذكرنا أن الله تعالى شاء لكل فريق ما علم الذي يكون منهم، وخلقهم لذلك الوجه دون أن يكون خَلَقَ الجملةَ للعبادة. *والله أعلم.*

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾[٥] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا﴾[٦] ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت ما لا لبدا أيحسب أن لم يره أحد**، فالآية تحتمل[2] وجهين. أحدهما أن يكون حَسِب أنّ الله تعالى لا يقدر على بعثه، فيكون قوله: **أحد**، هو اللهَ تعالى. **يقول أهلكت ما لا لبدا** -أي جمًّا- **أيحسب أن لم يره أحد**، أي أنفقتُ منه مقدارَ ما يخرج عن حد[3] الإحصاء. وقوله:[4] **لم يره أحد**، أي لم يعلم أحد مبلغ ما أنفق من ذلك. أو يكون قوله: **أيحسب أن لم يره أحد**، أي لم يعلم[5] [أحد من][6] أتباعه الذين أَنفق عليهم مقدارَ ما أنفق عليهم؛ فيكون في قوله تعالى: **أهلكت مالا لبدا** إظهارٌ منه لسخاوته[7] وجوده على الافتخار منه بذلك وامتنانٌ[8] منه على أتباعه. فإن كان على هذا فهو في أمر الدنيا. وقد عَلِم الله[9] القدرَ الذي أنفق عليهم[10] وعَلِمَ الخلق سخاوته لا بقوله. فليس اشتغاله في إظهار الجود والامتنان إلا نوع من السفه، وكان الذي يحق عليه الاشتغالَ بالشكر لله تعالى أو توجيهَ الحمد إليه، لِما علم أن الذي أُنعِم به من المال الكثير من الله تعالى وأن تلك الْمَنْقَبة -وهي السخاوة- نالها بالله تعالى. وهذا كقوله تعالى: فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ،[11]

---

[1] ث - فيه.
[2] جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤و.
[3] ر م - حد.
[4] ث: قوله.
[5] ن: لم تعلم.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] ر م: السخاوة.
[8] جميع النسخ: وامتنانا.
[9] ن: وقد علم أتباعه.
[10] ن + فإن كان على هذا.
[11] سورة البقرة، ٢/٢٠٠.

أي آباؤكم[1] لم ينالوا ما تذكرون[2] من الشرف والمناقب الحميدة إلا بالله تعالى فاذكروه كذكركم آباءكم.[3] وهذا النوع من الافتخار راجع إلى الخصائص من القوم[4] لا إلى الجملة، إذ كلُّ أحد يقول مثل ذلك أنه أهلك مالا لبدا أو فَعَل كذا.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾[٨] ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين**، فإن كان قوله: أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ،[5] على نفي القدرة على البعث ففي ذكر العين نفيُ تلك الشبهة، وهو أن الله تعالى أنشأ له بصرا[6] يرى بِفَتْحة واحدة ما بين السماء والأرض، فمن بلغت قدرتُه هذا لا يجوز أن يُعجزه[7] شيءٌ أو يخفى عليه أمرٌ. فقوله: **ألم نجعل له عينين**، أي ألم نخلق له عينين يُدرك بهما المحسوسات بالنظر، وجعلنا لهما جُفُونا[8] وأشفارا يدفع بهن[9] القَذى عن عينيه ويُغمّضهما[10] بهن[11] عن النظر إلى مالا يعينه.

وقوله عز وجل: **ولسانا**، أي خلقنا له لسانا يُحضِر به ما غاب واستتر. وقوله عز وجل: **وشفتين**، ففي خلق الشفتين وجهان من الحكمة. أحدهما أنه جعلهما طَبَقا يستران قُبحَ ما في فمه، ولولا هما لكان الناظر إليه وقتَ مَضْغِه الطعامَ أو شيئا من الأشياء استقذر ذلك منه. أو جعلهما[12] طَبَقا للسانه لئلا يمدّه ويستعمله فيما لا يعينه. فذَكّرهم عِظَم نعمه في خلق العينين واللسان والشفتين ليستأدي منهم الشكر، وليعلموا أن الذي بلغت قدرته هذا ليس بالذي[13] يعجزه شيء.

---

[1] م – أي آباؤكم.
[2] ن ث م: ما يذكرون.
[3] ر – أي آباؤكم لم ينالوا ما تذكرون من الشرف والمناقب الحميدة إلا بالله تعالى فاذكروه كذكركم آباءكم.
[4] جميع النسخ: من القوة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٤ظ.
[5] الآية ٥ من هذه السورة.
[6] ر: بصيرا.
[7] جميع النسخ: لا يعجزه. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر: حقوقا؛ ن ث: حفوفا.
[9] ن: يمين.
[10] ث: ويغضهما.
[11] ر ن م: ويغضهما يمين.
[12] جميع النسخ: وجعلهما. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: ما الذي. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[١٠]

وقوله: **وهديناه النجدين**، أي بيّنّا له[١] ما له وما عليه[٢] وما يُحمَد[٣] عليه وما يُذَمّ وما يَقبُح وما يَجمُل. والنجد الطريق، فبيّن للخلق الطريقين جميعا طريقَ الخير والشر، ومكّنهم من الفعلين جميعا. وقال بعضهم: النجدان الثّديان، أي هديناه الثديين في حالة الارتضاع.[٤] ولكن التبيين[٥] والهداية لم ينصرف إلى هذا / خصوصا، بل هذا من بعض ما هداه وبيّنه، فقد بيّن له غيره [٩٠٧ظ] من الأمور، ولا قيد في اللفظ فيُحمَل على الإطلاق والعموم.[٦]

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[١١] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾[١٢] ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[١٣] ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾[١٤] ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[١٥] ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فلا اقتحم العقبة**، قيل فيه من وجهين. أحدهما فهلّا اقتحم العقبة، والثاني أنه لم يقتحم. فإن كان على الأول فمعناه أن الذي قال: أنفقتُ مالا لُبَدا، كيف لا كان إنفاقه في فك الرقبة وفي الإنفاق على اليتيم والمسكين الذي بلغ به الْجَهْدُ إلى أن لَصِق[٧] بالتراب ويكونُ من جملة من آمن بالله تعالى وتواصَى[٨] بالصبر والمرحمة، ليكون من أصحاب الميمنة ويكتسبَ[٩] بذلك الحياة الطيبةَ في الآخرة. دون أن يكون إنفاقُه[١٠] في الملاهي وشهوات النفس فلم يُحصِّل لنفسه حمدا ولا أجرا في العقبى، بل صار من أصحاب المشأمة. فيكون ما بعد قوله: أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا،[١١] صلةً له وتفسيرا. وإن كان التأويل على النفي ففيه تكذيب [له][١٢] فيما زعم[١٣] أنه أنفق مالا لبدا.

---

[١] جميع النسخ: مسأله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤ظ.
[٢] جميع النسخ: ما عليه وما له. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر ث: وما يحمل.
[٤] جميع النسخ: الارضاع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر: التنن؛ ن: السين؛ م: السنن.
[٦] ن – والعموم.
[٧] ر م: الصق.
[٨] ر ث م: وتواصوا.
[٩] ث: ويكسب.
[١٠] ر ن ث: العاقبة.
[١١] الآية ٦ من هذه السورة.
[١٢] الزيادة من المرجع السابق.
[١٣] ر م: فيما يزعم.

فيقول:[1] لو كان على ما يظنّ لظهر ذلك بفكّ[2] الرقاب والمؤاساة على اليتيم وعلى المسكين الذي هو ذو متربة. فيكون هذا كلُّه صلة قوله عز وجل: أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا، أيضا.

ثم الكلام في العقبة من وجهين.[3] أحدهما على تحقيق العقبة، وهو أن يكون في النار عقبةٌ لا تُجَاوَز ولا تقطع[4] إلا بما[5] ذُكِر من فكّ الرقبة والإطعام في يوم ذي مسغبة، كقوله تعالى: سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا.[6] وقوله عز وجل: **وما أدراك ما العقبة**، على تحقيق العقبة. معناه وما أدراك[7] بما تقطع[8] تلك العقبة. ثم بيّن أنها تُقطَع[9] بما ذكر من فكّ الرقبة ونحوه. و[الثاني] جائز أن يكون على التمثيل لا على التحقيق. ووجهه أنه يشتدّ عليه تحمّل الْمُؤَنِ التي ذُكِر من فكّ الرقبة وإطعام المساكين ومواساة اليتيم، فتكون[10] العقبة كناية عن تحمل المؤن لا عن[11] العقبة نفسها، وهو كقوله: وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ،[12] أن يصير الإيمان عليه في الشدة والثقل كأنه كُلِّف الصُّعودَ إلى السماء. ويشتدّ على الأول تحمّلُ المؤن كما يشتد عليه قَطْع العقبة والصعودُ عليها.

والاقتحام هو رمي النفس في المهالك، وقيل: الاقتحام هو تحمل المؤن. فإن كان على تحمل المؤن فوجهه ما ذكرنا أنْ كيف لم يحتمل هذه المؤنَ ليصير من أهل الميمنة؟ وإن كان على الرمي في المهالك[13] فكأنه يقول: قد أهلك نفسه بترك الإنفاق في الوجوه التي ذَكَرَ والإعراضِ عن الإيمان بالله وتركِه[14] فِكاكَ الرقبة.

---

[1] جميع النسخ: فنقول. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤ظ.

[2] ر ث م: ليظهر على ذلك ففك.

[3] جميع النسخ: ثم قيل في العقبة في وجهين. والترجيح من المرجع السابق.

[4] ر م: لا يتجاوز ولا يقطع؛ ن: ولا يقطع.

[5] ر م: الإيمان.

[6] ﴿ذَرْنِي ومن خلقتُ وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شُهودا ومهدتُ له تمهيدا ثم يطمع أن أزيدَ كلّا إنه كان لِآياتنا عنيدا سأُرهقه صَعودا﴾ (سورة المدثر، ٧٤/١١-١٧).

[7] جميع النسخ: وما يدريك. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] جميع النسخ: بما يقطع. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر ن م: يقطع.

[10] ر: فيكون.

[11] ث: لا على.

[12] سورة الأنعام، ٦/١٢٥.

[13] ر ث م + لم يحتمل هذه المؤن ليصير من أهل الميمنة.

[14] جميع النسخ: فتركه. والتصحيح من المرجع السابق.

وروى أبو بكر الأصم في تفسيره خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا سأله فقال: يا رسول الله دُلَّني على عمل أَدخل به الجنةَ. فأمره بعتق النسمة وفكّ الرقبة. فقال السائل: أليسا هما واحدا؟[١] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا، عتق النسمة أن تُعتِقها،[٢] وفكّ الرقبة أن تُعين على فِكاكها».[٣] ففكاك الرقبة أن تُخلِّصها[٤] من وجوه المهالك، وذلك يكون بالتخليص عن ذُلّ الرِق، وأن ترى إنسانا هَمّ بقتلِ[٥] آخَرَ بغير حق فتدفع[٦] عن المظلوم شرَّ الظالم، وتراه يَغْرَق فتخلِّصه[٧] عن ذلك فيكون في ذلك كلِّه فِكاكُ الرقبة عن المهالك لتكتسب بها الحياة الطيبة في الآخرة.

واختلف[٨] القراء في هذا الحرف. فمنهم من قرأ: فكَّ رقبةً أو أَطْعَمَ[٩] في يومٍ ذي مسغبة، على النصب.[١٠] ومنهم من قرأ: **فكُّ رقبةٍ أو إطعامٌ**، على الرفع. فإذا قرأته بالنصب فمعناه: هلّا فكَّ رقبةً أو أطعمَ، فيكون راجعا إلى تفسير الاقتحام. وإذا قرأته بالرفع انصرف التأويل إلى تفسير العقبة؛ فكأنه قال: قطعُ العقبةِ يكون بالفكّ وبما ذكرنا.

وذكر عن سفيان بن عيينة رضي الله عنه أنه قال: كل ما في القرآن "وما أدراك" فقد أعلمه ودرّاه، وكلّ ما فيه "وما يدريك" فهو لم يُعلمه.[١١] ***والله أعلم***.

---

[١] ر ث م: واحد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤ظ.

[٢] ن – فقال السائل أليسا هما واحدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عتق النسبة أن تعتقها.

[٣] عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله علّمني عملا يُدخلني الجنة. فقال: «لئن كنتَ أقصرتَ الخطبة، لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة وفُكّ الرقبة»، فقال: يا رسول الله أو ليستا بواحدة، قال: «لا، إن عتق النسمة أن تَفرّد بعتقها، وفكّ الرقبة أن تعين في عتقها، والمِنْحة الوَكوف، والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع وَاسْقِ الظمآن وامر بالمعروف وَانْهَ عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فَكُفّ لسانك إلا من الخير» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٩٩/٤). والمنحة الوَكوف: أي غزيرة اللبن. والفيء: أي الرجوع إليه بالإحسان.

[٤] جميع النسخ: أن يخلصها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.

[٥] ن ث: يقتل.

[٦] جميع النسخ: فيدفع. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ث: فيخلصه.

[٨] جميع النسخ: فاختلف. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ر ث م: أو إطعام.

[١٠] قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: "فَكَّ" بفتح الكاف، "رَقَبَةً" بالنصب، "أَوْ أَطْعَمَ" بالنصب أيضا وفتح الألف (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٧٣).

[١١] ر م: لم يعلم. *زاد المسير* لأبي الفرج الجوزي، ١٣٤/٩؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٦٦/٢٠.

والمسغبة: المجاعة.[1] وقوله عز وجل: **ذا مقربة**، أي قرابة منه. وقوله عز وجل: **أو مسكينا ذا متربة**، أي ألصق بطنه بالتراب. وقيل: ليس له شيء يَحْجُبه عن التراب.

ثم في قوله: **يتيما ذا مقربة**، دلالة وجوب حق اليتيم على القريب إذا كان محتاجا. فيكون فيه حجة لقول أصحابنا: إنّ اليتيم إذا كان محتاجا فُرضت نفقتُه على أقربائه. وفي قوله: **أو مسكينا ذا متربة**، دلالة أن المسكين الذي هذا[2] وصفه: وهو أن لا يكون بينه وبين التراب حائل، فكفايته تَلزم الخلقَ جملةً.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **ثم كان من الذين آمنوا**، فتأويله أنه لا ينفعه فكُّ الرقبة ولا الإطعامُ حتى يكونَ مؤمنا، [ويكون] مع ذلك متواصيا بالصبر والمرحمة، فإذا كان كذلك فحينئذ يُجعَل[3] قاطعا للعقبة. وجائز أن يكون الصبرُ أريد به الإيمانُ كقوله: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[4] أي آمنوا. والتواصي بالصبر وبالمرحمة هو الأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر؛ إذ التواصي مأخوذ من الوصيّة، وهذا يوجب أن يكون الأمر بالمعروف والنهيُ / عن المنكر في اعتقاد الإيمان. [٩٠٨و]

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **أولئك أصحاب الميمنة**، أي أصحاب الميامن، وهم أهل اليُمن.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾[١٩] ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة**، أي أصحاب الشُؤم على أنفسهم، حيث عملوا بالمعاصي واستوجبوا به نارا مؤصدة وهي[5] المُطْبَقة المبهمة. وَصْفُه الإطباقَ ما ذكر في آية أخرى، وذلك قوله عز وجل: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[6] وقوله تعالى:[7] أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا،[8] الآية. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: المجلحة.

[2] جميع النسخ - هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.

[3] جميع النسخ: يحصل. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] سورة هود، ١١/١١.

[5] جميع النسخ + المؤصدة. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] سورة الزمر، ١٦/٣٩.

[7] ر م: وقال الله؛ ن ث: وقال. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها﴾ (سورة الكهف، ٢٩/١٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشمس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **والشمس وضحاها**، قالوا: تأويله: والشمسِ[3] وَضَوْئِها، وقيل: وحرِّها،[4] وقيل: ونهارِها. وهذا في موضع[5] القسم، وذلك لأن الله تعالى جعل في الشمس معانيَ تدلّ[6] على لطائف حكمته وعجائب[7] تدبيره، وجعلَها[8] في النهاية[9] من البركات وفي النهاية[10] من الآيات.

فمن عجيب تدبيره أنه جعل نورها بحيث يُهلِك نور الظلّ حتى إذا بدت[11] في مكان أذهبت[12] نورَ الظل ونور السراج ونور القمر، وسَتَرَ نورُها الكواكب عن أن تُرى،[13]

---

[1] ر – سورة الشمس؛ ن م: سورة والشمس وضحاها؛ ث + وهي خمس وعشر آيات مكية.

[2] ن – قوله عز وجل؛ م: وقوله عز وجل.

[3] ن: الشمس.

[4] ر م: وجرها.

[5] م: وهذا موضع.

[6] ر ث: يدل.

[7] ن: وعجيب.

[8] ث: وجعل.

[9] ر: تدبيره في جعل النهاية؛ م: وجعل في النهار.

[10] ر م: وفي النهارية.

[11] ر م: حتى إذا بدأت.

[12] ن: أذهب.

[13] جميع النسخ: عن أن يرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.

وجعلها بحيث يظهر بها هباءُ الهواء؛ فتبين[1] أن الهواء ذو هباء.[2] ألا ترى أنك إذا نظرت في المشكاة[3] حين سقوط[4] الشمس فيها تبيّن لك بها هباء الهواء.[5] ولو أراد أحد من الخلائق أن يتدارك المعنى الذي به استنارت هذه الشمس[6] كلَّ هذا[7] لم يقف عليه؟

ثم من بركتها[8] أنَّ بحرارتها مصالحَ الأغذية وبها مصالح النبات وبها يُكوِّث[9] الحَبُّ وبها تَنْضَج الفواكه. ومن عجيب تدبيره أنه جعلها بالنَّأْي عن كل شيء له بها صلاح، إذ لو دنت منها لكانت تُحرق الأشياء كلّها.

ومن آياتها أن جُعلت بحيث تسير وتقطع كلّ يوم مسيرة ألف عام ما يتعذر على الذي خُلق للسير والمشي قطعُ تلك المسافة بِمُدَدٍ[10] كثيرة. وهي أيضا تُظهر جودَ الرب -جلّ جلاله- لأن منافعها تعم[11] الخلق كلّهم: بَرَّهم وفاجرَهم والوليَّ منهم والعدوَّ. فأقسم الله بها ليزيل عن الكفرة الشبهة التي تعترض لهم في أمر[12] الدين: إما في التوحيد أو في الرسالة أو في البعث. *والله أعلم*.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾[٢]

وقوله عز وجل: **والقمر إذا تلاها**، فجائز أن يَتلُوها في كل ما ذكرنا في الشمس من المنافع والمعاني؛ فيكون ثانيها[13] في العمل فإنه يقع به صلاح الأغذية أيضا، وهو ينير[14] أيضا[15] إلا أنه لا ينتهي منتهاها ولا يبلغ[16] مبلغها. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: فبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.
[2] ر م: إذا هباء؛ ن ث: ذا هباء. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر: في المشكات.
[4] ر م: سقط.
[5] ن: الهوى.
[6] جميع النسخ: استنار هذا الشمس.
[7] ر م – هذا.
[8] ر: ثم من يرتكبها؛ ث: ثم من تركها.
[9] جميع النسخ: يكبس. كوّث الزرعُ تكويثا: إذا صار أربع ورقات وخمس ورقات (*لسان العرب*، «كوث»).
[10] ر م: بمدة.
[11] ن: يعم.
[12] جميع النسخ: من أمر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.
[13] ن: ثانها.
[14] ر م: وهو يدبر.
[15] ث – وهو ينير أيضا.
[16] ن: ولا مبلغ.

وقال بعضهم: **إذا تلاها**، أي يتلوها في أول ما يَهُلّ، فإنه إذا وجبت الشمس[١] في آخر اليوم من الشهر تلا غروبَها طلوعُ الهلال. وقال[٢] بعضهم: معناه[٣] أنه يتلوها إذا صار بدرا. وفي هذا دلالة أن منشئهما واحد، لأن منافعهما تعمّ[٤] الخلق جميعا، ولو لم يكن مدبرهما[٥] واحدا لكان لا تعمّ،[٦] بل يمنع كلُّ واحد منهما مُنشئه عن إيصال النفع إلى قوم عدوه.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾[٣]

وقوله عز وجل: **والنهار إذا جلاها**، يحتمل أوجها.[٧] يحتمل أن يكون النهار جَلّى الدنيا، ويحتمل أن يكون جلّى الأرض،[٨] ويحتمل أن يكون جلّى الشمس، ويحتمل أن يكون[٩] جلّى[١٠] الأبصارَ بنورها عن ظلمة الليل التي تغشاها.[١١]

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **والليل إذا يغشاها**، ينصرف إلى الأوجه التي ذكرنا أيضا، أي يغشى[١٢] الدنيا أو الأرض أو الشمس أو يغشى الأبصار بظلمتها[١٣] عن الخلائق. ***والله أعلم.***

ثم لليل[١٤] والنهار زيادةُ سلطان ليست للشمس ولا للقمر؛[١٥] لأن من سلطان الليل والنهار أنهما[١٦] يُفنيان الآجال ويقطعان الأعمار،[١٧] ولا يتهيأ لأحد الامتناع والتحرز من سلطانهما،

---

[١] وجبت الشمس: أي غابت.
[٢] ر ث م: بلا غروبها طلوع الهلال قال.
[٣] ر ث م – معناه.
[٤] جميع النسخ: لا يعم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥ظ.
[٥] ر: مدبرها.
[٦] جميع النسخ: لا يعم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ن + يحتمل أوجها.
[٨] ن ث: بالأرض.
[٩] جميع النسخ – يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ث م: أن يجلي؛ ن: أن تجلي، بغير منقوطة.
[١١] جميع النسخ: يغشاها. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر: إذ يغشى.
[١٣] ن: بظلمها.
[١٤] م: ثم الليل.
[١٥] ن: والقمر.
[١٦] ث: إنما.
[١٧] جميع النسخ: الأعمال. والتصحيح من المرجع السابق.

ويتهيأ للخلق دفعُ أذى الشمس والقمر عن أنفسهم بالحيل والأسباب؛ فكان في[1] ذكر الليل والنهار زيادةُ معنى ليس ذلك في ذكر[2] الشمس والقمر.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **والسماء وما بناها**، قال الزجاج: **ما**، بمعنى "الذي"،[3] وقد يستعمل في مثله، كقول العرب: سبحان[4] ما سبّحت له السماوات والأرض، أي سبحان[5] الذي سبّحت له [السماوات والأرض].[6] وقال بعضهم: **ما**، هاهنا بمعنى مَنْ[7] كأنه يقول: والسماء ومَنْ بناها. وقال بعضهم: **ما**، هاهنا يجعل الفعل الماضي بمعنى المصدر؛ تقول:[8] أعجبني ما صنعت، أي أعجبني صنعك،[9] فيكون معناه والسماءِ وبنائِها. فإن كان التأويل على الوجهين الأولين رجع[10] القسم إلى الله تعالى: **والسماء**، وإلى ما تقدم من الشمس والقمر والنهار والليل. وإن كان على التأويل الآخر رجع القسم إلى ما خَلَق وهو السماء، فإن بناء السماء عينها.

وقال أبو بكر الأصم: إن هذه المآت في قوله: **والسماء وما بناها**، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا،[11] تخرج[12] على التعجيب على شرط التقديم وإن كانت مؤخرة في اللفظ؛ كأنه يقول:[13] / وما السماء؟ ثم أجاب: **بناها** بأن رفع سمكها وسواها[14] ورفعها بغير عمد ترونها.[15] *والله أعلم*. [٩٠٨ظ]

---

[1] ث + ذلك.
[2] ث: ليس في ذلك ذكر.
[3] ن – قال الزجاج ما بمعنى الذي.
[4] ر ث م: سبحن.
[5] ر ث م: سبحن.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٥ظ. *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٣٣٢/٥.
[7] ر: مان.
[8] ن: يقول.
[9] ر: صنعتك.
[10] ر م: يرجع.
[11] الآيتان التاليتان.
[12] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥ظ.
[13] ر ث م + الله تعالى.
[14] يقول الله تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها﴾ (سورة النازعات، ٢٧/٧٩-٢٨).
[15] ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾ (سورة الرعد، ٢/١٣).

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **والأرض وما طحاها**، أي بسطها.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ونفس وما سواها**، قالوا: تسويتها في أن خلقها باليدين والرجلين والعينين ونحوها. فإن كان على هذا فالتسوية يرجع إلى الأغلب لا إلى الجملة؛ إذ ليس لكل نفس هذه الجوارح جملةً، فيكون معناه: أنه سوّى أكثر النفوس بما ذكر من اليدين والرجلين. وذلك جائز في الكلام، وهو كقوله تعالى: وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا،[١] وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا،[٢] ومعناه: أنه جعلها سكنا ومقرا لأكثر الخلائق لا للجملة، وجعلَ النهار لأكثر الخلائق معاشا لا للجملة. *والله أعلم*. وقيل: سوّى جوارحها وأطرافها ما لو لم تكن[٣] له جارحة من ذلك الجوارح يوصف بالنقصان، وهذا أعم[٤] من الأول. ويحتمل **سَوّاها**، على[٥] ما عليه مصلحتها فتملك[٦] التقلّبَ والتعيش ليس على ما عليه سائر الحيوان. ويحتمل وجها آخر، وهو أن يكون قوله: **سواها**، أي جعلها بحيث تحتمل[٧] الكلفة والمحنة، كقوله تعالى: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى،[٨] وتُميِّز[٩] بين القبيح والحسن، وتَعرف[١٠] عواقبَ الأمور من الخير والشر.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فألهمها فجورها وتقواها**، هذا[١١] يحتمل أوجها. أحدها أي بيّن لها فجورَها وتقواها وعلّمها. فمن زعم أن المعارف ضرورية خِلقةٍ يحتج بهذه الآية، فيقول: أخبر تعالى أنه علّمها فجورَها وتقواها، وأنه وضع في نفسه ما يعرف به قبحَ كلّ قبيح وحُسنَ كل حَسن.

---

[١] سورة الأنعام، ٩٦/٦.
[٢] سورة النبأ، ١١/٧٨.
[٣] جميع النسخ: ما لو لم يكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥ظ.
[٤] ر م: أعمر.
[٥] ر ث م + غير.
[٦] جميع النسخ: ويملك. و*الشرح*: وتملك، ورقة ٣٤٥ظ.
[٧] جميع النسخ: احتمال.
[٨] سورة القصص، ١٤/٢٨.
[٩] جميع النسخ: ويميز.
[١٠] جميع النسخ: ويعرف.
[١١] ر ث م: وهذا.

والأصل فيه عندنا أنه يُعرف حسن الأشياء وقبحُها جملةً ببداية العقول، ولكن العقول لا تعرف حسن كلِّ شيء على الإشارة إليه ولا قبحَ كلِّ قبيح على الإشارة إليه، وإنما يُعرَف ذلك إما بخبر يَرِد على ألسُن الرسل عليهم السلام أو باستعمال الفكر. ألا ترى أنك تجد النفس من طبعها أنها تألَف الملاذَّ والمنافع وتَنفِر[1] عن المكاره والآلام، ولكنها لا تعرف[2] معرفة كلِّ مُنْتَفَعٍ على الإشارة إليه ولا مَضرةً[3] أعين الأشياء، وإنما تعرف[4] ذلك بالذوق. وكذلك العين تُدرك[5] الألوان لكنها لا تعرف حسنه وقبحه، بل العقل هو الذي يَفصل بينهما. فعلى ذلك قد جُعل في طبع العقل قبحُ القبائح جملةً وحسن الحسن ولكن لا يَفصل بينهما على الإشارة إلى كل في نفسه إلا بما ذكرنا.[6] فيكون قوله: **فألهمها فجورها وتقواها**، أي جعل في نفسها ما يبيّن القبيح من الحسَن والخبيث من الطيّب ويبيّن قبح الفجور وحسن التقوى؛ فتلزمه[7] المحنة والكلفة بذلك. ثم يصل إلى معرفة ذلك إما بالرسل وإما باستعمال الفكر.

ويحتمل وجها آخر، وهو أن يُلْهِمَها تقواها إذا وَفَى بما لله تعالى عليه من الاستقامة على الطريقة والمجاهدة؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا،[8] فوعد الهداية بالجهاد، وقال تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ،[9] ثم كانت الإجابة مضمّنة بشريطة[10] وهي أن يستجيب له الداعي فيما[11] دعاه إليه. ألا ترى إلى قوله تعالى: فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي،[12] وقال تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ،[13]

---

[1] ر ث م: وتنفي.
[2] ر ث م: لا يعرف؛ ن: لا يعلم. والصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٦و.
[3] جميع النسخ: ولا ضرارة. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: وإنما يعرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: يدرك. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ث - إلا بما ذكرنا.
[7] جميع النسخ: ويلزمه؛ و*الشرح*: فيلزمه، ورقة ٣٤٦و.
[8] سورة العنكبوت، ٦٩/٢٩.
[9] ن + فيما دعاه إليه. سورة البقرة، ١٨٦/٢.
[10] جميع النسخ: شريطة. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: إذا.
[12] سورة البقرة، ١٨٦/٢.
[13] سورة البقرة، ٤٠/٢.

وقال: إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ،[١] الآية.[٢] فثبت أن الذي يُلهَم التقوى هو الذي يقوم بوفاء ما عليه، فإذا قام به ألهمه التقوى وبيّن له سبيلَ الفجور.

وقال أبو بكر الأصمّ في قوله: **فألهمها فجورها وتقواها**، أي ألزمها فجورها وتقواها، فيكون تقواها لها وفجورُها عليها، لا يؤخذ أحد بفجور أحد. وفي هذا دليل على أن التقوى إذا ذكر مفردا انصرف إلى الخيرات أجمعَ، وإذا قُرن به البِرّ والإعطاء انصرف إلى الاتقاء عن المحارم، كقوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى،[٣] وإذا قيل: بَرّ واتقى[٤] أريد به أنه بَرّ بكل ما يُحمَد عليه واتقى عن كلِّ ما يُذَمّ عليه فاعلُه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[٩] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**، فموقعُ ما تقدّم من القسم بالشمس والقمر والليل والنهار على هذا. فقوله: **قد أفلح من زكاها**، في الآخرة، **وقد خاب من دساها**، في الآخرة؛ فيكون هذا منصرفا إلى الجزاء في الآخرة[٥] على ما يذكر في قوله: إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى،[٦] فيكون في هذا إيجابُ القول بالبعث من الوجه الذي نذكره[٧] إن شاء الله تعالى.

ثم اختلفوا في تأويل الفلاح. قال بعضهم: **أفلح**، أي سَعِد، ومنهم من يقول: أي بقي في الخيرات، والفلاح البقاءُ. ومنهم من يقول: **أفلح**، أي فاز، والمُفلِح في الجملة هو الذي يَظفَر بما يَأْمُل وينجو عما يحذر، فيدخل في ذلك السعادة والبقاء والفوزُ.

وقوله: **من زَكّاها**، فجائز أن يكون منصرفا إلى الله تعالى، وجائز أن ينصرف إلى العبد. قال الله تعالى: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ،[٨] وقال الله تعالى:[٩] قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ [فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا]،[١٠] فبين الله تعالى

---

[١] سورة المائدة، ١٢/٥.
[٢] ث – الآية.
[٣] سورة الليل، ٥/٩٢.
[٤] ث – وإذا قيل بر واتقى.
[٥] ر ث م – وقد خاب من دساها في الآخرة فيكون هذا منصرفا إلى الجزاء في الآخرة.
[٦] سورة الليل، ٤/٩٢.
[٧] ن: يذكره.
[٨] سورة النور، ٢١/٢٤.
[٩] ر ن ث: وقال تعالى.
[١٠] سورة يونس، ٥٨/١٠.

أنه هو الذي تَفضّل[1] بتزكية من زَكّا. وجائز أن[2] يصرف إلى العبد فيكون[3] قوله: **زكّاها**، أي صاحبُها. وكذلك قوله: **وقد خاب من دَسّاها**، يحتمل هذين الوجهين. فيكون الله تعالى [٩٠٩و] / هو الذي [أنشأ فعلَ التزكّي و][4] أنشأ فعلَ الضلال؛ فيكون الفعل من حيث الإنشاء عن الله تعالى، ومن حيث الفعلُ من العبد.

ثم قوله: **من دسّاها**، أي أخفاها، وإخفاؤها أنه صيّرها بحيث لا تذكر[5] في المحافل إلا بالذم، وزكّى الآخرُ، أي[6] أظهرها حتى ينظر إليها الناس بعين التبجيل والتعظيم. وهكذا شأن المتقي أن يكون مبجّلا معظّما[7] فيما بين الخلق، والفاجر يعيش مذموما مُهانا فيما بين الخلق. أو يرجع الإظهار والإخفاء إلى الآخرة، فيُجَلّ[8] قدرُ المتقي المزكّى، ويُخمَل ذكرُ الفاجر.

وقوله عز وجل: **دَسّاها**، مِنْ دَسَّسْتُ، فأسقط السين وأبدل مكانها الياءَ.[9] ثم الإضافة في قوله: **دَسّاها**، إلى الله تعالى على خلق ذلك الفعل منه، وفي قوله: **من زكّاها**، على التوفيق.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **كذبت ثمود بطغواها**، ولم يبيّن لمن كذّبوا، وقد بيّنه في آية أخرى، فقال: كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ.[10] وقوله عز وجل: **بطغواها**، يحتمل وجهين. أي لأجل معصيتها وطغيانها؛ إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم وتركُهم التفكرَ في أمره، وإلا لو تفكروا

---

[1] ر ث م: يفضل.
[2] ر م + يكون.
[3] ر م – فيكون.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٦و.
[5] جميع النسخ: لا يذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م – أي.
[7] ن: ومعظما.
[8] ن: فيحل.
[9] وفي التنزيل العزيز: ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾؛ يقول: أفلح من جعل نفسه زكية مؤمنة وخابَ من دَسَّسها في أهل الخير وليس منهم، وقيل دَسَّاها جعلها خسيسة قليلة بالعمل الخبيث. قال ثعلب: سألت ابن الأعرابي عن تفسير قوله تعالى: ﴿وقد خابَ من دَسَّاها﴾ فقال: معناه من دسَّ نَفْسَه مع الصالحين وليس هو منهم. وقال الفراء: خابت نفس دَسَّاها الله عز وجل. ويقال: قد خاب من دَسَّى نَفْسَه فأَخْمَلَها بترك الصدقة والطاعة. قال: ودَسَّاها من دَسَّسْتُ، بُدِلَتْ بعض سيناتها ياء كما يقال: تَظَنَّيْتُ من الظَنِّ. قال: ويُرَى أن دَسَّاها دَسَّسَها لأن البخيل يُخفي مَنزِله وماله، والسَّخِيُّ يُبْرِزُ منزله فينزل على الشَّرَفِ من الأَرض لئلا يستتر عن الضيفان ومن أَراده. ولكل وجه (*لسان العرب*، «دسّ»).
[10] ﴿كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/١٤١-١٤٢).

فيما جاءهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يجدون[١] موضع التكذيب. والثاني بأهل طغواها، أي كذّبت ثمود بسبب أهل الطغيان. فيكون في هذه الآية إنباءُ أنهم لم يكذبوا رسولهم بشبهة اعترضت لهم أو بحجة كانت لهم، بل كذّبوه[٢] عن عنادٍ منهم وتيقنٍ منهم برسالته. وذلك أن حجة[٣] نبيهم صالحٍ عليه السلام جاوزت [حقّ][٤] الحجج لأنهم أُوتوا الناقةَ على سؤال سَبَقَ منهم وعلى تَعَدٍّ منهم في السؤال؛ إذ كان لهم أن يطالبوه بالحجج[٥] على دعوى الرسالة ولم يكن لهم أن يَنُصُّوا السؤال على شيء يشيرون[٦] إليه، فهم بإشارتهم إلى سؤال الناقة كانوا معتدين فيه.

ثم من حُكم[٧] الله أن الحجة إذا كانت على أثَر السؤال ثم ظهر التكذيب من السائلين[٨] الاستئصالُ في الدنيا، وقد وُجد من أولئك القوم السؤال والتكذيب فعوقبوا بالاستئصال. قال الله تعالى: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً [فَظَلَمُوا بِهَا]،[٩] فبيّن الله تعالى المعنى الذي لم يُرسل الآياتِ التي سألت الكفرةُ[١٠] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وهو أنهم لو أوتوا[١١] ثم عاندوا[١٢] استُؤْصِلوا؛ فقد أراد الله تعالى[١٣] إبقاء أمته إلى أن تقوم[١٤] الساعة، وأرسله رحمةً للعالمين وجعلَ حجته من وجه فيها رحمةٌ للعالمين، وهي القتال. ووجه الرحمة فيه[١٥] أنهم كانوا يمتنعون عن [الإيمان][١٦]

---

[١] ر ن م: وسلم لم يجدوا.

[٢] ر م: كانت لهم يكذبوه.

[٣] ر ث م − حجة.

[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٦ظ.

[٥] جميع النسخ: بالحجة. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ن: يشيروه؛ ث: يشيروا.

[٧] جميع النسخ: من حكمة. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] جميع النسخ + هو. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] سورة الإسراء، ٥٩/١٧.

[١٠] م: سأل الكفرة.

[١١] ر م: لم أوتوا.

[١٢] ن: ثم عندوا.

[١٣] ر: فقد أراد والله تعالى؛ م: فقد أراد والله أعلم.

[١٤] ن: أن يقوم.

[١٥] ر م − فيه.

[١٦] الزيادة من المرجع السابق.

لحبّ الدنيا[1] وشهواتها فكان يمنعهم ذلك عن النظر في حججه وآيات رسالته، وكان في الجهاد ما يُضيّق[2] عليهم المعاشَ ويضطرّهم إلى النظر في الحجج فيَحملهم ذلك على تصديقه والإيمان به؛ فثبت أنّ في القتال رحمةً عليهم.[3]

﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **إذ انبعث أشقاها**، أي قام أشقاها وصار أشقاها بما أحدث من الكفر بعَقْر الناقة. وروي عن عَمّار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «ألا أُخبرك بأشقى الناس رجلين»؟ قال: بلى، يا رسول الله. فقال: «أُحَيْمِرُ[4] ثمودَ عاقرُ الناقة، والذي يضرب على هذه –وأشار إلى هامته– حتى يبتلّ منها هذه –وأشار إلى لحيته–».[5] فصار عاقرُ الناقة أشقى الناس بما ذكرنا. وجائز أن يكون قاتلُ علي صار أشقى الناس لأنه استحل قتله.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها**، فهو يحتمل وجهين. أحدهما أي احذروا ناقة الله، وهو كقوله: [هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ] وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.[6] والثاني أي قال لهم: ذَرُوا ناقةَ الله تأكلْ في أرض الله، وذروا بين الناقة وسقياها أي شِرْبِها.[7]

ثم أضيفت الناقة إلى الله تعالى لوجهين.[8] أحدهما أن الله تعالى لم يأذن لأحد بالتملك عليها حتى ينسب إليه المِلك بل بقيت غيرَ مملوكة لأحد، فأضيف إلى الله تعالى كما أضيفت إليه المساجد لما لا مِلك لأحد عليها. و[الثاني] أضيفت إلى الله تعالى على معنى التفضيل.

---

[1] ر م – لحب الدنيا؛ ث: بحب الدنيا.

[2] ر م: وما يضيق.

[3] ر: رحمة الله.

[4] ر م: أحتمر؛ ن: احيمس؛ ث: احتم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٦ظ.

[5] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٦٣/٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ٤٣٧/٨.

[6] سورة الأعراف، ٧٣/٧.

[7] م: أو شربها.

[8] م: الوجهين.

والأصل أن إضافة الأشياء إلى الله تعالى بحق الجزئيات[1] على تفضيل تلك الأجزاء من بين غيرها. وإضافة[2] الأشياء إلى الله تعالى بحق الكليات يخرج مخرج تعظيم الله تعالى. فإذا قيل: "ربّ المساجد" أريد به تفضيل المساجد من بين سائر البقاع، وإذا قيل: "رب العرش" أريد به تعظيم العرش، وكذلك إذا قيل: "رب الناقة" أريد به[3] تعظيم أمرها. وإذا قيل: "رب العالمين" و"رب كل شيء" أريد به تعظيم الرب جل جلاله.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **فكذبوه فعقروها**،[4] يحتمل أن يكونوا كذبوا صالحا عليه السلام في رسالته، أو كذّبوه فيما أخبرهم من حلول[5] العذاب بهم إذا عقروا الناقة، فعقروها مع ذلك.

وقوله عز وجل: **فدمدم عليهم ربهم بذنبهم**، قال بعضهم: أي أطبق عليهم العذاب على الصغير والكبير، ومنه يقال: بعير مُدَمْدَمٌ[6] إذا كان سمينا[7] أُطبِق شحمُه على لحمه.[8] وقال بعضهم: **دمدم عليهم**، أي دمّر[9] عليهم **بذنبهم**، وذنبُهم[10] ما تَعَدَّوْا من تكذيبهم / الرسولَ وعقرِهم الناقةَ. |٩٠٩ظ|

وقوله عز وجل: **فسواها**، يحتمل وجهين. أحدهما أنه سوّاهم بالأرض، كقوله عز وجل: يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ.[11] أو سوّى[12] بين الصغير والكبير في الإهلاك؛ فالصغار منهم يومئذ ماتوا بآجالهم والكبار منهم استؤصلوا بذنوبهم.

---

[1] ر م: الحرمات؛ ث: الخيرويات.
[2] جميع النسخ: فإضافة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٦ظ.
[3] ن: أريد بها.
[4] ر م + فدمدم.
[5] ر: من طول.
[6] جميع النسخ: مدموم. والتصحيح من المرجع السابق. قال القرطبي: وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده. ويقال: دممت على الشيء: أي أطبقت عليه، ودمّم عليه القبرَ: أطبقه. وناقة مدمومة: ألبسها الشحمُ. فإذا كررت الإطباق قلت: دَمْدَمْت. والدمدمة: إهلاك باستئصال (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٠/٧٩).
[7] ر: شمسا.
[8] ث: لحمه على شحمه.
[9] ن: دم.
[10] ن: بدانهم ودينهم.
[11] سورة النساء، ٤/٤٢.
[12] ن: أي سوى.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ولا يخاف عقباها**، فجائز أن تكون[1] الإضافة منصرفة إلى الله تعالى، وهو أن يكون الله لمّا أهلكهم لم يَخَفْ تَبِعَة الإهلاك. ووجه الخوف هو[2] أنه فيما أهلكهم أهلكهم بما أوجبت الحكمة إهلاكَهم، ولم يلحقه تقصير في الحكمة، ولا وجد الغائبُ في ذلك مقالا. وهكذا قال الحسن: ذاك ربنا لم يَخَفْ مما أنزل عليهم العذاب.[3] أو يكون منصرفا إلى العاقر، فيكون معناه أنه عقرها ولم يَخَف العاقبة التي حذّرهم بها صالحُ عليه السلام، من قوله: وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.[4] وقال بعضهم: **ولا يخاف عقباها**، أي لم يعلم ما يحُلّ به مِن عَقْر تلك الناقة ولو علم لم يفعل. ويجوز استعمال الخوف في موضع العلم لأن الخوف إذا بلغ غايتَه صار علما.

ثم الحكمة في ذكر قصة ثمود وجهان. أحدهما أن في ذكرها[5] تثبيتَ[6] رسالة محمد صلوات الله عليه، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوجد منه الاختلافُ إلى مَن عنده علمُ الأنباء والأخبار، ولا كان[7] يعرف الكتابة ليقع له المعرفة بهما، فثبت أنه بالوحي عَلِمَ. والثاني أن في ذكره تحذيرا[8] لمكذبي الرسل، فحُذِّروا به ليمتنعوا عن تكذيبه فلا يحُلَّ بهم كما حلّ بمكذبي صالح عليه الصلاة والسلام من بأسه وعذابه. ***والله الهادي وعليه اعتمادي***.[9]

---

[1] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧و.
[2] ن – هو.
[3] تفسير *الطبري*، ٣٠/٢٧١.
[4] سورة الأعراف، ٧/٧٣.
[5] ن: في ذكرهما.
[6] ر ث م: يثبت.
[7] ر م: وكان.
[8] ن ث: تحذير.
[9] ن – وعليه اعتمادي.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الليل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾[١] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾[٢]

قوله عز وجل:[2] **والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى**، جعل الله تعالى الليل والنهار آيتين[3] عظيمتين ظاهرتين مكرَّرتين على الخلائق ما يعرف[ه] كلّ كافر ومؤمن وجميعُ أهل التنازع الذين تنازعوا أهلَ الإيمان والتوحيد من الجبابرة والفراعنة. والقسم بالليل والنهار،[4] والقسمُ بقوله: وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى،[5] واحدٌ. وقد ذكرنا أن القسم إنما يذكر في تأكيد ما يقع به القسمُ ما لولا القسم كان ذلك[6] يوجب دون القسم؛ وذلك لِعظم ما فيهما حتى قهرا جميعَ الفراعنة والجبابرة وغلبا عليهم[7] في إتيانهما وذهابهما، حتى إن من أراد[8] منهم دفْعَ هذا ومجيء هذا ما قدروا عليه.

---

[1] ر – سورة الليل؛ ن: ذكر سورة والليل إذا يغشى مكية؛ ث + وهي إحدى وعشرون آيات مكية؛ م: سورة والليل إذا يغشى.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] ن – آيتين.

[4] ر م – والقسم بالليل والنهار.

[5] سورة الضحى، ٩٣/١-٢.

[6] ر ث م – ذلك.

[7] ث – وغلبا عليهم.

[8] ن: حتى من أراد.

وفيهما دلالة وحدانية الله تعالى وألوهيته وقدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره وحكمته. أما دلالة وحدانيته وألوهيته فاتّساقهما[1] وجريانهما على حدّ واحد وسَنَن واحد مذ كانا، وأُنشئا من الظلمة والنور والزيادة والنقصان. فدلّ جريانهما على ما ذكرنا أنّ منشئهما واحد؛ إذ لو كان فعل عدد لكان إذا جاء هذا وغلب الآخرَ دامت غلبتُه عليه، وكذلك الآخر يكون[2] مغلوبا أبدا والآخر غالبا. فإذا لم يكن ذلك دلّ أنه فعلُ واحدٍ. ويدلّ أيضا على أنْ ليس ذلك عملَ النور والظلمة على ما تقوله الثنوية، ودلّ إتصال[3] منافع أحدهما بمنافع الآخر على أن ذلك عملُ واحد لا عدد. ودلّ اتساق ما ذكرنا ودوامُها على حدّ واحد على الاستواء أنّ منشئهما مدبّر عليمٌ، عن تدبيرٍ وعلمٍ خَرَجَ ذلك لا على الجُزاف بلا تدبير. ودلّ مجيء كلّ واحد منهما بطرفة عين على أن منشئهما قادرٌ لا يعجزه شيء من بعث ولا غيره. ودلّ ما ذكرنا أن فاعل ذلك حكيمٌ، على حكمةٍ خَرَجَ فعلُه: لا يحتمل أن يتركهم سُدًى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم بأمور. وكذلك جَعَل فيما ذكر من الذكر والأنثى[4] من الدلالات والآيات من الازدواج والتوالد والتناسل وغير ذلك.

[٩١١و س٤] [وقال بعض أهل الأدب]: * **إذا تجلى**: إذا بدا.*

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وما خلق الذكر والأنثى**، قال بعضهم:[6] إن حرف "**ما**" متى قرن بالفعل الماضي صار بمعنى المصدر،[7] كأنه قال: وخَلْقِ الذكر والأنثى، فيكون قَسَما بجميع الخلائق؛ إذ لا يخلو[8] شيء من أن يكون ذكرا أو أنثى.[9] وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: والذكرِ والأنثى.[10] وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[11] قرأ كذلك.[12]

[1] ر: وحدانية وألوهية اتساقهما؛ ن ث م: اتساقهما.
[2] ن + الآخر.
[3] ر ث م: أيضا؛ ن: إيصال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧و.
[4] ن: من الذكر من الأنثى.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٩١١و/ سطر ٤.
[6] ر م: وقال بعضهم.
[7] ر ث م: بمعنى المصوّر.
[8] ر: لجميع الخلائق أن لا يخلو؛ ن: أنه لا يخلو؛ م: أن لا يخلو.
[9] جميع النسخ: وأنثى. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ث م – والأنثى. *تفسير الطبري*، ٣٠/٢٧٤.
[11] ن – أنه.
[12] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٠/٨١.

وقال بعضهم: "**ما**" هاهنا بمعنى الذي، كأنه قال: والذي خَلَق الذّكر والأنثى؛ فيكون على هذا الوجه القسم بالله تعالى، وعلى التأويل الأول[1] بالذكر والأنثى.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إن سعيكم لشتى**، قالوا: على هذا وقع القسمُ. فإن قيل: إنَ كلًّا يعلم -مِن كافرٍ ومؤمن- أن سعيهم لَمختلف، فما الحكمة والفائدة من ذكر القسم على ما يعلم كلُّ ذلك؟

فالوجه فيه -والله أعلم-[2] أن ما يقع لهم بالسعي وما يستوجبون به لَمختلفُ في الآخرة،[3] وهو جزاء السعي، كأنه قال: إن جزاء سعيكم وثوابه لمختلف. وذلك أنهم كانوا يقولون: إن كانت دار أخرى على ما يقوله[4] محمد عليه الصلاة والسلام فنحن[5] أحق بها من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، بقوله: / وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا.[6] أو يكون [٩١٠و] قوله: **إن سعيكم لشتى**، لأن المعطي في الشاهد ينفع غيرَه ويضرّ نفسَه في الظاهر، والممسك ينفع نفسَه، ثم المعطي محمود عند الناس. فلو لم تكن[7] عاقبة ينتفع المعطي بما أعطى ويضرّ البخيلَ المنعُ لكان الناس بما حمدوا هذا وذَمُّوا الآخر سفهاء. فدلّ أن العاقبة هي التي تصيّر[8] هذا محمودا. ولأن الخلق جميعا من مسلم وكافر ومحسن ومسيء قد استوَوْا في نِعَم هذه الدنيا ولذاتها وما ذَكر[9] من مَمَرِ الليل والنهار مما يخلق فيهما[10] من النبات والثمار والعيون والأشجار. فإذا وقع الاستواء في هذه الدار -وبه وردت الأخبار عن النبي المختار أن الناس شركاء في الماء والكلإ والنار-[11] لا بد من دار أخرى للأشقياء والأبرار ليقع بها

---

[1] ن – الأول.
[2] ر ث م: الله أعلم.
[3] ن: لمختلف والآخرة.
[4] ر: تقوله.
[5] جميع النسخ: نحن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧ظ.
[6] ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ (سورة الكهف، ٣٦/١٨).
[7] جميع النسخ: لم يكن. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر م: يصير؛ ث: هي الذي يصير.
[9] ر ث م: بما ذكرنا؛ ن: مما ذكرنا. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ن ث: فيها.
[11] إشارة إلى حديث أخرجه الإمام أحمد وابن ماجة وأبو داود بلفظ: «المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء والكلإ والنار» (*مسند الإمام أحمد*،٣٦٤/٥؛ و*سنن ابن ماجة*، الرهون ١٦؛ و*سنن أبي داود*، البيوع ٦٠).

التفاوت بين الأبرار[1] والأشرار والنافعِ منهم نفسَه والضارّ. فإذا[2] ثبت أنهما استويا في منافع الليل والنهار وجميع ما في الدنيا من الأنزال وغيرها[3] لا بد من دار أخرى فيها يقع التفاوت والتفاضل[4] بينهم، وفيها يُمَيِّز[5] بين ما[6] ذكرنا.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾[٥] ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾[٦] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾[٨] ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾[٩] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[١٠] ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾[١١]

ثم بيّن أن السعي الذي يقع الجزاء له[7] مختلفًا[8] [هو] ما ذَكَر بقوله: **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى**، وهو يخرج على وجوه. يحتمل: **فأما من أعطى واتقى**،[9] أي أعطى ما أُمر به واتقى عصيانَه وكفرانَ نعمه، أو اتقى المنع. أو من أعطى التوحيد لله تعالى من نفسه، واتقى الشرك والكفران لنعمه، **وصدق** بموعود الله تعالى. **فسنيسره لليسرى**، للأعمال والشرائع، أو نشرح[10] صدره للتوحيد والإسلام ونيسره[11] عليه. **وأما من بخل** ولم يأت بالتوحيد، **واستغنى** عن الله تعالى بما عنده، **وكذب** بموعود الله **فسنيسره للعسرى**، لما يُعِدّه[12] من الأعمال. ***والله أعلم***.

والثاني في حق القبول والعزم على وفاء ذلك بقوله: **فأما من أعطى**، أي قَبِل الإعطاء وعَزَم على وفاء ذلك،[13] **واتقى**، أي عَزَمَ اتقاءَ معاصي الله تعالى ومحارمِه، **وصدق بالحسنى**، أي بموعوده،

---

[1] ن – بين الأبرار؛ ث: بين الأخيار.
[2] جميع النسخ: وإذا.
[3] جميع النسخ + فإذا وقع الاستواء بينهم في الدنيا.
[4] ن: في التفاضل.
[5] ر م: تمييز؛ ن ث: تميز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧ظ.
[6] جميع النسخ: من ما. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ث: الجزالة.
[8] جميع النسخ: مختلف. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن – وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وهو يخرج على وجوه يحتمل فأما من أعطى واتقى.
[10] ن ث: يشرح.
[11] ن ث: ونيسر.
[12] ن ث: كما بعده.
[13] ن – بقوله فأما من أعطى أي قبل الإعطاء وعزم على وفاء ذلك.

فسنيسره لليسرى، أي سنيسره لوفاء ما عزم. **وأما من بخل**، أي عزم[١] على البخل والمنع لذلك،[٢] **واستغنى**، بالذي له وعنده، **وكذب** بموعود الله تعالى، **فسنيسره**، لوفاء ما عَزَم من الخلاف لله تعالى والمعصية له. وعلى ذلك يُخرَّج ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال: «كلُّ ميسَّرٌ لما خُلق له»،[٣] أو قال:[٤] «كل ميسّر لما عمل».

والثالث يخرج على حقيقة إعطاء ما وجب من الحق[٥] في المال و[على] حقيقة المنع. يقول: **فأما من أعطى**، ما أوجب من حق الله تعالى في ماله، **واتقى**، نقمة الله ومقته وعذابه، **وصدق بالحسنى**، أي بموعود الله تعالى، **فسنيسره لليسرى**، في الخيرات والطاعات. **وأما من بخل**، أي مَنَع حقّ[٦] الله تعالى الذي في ماله، **وكذّب** بالذي وُعد على ذلك، **فسنيسره للعسرى**،[٧] في الإفضاء إلى ما وُعد.

وقوله عز وجل: **وما يغني عنه مالُه إذا تردَّى**، قيل: إذا هلك ومات، أو تردى في النار. وفي ظاهر قوله تعالى: **وما يغني عنه ماله**، دلالةٌ على أنّ الآية في حقيقة الإعطاء من المال و[في] المنع.

*وقال بعض أهل الأدب: **تردّى**، في النار، أي سقط، ويقال: تردّى تفعّل من الرَّدَى، وهو الهلاك. **واليسرى**،[٨] من التيسير،[٩] **والعسرى**، من التعسير.* [٩١١و س٣-٩١١و س٤]

وقوله عز وجل: **وصدق بالحسنى**، قال بعضهم: بالجنة، وقيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل: بالخَلَف[١١] على ما أنفق.[١٢] وجائز أن يكون اليسرى[١٣] اسما[١٤] للجنة، وكذلك الحسنى،

---

[١] ر ث م – عزم.
[٢] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧ظ.
[٣] صحيح *البخاري*، التفسير ٩٢، التوحيد ٥٤؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٧، ٩.
[٤] ث – كل ميسر لما خلق له أو قال.
[٥] ن: ما أوجب من الحق الله.
[٦] ن – حق.
[٧] ر ث م: لليسرى.
[٨] ر: والبشرى.
[٩] ث: والبشرى من التبشير.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٩١١و/ سطر ٣-٤.
[١١] ن: بالحلف.
[١٢] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من خير فهو يخلفه﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣٩).
[١٣] ر ن ث: البشرى.
[١٤] جميع النسخ: اسم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧ظ.

والعسرى والسُّوءَى النارَ. ويحتمل أن يكون اليسرى[1] اسما لكل ما طاب وحَسُن من العمل، والعسرى ما خَبُث وقَبُح من العمل.

ومنهم من قال: إن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ إنّه اشترى بلالا رضي الله عنه من أُمَيّة بنِ خَلَف وأُبَيّ[2] بن خلف[3] بِبُرْدَة وعَشْرِ أَواقٍ[4] فأعتقه لله تعالى، فأنزل الله تعالى: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى -إلى قوله- إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى،[5] يعني سعيَ أبي بكر وأمية وأبيّ، وذكر إلى آخر السورة. **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى** [فهو] أبو بكر رضي الله عنه، **وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى،** [فهما] أمَيّة بن خلف وأبيّ بن خلف، يرويه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.[6]

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **إن علينا للهدى،** هذا يخرّج على وجوه. أحدها جائز أن يكون قوله:[7] **علينا،** أي لنا، وذلك جائز، في اللغة جارٍ، كقوله تعالى: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[8] أي لِلنُّصُب، وكقوله تعالى: وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ،[9] عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ،[10] أي لنا محاسبتهم،[11] وقوله تعالى: وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ،[12] أي لله قصد السبيل،[13] وكقوله[14] تعالى: وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ،[15] أي لربهم، كما قال: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[16] ونحو ذلك، كثير أن يكون "علينا" بمعنى "لنا"؛

---

[1] ن: البشرى.
[2] م - بن خلف وأبي.
[3] ر: وأمية وأبي ابن خلف.
[4] جميع النسخ: أوقى. والتصحيح من *الدر المنثور* للسيوطي، ١٥/٤٧٠.
[5] الآيات ١-٤ من هذه السورة.
[6] جميع النسخ + هذا. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٥/٤٧٠.
[7] ر ث م - قوله.
[8] سورة المائدة، ٥/٣.
[9] ﴿وإمّا نُرِيَنَّكَ بعض الذي نَعِدهم أو نَتَوَفَّيَنَّكَ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (سورة الرعد، ١٣/٤٠).
[10] ﴿إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾ (سورة الغاشية، ٨٨/٢٥-٢٦).
[11] ث: وعلينا الحساب أي لنا حسابهم أي محاسبتهم.
[12] سورة النحل، ١٦/٩.
[13] م - أي لله قصد السبيل.
[14] ر ث م: كقوله.
[15] سورة الأنعام، ٦/٣٠.
[16] ر + لرب الناس. سورة المطففين، ٨٣/٦.

فيصير كأنه قال: إن لنا للهدى،[١] كقوله: أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ،[٢] وكقوله: وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا،[٣] يكون فيه إخبارٌ أن الهدى له والدين[٤] الخالص له. وأما سائر الأديان فإنما[٥] هي سبل الشيطان ليست لله تعالى. على هذا جائز أن يخرج تأويل الآية.

والوجهان الآخران يخرجان على حقيقة "على". لكن [في] أحدهما يخرج ذكرُ الهدى على إرادة البيان وتبيين[٦] الطريق، و[في] الآخر على إرادة[٧] حقيقة الهدى الذي[٨] هو ضد الكفر ومقابله. فأما / على إرادة البيان فكأنه قال: إن علينا غايةَ البيان في حق الحكمة والعدل فيما [٩١٠ظ] يُمتحنون حتى إن كان[٩] التقصير والتفريط فإنما يكون من قِبَلِ أنفسهم لا من قِبَل الله تعالى، أي يبين[١٠] لهم كلَّ شيء غاية البيانِ ونهايته ليزول الشبهة عنهم. ***والله أعلم***.

ويحتمل وجها آخر وهو أن يقول: إن علينا هداية من استهدانا[١١] واجتهد في طلبها، كقوله: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.[١٢] ووجه آخر إن علينا إنجازَ ما وعدنا على الهدى لمن اهتدى واختاره.

يخرج تأويل الآية على إرادة البيان من الوجوه التي ذكرنا. وأما على إرادة حقيقة الهدى الذي هو مقابل الكفر فكأنه قال: إن علينا التوفيق والمعونة والعصمةَ في حق الإحسان والإفضال، لا على أن ذلك [حق][١٣] عليه لهم.[١٤]

وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: إن علينا بيانَ ما للآخرة والأولى كي لا يزولَ عن قصد الطريق فتَهلِك نفسُه في كل مَضيق.

---

[١] ن: إن لنا الهدى.
[٢] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[٣] سورة النحل، ١٦/٥٢.
[٤] ر م: أن الهدى والدين.
[٥] جميع النسخ: فلما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧ظ.
[٦] ر ث م: في تبيين.
[٧] ن – إرادة.
[٨] ر ث م – الذي.
[٩] ث + كان.
[١٠] ر م: أو يبين؛ ن: تبين.
[١١] ر م: استمر؛ ث: من استهدى.
[١٢] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩.
[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٨و.
[١٤] ن: عليهم لهم.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وإن لنا لَلْآخِرة والْأُولَى**، فهو يخرج على وجهين. أحدهما يقول -والله أعلم-: إنكم تعلمون أن لنا للآخرة والأولى، وليس لما تعبدون من الأصنام والأوثان الآخرةُ والأولى، فكيف صرفتم عبادتكم عن من له الآخرة والأولى إلى من ليس له الآخرة والأولى على علم[١] منكم بذلك؟ يُسفِّههم في اختيارهم عبادةَ الأصنام على عبادة الله تعالى.

والثاني يقول -والله أعلم-: **إن لنا للآخرة والأولى**، فما بالكم[٢] تبخلون[٣] بالإنفاق على أنفسكم وما ترجع[٤] منفعته إليكم بما ليس لكم في الحقيقة وإنما هو لله تعالى.[٥] وهذا التأويل صلة قوله تعالى: وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى،[٦] الآية، والأول يكون صلة قوله: إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى.[٧]

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **فأنذرتكم نارا تلظى**،[٨] أي نارا تتوقد وتتلهب[٩] أو تتشعب على ما ذكر من صفتها. ثم ذلك الإنذار يكون للفريقين لأهل التوحيد ولأهل الشرك جميعا. ***والله أعلم***.

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾[١٥] ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى**، قالت المعتزلة: هذا ليس على حقيقة[١٠] التكذيب، ولكن على التقصير والتفريط في أمر الله تعالى والوقوع في مناهيه. فيصرفون الآية إلى أصحاب الكبائر [ويقولون: إن هذا الوعيد لهم. والخوارج يقولون: إن أصحاب الكبائر][١١] بارتكابهم الكبيرة يصيرون مكذِّبين ومتولِّين، لأنهم في ابتداء اعتقادهم التوحيد والإيمانَ

---

[١] ن + إلى من ليس له ذلك على علم.
[٢] ر: فما لكم.
[٣] ر ن م: يبخلون.
[٤] جميع النسخ: وما يرجع.
[٥] ر م: وإنما هو الله تعالى.
[٦] الآية ٨ من هذه السورة.
[٧] الآية ١٢ من هذه السورة.
[٨] ن + لا يصلاها إلا الأشقى الذي يصلى النار.
[٩] ن: يتوقد ويتلهب؛ م: ويتلهب.
[١٠] ر: هذا على ليس حقيقة.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٨و.

اعتقدوا وفاءَ كلِّ ما وقع به الأمرُ ووفاءَ كلِّ ما[1] يليق به والانتهاءَ عن جميع ما لا يليق به. فإذا ترك ذلك صار مكذبا لما اعتقدوا[2] في الأصل وفاءَ ذلك. لكن عندنا لا يصير بترك الوفاء مكذِّبا لكن يصير مخالفا لما وعد واعتقد. واستدلت المرجئة الذين لا يرون العذب إلا لأهل الشرك والكفر بهذه الآية؛ يقولون: إنه لا يصلاها إلا الذي كذَّب وتولّى، والمسلم وإن ارتكب الكبيرة أو الصغيرة فهو ليس بمكذِّب ولا متولٍّ.[3] ولكن تأويل الآية عندنا في الكَفَرة، ليست[4] في أهل التوحيد[5] والإيمان.

ثم يحتمل قوله: **لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى**، في باب ودَرْكٍ دون باب ودرك؛[6] فإن لكل فريق دركا، قال الله تعالى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.[7] وهذا كما قال: لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ،[8] وقال في آية أخرى: إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ،[9] فيكون الضريع الذي ذُكَر في باب ودرك منها، والغِسلين في باب آخر. فجائز على هذا أن لا يَصلى ذلك الدركَ إلا الأشقى، ويجوز[10] أن يكون لصاحب الكبيرة دركٌ خاصٌ. وأما ما ذكروا أنّ أصحاب الكبائر قد أُوعِدوا[11] وخُوِّفوا بمواعيدَ[12] شديدةٍ فلسنا ننكر المواعيد لهم وأنهم يعذبون، ولكن نقول: لا يكونون في الدركات التي فيها الكفار إن أُدخلوا في النار. وجائز أيضا أن يعذبوا بعذاب سوى العذاب الذي ذكر بالنار والتلظِّي. وعندنا هم في مشيئة الله تعالى إن شاء عذَّبهم، وإن شاء تجاوز عنهم وخلّى[13] سبيلَهم. وأما النار التي ذكرت[14] بصفة التلظِّي فهي للكفار.
والله الموفق.

---

[1] ر – وقع به الأمر ووفاء كل ما.
[2] ن: لما اعتقد.
[3] ن: ولا متولى.
[4] ن + ليست.
[5] ر م – التوحيد.
[6] جميع النسخ: دون درك وباب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٨و.
[7] سورة النساء، ١٤٥/٤.
[8] سورة الغاشية، ٦/٨٨.
[9] ﴿فليس له اليومَ هاهنا حميم ولا طعامٌ إلا من غِسْلِينٍ﴾ (سورة الحاقة، ٣٥/٦٩-٣٦).
[10] جميع النسخ: فأما يجوز.
[11] ن: وقد أوعدوا.
[12] ن: مواعيد.
[13] ر ث م + عنها؛ ن + عنهم.
[14] جميع النسخ: ذكر.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾[١٧] ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى**، أخبر أنه يُجنِّب النارَ عن الأتقى ويَقيه عنها. ثم فيه دلالة أنه إنما يجنبها[1] ويقيه عنها[2] بالأعمال التي يعملها. فدل أن لله تعالى[3] في أفعالهم صنعا حيث أضاف الوقاية إليه والتجنب عنها، وهو كقوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.[4]

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾[١٩] ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾[٢٠] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى**،[5] أي ما لأحد عند الله تعالى من نعمة يُجزَى بها ولا يَدٌ يستحق الثواب بها، لكن إذا أدّى نعمة من نعم الله تعالى التي أعطاها[6] إياه لغيره ابتغاء[7] وجهه وطلب رضاه يَجزيه بفضله كأنه كانت له عنده نعمة يُجزَى بها.

والثاني يحتمل أن [يكون] هذا صلة قوله: يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى،[8] أي يتصدق ويتزكى لابتغاء وجه الله تعالى على من ليس عنده نعمة ويد يجازيه بها وينفق عليه جزاء لصنيع[9] قد سبق منه في حقه. كأنه يقول: لا يعطي الزكاة[10] أحدا بحق مجازاة[11] سبق منه إليه من نعمة، إنما أعطاه له لا مجازاةً، ولكن لله تعالى[12] خالصا. وفيه دليل أن لا يعطي الرجلُ زكاةَ ماله مَن عنده له نعمة أو منة، لأنه يخرج ذلك مخرج الإعطاء ببدل.

---

[1] ر: إنما يجنبيها.

[2] ر ن ث: ويقيها؛ م: ويقتيها.

[3] ر: أن الله تعالى.

[4] سورة البقرة، ٢/٢٠١.

[5] ن – إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى.

[6] م: أعطاه.

[7] ث: لغير ابتغاء.

[8] الآية ١٨ من هذه السورة.

[9] ث: جزاء الصنيع.

[10] ث + أحد.

[11] جميع النسخ: أحدا عن مجازاة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٨ظ.

[12] ر: ولكن الله تعالى.

وقوله عز وجل: **ولسوف يرضى**، أي يرضى بالذي يُجزى له ويساق إليه من الثواب. وحرف "سوف" و["لعل" و]"عسى" من الله تعالى / واجب، كأنه يقول: يعطيه حتى يرضى. [٩١١و]

وقال بعضهم نزلت هذه الآية، وهو قوله عز وجل: **وما لأحد عنده من نعمة تجزى**، في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقال بعضهم هذه الآية نزلت في أبي الدَّحْداح رضي الله عنه، طلب النبيُ صلى الله عليه وسلم منه نخلة إلى آخر القصة.[١]* ***والله أعلم***[٢]

[١] عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لفلانٍ نَخْلَةً، وأنا أقيم حائطي بها، فَأْمُرْه أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أعطِها إيّاه بنخلةٍ في الجنة»، فأبى، فأتاه أبو الدَّحْدَاحِ، فقال: بِعْني نخلتك بحائطي، ففعل، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني قد ابْتَعْتُ النخلةَ بحائطي، قال: فاجْعَلْها له، فقد أعطيْتُكها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كم من عَذْقٍ رَدَاحٍ لأبي الدَّحْدَاح في الجنة». قالها مرارًا، قال: فأتى امرأتَه فقال: يا أُمَّ الدَّحْدَاح، اخْرُجي من الحائط، فإني قد بِعتُه بنَخلةٍ في الجنة. فقالت: رَبِحَ الْبَيْعُ، أو كلمةً تشبهها (مسند أحمد بن حنبل، ١٤٦/٣، ٣٦٤/٥).

* وقعت هنا قطع تفسيرية من تفسير آيات ٢، ٧، ١٠، ١١ متأخرة عن مواضعها فنقلناها إلى محالّها. انظر: ورقة ٩١١و/ سطر ٣-٤.

[٢] ر ث + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين؛ ن + بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الضحى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالضُّحَى﴾[١] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[٢]

قوله عز وجل:[2] **والضحى والليل إذا سجى**، قال بعضهم: الضحى هو ضوء النهار، كقوله: وَضُحَاهَا،[3] أي وضوئها،[4] وقال بعضهم: هو ساعة من النهار وهي من أول النهار. ويقال: صلاةُ الضحى، وهي عند ضَحْوَة النهار. ومنهم من يقول: هو كناية عن الحَرّ، كقوله: أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى -إلى قوله- وَلَا تَضْحَى،[5] أي لا يصيبك الحر. ***والله أعلم.*** ومنهم من قال:[6] هو كناية عن النهار كلِّه أقسم به وبالليل الذي ذكر. فإن كان المراد من "الضحى" هو ضوء[7] النهار ومن "الليل إذا سجى" ظلمتَه فيخرج القسم به[8] على أن ظلمة الليل تستر[9] الخلائق كلهم في طرفة عين، وكذلك ضوء النهار يكشف السِّتر،

---

[1] ر – سورة الضحى؛ ن: ذكر أن سورة والضحى مكية؛ ث + إحدى عشرة آية مكية؛ م + مكية.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] ﴿والشمس وضحاها﴾ (سورة الشمس، ١/٩١).

[4] جميع النسخ: ضوئها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٨ظ.

[5] ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تَظْمَأُ فيها ولا تضحى﴾ (سورة طه، ١١٨/٢٠-١١٩).

[6] ر ث م: يقول.

[7] ن – ضوء.

[8] ث – به.

[9] ن: يستر.

ويجلّي[1] بطَرْفة عينٍ جميعَ الخلائق من غير أن يعلم أحد ثِقَلَ ذلك التستر أو خفة ذلك الضوء. فأقسم بذلك لعظم[2] ما فيهما من الآية. وإن كان المراد منه نفس الليل والنهار فالقسم بهما لما جعل فيهما من المنافع الكثيرة.

وقوله عز وجل: **إذا سَجَى**، اختلف فيه. قال بعضهم: إذا استوى، وقال بعضهم: إذا سكن وركَد؛ وقال بعضهم: **إذا سجى**، إذا غَشِي[3] وأظلم وغطّى كل شيء وستر. وهو من التسجية[4] والستر؛[5] يقال: يُسَجّى قبر المرأة أي يُستَرَ ويُغطّى.[6]

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[٣]

وقوله عز وجل: **ما ودعك ربك وما قلى**، على هذا وقع القسم. ثم اختلف في السبب الذي نزل هذا. قال بعضهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان سئل عن شيء أو طلبوا[7] منه شيئا، فقال: أفعل ذلك غدا، أو أُجيبكم[8] عنه غدا، ولم يستثنِ،[9] فاحتبس عنه الوحي أياما لذلك، فقال المشركون: ودعه ربه وقلاه، أي تركه وأبغضه. ومنهم[10] من قال: إنه أبطأ عليه الوحي فجزع جزعا شديدا، فقالت له خديجة رضي الله عنها: إني لأرى قد قلاك ربك[11] وودّعك، مما ترى من جزعه، فنزل قوله: **ما ودعك ربك وما قلى**.

ولسنا ندري كيف كان الأمر. فإن كان نزل ذلك لقول[12] قريش فالقسم يحتمل لذلك[13] ردا لقولهم. والقول الثاني أنه نزل لقول خديجة رضي الله عنها فهو غير محتمل،

---

[1] ر ث م: وتجلي.
[2] ر ث م: لعظيم.
[3] ن: إذا عسى.
[4] جميع النسخ: من التسجي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٨ظ.
[5] ر م: والتستر.
[6] جميع النسخ: تسجى قبر المرأة إذا تستر وتغطى. والتصحيح من المرجع السابق. انظر لمعنى "أسجيته": آخر تفسير السورة.
[7] ر م: إذا طلبوا؛ ن ث: إذ طلبوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: أو أخبركم. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م: ولم يستثني.
[10] م: وومنهم.
[11] ث + مما ترى.
[12] ن: تقول.
[13] ر ن ك: كذلك.

لأن خديجة تعلم أن الله تعالى لم يوَدّعه ولا قلاه، وكذا كل مؤمن معتقد أن الله تعالى لا يودع أحدا من رسله، ولأنها تُصدّق الرسول عليه الصلاة والسلام أنه لم يودّعه ولا قلاه إذا أخبرها بغير قسم، فلا معنى للقسم. دل أن هذا[1] الوجه غير محتمل.

ثم صَرْف[2] تأويل الآية إلى غير ما قالوا أشبه عندنا وأقرب مما قالوا. وهو أنه عليه الصلاة والسلام بُعث إلى الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم[3] القتلَ وعادتهم إهلاكَ من خالفهم بلا أنصار ولا أعوان من الملائكة ولا [كان معه فضل][4] مال وسعة يستميل به القلوب والأنفس؛ لأن من سلّم إنسانا إلى أعدائه الذين[5] يعلم أنهم أعداؤه ويخلّي بينه وبين أعدائه[6] بلا أنصار وأعوان ولا مال وسعة من الدنيا، يقال:[7] إنه قد خذله وتركه وقلاه إذ لا يُفعل[8] ذلك في الأصل إلا لذلك، فعند ذلك قالوا: إنه ودعه وقلاه. وهو ما قالوا: لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا،[9] وقولهم:[10] لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[11] ونحو ذلك مما قالوا. فلولا صرف أهل التأويل تأويل الآية إلى ما ذكروا، وإلا صرفه إلى ما ذكرنا أشبه.

وفي قولهم: قد ودّعه ربه دلالة أنهم قد عرفوا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقروا بذلك حتى[12] نزل قوله: **ما ودّعك ربك**. والثاني أنه لو كان يخترع على ما كان يقول[13] أولئك لكان لا يحتبس عن الاختراع، ويكون يخترع أبدا حتى لا يقولوا: إنه ودعه.

---

[1] ر م: دل هذا.

[2] ر: ثم صرفه.

[3] جميع النسخ + قتل من خالفهم وإهلاك من استقبلهم بالخلاف ولم يكن معه فضل مال وسعة يستميل به قلوب الناس فيقول أولئك الكفرة إن ربه قد خذله (ر: قد أخذ له) وتركه وقلاه حيث بعثه إلى من ذكرنا من الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٨ظ.

[4] الزيادة من المرجع السابق.

[5] ن: إلى إعلاء الدين.

[6] ر م: الأعداء؛ ث – أعدائه.

[7] ر ث م: فيقال.

[8] ث: وقلاه ألا يفعل.

[9] سورة الفرقان، ٢٥/٧-٨.

[10] ن – وقولهم.

[11] سورة الزخرف، ٤٣/٣١.

[12] جميع النسخ + قالوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٩و.

[13] جميع النسخ: على ما كانوا يقولون. والتصحيح من المرجع السابق.

فدل ظهور احتباس الوحي أنه عن أمر يخبر وأنه مأمور بذلك. ثم أخبر أنه لم يُبعث إلى هؤلاء القراعنة والجبابرة لما ذكر أولئك الكفرة أنه خذله وتركه وقلاه، ولكن بعثه وهو ينصره ويعينه على تبليغ ما أمر بتبليغه إلى من أمر بتبليغه، ولم يَقْلِه ولكنه اصطفاه واختاره حتى يعلوَ أمره ويكثر ذكرُه. / وفي ذلك آية[1] عظيمة على إثبات الرسالة، وهو ما ذكرنا أنه بُعث إلى من همتهم القتل والإهلاك لمن خالفهم، فقهرهم جميعا وغلب على الكل حتى[2] أظهر الإسلام فيمن قرب منه ومن بَعُدَ.[3] [٩١١ظ]

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وللآخرة خير لك من الأولى**، يقول: مع ما أُعطيتَ في الدنيا من الشرف والذكر والغلبة على الفراعنة فإن الآخرة[4] خير لك من الأولى، يرغبه في الآخرة ويزهده في الدنيا. أو يقول: إنّ أَوْلَى لك أن يكون سعيُك للآخرة، فهو خير لك من الأولى، وهو كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ.[5]

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ولسوف يعطيك ربك فترضى**، أي لَتعطَى في الآخرة[6] ما ترضى[7] من الكرامة والشرف.[8] وقال بعضهم:[9] أي ولسوف يعطيك ربك فترضى في الدنيا من الذكر والشرف والمنزلة والغلبة على الأعداء. ويحتمل: يعطيك في أمتك ما ترجو[10] وتَأْمُل من الشفاعة لهم فترضى.[11] ويقول بعض الناس: إن أرجى الآية هذه حيث وعد له أنه يعطيه ما يرضى،

[1] جميع النسخ: لآية. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٩و.
[2] ر: خرج.
[3] ر م: من ومن بعده.
[4] جميع النسخ: فالآخرة. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة الانشقاق، ٦/٨٤.
[6] ن + في الآخرة.
[7] ر م: ما يرضى.
[8] ن: والسرف.
[9] ن ث: وقال بعض الناس.
[10] ر م: ما ترجوا.
[11] ر ث م: وترضى.

ولا يرضى أن تكون[1] أمته في النار. ومنهم من قال: أرجى الآية قوله تعالى: مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ يَجِدِ اللّٰهَ غَفُورًا رَحِيمًا،[2] وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه.[3] وعندنا أرجى الآيات هي التي[4] أمر الله تعالى رسله بالاستغفار للمؤمنين، وكذلك ما أمر[5] الملائكة بالاستغفار لهم فاستغفَروا لهم.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾[٦]

وقوله عز وجل: **ألم يجدك يتيما فآوى**، الآية [من] ما ذَكَر من الأحوال التي ذَكَر فيه: من قوله: **ألم يجدك يتيما فآوى** [وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى] وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى،[6] الآية، وقوله تعالى:[7] وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ،[8] ونحو ذلك من الأحوال التي ذُكر فيه في الظاهر أحوال يُذكر للشَّين فيمن[9] يقال فيه. لكن في ذكر[10] ما ذُكر فيه من الأحوال ذكرُ بشارة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنصر له والعون وآيةٌ له على رسالته ونبوته، لأن نفاذ القول وغلبة الأمر مع الأحوال التي ذكر أعظم في الأعجوبة من نفاذه في حال[11] السعة وحال قوة الأسباب وتأكيدها. أو أن يكون قوله: **ألم يجدك يتيما**[12] **فآوى** [وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى][13] وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى، ونحوُه لأن أولئك الكفرة كانوا ينسبونه إلى الافتراء والاختراع من ذات نفسه، فأخبر أن اليتيم والفقير ليس يبلغ في العلم والمعرفة المبلغَ الذي يقدر على الاختراع وإنشاء الشيء من نفسه على وجه يَعجَز[14] عن مثله جميعُ الخلق،

[1] جميع النسخ: أن يكون.
[2] سورة النساء، ٤/١١٠.
[3] انظر تأويل الآية ١١٠ من سورة النساء.
[4] ن: الآيات التي هي.
[5] م: وكذلك أمر.
[6] الآيتان ٧-٨ من هذه السورة.
[7] ر ث + ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك عائلا فأغنى الآية وقوله تعالى.
[8] سورة العنكبوت، ٢٩/٤٨.
[9] ر: للشين فيمن؛ ث: للشين فما؛ م: للشئن فيمن.
[10] ن: في ذكره.
[11] ر م: في أحوال.
[12] ث + قوله ألم يجدك يتيما.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٩و.
[14] ر ث م + مبلغ الاختراع.

لما لا يجد ما ينفق في ذلك ويحتمل من الْمُؤَن[1] حتى يبلغ مبلغ الاختراع. وكذلك ما ذكر حيث قال: مَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ، لأنهم قالوا: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[2] والبشر[3] إنما يتعلمون بالكتابة والخط. فإذا لم يكن[4] لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيء[5] من ذلك دل أنه بالله تعالى عرف وحده.

وقوله عز وجل: **ألم يجدك يتيما فآوى**، أي وجدك يتيما فآواك. ثم يحتمل قوله: **فآوى**،[6] وجوها. أحدها وجدك يتيما فآواك إلى عمك[7] حتى رباك، ودفع عنك كل أذى وآفة وساق إليك كل خير وبر إلى أن بلغت المبلغ الذي بلغت.

والثاني يقول قد وجدك يتيما فآواك إلى عدو من أعدائك حتى تولى تربيتك وبَرَك وعطف عليك وتولى عنك دفع المكروه والأذى. يذكر مننه وعظيم[8] نعمه عليه أنه كان ما ذكر، ثم صير عدوا[9] من أعدائه أشفق الناس عليه وأعطف. ***والله أعلم***.

والثالث قد وجدك يتيما[10] فآواك إلى نفسه وعطف عليك حتى اختصك واصطفاك للرسالة والنبوة، حتى صرت مذكورا في الدنيا والآخرة وحتى أحوج جميعَ الناس إليك. وليس[11] ذلك من أمر اليتيم أنه يبلغ شأنه وأمره إلى ما بلغ من أمرك وشأنك، حتى صرت مخصوصا من بين الناس جميعا فيما ذكرنا[12] من اختصاصه إياك بالرسالة، وإحواجِ[13] جميع الناس إليك. يذكر عظيم مننه[14] ونعمه عليه.

---

[1] ر م: ويحتمل المؤن.
[2] سورة النحل، ١٦/١٠٣.
[3] ر م: فالبشر.
[4] ث: فإذ لم يكن.
[5] ر م - شيء.
[6] ر ن م: فآواك.
[7] ن ث: إلى ملك.
[8] ن: وعظم.
[9] ر ث م + دفع المكروه.
[10] ر ث م - يتيما.
[11] ر م: ليس.
[12] ث: فيما ذكر.
[13] ر م: وأحوج.
[14] ر م: منه.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ووجدك ضالا فهدى**، هذا يخرج على[1] وجوه. أحدها يقول -والله أعلم-: لولا أن الله تعالى هداك لدينه ووفقك له وإلا وجدك ضالا -إذ كان[2] نَشْؤه بين قوم ضُلَّال لم يكن أحد يهديه ويدعوه إلى الله تعالى- ولكنه هداك وأرشدك فلم يجدك ضالا، وهو كقوله تعالى: وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا،[3] أي لولا أنه أنقذكم منها وإلا صرتم على شفا حفرة من النار لو لم ينقذكم منها؛ وكقوله: وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا،[4] لأن البشر أنشئ وطبع على الركون والميل إلى النعم العاجلة واختيار الأيسر والألذّ، ولكنه بفضله ولطفه ثَبّتك وعصمك ولم يَكِلْكَ على ما طبعت وأُنشئتَ في أصل الخلقة. فعلى ذلك يقول في قوله: **ووجدك ضالا فهدى**، أي لولا أنه هداك وإلا وجدك ضالا لو لم يهدك. ففيه أنه هداه ولم يجده ضالا.

والثاني يقول: **ووجدك ضالا**،[5] لا ضلالَ كسب واختيارٍ ولكن ضلالَ / الخلقة التي أنشئ [٩١٢و] عليها الخلق. والضلال بمعنى الجهل[6] لأن الخلق في ابتداء أحوالهم يكونون جهالا لا جَهْلَ كسب يُذَمّون عليه أو يكون لهم علم يحمدون عليه، ولكن جَهْل خلقةٍ وضلال خلقة لما ليس معهم آلةُ دَرْك العلم فلا صنع له في كسب الجهل. فأما بعد الظفر بآلة العلم يكون الجهل مكتسبا فيُذم عليه، وكذا العلم فيترتب عليه الحمد والذم. فعلى هذا يكون قوله تعالى: **ووجدك ضالا فهدى**، أي وجدك[7] جاهلا على ما يكون في أصل الخلقة وحالة[8] الصغر فهداك أي علّمك؛ وهو كقوله تعالى: مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا،[9] وقوله تعالى: وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ،[10] يذكر أنه لم يكن يدري[11] شيئا حتى أدراه وعلّمه.

---

[1] ن + تخريج.
[2] ر م: إذا كان.
[3] سورة آل عمران، ١٠٣/٣.
[4] سورة الإسراء، ٧٤/١٧.
[5] ن – ضالا.
[6] ن + في ابتداء.
[7] ن ث: أو وجدك.
[8] ث: وحال.
[9] سورة الشورى، ٥٢/٤٢.
[10] سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩.
[11] ن: تدري.

والثالث يقول: **ووجدك ضالا**، أي غافلا عن الأنباء المتقدمة وأخبارهم حتى أطلعك الله تعالى على ذلك، كقوله:[1] نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ.[2]

أو يقول ووجدك في أمر القرآن أو ما فيه جاهلا غافلا عن علم ذلك[3] فأعلمك.

وقال بعضهم: **ووجدك ضالا**، أي وجدك بين قوم ضُلّال **فهدى**،[4] أي أخرجك من بينهم ما لو لم يخرجك من بين أظهرهم لدعوك إلى ما هم عليه، ولَجَبَرُوكَ[5] على ذلك و لم يرضوا منك إلا ذلك. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: **ووجدك ضالا**، من طريق مكة فهداك الطريق. وقال بعضهم: **ووجدك ضالا**، حقيقة الضلال فهداك للتوحيد. لكن هذا وحش من القول إذ لا يليق به أن ينسب إلى ذلك. وقال بعضهم: **ووجدك ضالا**، عن النبوة، أي جاهلا فهداك للنبوة، وهو قريب مما ذكرناه.[6]

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **ووجدك عائلا فأغنى**، أي فقيرا فأغناك،[7] أي أغناك[8] بما أراك من أمر الآخرة وما يسوق إليك من نعيمها؛ أي بما أعدّ له في الآخرة وما وعد له من النعيم والكرامات فهانت عليه الدنيا حتى ذكر أن الدنيا لم تكن تعدل[9] عنده صلى الله عليه وسلم[10] جناح بعوضة،[11] ولذلك روي أن «الغنى غنى[12] القلب».[13] ويحتمل أنه جعل فيه حالا بلطفه أغناه،

---

[1] ر: كقولك.

[2] سورة يوسف، ٣/١٢.

[3] ر ث م – ذلك.

[4] جميع النسخ: فهداك.

[5] جميع النسخ: ويجبروك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٩ظ.

[6] ن ث: بما ذكرناه.

[7] انظر لمعنى "عال" و"أعال": آخر تفسير السورة.

[8] ر م – أي أغناك.

[9] جميع النسخ: لم يكن يعدل. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ن – صلى الله عليه وسلم.

[11] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى حديث روي عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ما سَقَى كافرا منها شَربة ماءٍ» (*سنن ابن ماجة*، الزهد ٣؛ وسنن *الترمذي*، الزهد ١٣).

[12] ن: الغناء غناء.

[13] عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر، أترى كثرة المال هو الغنى»؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: «أفَتَرَى قلة المال هو الفقر»؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: «إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب» (*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٩٦/٢؛ وانظر: شعب *الإيمان* للبيهقي، ٥٤٥/١٢-٥٤٦).

كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الوصال،[1] فقيل: أنت تواصل يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «أنا لست كأحدكم إن ربي يطعمني ويسقيني».[2] فجائز أن يكون لله عز وجل فيه لطفا أغناه به وإن لم يطلعنا عليه. **والله أعلم**. وقال بعضهم: أغناك بمال خديجة رضي الله عنها. وقال بعضهم: فأغناك، أي فأرضاك[3] بما أعطاك من الرزق وأقنعك.

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **فأما اليتيم فلا تقهر**، وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه، فأما اليتيم[4] فلا تكهر،[5] فالكَهْر الزجر، كأنه قال: فلا تَزْجُر. جائز أن يكون قوله: **فلا تقهر**، أي لا تمنع[6] حقه وادفع إليه حقه وماله. أو يكون ذكر هذا يقول: كنت يتيما ورأيت حال اليتيم فلا تقهر اليتيم، فيكون على الصلة[7] لقوله: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى،[8] فلا تقهر اليتيم بعد ذلك.

وقال قوم: تزويج اليتيم قهره لما فيه من الاستذلال والإضرار، فلم يجوزوا من غير الأب والجد، وأجازوا بيع ماله من وصيّه[9] إن كان وصيَّ الأب أو الجد أو وصيَّ[10] أمه في تَرِكَتِها. فدل أن تزويج اليتيم[11] ليس من قهره في شيء. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه زوج بنت حمزة سَلَمَة بنَ أبي سلمة وهو صغير يتيم،[12] وزوج ابن عمر بنت أخيه وهي صغيرة، وزوج عروةُ ابنته من مصعب وهي صغيرة.[13] وقهر اليتيم في ظلمه[14] والاعتداء عليه، وليس في التزويج ذلك. [٩١٢و س٢٩ - ٩١٢و س٣٣]

[1] أي عن صوم الوصال، وهو ألا يُفطر يومين أو أياما (*النهاية* لابن الأثير، «وصل»).
[2] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣/١٧٠؛ وسنن *الترمذي*، الصوم ٦٢.
[3] ر م: فأرضيك.
[4] ن: وأما اليتيم.
[5] تفسير *الطبري*، ٣٠/٢٩٤؛ وتفسير *ابن أبي حاتم* للرازي، ١٠/٣٤٤٤.
[6] ن: لا يمنع.
[7] ن: فيكون الصلة.
[8] الآية ٦ من هذه السورة.
[9] جميع النسخ: من وصيته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٠و.
[10] جميع النسخ: أو الجد وصي. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ث - قهره لما فيه من الاستذلال والإضرار فلم يجوزوا من غير الأب والجد وأجازوا بيع ماله من وصيه إن كان وصي الأب أو الجد أو وصي أمه في تركتها فدل أن تزويج اليتيم.
[12] ر م: وهو صغيرهم يتيم.
[13] ر م + وأما بنعمة ربك فحدث.
[14] جميع النسخ: في ظلمة. والتصحيح من المرجع السابق.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٩١٢و/سطر ٢٩-٣٣.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[١٠]

وأما السائل فلا تنهر، أي كنت محتاجا فقيرا فعرفت محل الفقر والحاجة وشدة حاله، ولا تنهر السائل، أي لا تزجره ولكن أعطه.[١] وجائز أن يكون الأمر لا على[٢] النهي ولكن على الأمر بالبر لهؤلاء والإعطاء لهم. وجائز أن يراد في نفي شيء إثبات ضده، كقوله تعالى: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ،[٣] أي خسرت. وعلى هذا الحديثُ[٤] وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم[٥] أنه قال: «إذا أتاكم السائل فلا تقطعوا[٦] عليه مسألته حتى يَفْرَغَ منها، ثم رُدُّوا عليه برفق ولِينٍ: إما ببذل يسير أو بردٍّ جميل، فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جن يرى كيف صنيعكم فيما خوَّلكم الله تعالى».[٧]*

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وأما بنعمة ربك فحدث**، يحتمل وجهين. أحدهما يقول: حَدِّثْهم بنعم الله تعالى التي أنعم عليهم ليعرفوا وَيفُوا بما فيه شكرها. أو يقول:[٩] حدِّثْهم بما أنعم الله عليك وهو هذا القرآن، إذ القرآن من أعظم[١٠] ما أنعم الله عليه. فأمر بتحديث[١١] ما عليه من النعم ليعرفوا عظيم[١٢] ما أنعم الله عليه من الاختصاص لهم حيث جعلهم من أمته ومن قومه. أو أمر بأن يقرأه ويحدث بما فيه.

وقد روي عن أبي رجاء العُطارِدي قال: خرج علينا عِمران بن حُصَيْن، وعليه مِطْرَفُ خَزٍّ لم نره عليه قبل ولا بعدُ. فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى

---

[١] انظر لمعنى "الانتهار": آخرة تفسير السورة.
[٢] ر م: الأمر على.
[٣] سورة البقرة، ١٦/٢.
[٤] ر: هذا التأويل.
[٥] ن: عن النبي عليه السلام.
[٦] ن: فلا يقطعوا.
[٧] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٣١٠/٣.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٩١٢و/سطر ٢٩-٣٣.
[٩] ر ث م: أو تقول.
[١٠] ن: إذ القرآن أعظم.
[١١] جميع النسخ: بتحدث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٠و.
[١٢] ن: عظم.

إذا أنعم على عبد نعمة[١] يحب[٢] أن يرى[٣] أثر نعمته عليه».[٤] وعن عَطيّة عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته / على عبده،[٥] ويبغض البؤس والتّبأُّس».[٦] وعن أبي الأحوص عن ابن مسعود [٩١٢ظ] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أعطاه الله تعالى خيرا فَلْيُرَ[٧] عليه، وَابْدَأْ بِمن تَعولُ وَارْضَخْ[٨] من الفضل، ولا تُلامُ[٩] على كَفاف، ولا تَعجزْ[١٠] عن نفسك».[١١] وعن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:[١٢] «إذا بسط الله تعالى على عبد نعمة فلتُرَ عليه»[١٣] يعني به الصدقة والمعروف. وقول ابن مسعود رضي الله عنه: «وابدأ بمن تعول» دليل عليه. قال أهل الأدب: عال: افتقر، وأعال أي كثر[١٤] عياله. ويقال: أسجيته أسكنته، وقال: الانتهار الكلام الخشن.[١٥]

والله أعلم بالصواب.[١٦]

---

[١] ث − نعمة.

[٢] ر: يجب.

[٣] ر ن م: أن ترى.

[٤] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤/٤٣٨؛ *وتفسير ابن كثير*، ١/٢٨٣.

[٥] ر ث م: على عبيده.

[٦] *شعب الإيمان* للبيهقي، ٨/٢٦٢-٢٦٣.

[٧] ن: ظهر.

[٨] جميع النسخ: وارضح. رضخ له من ماله يرضَخ رَضْخًا: أعطاه (*لسان العرب*، «رضخ»).

[٩] ن ث: ولا يلام.

[١٠] ث: ولا يعجر.

[١١] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٤/٣٣٢-٣٣٣.

[١٢] ر ث م − أنه قال.

[١٣] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنعم الله على عبد نعمة إلا وهو يحب أن يرى أثرها عليه» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٤٠٣).

[١٤] ر م: أكثر.

[١٥] ر + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله؛ ث + وصلى الله على محمد وآله أجمعين.

[١٦] ر ث − والله أعلم بالصواب؛ م − بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانشراح[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[١]

قوله تعالى: **ألم نشرح لك صدرك**، المخاطبة[2] في هذه السورة من الله تعالى رسولَه صلى الله عليه وسلم خاطبه إياه حيث قال: **ألم نشرح لك صدرك**،[3] إلى ما ذكر. والمخاطبة في سورة "والضحى"[4] إنما كانت[5] من غير الله تعالى إياه، كان جبريل عليه السلام خاطبه في ذكر منن الله تعالى[6] إياه وذكر نعمه،[7]* ألا ترى أنه قال:[9] مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى،[10] ولم يقل: ما ودَّعْناك. ويجوز أن يكون الخطاب في سورة والضحى من الله على المغايبة، يقال: إن أمير المؤمنين يقول: كذا، أراد نفسه.

---

[1] ر – سورة الانشراح؛ ن م: ذكر أن سورة ألم نشرح مكية؛ ث + وهي ثمان آيات مكية.
[2] جميع النسخ: المخاطب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٠و.
[3] م – صدرك.
[4] ر م: الضحى.
[5] ر ث م: إذا كانت.
[6] ث: سبحانه وتعالى.
[7] ن + سبحانه وتعالى.
* من هنا إلى وسط تفسير سورة القدر ناقص في نسخة ن (نور عثمانية، رقم ١٢٤).
[9] ر م: إلا أنه قال.
[10] سورة الضحى، ٣/٩٣.

ثم اختلف في قوله: **ألم نشرح لك صدرك**، قال بعضهم: شَرَح صدره للإسلام، كقوله: أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ،[1] أخبر أن من شرح صدره للإسلام فهو على نور من ربه. والشرح قيل: هو التليين والتوسيع والفتح، أي ألم نوسّع لك صدرك ونفتحْ ونُليّنْ للإسلام.

وقد روي في الخبر أنه لما نزل هذا قيل: يا رسول الله وهل لذلك من علامة؟ فقال: «بلى التجافي من دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله».[2] لكن يعرف ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الحقيقة ويظهر ذلك منه باليقين. فأما من غيره فإنما يعرف التجافي من دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود بالتقارب وغالب الظن؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له الآخرة وأمورها كالمشاهدة والمعاينة وكذلك جميع الأنبياء والرسل، فأما لغيرهم[3] فلا يبلغ ذلك، وهو كما ذُكر أن رؤيا الأنبياء كالعِيان، أي يُعرَف بطريق اليقين بخلاف رؤيا غيرهم.[4] وقال بعضهم: شَرَح صدره لأنه لما كُلّف بتبليغ الرسالة إلى الجن والإنس وإلى الفراعنة والجبابرة الذين همتهم إهلاك من يخالفهم والإقلاعُ عن عبادة من يعبد الله ضاق صدره لذلك وثَقُل على قلبه، فوسّع الله صدره وشرحه حتى هان ذلك عليه وخَفّ، وهو قول أبي بكر الأصم. إلا أنه يقول: فعل ذلك به وحقّق[ه] بالآيات والحجج. ونحن نقول باللطف منه حتى قام بوفاء ما كلف وأمر. أما هو لا يقول باللطف والاختصاص للبعض دون البعض لقوله بالأصلح.

ويحتمل أن يكون ما ذكر من شرح صدره وتوسيعه، هو ما ذكر في قوله: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ.[5] وخلقه كان يجاوز وسعه وطاقته حتى كادت نفسه تَهْلِك لمكانِ كُفرِ أولئك وما يَعلم أنه يَنزِل بهم[6] إشفاقا عليهم ورحمة، كقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[7]

---

[1] سورة الزمر، ٢٢/٣٩.

[2] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فمن يُرِدِ اللهُ أن يهديه يَشرحْ صدره للإسلام﴾ [سورة الأنعام، ١٢٥/٦] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن النور إذا دخل الصدر انفسح» فقيل: يا رسول الله هل لذلك من عَلَمٍ يُعرف؟ قال: «نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله» (*المستدرك على الصحيحين* للحاكم، ٣٤٦/٤؛ وشعب *الإيمان* للبيهقي، ١٣٣/١٣-١٣٤).

[3] ث: وأما لغيرهم.

[4] انظر: تفسير الآية ١٠٢ من سورة الصافات.

[5] سورة القلم، ٤/٦٨.

[6] أي ينزل بالكافرين من العذاب في الدنيا والآخرة.

[7] سورة الشعراء، ٣/٢٦.

وقوله: فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ،[١] وغير ذلك من أمثال هذا. وذلك -والله أعلم- ما وصف من خُلُقه أنه عظيم.[٢] فوسّع صدره وشرحه حتى يَخِفَّ ذلك عليه حيث قال:[٣] فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٤] وقال: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ،[٥] الآية. وقال الحسن في قوله: **ألم نشرح لك صدرك**، بلى قد شرح له صدره وملأه علما وحكمة.[٦] ثم قوله: **ألم نشرح لك صدرك**، إلى ما ذكر، إن كان المخاطب به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو المعنى والمراد به. فتأويل السورة يخرج على ما ذكرنا من تيسير[٧] الأمر عليه وتخفيف ما حَمّله[٨] عليه وأمر به.

﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾[٢] ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾[٣]

وقوله تعالى: **ووضعنا عنك وزرك**، على ابتداء وضع الوزر والإثم على ما نذكر وإن كان المخاطب به غيرَه وهم أمته، وإن كان الخطاب أضيف إليه فالأمر فيه سهل. وإن كان الخطاب على الاشتراك فيحتاج إلى التأويل أيضا.

وقوله تعال: **ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك**، قال عامة أهل التأويل: على تحقيق الوزر له والإثم، كقوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ،[٩] وقوله: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.[١٠] يقولون: أثبت له الذنب والوزر فوضع ذلك عنه،[١١] ولكن هذا وحش من القول. لكنا نقول: إن قوله: **ووضعنا عنك وزرك**، والوزر هو الحِمْل والثِقَل؛ كأنه يقول: قد خَفَّفْنا عليك ما حُمّل عليك من أمر النبوة والرسالة والأحمال التي حُملت عليك. كأنه يقول:[١٢] قد خَفّف ذلك عليك ما لو لم يكن تخفيفا إياها / عليك لأنقض ظهرَك، أي أثقل. ***والله أعلم***. [٩١٣و]

[١] ﴿أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾ (سورة هود، ١٢/١١).
[٢] ث: أنه عظم.
[٣] ر م: قاله.
[٤] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[٥] سورة الحجر، ٨٨/١٥؛ وسورة النحل، ١٢٧/١٦؛ وسورة النمل، ٧٠/٢٧.
[٦] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٠٤/٢٠.
[٧] ر م: من تبيين.
[٨] ث: ما حمل.
[٩] سورة الفتح، ٢/٤٨.
[١٠] سورة محمد، ١٩/٤٧.
[١١] ث: عنه ذلك.
[١٢] ث: كأنه قيل.

والثاني جائز أن يكون قوله: **ووضعنا عنك وزرك**، ابتداءَ وضعِ الوزر، أي عصمك وحفظك ما لو لم تكن عصمته إياك لكانت لك أوزار وآثام،[1] كقوله: وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى؛[2] أي لو لم يهدك لوجدك ضالًّا، لأنه كان بين قوم ضُلّال، ولكن هداه فلم يجده ضالا. فعلى ذلك ما ذكر من وضع وزره[3] ابتداء. وهو كقوله: لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[4] أي عصمهم عن أن يدخلوا فيها، لا أن كانوا فيها ثم أخرجهم ولكن ابتداء إخراج، فعلى ذلك ما ذكر من وضع وزره. وقوله: **أنقض ظهرك**، أي أثقل ظهرك.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[٤]

وقوله تعالى: **ورفعنا لك ذكرك**، جائز أن يكون رفع ذكره لِمَا ألزم الخلق الإيمان به حتى[5] لا يُقبلَ من أحد الإيمانُ بالله والتوحيد له والطاعة والعبادةُ إلا بالإيمان به والطاعة له، قال الله تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ،[6] وقال: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ.[7]

وجائز أن يكون ما ذكر من رفع ذكره هو أنه يُذكر حيث ذُكر الله، قَرَنَ ذكره بذكره في الأذان والإقامة وفي الصلاة في التشهد وفي غيره من الخطب. *والله أعلم*. والأول عندنا أرفع وأعظم من الثاني.

وجائز أن يكون رفعُ ذكره ما أضاف اسمه إلى اسمه بما قال: رسول الله، ونبي الله،[8] ولم يسمه باسمه على غير إضافة إلى الرسالة والنبوة فقال: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ،[9] وقال: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ،[10] وقال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ،[11] ونحو ذلك، وهو المخصوص بهذا دون غيره من إخوانه؛

---

[1] جميع النسخ: ما لو لم يكن عصمته إياه لكانت لك أوزارا وآثاما.
[2] سورة الضحى، ٩٣/٧.
[3] ر م: وزر.
[4] سورة الأحزاب، ٣٣/٤٣؛ وسورة الحديد، ٥٧/٩.
[5] ث – حتى.
[6] سورة النساء، ٤/٨٠.
[7] سورة النساء، ٤/٦٥.
[8] ث – ونبي الله.
[9] سورة الفتح، ٤٨/٢٩.
[10] ر ث – ما أنزل. سورة المائدة، ٥/٦٧.
[11] سورة التحريم، ٦٦/١.

لأنه قلما أضاف اسمهم إلى اسمه، وقلما قرن أسماءهم باسمه، بل ذكرهم بأسمائهم، كقوله: وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ،[١] وقوله: وَيُونُسَ وَلُوطًا،[٢] ونحو ذلك.

أو رفع ذكره بما عظمه وشرّفه عند الخلق كله حتى إن من استخف به خسر الدنيا والآخرة.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٥] ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٦]

وقوله تعالى: **فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا**، روي في الخبر أنه قال: «لن يغلب عسر يسرين».[٣] قال بعضهم: إنما كان عسرا واحدا وإن ذكره مرتين لأن العسر[٤] الثاني ذكره بحرف التعريف، فهو والأول واحد، واليسر ذكره بحرف النَّكِرَة فهو غير الأول. وقال أبو معاذ:[٥] كلما كُرِّرت المعرفة كانت واحدة،[٦] والنكرة على العدد. يقال في الكلام: إن مع الأمير غلاما إن مع الأمير غلاما،[٧] فالأمير واحد ومعه غلامان. وإذا قيل: إن مع الأمير الغلام إن مع الأمير الغلامَ فالأمير واحد والغلام واحد. وإذا قيل: إن مع أمير غلاما إن مع أمير غلاما، فهما أميران وغلامان،[٨] فعلى ذلك ما ذكر هاهنا.

ثم قوله: «يسرين» هو يسر الإسلام والهدى، ويجوز أن يطلق اسم اليسر على الإسلام والدين قال الله تعالى: فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى،[٩] ويسر آخر ما وعدهم من السعة في الدنيا. ويحتمل أن يكون «يُسْرَين» أحدهما رجاء اليسر، والآخر وجوده، فهما يسران: الرجاء والوجود. ويحتمل أن يكون يسر في الدنيا ويسر في الآخرة، أو أن يكون توسيع يوسَّع[١٠] عليهم الدنيا،

---

[١] سورة ص، ٤٨/٣٨.

[٢] سورة الأنعام، ٨٦/٦.

[٣] عن الحسن في قول الله عز و جل: ﴿إن مع العسر يسرا﴾ قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فَرِحا وهو يضحك وهو يقول: «لن يغلب عسر يسرين ﴿فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا﴾» (*المستدرك* للحاكم، ٥٧٥/٢).

[٤] ث: فإن العسر.

[٥] اشتهر بكنية أبي معاذ عالمان، أحدهما أبو معاذ بُكَيْر بن معروف الدامغاني المفسر، قاضي نيسابور (ت. ١٦٣هـ / ٧٧٩م. انظر: *الوافي بالوفيات* للصفدي، ١٧١/١٠)؛ والآخر أبو معاذ النحوي الفضل بن خالد المروزي (ت. ٢١١ هـ/ ٨٢٦ م.)، وله كتاب في القراءات. انظر: *معجم المؤلفين* للكحالة، ٦٢٢/٢).

[٦] جميع النسخ: كان واحدا.

[٧] ث – إن مع الأمير غلاما.

[٨] ث: غلامان وأميران.

[٩] سورة الليل، ٧/٩٢.

[١٠] ر: توسيع؛ م: توسع.

ويسرٌ ثانٍ[1] ما يَفتح لهم الفتوحَ في الدنيا ويسوق إليهم المغانم والسبايا. *والله أعلم*. ثم قالوا في قوله: **فإن مع العسر يسرا**، أي بعد العسر يسرا.[2]

وأصله أن حرف "مع" إذا أضيف إلى الأوقات والأحوال يقع على اختلاف الأوقات في المكان الواحد، وإذا أضيف إلى المكان يقع على اختلاف المكان في وقت واحد. وهاهنا أضيف إلى الوقت فهو على اختلاف الأوقات واحدا بعد واحد. فإذا قيل: فلان مع فلان في مكان، فالوقت واحد والمكان مختلف متفرق.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾[٧] ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾[٨]

وقوله تعالى: **فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب**، قال بعضهم: **إذا فرغت**، عن دنياك[3] **فانصب**، لآخرتك، وهو[4] من النَّصَب، أي التَّعَب. وقال الحسن: أَمَره إذا فرغ من غزوه أن يجتهد في العبادة له.[5] لكن هذا بعيد لأنه نزل ذلك بمكة، ولم يكن[6] أُمر بالغزو والجهاد بمكة،[7] إلا أن يكون أمر بالجهاد بمكة في أوقات تأتيه في المستقبل، فيكون الحكم لازما عليه في تلك الأوقات لا في حال ورود الأمر. وقال بعضهم: **فإذا فرغت**، من الصلاة، **فانصب**، في الدعاء. وقال قتادة: إذا فرغ من الصلاة أن يبالغ في دعائه وسؤاله إياه.[8] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **فإذا فرغت**، من الفرائض، **فانصب**، في قيام الليل.[9]

ويحتمل عندنا إذا فرغت من تبليغ الرسالة إليهم فانصب لعبادة ربك والأمور التي بينك وبين ربك على ما ذكرنا في أحد التأويلين في قوله: إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا، في أمر الرسالة والتبليغ، وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ،[10] في ما بينك وبين ربك.

---

[1] ر م: ويسرتان.

[2] ث م – أي بعد العسر يسرا.

[3] ث: دينك.

[4] ث: هو.

[5] *تفسير الطبري*، ٢٩٩/٣٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٥٢/٨.

[6] م + بمكة.

[7] م – بمكة.

[8] *تفسير عبد الرزاق*، ٤٣٩/٣؛ *وتفسير الطبري*، ٢٩٩/٣٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٥٢/٨.

[9] *تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٤٤٦/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٥١/٨.

[10] سورة المزمل، ٧/٧٣–٨.

ويجب أن لا يُتَكَلَّف[1] تفسير ما ذكر في هذه السورة من أولها إلى آخرها لأنه أمر بينه وبين ربه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم ما أراد به / فيما خاطبه من الجميع [٩١٣ظ] وأنه فيم كان. وقد كان خصوصا، له وليس شيء مما يجب علينا العمل به حتى يَلْزَمَنا التكلفُ[2] لاستخراج ذلك سوى الشهادة على الله تعالى، فكان الإمساك عنه أولى، وترك التكلف فيه والاشتغال به أرفق وأسلم. **والله الموفق**.[3]

---

[1] ر ث م: أن لا يكلف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥١و.

[2] ث: التكليف.

[3] م – والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾[١] ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾[٢] ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾[٣]

قوله تعالى: **والتين والزيتون**، {قال:} هذه السور[2] كلها نزلت في محاجة أهل مكة، سوى سورة "وَالضُّحَى"،[3] و"أَلَمْ نَشْرَحْ"؛[4] فإنهما جاءتا في تذكير منن الله[5] لرسوله. إحداهما خاطبه جبريل في تذكير ما منّ عليه، والأخرى خاطبه ربه بذلك، وأما غيرهما من السور فإنما جاءت في محاجة أهل مكة.

ثم قوله: **والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين**، قَسمٌ أقسم [الله به] تأكيدا للحجج التي أقامها ما لولا القسم لكان ما ذكر يوجب ذلك، لكنّ[6] في القسم تأكيدَ ما ذُكر من الحجة.

ثم اختلف أهل التأويل في قوله: **والتين والزيتون**، قال بعضهم: هو التين الذي يأكله الناس، والزيتون الذي يستخرجون منه الزيت، كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن التين والزيتون، فقال: تينكم وزيتونُكم هذا.[7] وقال بعضهم: هما جبلان بالشام.

---

[1] ر – سورة التين؛ ث – ثمان آيات وهي مكية؛ م: ذكر أن سورة والتين مكية. لا يوجد في نسخة ن (نور عثمانية، رقم ١٢٤) تفسير سورة التين.

[2] ر ث م: هذه السورة. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٣٥١و.

[3] سورة الضحى، ١/٩٣.

[4] سورة الانشراح، ١/٩٤.

[5] ث – الله.

[6] ث – لكن.

[7] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٦٥٢؛ *وبحر العلوم* للسمرقندي، ٤٩١/٣؛ *ومفاتيح الغيب* للرازي، ٣٢/٨.

وقال بعضهم: هما مسجدان في الشام، أحدهما مسجد دِمَشْقَ والآخر مسجد بيت الْمَقْدِس. وقيل: التين مسجد أصحاب الكهف، والزيتون مسجد نبينا. وعن قتادة أنه قال: التين الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون الجبل الذي عليه مسجد بيت المقدس.[1] وقال القتبي: التين والزيتون: جبلان بالشام يقال لهما: طُورُ تَيْنَاء وطُورُ زَيْتَاء بالسُّرْيَانِيَّة سُمِّيا بالتين والزيتون لأنهما يَنْبُتان فيهما.[2]

وقوله عز وجل: **وطور سينين**، قال بعضهم: هو جبل بِسِينِينَ،[3] والسينين اسم موضع والطور الجبل، وكذا قال أبو عَوْسَجة. وقال بعضهم: جبلُ حَسَنٍ، والسينين هو الحَسَن بالحبشية. وقال بعضهم:[4] كل جبل مُشَجَّر له الثمر فهو سينين. وقال بعضهم: هو الجبل الذي أُوحي عليه إلى موسى عليه السلام وهو طُور سِيناءَ، وقيل: هو الجبل المبارك.

ثم تخرج[5] جهة القسم بالجبال[6] وبما ذُكر على وجوه. أحدها بما عظّم شأن الجبال في قلوب الخلق حيث وصل إليهم أخبارُ السماء من جهة تلك الجبال وجميعُ ما يرجع إلى منافع أنفسهم ودينهم؛ على ما ذكر أنه أُوحي إلى موسى عليه السلام على جبل طُورِ سِيناءَ، وأوحي على عيسي عليه السلام على جبل ساعورا، وأوحي[7] إلى محمد عليه السلام على جبل فاران. على ما ذكر في الخبر أن موسى عليه السلام قال: أتاني ربي من جبل طور سيناء، وسيأتي وحي عيسي عليه السلام من جبل ساعورا، ويأتي الوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم من فاران.

والثاني أقسم بالجبال لما أرساها في الأرض وجعلها أوتادا لها لئلا تميد بأهلها ولا تميل، على ما ذكر في غير آي من القرآن عظم شأن الجبال من هذه الجهة في قلوب الخلق.[8] والثالث لِمَا أخرج منها مع شدتها وصلابتها وغِلَظِها وارتفاعها المياه الجاريةَ وغير الجارية الصافية الباردةَ، وهي من ألين الأشياء؛ وأخرج منها الأشجار الكثيرة المثمرة[9] وغير المثمرة من غير إنبات أحد

---

[1] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٤٤٠؛ و*تفسير الطبري*، ٣٠/٣٠٢.
[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٣٢.
[3] م: السينين.
[4] ث + هو.
[5] ر ث م: ثم يخرج.
[6] ر م: بالجبل.
[7] ث – إلى موسى عليه السلام على جبل طور سيناء وأوحي على عيسي عليه السلام على جبل ساعورا وأوحي.
[8] انظر مثلا: سورة النحل، ١٦/١٥؛ وسورة الأنبياء، ٢١/٣١؛ وسورة النازعات، ٧٩/٣٢؛ وسورة الغاشية، ٨٨/١٩.
[9] ر م: المثمرة الكثيرة.

ولا غَرْسِها وغير ذلك من المنافع التي جعل في الجبال مما لا يمكن للخلق استخراج ذلك منها بحِيَلهم وتكلّفهم. فأقسم بها لعظم ما جعل في الجبال من المنافع والبركات.

وكذلك إن كان القسم بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يُخرج منه الزيت لما جعل لهم في ذلك من المنافع العظام، كقوله تعالى: وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ.[1] فمن هذه[2] الوجوه التي ذكرنا يحتمل القسم بالجبال والتين والزيتون. أو ذُكر التين والزيتون والمراد بهما[3] الجبل، لما في الجبل يكونان عندهم على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وهذا البلدِ الأمين**، وهو مكة، سماه أمينا لما يَأمن من دخله، أو يُؤْمِن من دخله ويحفظه لأن الأمين عند الناس هو الذي يحفظ من أُؤْتُمِن عليه وفيه، وهو المأمون به. ثم جائز أن يكون القسم بالبلد لأهل مكة ولأهل الشرك لما عظم شأنه وأمره عندهم وفي قلوبهم. وأقسم بالجبال لعظم قدرها ومنزلتها ومحلها في قلوب أهل الكتاب لما كانوا يؤمنون ببعض الوحي، وأهل مكة لا يؤمنون بالرسل وبالوحي، ولكن يعظمون ذلك البلد. وجائز أن يكون القسم بما ذكر كلِّه لهم جميعا. *والله أعلم*.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**، قال أهل التأويل: على هذا وقع القسم. لكن القسم[4] بغيره أولى وأقرب، لأنهم قد شاهدوا وعرفوا أنه خَلَق الإنسان على أحسن تقويم، إذ لم يَتَمَنَّ[5] أحد / أن يكون على غير هذا التقويم وعلى غير هذه الصورة [٩١٤و] التي أنشأها عليه. والأشبه أن يكون القسم واقعا على قوله: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ،[6] لما فيه وقع الإنكار والتكذيب وهو نار جهنم، فأكد ذلك بالقسم، كأنه قال: مع أنا خلقنا الإنسان في أحسن تقويم نَرُدّهم إلى أسفل السافلين لكفرهم وعنادهم سوى المؤمنين.

ثم قوله: **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**، يخرج على وجوه. أحدها أحسن صورة يشاهدون ويعاينون، لأن الملائكة جعلهم أحسن صورة وأحكم تقويما من البشر

---

[1] سورة المؤمنون، ٢٣/٢٠.
[2] ث: هذا.
[3] ث: والزيتون المراد منها.
[4] ث – لكن القسم.
[5] ر م: إذا لم يتمن.
[6] الآية التالية.

ولكن يرجع إلى سائر الخلائق دونهم، وذلك لأن خلق البشر على صورة لا يتمنى أحد منهم أن يكون على غير صورة البشر، دل أنه خلقهم[1] على أحسن صورةٍ. والثاني على أحسن تقويمٍ، أي على أحكم تقويم وأتقنه، لأنه جبلهم وأنشأهم على هيأة يتهيأ لهم استعمال الأشياء كلها في منافعهم والانتفاعِ بها بحِيَلٍ وأسباب علّمهم وجعل فيهم ومكّن لهم ذلك. ويحتمل **أحسن تقويم**، أي أحكم وأتقنِ [تقويم] على الدلالة على وحدانية الله وألوهيته. أو جعلهم أهلَ تمييز ومعرفة، وبحيث يكون منهم الخيرات في أنواع[2] الطاعات التي يثابون عليها وينالون بها الثواب الجزيل والكرامة العظيمة ما لا يكون لغيرهم.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ثم رددناه أسفل سافلين**، هو يحتمل وجوها. أحدها رددناه إلى أسفل السافلين، وهو جهنم يُرَدّ الكافر[3] إلى جهنم، وهو أسفل السافلين، والمؤمنَ رددناه إلى الجنة وهو أعلى عليين، وهو ما استثنى بقوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ،[4] في الجنة. والثاني رددناه[5] إلى أسفل ما اختار من الأعمال والأفعال، وهو ما اختار من فعل الشرك والكفر، ورددنا[6] المؤمن إلى أعلى ما اختار من الأعمال العالية الرفيعة. ***والله أعلم***. والثالث ما قاله أهل التأويل: ثم رددناه إلى أرذل العمر وأسفله.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[٦]

ثم استثنى: **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون**، أي يُجري[7] عليهم ثواب أعمالهم التي عملوا بها في حال صحتهم وشبابهم. فأما أولئك فإنهم إذا رُدُّوا إلى ما ذَكَر[8] لم يُجر لهم ذلك. وهذا التأويل إنما يصح أن لو استثنى المحسنين من المؤمنين منهم. فأما إذا استثنى أهل الإيمان من أهل الكفر فإنه لا يحتمل، والأول أشبه.

---

[1] ث: دل أن خلقهم.
[2] ث: وأنواع.
[3] م: بردا لكافر.
[4] الآية التالية.
[5] م: رددنا.
[6] ر م: رددنا.
[7] ر م: إلا الذين إلى آخره أي تجزي؛ ث: تجزي.
[8] ث + لهم.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾[٧] ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فما يكذّبك بعد بالدين**، إن كان الخطاب به لكل إنسان كذّب بالدين يقول:[١] ما[٢] الذي دعاك إلى تكذيبك بالدين، وقد عرفت أن الله أحكم الحاكمين لا يفعل إلا ما هو حكمة. ولو لم يكن يوم الدين كان فعله عبثا باطلا، لأنه أنشأكم ثم رباكم[٣] إلى أن بلغتم إلى الحال التي بلغتم. فلو لم يكن بعثٌ لكان يخرج فعله عبثا باطلا. أو نقول: لما سوى بين ما اختار وِلايته وبين ما اختار العداوة[٤] في هذه الدنيا، وفي الحكمة التفريق بينهما، فلا بد من مكان يفرق بينهما هنالك.[٥] وإن كان الخطاب في قوله: **فما يكذّبك بعد بالدين**، لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أيّ حجّة[٦] له في تكذيبك بما تخبره[٧] من الدين؟ أي لا حجة له في ذلك، أو يقول:[٨] ما الذي دعاه إلى تكذيبه بالدين بعد ما عرف أني أحكم الحاكمين؟

ثم اختلف في قوله: **بأحكم الحاكمين**، قال بعضهم: أحكم القاضين، أي أعدلهم. وقال بعضهم: أحكم الحكماء، والإفناءُ بلا بعث[٩] فعل السفهاء لا فعل الحكماء، وهو أحكم الحاكمين، أي أعدل[١٠] القاضين في التفريق بين الأولياء والأعداء، وقد اجتمعوا في الدنيا فلا بد من دار يفرّق بينهما فيها. ***والله الموفق***.[١١]

---

[١] ر م: بقوله.
[٢] ر - ما.
[٣] ر م: أنشاكم ربكم؛ ث: أنشاكم رباكم ثم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٢و.
[٤] ر ث م: الولاية. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ث: هناك.
[٦] ر م: وحجة.
[٧] ر ث م: بما يخبره. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث م: أو نقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر: فلا بعث.
[١٠] م: أي أعد.
[١١] ث: والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العلق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[١]

قوله تعالى: **اقرأ باسم ربك الذي خلق**، ذكر أهل التأويل أن هذه أول سورةٍ نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول وحيٍ أوحي إليه، وقيل: غير هذه هي الأول.

ثم الإشكال أنه أمره[2] بأن يقرأ **باسم ربك الذي خلق**، وحق هذا ونحوه إذا قيل له: "اقرأ" أو "افعل" أن لا يقول مثل ما قيل له: "اقرأ" أو "افعل"، لأنه أمر في الظاهر، إنما يكون عليه الائتمار بذلك. وكذلك قوله: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ،[3] و قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ،[4] و قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ،[5] و قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ،[6] وكذلك على هذا قوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ،[7] وأمثالُ ذلك يجب أن لا يقول هو[8] مثل ما قيل له: "قُلْ" أو **اقرأ**، ولكن يقول: "يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ"، ويقول: "هُوَ اللهُ أَحَدٌ"، "أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ"، "أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ"، هذا هو وجه الكلام.

---

[1] ر - سورة العلق؛ ث + تسع عشر آيات وهي مكية؛ م: سورة اقرأ مكية. لا يوجد في نسخة ن (نور عثمانية، رقم ١٢٤) تفسير سورة العلق.

[2] ر م: أمر.

[3] سورة الكافرون، ١/١٠٩.

[4] سورة الإخلاص، ١/١١٢.

[5] سورة الفلق، ١/١١٣.

[6] سورة الناس، ١/١١٤.

[7] سورة الأحزاب، ٥٩/٣٣.

[8] جميع النسخ: له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٢و.

ومعناه وجوابه أنه يحتمل[1] وجوها. أحدها أنه أريد بهذا أن يكون قرآنا يقرأ هكذا في حق القراءة، يتلى ويثبت في المصاحف إلى آخر الدهر ليُعلَم كيف قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكيف أوحي إليه، وأنه لم يترك مما قيل له حرفا واحدا، ليكون حجة[2] لرسالته وآيةً لنبوته. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون كذلك على خلاف المفهوم من كلام الناس [٩١٤ظ] لئلا يكون المفهوم / من وحي السماء والمنزل منها كخطاب بعض بعضا ولكن خلافٌ منه. والثاني أن يكون الخطاب منه لكل أحد ومن كل أحد لآخر. خاطب[3] جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] به[5] وأمره[6] أن يقرأ، ثم يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره بذلك، وذلك الغير يقول[7] لآخر كذلك، فيكون الخطاب منه لكل أحد ومن كل أحد لآخر. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **باسم ربك الذي خلق**، يحتمل أن يريد به أي افْتَتِحْ القراءةَ باسم ربك، على ما جعل افتتاح كل شيء باسم الرب ليُنال بركةَ ذلك فيه. والثاني أن يكون ما ذكر على أثر اسم ربه هو تفسيرَ اسم ربه حيث قال: **الذي خلق** خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ،[8] فيكون هذا تفسيرا لما ذكر من اسم ربه. أو يكون قوله: **باسم ربك**، كما يقال: «أسألك باسمك الذي إذا دُعيت به أجبتَ، وإذا سئلتَ به أعطيت»،[9] وذلك الاسم مكتوم[10] بين أسمائه.

ثم قوله: **باسم ربك**، يَخرج إضافته إليه مَخرج التعظيم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخصوصيَّتِه له، على ما ذكرنا أن إضافة[11] خاصِيَّة الأشياء إلى الله تعالى يخرج مخرج

---

[1] ر م: أنه يحمل.
[2] ث: ليكون له حجة.
[3] ر م: خطاب.
[4] ر ث - صلى الله عليه وسلم.
[5] م + به.
[6] ث: أمره.
[7] م: تقول.
[8] الآية التالية.
[9] عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحبِ إليك، الذي إذا دعيت به أَجبْت، وإذا سُئلت به أَعطَيت، وإذا استُرحِمت به رحِمْت، وإذا استُفْرِجت به فرَّجت» (*سنن ابن ماجة*، الدعاء ٧).
[10] ث: مكتوب.
[11] م: إذ إضافة.

تعظيم ذلك الخاص؛ من ذلك قوله: أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ،[1] ونَاقَةُ اللهِ،[2] وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ،[3] ونحو ذلك من إضافة خاصية الأشياء إليه. وإضافة كلية الأشياء إلى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم الرب والمَحْمَدَة له، نحو قوله: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[4] وربُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[5] وربُّ كُلِّ شَيْءٍ.[6] ثم لا يجوز إضافة الخاص الذي لا خصوصيةَ ظهرت له إلى الله تعالى. لا يجوز أن يقال: يا ربَّ زيد، ويا رب عمرٍو، ونحو ذلك، إنما يجوز ذلك فيمن ظهرت له خصوصية وفضل من الأنبياء والرسل والملائكة عليهم السلام والبقاع والأمكنة التي ظهرت لها خصوصية وفضل ليكون ذلك تعظيما لها. ***والله أعلم***.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **خلق الإنسان من علق**، العلق الدم الجامد. ثم قوله: **خلق الإنسان من علق**، أراد به كل إنسان، وعَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ[7] كذلك، ليعلم أن اسم الفرد إذا دخله لام التعريف أريد به العموم، وهو كقوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ.[8] وفي الآية دلالة على إبطال قول من يدعي طهارة النطفة بعلةِ[9] أن الإنسان خلق منها، فإنه أخبر أنه **خلق الإنسان من علق**، نسب خلق الإنسان إليه، ولا شك أن العلق نجس، ثم أخبر أنه خلق الإنسان منه، فعلى ذلك جائز أن يكون النطفة التي منها يُخلَق الإنسان نجسة وذلك غير مستحيل.

ثم أضاف خلقه مرة إلى الأحوال التي قُلب منها حيث قال: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ،[10] إلى آخر ما ذكر. وأضاف هاهنا إلى حال واحدة وهي العلقة التي ذَكر وإن لم يكن الإنسان في الحقيقة مخلوقا من العلقة والنطفة والتراب[11] الذي ذكر،

---

[1] سورة البقرة، ١٢٥/٢.
[2] سورة الأعراف، ٧٣/٧؛ وسورة هود، ٦٤/١١؛ وانظر: سورة الشمس، ١٣/٩١.
[3] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[4] سورة البقرة، ١٠٧/٢.
[5] سورة الرعد، ١٦/١٣.
[6] سورة الأنعام، ١٦٤/٦. انظر: فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية، «إضافة كلية الأشياء... وخصوصيتها...».
[7] الآية ٥ من هذه السورة.
[8] سورة العصر، ٢/١٠٣.
[9] ث: بعد.
[10] ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يُخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أَشُدَّكم ثم لتكونوا شيوخا﴾ (سورة المؤمن، ٦٧/٤٠).
[11] ث: والتراكيب.

لأن هذه الأسماء أسامي هذه الأشياء باعتبارِ خاصِيّاتٍ فيها. وتلك الخاصيات[1] تنعدم[2] باعتراض حال أخرى عليها. وإنما يخلق الإنسان من المضغة، وإنما ذَكر خَلْقَ الإنسان منه ونسبه إلى ما ذكر لما أن[3] الإنسان هو المقصود من خلق ذلك، وهو النهاية التي ينتهي إليها، فذكر بالذي[4] ينتهي إليه من الغاية. *والله أعلم*.

﴿اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾[٣] ﴿اَلَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾[٤] ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم**، ذكر **الأكرم**، ليعلم أن اختياره واصطفاءه لرسالته ونبوته وتعليمَه[5] القرآنَ ابتداءُ إحسان منه إليه وتفضل عليه، لا لحق له عليه،[6] إذ ذَكَر في موضع المنة والفضل والكرم، إذ الأكرم[7] هو الوصف بغاية الكرم، كالأعلم وصفٌ بإحاطة العلم وكماله.

وقوله عز وجل: **علم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم**، جعل الله تعالى القلم سببا به يُحفَظ وبه يثبت وبه يوصل إلى حفظ ما يُخاف فوته ونسيانُه من أمر دينهم ودنياهم ما لو لم يكن القلم لم يستقم أمر دينهم ولا دنياهم. ثم قوله: **علم بالقلم**، أي علّم الخط والكتابةَ بالقلم، وكذا ذُكر في حرف ابن مسعود وأُبَيّ وحفصةَ رضي الله عنهم:[8] "علم الخط بالقلم". ثم أضاف التعليم بالقلم إلى نفسه، وكذلك قوله: **علم الإنسان ما لم يعلم**، فهو يخرج على وجهين. أحدهما أن يكون أضاف ذلك إلى نفسه لما يخلق منهم[9] فعل تعلّمهم. ويحتمل إضافته إليه للأسباب التي جعلها لهم في التعليم. *والله أعلم*. ثم ذلك التعليم بالقلم[10] لأمته لا[11] لرسول[12] الله صلى الله عليه وسلم،

---

[1] ث – وتلك الخاصيات.
[2] ر: تنعدم.
[3] ث: ما ذكر لأن.
[4] ر م: بالذكر.
[5] جميع النسخ: وتعليم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٢ظ.
[6] ث + بإحاطة العلم وكماله.
[7] ر: إذا الأكرم.
[8] ر: عنه؛ م: عنهما.
[9] أي من الناس.
[10] ث – بالقلم.
[11] ر – لا.
[12] ث: للرسول.

لأنه علمه إياه بلا كتابة ولا خط حيث قال: وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ.[1] ثم في تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا قلم ولا كتابة آية عظيمة لرسالته حيث جعله بحال يحفظ بقلبه بلا إثبات ولا كتابة ولا خطٍّ خطَّه. ثم قوله: **علم الإنسان ما لم يعلم،** يحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقوله: وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا،[2] وكقوله: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا،[3] وقوله: مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ.[4] ويحتمل قوله: **علم الإنسان ما لم يعلم،** كل إنسان كقوله: وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ / أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا.[5] [٩١٥و]

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾[٦] ﴿أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[٧]

وقوله عز وجل: **كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى،** طغى بالغنى، أي تكبر وافتخر بما رأى نفسه غنية. وعلى هذا ما روي في الخبر من التعوذ من غِنًى يُطغي وفقرٍ يُنسي،[6] لأن الغنى يحمل على التكبر والافتخار والطغيان. والطغيان[7] هو المجاوزة عن الحد والتعدي فيه؛ والفقر المنسي هو الْمُجْهِد الذي يُنسي غيره من النعم، أعني ينسي غير المال من صحة البدن والعقل والعلم، ونحو ذلك.

وقوله عز وجل: **إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى،** ليس هذا وصف ذلك الكافر بعينه على ما ذكره[8] أهل التأويل: أبي جهل لعنه الله،[9] ولكنْ كلُّ كافر يطغى أن رأى نفسه غنيّة.

---

[1] سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩.

[2] ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ (سورة النساء، ١١٣/٤).

[3] سورة هود، ٤٩/١١.

[4] ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ (سورة الشورى، ٥٢/٤٢).

[5] ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (سورة النحل، ٧٨/١٦).

[6] عن أنس قال: ما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة مكتوبة قط إلا قال حين أقبل علينا بوجهه: «اللهم إني أعوذ بك من كل عمل يُخزيني، وأعوذ بك من صاحب يؤذيني، وأعوذ بك من كل أمل يلهيني، وأعوذ بك من كل فقر ينسيني، وأعوذ بك من كل غِنى يُطغيني» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٤٥/١٠). وانظر: *المبسوط* للسرخسي، ٢٨٢/٣٠.

[7] ث - والطغيان.

[8] ث: على ما ذكر.

[9] انظر مثلا: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٥٠١/٣.

[٩١٥و س٩ *ثم قوله تعالى: **إن الإنسان ليطغى**، أريد به إنسان دون إنسان؛ إذ لم يطغ كل إنسان ولا خُلْفَ يقع[1] في خبر الله تعالى، فكان المراد منه البعضَ، ليعلم أن الفهم بظاهر الخطاب والعموم ليس بواجب، ولكن على حسب قيام الدليل على المراد منه. وفيه أن المراد منه قد يكون منبّها مقرونا به، وقد يكون مطلوبا غير مقرون به.* ٩١٥و س١٢]

﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[٨]

وقوله عز وجل: **إن إلى ربك الرجعى**، أي[3] المرجع،[4] كذا قال أبو عبيدة،[5] وقال غيره: الرجوع. ثم يحتمل قوله: **إلى ربك الرجعى**، أي المرجعُ للكل إلى ما أُعد لهم، أعد للكافر النار وللمؤمن الجنة على ما ذُكر في الآية. وجائز أن يكون إخبارا عن رجوع الكل إليه.*

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾[٩] ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾[١٠] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾[١١] ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾[١٢] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[١٣] ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى**، ذكر أهل التأويل أن الذي ينهى أبو جهل لعنه الله، **عبدا إذا صلى**، رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك أنه كان يصلي في الحِجْر فكان ينهاه أبو جهل، فنزل[7] **أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى**.[8] جائز أن يُجمع هذا كلُّه في الوعيد الذي ذكره على إثر ذلك وهو قوله: **ألم يعلم بأن الله يرى**، كأنه قال: أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى: أرأيت الذي ينهى من كان على الهدى أو أمر بالتقوى. وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان ينهاه ذلك الكافر إذا صلى، وينهاه عن الهدى وعن الأمر بالتقوى،[9]

---

[1] ث + على الله.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٩١٥و/سطر ٩-١٢.

[3] ر م - أي.

[4] م ث: الرجع.

[5] ر ث: أبو عبيد. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٣٠٤.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٦، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٩١٥و/سطر ٩-١٢.

[7] ث: فنزلت.

[8] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٣٢٩.

[9] ث - وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهاه ذلك الكافر إذا صلى وينهاه عن الهدى وعن الأمر بالتقوى.

أرأيت إن كذَّب[١] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وتولى عن طاعة الله تعالى ألم يعلم بأن الله يرى. يدخل جميعُ ما ذكر في هذا الوعيد فيكون ذلك جوابا لما تقدم من قوله: **أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى**، إلى آخر ما ذكر. وجائز أن يكون جواب قوله: **أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى**، مسكوتا عنه تُرِك للفهم.

ثم قوله: **ألم يعلم بأن الله يرى**، أي ألم يعلم بأن الله يرى فينتقم منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ألم يعلم بأن الله يرى فيدفعه عما همَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم. فهو وعيد. ثم قوله: **ألم يعلم بأن الله يرى**، يحتمل وجهين. أحدهما قد علم بأن الله يرى جميع ما يقوله ويفعله ويَهُمَ به، لكنه فعل ذلك على المكابرة والعناد. والثاني لم يعلم بأن الله يرى على نفي العلم له بذلك، إذ لو علم بأن الله يرى ويعلمُ ما يفعله من النهي عن الصلاة والمكر به لكان لا يفعل ذلك به.

﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ﴾[١٥] ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة**، أي حقا لئن لم ينته عن صنيعه الذي يصنع برسول الله[٢] لنسفعن **بالناصية ناصية**، أي لنأخذنَّ بالناصية[٣] كأنه عبارة عن الأخذ الشديد والجر الشديد[٤] على الناصية. ثم يحتمل أن يكون ذلك الوعيد له في الدنيا أنه لو لم ينته عما ذكر. فإن كان في الدنيا فيكون السفع كناية عن العذاب،[٥] أي لَنعذبنَّ، وقيل: قد[٦] أخذ بناصيته يوم بدر، فأُلقي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا. وإن كان في الآخرة فهو على حقيقة[٧] أخذ الناصية، كقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[٨] وقوله: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ.[٩]

[١] ر + وتولى.
[٢] ث + صلى الله عليه وسلم.
[٣] ث - بالناصية.
[٤] ث - والجر الشديد.
[٥] ر: عن العراب.
[٦] ث: وقد قيل.
[٧] ر م: عن حقيقة.
[٨] سورة الإسراء، ٩٧/١٧.
[٩] سورة القمر، ٤٨/٥٤.

وقال أهل العربية: **لنسفعن بالناصية**، أي نقبض.[1] وسَفَعْتُ ناصيته، أي قبضت، ويقال: سفعه بالعصا، أي ضربه بها؛ ويقال: إسْفَعْ بيده، أي خذ[2] بيده.[3]

وقوله عز وجل: **كاذبةٍ خاطئة**، يحتمل ما ذكر من قوله: **كاذبة خاطئة**، كناية عن النفس، ويحتمل أن يكون كناية عن الناصية التي تقدم ذكرها.

﴿**فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ**﴾[١٧] ﴿**سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ**﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **فليدع ناديه**، أي أهل مجلسه في الإعانة له بما يَهُمّ برسول الله صلى الله عليه وسلم، **سندع الزبانية**، نحن في الدفع عنه ليرى[4] هل يقدر أن يفعل ما هم به.

ويحتمل ذلك في الدنيا وقد ذكر أنه قتل يوم بدر. وجائز أن يكون ذلك الدفع من الزبانية في الآخرة، وسموا زبانية للدفع، أي يدفعون أهل النار في النار. وقيل: **الزبانية**، الشُّرَطُ والواحد زِبْنِيَةٌ،[5] والنادي المجلس، يريد به قومه.

﴿**كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **كلا لا تطعه**، أي لا تطع ذلك الكافر، وكان ما ذكر لم يطعه[6] حتى مات. وقوله عز وجل: **واسجد واقترب**، يحتمل قوله:[7] **واسجد واقترب**، أن يكون هذا خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم، أي صَلِّ واقترب إلى الله تعالى. ويحتمل أن يكون قوله: **واسجد**، خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم، / أي صل، وقوله: **واقترب**، خطابا لأبي جهل لعنه الله،[8] [٩١٥ظ]

---

[1] ر: أي تقبض.

[2] ث: أخذ.

[3] وفي التنزيل: ﴿لَنَسْفَعَنْ ...﴾، ناصيته مقدم رأسه، أي لَنَصْهَرَنَّها ولنأْخُذَنَّ بها، أي لنُقْمِئَنَّه ولَنُذِلَّنَّه. ويقال: لنأْخذنْ بالناصية إلى النار، كما قال: ﴿فَيُؤْخذ بالنواصي والأقدام﴾ [سورة الرحمن، ٥٥/٤١]. ويقال: معنى لنسفعنْ لنُسَوِّدنْ وجهه، فكَفَتِ الناصيةُ لأنها في مقدَم الوجه (*لسان العرب*، «سفع»).

[4] ر م: لنرى؛ ث: لترى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٣و.

[5] وقوله تعالى: ﴿فلْيَدْعُ نادِيَه ...﴾ قال قتادة: فليدع ناديه حَيَّه وقومه فسندعو الزبانية، قال: الزَّبانية في قول العرب الشُّرَط. قال الفراء: يقول الله عز وجل: ﴿سندعو الزبانية﴾ وهم يعملون بالأيدي والأرجل فهم أقوى. قال الكسائي: واحد الزَّبانية زِبْنِيٌّ. وقال الزجاج: الزَّبانية الغلاظ الشداد واحدهم زِبْنية وهم هؤلاء الملائكة الذين قال الله تعالى: ﴿عليها ملائكة غلاظ شِداد﴾ [سورة التحريم، ٦٦/٦] وهم الزَّبانية (*لسان العرب*، «زبن»).

[6] ر م: لم تطعه.

[7] م - قوله.

[8] ر ث - لعنه الله.

أي اقترب إلى محمد حتى ترى، على سبيل الوعيد، لما كان يقصد المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم في حال الصلاة.

ثم[١] على التأويل الظاهر الآيةُ حجة لنا على أهل التشبيه، فإنه لم يفهم من قوله: **واقترب**، القرب من حيث المكان وقربُ الذات، ولكنْ قربُ المنزلة والقدر. وكذلك ما ذكر في بعض الأخبار: «ومن تقرب[٢] إليّ شبرا تقربتُ إليه ذراعا»[٣] ونحو ذلك لا يفهم منه قرب الذات ولكن قرب المنزلة والقَدْر بالإجابة، وكذلك جميع ما ذكر في القرآن من القرب قرب المنزلة والقدر.

ثم في هذه السورة السجدةُ لِما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها.[٤] وروي عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سَجَد في إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[٥] واقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ،[٦] أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ومن هو خير منهما.[٧] وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: في اِقْرَأْ من عزائم السجود.[٨] و[روي] أبو عبيدة[٩] عن عبد الله أنه سجد فيها. ***والله أعلم بالصواب.***[١٠]

---

[١] ر م – ثم.

[٢] ر: ومن يقرب.

[٣] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤١٣/٢، ٥٣٤؛ وصحيح *البخاري*، التوحيد ٥٠؛ وصحيح *مسلم*، التوبة ١.

[٤] عن أبي هريرة قال: سجدنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في "إذا السماءُ انشقّت" و"اقرأ باسم ربك" (صحيح *مسلم*، المساجد ومواضع الصلاة ١٠٨؛ وسنن *الترمذي*، الجمعة ٥٠).

[٥] سورة الانشقاق، ١/٨٤.

[٦] الآية ١ من هذه السورة.

[٧] *سنن النسائي*، الافتتاح ٥٢.

[٨] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٤٤٦/٢؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٢٨/٢٠.

[٩] ر: أبو عبيده؛ ث: أبو عبيد.

[١٠] ث م – والله أعلم بالصواب؛ م + إلٰهي صل على النبي المكي والمدني.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القدر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١]

قوله عز وجل: **إنا أنزلناه في ليلة القدر**، قال أهل التأويل: إن قوله: **إنا أنزلناه**، يعني القرآن، ويحتمل أن يكون قوله: **إنا أنزلناه**، يعني السلام الذي ذكره[2] في آخر السورة حيث قال: مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ.[3] فمن قال: أنزل القرآن في ليلة القدر فهم مختلفون فيه. قال بعضهم: أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ في تلك الليلة، وهي في شهر رمضان، كقوله: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ،[4] أي أنزل من اللوح المحفوظ، ثم أنزل[5] من السماء الدنيا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتفاريق على قدر الحاجة من الأمر والنهي والحلال والحرام والمواعظ وكل ما يُحتاج إليه. وقال بعضهم: إنما أُنزل من اللوح المحفوظ في تلك الليلة المقدارُ الذي يحتاج إليه إلى العام القابل جملة، ثم يَنزِل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نُجوما بالتفاريق. *والله أعلم*.

---

[1] ر – سورة القدر؛ ث + خمس آيات وهي مكية؛ م + مكية. نسخة ن (نور عثمانية، رقم ١٢٤) ناقصة قدر ثلاث صفحات. وستأتي الإشارة إليها.

[2] ر م: ذكر.

[3] الآيتان ٤ و ٥ من هذه السورة.

[4] سورة البقرة، ٢/١٨٥.

[5] ث: ثم نزل.

ثم لا ندري أن تلك الفضيلة التي جعلت لهذه الليلة: لِفضلِ عبادة جعلت فيها [التي] امتُحن الخلق بأدائها على الترغيب والأدب، أو فُضّلت لمكان ما امتَحن الملائكة وكلَّفهم بالنزول فيها والعبادة لله في الأرض وأنزل القرآن ونحو ذلك، أو لحكمة ومعنى فضِلت لم يُطلع على ذلك المعنى أحدا. وقد جعلت لبعض الأمكنة الفضيلة لعبادات جعلت فيها، نحو ما ذُكر: «صلاة واحدة في المسجد الحرام تعدل مِائَةَ ألفِ صلاةٍ في غيره، وصلاة واحدة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة في غيره سوى المسجد الحرام».[1] وقال الله تعالى: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ،[2] خصت هذه البقاع بالفضيلة على غيرها لعبادات جعلت فيها. فعلى ذلك جائز أن يُخَصَّ بعض الأوقات[3] دون بعض بالفضيلة لمكان عبادات جعلت فيها. لكن بيّن تلك الأماكن ولم يُبيّن تلك الأوقاتَ المفضلة وجعلها مطلوبةً من بين غيرها من الأوقات، فهو -والله أعلم- أن لو بُيّن وأشير إليها لكان لا مئونة تلزم[4] في ذلك لأنه يحفظ ذلك الوقت وتلك الليلة خاصة، وأما المكان فتلزم[5] المئونة في إتيان ذلك المكان. وعلى ذلك يخرج ما لم يبين وقتَ خروج روح الإنسان من بدنه، لأنه لو بين وأعلم نهاية عمره لتعاطي الفسق وارتكب المعاصي آمنا إلى آخر[6] أجزاء حياته ثم يتوب، فلم يبين ليكون أبدا على خوف وحذر ورجاء، فعلى ذلك لم يبين تلك الليلة لتُطلب[7] من بين الليالي جميعا لِيُحْيُوا لياليَ غيرها. **والله أعلم**.[8]

ثم إن كان السؤال عن القرآن -وهو المنزَل[9] في[10] تلك الليلة- يكون دليله قولَه: حٰمٓ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ،[11] وإن كان السؤال عن ليلة القدر فيكون البيان عنها:

---

[1] سنن ابن ماجة، الإقامة ١٩٥؛ وانظر: السنن الكبرى للبيهقي، ٥/٤٠٤.
[2] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[3] ث + المفضلة وجعلها مطلوبة.
[4] ر ث م: يلزم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٥٣ظ.
[5] ر ث م: تلزم.
[6] م: آمنا آخر.
[7] ر ث م: ليطلب. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ث: والله سبحانه أعلم.
[9] ر م: هو المنزل.
[10] م + ليلة الغد.
[11] سورة الدخان، ٤٤/١-٣.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾[٢]

ثم قوله: **وما أدراك ما ليلة القدر**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما يقول: ما كنت تدري حتى أدراك، كقوله: مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا.[١] ويحتمل قوله: **وما أدراك**، على التعظيم لها والتعجيب. ***والله أعلم***.[٢] وقيل: نزول هذه الآية يكون على معنى التسلي، أعطاه فضل هذه الليلة والعملَ فيها.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣]

ثم بين فضلها حيث قال: **ليلة القدر خير من ألف شهر**، اختلف فيه. قال بعضهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم أُرِيَ بني أُميّةَ على منبره، فساءه ذلك فنزل: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.[٣] **ليلة القدر خير من ألف شهر**، أي من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية يا محمد.[٤] وقال بعضهم: **ليلة القدر خير من ألف شهر**، أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر سواها. وقيل أيضا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لأصحابه[٥] أن رجلا من بني إسرائيل جاهد ألف شهر في سبيل الله فَعَظُم ذلك عليهم فنزل قوله: **ليلة القدر خير من ألف شهر**، أي العمل فيها / خير من جهاد[٦] ذلك الرجل في ألف شهر.[٧] ويحتمل أن يكون [٩١٦و] ذكر ألف شهر على سبيل التمثيل لا على التوقيت، أي خير من ألف شهر وأكثرَ، إذ التقدير قد يكون لبيان العدد نفسه وقد يكون لبيان شرف ذلك الشيء وعظمته، فلا يكون الغرض هو القصرَ على العدد، وهو كقوله: إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ،[٨] ونحو ذلك.

ثم اختلف في تسمية ليلة القدر، قال بعضهم: هي ليلة الحكم والقضاء، فيها يحكم ويقضي ما يريد أن يكون في ذلك العام المقبل، كقوله:[٩] فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ.[١٠]

---

[١] سورة هود، ١١/٤٩.
[٢] ث: والله سبحانه وتعالى أعلم.
[٣] الآيتان السابقتان.
[٤] *تفسير الطبري*، ٣٠/٣٢٩-٣٣٠.
[٥] ث: الصحابة.
[٦] ث: من عمل.
[٧] *تفسير الطبري*، ٣٠/٣٢٩؛ و*تفسير ابن كثير*، ٨/٤٦٤.
[٨] سورة التوبة، ٩/٨٠.
[٩] ث + سبحانه وتعالى.
[١٠] ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ (سورة الدخان، ٤٤/٣-٤).

* أو سميت ليلةَ القدر لأنها ليلة لها قدر ومنزلة عند الله تعالى لما يوصف الشيء[2] العظيم بالقدر والمنزلة، وسميت ليلة مباركة[3] لأنه تنزل[4] فيها البركات والرحمة من الله تعالى على خلقه، أو سميت مباركة لكثرة ما يعمل فيها من العبادات.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[٤] ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام**، قال بعضهم: الروح هاهنا جبريل عليه السلام،[5] كقوله تعالى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ،[6] وقال بعضهم:[7] الروح[8] خلق مُوَكَّلون بالملائكة كما أن الملائكة موكلون ببني آدم. وجائز أن يكون الروح هاهنا هو الرحمةَ، أي تنزل[9] الملائكة بالرحمة فيها على ما سميت مباركة بما تنزل[10] فيها من البركات. ثم اختلفوا في قوله: **فيها**، قال بعضهم: أي في تلك الليلة تنزل الملائكة والروح، وقيل: الروح[11] **فيها**، أي في الملائكة.

وقوله عز وجل: **بإذن ربهم**، أي ينزلون بأمر ربهم.[12] وقوله عز وجل: **من كل أمر**، قال بعضهم: أي بكل أمر يقدّر في تلك السنة على الأرض. وكذا قال القُتَبي: **من كل أمر سلام**، أي بكل أمر سلام.[13] وقيل: **من كل أمر**، يدبره الله تعالى، أي الملائكة لا علم لهم في ما يقدر الله تعالى إلا أن يُطْلعهم عليه، فكأنهم يَطّلعون على ما يقدِّر في تلك السنة من الأمور، فينزلون بها بأمر الله تعالى.

* ابتدأت متن نسخة ن (نور عثمانية، رقم ١٢٤) من هنا.
[2] ر + أو سميت ليلة القدر لأنها ليلة لها قدر ومنزلة عند الله تعالى لما يوصف الشيء.
[3] يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾ (سورة الدخان، ٤٤/٣).
[4] جميع النسخ: لأنه ينزل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٤و.
[5] ر م – عليه السلام؛ ث: هاهنا عليه الصلاة والسلام.
[6] سورة الشعراء، ١٩٣/٢٦.
[7] ن ث – بعضهم.
[8] ر م – الروح.
[9] ر ث م: هنا هو الرحمة أي ينزل.
[10] جميع النسخ: بما ينزل. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م – الروح.
[12] ر م: بإذن ربهم.
[13] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٣٤.

وقوله عز وجل: **سلام،**[١] قيل: تنزل الملائكة تَخْفُق بأجنحتها بالسلام من الله والرحمة والمغفرة. وقيل:[٢] أي هي ليلة سالمة لا يَحْدُث فيها شر ولا يُرسَل فيها شيطان إلى مطلع الفجر. وقال بعضهم: هو سلام الملائكة، أي تسلّم الملائكة على كل مؤمن ومؤمنة. وقال بعضهم: **من كل أمر سلام**، أي من كل آفة وبلاء سلام؛ وكذلك[٣] ذُكر في قوله: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ؛[٤] قال بعضهم: يحفظونه من عذاب الله، وقال بعضهم: يحفظونه بأمر الله تعالى، فلذلك يحتمل قوله: **من كل أمر سلام،** هذين الوجهين.

وقوله عز وجل: **هي**[٥] **حتى مطلع الفجر**، يحتمل أي تلك البركات التي ذكرت إلى مطلع الفجر، ويحتمل ذلك السلامُ الذي ذكر إلى مطلع الفجر، ويحتمل الملائكة يكونون في الأرض إلى مطلع الفجر. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ: من كل امْرِئٍ سلام، وقال: يعني الملائكة.[٦]

ثم[٧] قال بعضهم: اختلفت[٨] الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر متى يكون؟ واختلفت[٩] الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فيها. روى[١٠] عبد الله بن أُنَيْس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التمِسوها في العشر الأواخر، واطلبوها[١١] في كل وتر».[١٢] وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليلةُ تسعة عشرَ من رمضان وليلة إحدى وعشرين وليلةُ ثلاثة وعشرين».[١٣] وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تَحرَّوا[١٤] ليلة القدر في السبع الأواخر».[١٥]

---

[١] ر م + هي.
[٢] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٤و.
[٣] ن: وكذا.
[٤] سورة الرعد، ١١/١٣.
[٥] ر ث م - هي.
[٦] *تفسير الطبري*، ٣٣٠/٣٠؛ وانظر: معجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٥١٨/١٠.
[٧] ر م - ثم.
[٨] ر م: اختلف.
[٩] ر م: واختلف.
[١٠] ر ث م: يروى.
[١١] ر م: واطلبوا.
[١٢] *سنن الترمذي*، الصوم ٧٢.
[١٣] *سنن الترمذي*، الصوم ٧٢.
[١٤] ر م: تخيروا؛ ن: الحروا.
[١٥] *مسند أحمد بن حنبل*، ١١٣/٢؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٢٠٦؛ وسنن *أبي داود*، شهر رمضان ٥.

وروي أنها في سبع وعشرين. وعن[1] عبد الله بن عمر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا أسمع، قال: «هي في كل رمضان».[2] وعن زِرٍّ[3] قال: قلت لأبيّ بن كعب: أخبرني عن ليلة القدر يا أبا[4] المنذر، فإن صاحبنا[5] عبد الله بن مسعود سئل عنها فقال:[6] "من يقيم الحول يصيبها". فقال: نعم رحم الله أبا[7] عبد الرحمن، واللهِ لقد علم أنها في رمضان، كره أن يَتَّكِلوا، والله إنها في رمضان ليلة سبع وعشرين.[8]

ثم ليس لنا ولا لأحد أن يشير إلى تلك الليلة فيقولَ:[9] هي ليلة كذا، ليلةُ سبعٍ وعشرين[10] أو تسع وعشرين إلا أن يثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر بالإشارة إليها، فعند ذلك يسع[11] وإلا كانت مطلوبة في الليالي. وعلى هذا الوجه يخرج الأخبار المروية على التوافق دون المناقضة ويكون كلها صحيحة، فيكون في سنة [في][12] بعض الليالي وفي سنة أخرى في غيرها، وفي سنة[13] في العشر الأواخر من رمضان، وفي سنة في العشر[14] الأوسط من رمضان، وفي سنة في العشر الأول، وفي سنة في غير رمضان. والله أعلم بذلك.[15]

---

[1] ر م - عن.

[2] سنن *أبي داود*، رمضان ٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٧١/٨.

[3] ر م: وعن زبير؛ ن ث: وعن أبي زر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٤و.

[4] ر ث: القدر بأنا.

[5] ر ث م: فإن صاحبه.

[6] ن: قال.

[7] ث: أنا.

[8] حدثنا محمد بن حاتم وابن أبي عمر كلاهما عن ابن عيينة. قال ابن حاتم: حدثنا سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم بن أبي النجود سمعا زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ يقول: سألت أبيَّ بنَ كعبٍ رضي الله عنه فقلت: إن أخاك ابن مسعود يقول: من يَقُمِ الحولَ يصب ليلة القدر. فقال: رحمه الله! أراد أن لا يَتَّكِلَ الناسُ. أَمَا إنه قد علم أنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر وأنها ليلة سبع وعشرين. (*صحيح مسلم*، الصيام ٢٢٠).

[9] ن: فنقول.

[10] ن: عشرين.

[11] جميع النسخ: تسع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٤ظ.

[12] الزيادة من المرجع السابق.

[13] ر ث م: وفي سبع.

[14] ر م: وفي سنة العشر.

[15] ر: والله تعالى أعلم بالصواب الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين؛ ث + وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ م: والله أعلم بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البينة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[١]

قوله تعالى: **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة**، ذَكَر في حق أهل الكتاب: **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب**، بحرف "**مِن**" وهو للتبعيض، ولم يقل: "أهل الكتاب"، وذَكَر في حق أهل الشرك[2] **والمشركين**، لأن أهل الكتاب كانوا فِرَقا: منهم من كان آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل / أن يُبعَث،[3] فلما بُعث كفروا به. [٩١٦ظ] ومنهم من كان[4] كافرا به فلما بعث[5] آمن به ولزم[6] الإيمانَ به. ومنهم من كان كافرا به، فلما بعث[7] وأرسل لزم الكفرَ به ولم يؤمن؛ فلمّا كانوا[8] أصنافا وفرقا[9] قال: **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب**، بحرف "**مِن**". وأما المشركون فإنهم كانوا صنفا واحدا.

---

[1] ر – سورة البينة؛ ن: ذكر أن سورة لم يكن مدنية؛ ث + وهي ثمان آيات مكية؛ م: ذكر أن سورة البينة مدنية.

[2] ر م: أهل الكتاب.

[3] جميع النسخ + ومنهم من كان كافرا به.

[4] ن + كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٤ظ.

[5] ن + وأرسل لزم الكفر به. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ن: فلزم. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ر ث م – كفروا به ومنهم من كان كافرا به فلما بعث آمن به ولزم الإيمان به ومنهم من كان كافرا به فلما بعث.

[8] م + كانوا.

[9] جميع النسخ + لذلك.

ثم لم يبين بأنهم إذا أتاهم البينة ينفكّون أوْ لا؟ وجائز أن يكون قوله عز وجل: **لم يكن** إلى[1] قوله **حتى تأتيهم البينة**، أي لم يكن بعض أهل الكتاب وبعض المشركين منفكين من الكفر؛ لأنه عَطَف المشركين على أهل الكتاب، كأنه قال: من أهل الكتاب ومن المشركين، ولذلك خفض المشركين ولم يقل: والمشركون، بل كانوا أهل كفر وشرك إلى آخر عمرهم وإن أتتهم[2] البينة. والبينة هي ما في خلقة[3] كل أحد مما يدلّ على ألوهيته[4] ووحدانيته. ويحتمل أن بعضا من الفريقين على الشرك حتى تأتيهم البينة وهي معاينة العذاب عند الموت، كقوله تعالى: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[5] ونحو ذلك. وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: لم[6] يكن المشركون وأهل الكتاب منفكين،[7] وفي حرف أبيّ: ما كان الذين أشركوا من أهل الكتاب والمشركين [منفكين].[8]

ثم اختلف في قوله عز وجل: **منفكّين**، قال بعضهم: لم يكن الذين كفروا[9] من أهل الكتاب والمشركين منتهين زائلين عن الكفر والشرك حتى تأتيهم البينة. وقال بعضهم: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين[10] خارجين من الدنيا حتى تأتيهم البينة.

ثم اختلفوا في البينة التي ذُكر أنها تأتيهم. قال بعضهم: البينة رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حيث قال على أثره: رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً.[11] وقال بعضهم: ما جاء به[12] رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القرآن، وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم[13] من الحُجج.

---

[1] ر: أي.

[2] ر: وإن أتيتهم.

[3] ث: في خلقه.

[4] ر: على ألوهية.

[5] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤).

[6] ث ن: لمن.

[7] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٠/١٤٢؛ ومعجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ١٠/٥٢٣.

[8] قرأ أبي بن كعب: ﴿فما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون منفكين﴾ (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٠/١٤٢؛ ومعجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ١٠/٥٢٣).

[9] ر ث م – كفروا.

[10] ث – منتهين زائلين عن الكفر والشرك حتى تأتيهم البينة وقال بعضهم لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين.

[11] الآية التالية.

[12] ر م + محمد.

[13] ر ث م – وهو القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

فمن جعل قوله: **منفكّين**، منتهين زائلين يجعل البينةَ رسولَ الله[١] صلى الله عليه وسلم، سُمِّي بينةً لأنه به يعرف كل خير وكلُّ إحسان، وبه يتبيّن الحق من الباطل[٢] وكلُّ شيء من أمر المعاد والمعاش، وكذلك القرآن جاء به. ومن قال: **منفكّين**، خارجين من الدنيا يجعل البينةَ التي ذكر أنها تأتيهم العذابَ معاينةً جهارا، كقوله تعالى: وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ،[٣] أي خارجين من الدنيا حتى يعلموا العذاب، فعند ذلك يؤمنون.

[٩١٧ظ س ٢٠ * قال أبو عَوْسَجَة: **منفكين**، أي لا يزالون على هذه الحال، يقول الرجل: ما انْفَكَكْتُ أفعلُ كذا وكذا، أي ما زلت[٤] أفعل كذا وكذا. وقال القُتَبِي وأبو عبيد[ة] وغيرهما: **منفكين**، زائلين.[٥]* ٩١٧ظ س ٢٢]

﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾[٢]

وقوله عز وجل: **رسول من الله يتلو صحفا مطهرة**، على التأويل الأول في البينة يكون ما ذكر من قوله: **رسول من الله**،[٧] تفسيرا للبينة. وعلى الثاني يخرّج على الابتداء، يقول: رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو صحفا مطهرة. ثم جائز أن يكون سمّى القرآنَ وحده صحفا على المبالغة؛ إذ قد يسمّى الواحد باسم الجميع[٨] على المبالغة. وجائز أن يكون قوله: **يتلو صحفا**، القرآنَ وسائرَ الصحف، لأن سائر الصحف فيه. وكذلك فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ،[٩] جائز أن يكون سُمّي كتابه المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبا على الإبلاغ والتأكيد على ما ذكرنا. وجائز أن يكون **يتلو صحفا**، وكُتُبًا عليهم وهي التوراة والإنجيل والزبور، كان هذا القرآن في تلك الكتب وتلك الكتب في هذا، وهو كقوله تعالى: وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ،[١٠]

---

[١] ن + ورسول الله.
[٢] ر ث م: الحق والباطل.
[٣] سورة النساء، ١٥٩/٤.
[٤] ر م – ما زلت؛ ث – زلت.
[٥] ر م: زيلين. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٤٥٦/٢؛ *وتفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٣٤.
* وقع ما بين النجمتين أثناء تفسير الآية ٨ من هذه السورة متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٩١٧ظ/ سطر ٢٠-٢٢.
[٧] م + يتلو صحفا.
[٨] م: باسم الجمع.
[٩] الآية التالية.
[١٠] سورة الشعراء، ١٩٦/٢٦.

وقوله تعالى: إِنَّ هٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ.[1] أخبر أنه في تلك الكتب وأن الكتب الأولى فيه، فيصير بتلاوة هذا عليهم كأنه تلا[2] تلك الكتب عليهم. وعلى هذا قوله تعالى: هٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي،[3] وقوله[4] تعالى: مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ،[5] وقوله عز وجل: مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ،[6] ففي هذا ما في تلك الكتب. وقال بعضهم: **صحفا مطهرة**، التي كانت في أيدي السفرة البررة.

وقوله تعالى: **مطهَرةً**، يحتمل **مطهَرة**،[7] من أن يكون للباطل فيه حجة أو مدخل، أو **مطهّرة** من الافتعال والافتراء، أو **مطهَرةً** من أن يحتمل ما ذكره أولئك الكفرة. وقال قتادة: سمّى كتابه بأحسن الأسماء وأثنىَ عليه بأحسن الثناء،[8] سمّاه نورا[9] وهدى ورحمة[10] وبركة[11] وأنه شفاء[12] ونحوَه.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[٣]

وقوله تعالى: **قيمة**، اختلف فيه. قال بعضهم: **فيها كتب** صادقة، وقال بعضهم: عادلة، وقال[13] غيرهم: مستقيمة على ما يوجبه الحكمة. وجائز أن يكون قوله تعالى: **فيها كتب قيمة**، أي أحكام كثيرة مستقيمة على ما توجبه الشريعة والحكمة.

---

[1] سورة الأعلى، ٨٧/١٨-١٩.
[2] ن - تلا.
[3] سورة الأنبياء، ٢١/٢٤.
[4] ر م: قوله.
[5] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٩٧؛ وسورة آل عمران، ٣/٣.
[6] سورة البقرة، ٢/٩١.
[7] ث - يحتمل مطهرة.
[8] *تفسير الطبري*، ٣٠/٢٣٣.
[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فآمِنوا بالله ورسوله والنُّور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾ (سورة التغابن، ٦٤/٨)، ونحو ذلك من الآيات.
[10] ﴿ولقد جئناهم بكتابٍ فَصَّلْناه على عِلْمٍ هُدًى ورحمةً لقوم يؤمنون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٢)، ونحو ذلك من الآيات.
[11] ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٥)، ونحو ذلك من الآيات.
[12] ﴿وَنُنَزِل مِن القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ لِلمؤمنين ولا يَزيد الظالمين إلا خَساراً﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٨٢)، ونحو ذلك من الآيات.
[13] ر م: قال.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[٤]

وقوله تعالى: **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة**، يقول أهل التأويل: إنما تفرّقوا من بعد ما جاءتهم البينة، وهو محمد صلى الله عليه وسلم. قال أبو بكر [الأصمّ]: هذا التأويل خطأ، لأنهم كانوا متفرقين قبل ذلك، فلا معنى لهذا.[1] وعندنا ليس كما توهم هو، وهو يخرج على وجهين. أحدهما، وما تفرقوا في محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما جاءهم العلم به، عند ذلك تفرّقوا فيه، فأما قبل ذلك كانوا مجتمعين فيه[2] كلُّهم. أو ما تفرّقوا[3] في الدين والمذهب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، أي عن بيان وعلم تفرقوا في الدين. وفيما تفرقوا فيه[4] وهو / ما جُعل في خلقة[5] كلِّ أحد دلالةُ التوحيد والربوبية له ما لو تفكّروا لعرفوا بأن الله تعالى واحد. والبينة يحتمل من هذا الموضع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والقرآنَ ونفسَ الخلقة على ما ذكرنا. [٩١٧و]

*وفي قوله: **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة**، وجهان. أحدهما تحذير لهذه الأمة لِأن لا يتفرقوا كما تفرق أولئك في رسول الله صلى الله عليه وسلم[6] وفيما جاء به. والثاني يكونون أبدا فزعين إلى الله تعالى في كل وقت خائفين منه وأن لا يَكِلُوا إلى البيان الذي جاءهم، فيتفرقوا كما تفرق أولئك.* [٩١٧و س٢٠-٩١٧و س٢٣]

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٥]

وقوله تعالى: **وما أمروا إلا ليعبد الله مخلصين له الدين**، أي ما أُمِر أوائلهم وأواخرهم في تلك الكتب إلا ليعبدوا الله تعالى ولا يعبدوا من دونه. أو ما أمروا إلا ليجعلوا الألوهية[8] لله والوحدانية له.

---

[1] ر م: لذلك؛ ث: كذلك.
[2] ر ث م: مجتمعين به فيه.
[3] ر ث م + فيه.
[4] ن – وفيما تفرقوا فيه.
[5] ث: في خلقه.
[6] ن – صلى الله عليه وسلم.
[7] وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٩١٧و /سطر ٢٠-٢٣.
[8] م: ألوهية.

ودل قوله: **وما أمروا إلا ليعبدوا الله**، على أن تأويل قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[1] على إضمار الأمر، أي إلا ليأمرهم بالعبادة على كل حال، لأنه لو خلقهم للعبادة ما قدروا غيرها.[2] أو أن يكون قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، على الخصوص، خَلَق مَنْ عَلِم أنّه يعبده للعبادة.

وقوله عز وجل: **مخلصين له الدين**، إخلاص الدين له يخرج على وجهين. أحدهما أن يُخلِص[3] له الدين ويُصفِّي لا يشرك فيه غيرَه، ويكون من خلوص وصفاء.[4] والثاني الدين الخالص هو الدائم، كقوله: وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا،[5] أي دائما.[6] وكذلك يحتمل قوله: أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ.[7]

وقوله عز وجل: **حنفاء**، قال أهل التأويل: [هم] المسلمون، وقال بعضهم: **حنفاء**، متبعين. والحَنَف[8] الميل، كأنه قال: مائلين إلى الإسلام. وقيل: **حنفاء**، الحُجّاج، وقيل: الحنيف[9] المستقيم.

وقوله عز وجل: **ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**، يحتمل القبول، أي قَبِلوا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ،[10] أي تابوا وقبلوا ذلك، ليس على حقيقة الإقامة. ويحتمل[11] حقيقةَ الإقامة والإيتاء. وأيهما كان ففيه أن أوائلهم كانوا مأمورين بالصلاة والزكاة. ثم المعنى الذي في الصلاة والزكاة لا يحتمل النسخ في وقت من الأوقات، لأن الصلاة معناها هو الاستسلام والخضوع له، والزكاة هي تزكية النفس وطهارتها، وذلك لا يحتمل النسخ أصلا.

---

[1] سورة الذاريات، ٥١/٥٦.
[2] جميع النسخ: غيره. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٥٥و.
[3] ر: أن يخلق.
[4] جميع النسخ: وصفائه. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة النحل، ١٦/٥٢.
[6] ر م - أي دائما.
[7] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[8] ن: والحنيف.
[9] ر م: الحنف.
[10] ر ث م - كقوله فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة. سورة التوبة، ٩/٥، ١١.
[11] ر ث م + أن يكون.

ثم قال:[١] **وذلك دين القيمة**، والدين مذكر والقيِّمة مؤنث. فجائز أن يكون الذي ذَكَر هو الملة[٢] القيمةَ، ويحتمل دينَ الأمة القيّمة، وهو قول الزجاج.[٣] أو يكون[٤] ذلك الدينَ الذي[٥] قوّمته الحجج والبراهين، أضيف إلى الحجج. وجائز أن يكون ذكر القيمة على التسوية بين ما سبق وما تقدم من أواخر الآي من قوله عز وجل: حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ،[٦] ومُطَهَّرَةً،[٧] وكُتُبٌ قَيِّمَةٌ،[٨] ثم قال على ذلك: **وذلك دين القيمة**،[٩] تسوية بين ما تقدم وما تأخر من قوله: خَيْرُ الْبَرِيَّةِ،[١٠] وشَرُّ الْبَرِيَّةِ.[١١] وفي حرف أبيّ: ذلك الدين القيم، بغير هاء.*

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم**، ظاهر هذا أن يكون تأويلَ قوله: **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين**، أي بعضُ المشركين[١٣] في النار لا كلَّ المشركين، ولكن من كفر من المشركين كان كمن كفر من أهل الكتاب في نار جهنم، لكن الكفر هو الشرك والشركَ هو الكفر، كقوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ،[١٤] فدلّ أن الكفر والشرك واحد، وكل كافر مشرك، فكأنه قال عز وجل: إن الذين أشركوا من أهل الكتاب[١٥] والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية.

---

[١] ر م: لا يحتمل النسخ وقال؛ ث – وذلك لا يحتمل النسخ أصلا ثم قال.
[٢] ث: هي الملة.
[٣] *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٣٥٠/٥.
[٤] ر ن م: أو أن يقول.
[٥] ر م – الذي.
[٦] الآية ١ من هذه السورة.
[٧] الآية ٢ من هذه السورة.
[٨] الآية ٣ من هذه السورة.
[٩] ر م – ثم قال على ذلك وذلك دين القيمة.
[١٠] الآية ٧ من هذه السورة.
[١١] الآية التالية.
* وقع هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٩١٧و/ سطر ٢٠-٢٣.
[١٣] ث + أي بعض المشركين.
[١٤] سورة النساء، ٤٨/٤.
[١٥] ن + من أهل الكتاب.

ثم جاء كلّ هذا التشديد لهؤلاء لأن أهل الكتاب ادّعوا أنهم من نسل الأنبياء ثم تركوا اتباعهم؛ والمشركون قد[1] أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[2] ثم نقضوا ذلك العهد. وأهل الكتاب[3] قالوا: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ،[4] فتركوا اتباع الصالحين من آبائهم. والعرب أيضا كانوا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم فحقّه عليهم ألزم وأوجب، فشدّد على هؤلاء لهذا المعنى.

ثم إن كان **البريّة**، مأخوذا مقدّرا من الْبَرَى -وهو التراب- فيرجع[5] تأويل الآية إلى البشر كأنه قال: أولئك هم شرّ ما أُنشئوا من الأرض؛ وإن كان مأخوذا مقدرا من البَرْء -وهو الخلق- فيصير كأنه قال:[6] أولئك هم شر ما خُلقوا، فيدخل[7] في ذلك الملائكة والجن والبشر، وفي الأول لا يدخل إلا البشر خاصة. وكذلك ما ذكر من أهل الإيمان حيث قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[٧]

إن الذين آمنوا وعمل الصالحات أولئك هم الخير البرية، فإن كان البرية مأخوذا من البَرْء فهو يرجع إلى الأصناف جميعا، وإن كان من البَرَى -وهو التراب- فهو يرجع إلى البشر خاصة، فيصير كأنه قال: شر أهل البشر من جنسهم، وخير أهل الخير من جنسهم، لأنهم صاروا قادة في الهدى والخير.

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **جزاؤهم عند ربهم جنات عدن**، فإن كان العدن هو المُقام فجميع الجنان عدن وجميع الجنان نعيم. ثم قد قَسَم الخلق صنفين: صنفا[8] جعله شرّ البرية، وصنفا[9] جعله / خير البرية. [٩١٧ظ]

[1] ن + أشركوا و.
[2] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[3] ث + وأهل الكتاب.
[4] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.
[5] جميع النسخ: ويرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٥ظ.
[6] ن - قال.
[7] ن: فدخل.
[8] ر م - صنفا.
[9] ر م - وصنفا.

ثم يكون من كل صنف شر من شر وخير من خير. وسوّى بين مَن نشأ على الكفر وداوم عليه في التأبيد والتخليد وبين من أحدث الكفر في آخر عمره،[١] وكذلك من دام على الإيمان ومن أحدث: سوى بينهما ولم يجعل لما مضى من الكفر والإيمان[٢] جزاءً ولا عقابًا، وذلك -والله أعلم- هو أن من اعتقد إيمانا إنما يعتقده[٣] للأبد، وكذلك من يعتقد الكفر إنما يعتقده[٤] لِلأبد. فإذا أحدث الإيمان بعد الكفر اعتقد قبحَ ما عمل في حال كفره وشرّه، وحُسنَ ما أحدث من الإيمان والتوحيد، وكذلك[٥] من أحدث الكفر بعد الإيمان اعتقد فساد ما عمل في حال إيمانه. لذلك سوّى[٦] بين مَن أحدث وبين من دام عليه، وليس [هذا] لمن[٧] يُذنب في وقت ويتوب في وقت، لأنه ليس[٨] يعتقد حسنَ ذلك ولا قبحَه في الأبد. *والله الموفق.*

وقوله عز وجل: **رضي الله عنهم ورضوا عنه**، يحتمل وجهين.[٩] أحدهما يقول: رضي الله بعملهم الذي عملوا لأنفسهم وسعيهم الذي سعوا في الدنيا عنهم. **رضي**[١٠] بسعيهم له.[١١] **ورضوا عنه**، أي رضوا هم عنه بما أكرمهم ووفّقهم للأعمال[١٢] التي عملوا لأنفسهم في الدنيا، وهو كقوله تعالى: وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ،[١٣] أي إن قبلوا ما أحسن[١٤] إليهم وأحسَنوا صحبة إحسانه إليهم يرضَ[١٥] ذلك لهم.[١٦] وهذا يدلّ أن ما يعملون من خير أو شر

---

[١] ن: الكفر إلى آخره.
[٢] ر ث م - والإيمان.
[٣] جميع النسخ: إنما يعتقد. والتصحيح من *الشرح*، ٣٥٥ظ.
[٤] ر ث م: إنما يعتقد.
[٥] ن ث: ولذلك.
[٦] ر م - سوى.
[٧] ر ث م: كمن.
[٨] ر ث م - ليس.
[٩] ر ث م - يحتمل وجهين.
[١٠] ر م + الله.
[١١] جميع النسخ: لهم.
[١٢] جميع النسخ: الأعمال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.
[١٣] سورة الزمر، ٣٩/٧.
[١٤] ن: لما أحسن.
[١٥] جميع النسخ: يرضى.
[١٦] ر ث م + وقال.

إنما يعملون لأنفسهم ولمنفعة ترجع[1] إليهم أو مضرة تندفع[2] عنهم. والثاني **رضي الله عنهم**، بما أكرمهم من الثواب لأعمالهم التي عملوا لأنفسهم، **ورضوا عنه**، بكرامته التي أكرمهم.

وقوله عز وجل: **رضي الله عنهم**، هذا منه إفضال وإنعام حيث ذكر رضاه عنهم. وإن ذكر العفو والتجاوز كان حقا.[3] ولكن هذا كما ذكر من لطيف معاملته عبادَه،[4] حيث سمى ما ادخروا في وقت حاجتهم إليه قرضا، حيث قال: وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا،[5] وسمى بذلهم أنفسهم وأموالهم شراءً، وما يعملون لأنفسهم جزاء وشكرا،[6] وأموالُهم[7] وأنفسهم في الحقيقة له، ولكن سمى بالذي ذكرنا لطفا منه وفضلا. فعلى ذلك[8] ما ذكر من رضاه عنهم به. وكذلك قوله: **ورضوا عنه**، ذكر رضاهم عنه بفضله[9] ولطفه وإلّا مَنْ هُمْ[10] حتى يَذكرَ منهم[11] الرضا عن الله تعالى.

ثم هو يخرج على وجهين سوى ما ذكرنا. أحدهما **ورضوا عنه**، بما امتحنهم في الدنيا بالمحن الشديدة العظيمة وإن اشتدت ذلك وثقلت على أنفسهم إذا رأوا إحسانَ الله تعالى وفضلَه في الآخرة. والثاني **رضوا عنه**، بالنعم التي أكرمهم في الجنة، لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا،[12] ولا يريدون غيرها، ولا يَمَلّون على ما يَمَلّون[13] في الدنيا.*

---

[1] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.
[2] جميع النسخ: يندفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] أي ولو ذكر العفو والتجاوز لكان حقا.
[4] ن: عبادة.
[5] سورة المزمل، ٢٠/٧٣.
[6] ن + وسمى بذلهم أنفسهم وأموالهم شرا وما يعملون لأنفسهم جزاء ولا شكورا. لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (سورة التوبة، ١١١/٩).
[7] ث – شرا وما يعملون لأنفسهم جزاء وشكرا وأموالهم.
[8] ن – ذلك.
[9] ن: رضاهم بفضله.
[10] ر م: والآمنهم؛ ث: والآمن هم.
[11] ث – منهم.
[12] ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزُلًا خالدين فيها لا يبغون عنها حِوَلا﴾ (سورة الكهف، ١٠٧/١٨–١٠٨).
[13] م – على ما يملون.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية ١ متأخرة عن موضعها، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٩١٨ظ / سطر ٢٠–٢١.

وقوله عز وجل: **ذلك لمن خشي ربه**، أي الذي[1] ذكر من الجزاء لمن خشي نقمته، أو خشي سوء صحبة نعمه.[2] وأصله أن من اجتنب المعاصي وعمل بالطاعات فإنما يفعل ذلك لخشية ربه سبحانه وتعالى؛ فذُكر:[3] "من أَعْلَمُ بربه فهو أخشى لربه تعالى، ومن أجهل به فهو أجرأ". قال الله تعالى:[4] إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.[5] وقال الحسن: الخشية هي الخوف[6] اللازم في القلب الدائم فيه. أو خشي خلافَه وكفرانَ نعمه. ***والله أعلم بالصواب.***[7]

---

[1] ر م: الذكرى.

[2] ث: نعمته.

[3] جميع النسخ: فكل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.

[4] ث: قال الله سبحانه وتعالى.

[5] سورة فاطر، ٢٨/٣٥.

[6] ر م: هو الخوف.

[7] ر م – والله أعلم بالصواب؛ ث: والله أعلم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزلزال[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[١]

قوله عز وجل: **إذا زلزلت الأرض زلزالها**. قد ذكرنا أن حرف **إذا** إنما يذكر عن سؤال سبق منهم، كأنهم سألوا عن الوقت الذي كانوا يوعدون فيه وإن لم يذكر السؤال، لأنه قد يكون في الجواب بيان السؤال وفي السؤال بيانُ الجواب وإن لم يذكر. فعند ذلك قال: **إذا زلزلت الأرض زلزالها**، أخبرهم عن أحوال يوم القيامة والحساب ولم يخبرهم عن وقتها، وقد ذكرنا[2] في غير موضع.

ثم قوله عز وجل: **إذا زلزلت الأرض زلزالها**، أي حُرِّكت الأرض تحريكا[3] شديدا لهول ذلك اليوم. وهو يخرج على وجهين. أحدهما جائز أن تكون تتزلزل وتتحرك حتى تُلقي[4] ما ارتفع منها من الجبال الرواسي في الأودية حتى تستوي[5] الأرض، لا يبقى فيها هبوطٌ ولا صعود، كقوله تعالى: لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا.[6] وجائز أن يكون قوله: **زلزلت الأرض**،

---

[1] ر – سورة الزلزال؛ ن: ذكر أن سورة إذا زلزلت مكية؛ ث + وهي ثمان آيات مدنية؛ م: سورة إذا زلزلت مكية.

[2] ر ث م: وقد ذكر.

[3] جميع النسخ: تحركا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.

[4] جميع النسخ: أن يكون يتزلزل ويتحرك حتى يلقي.

[5] جميع النسخ: حتى يستوي. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] سورة طه، ١٠٧/٢٠.

أي تتزلزل[1] وتتحرك لتغيّر الجبال الرواسي حتى تصيرَ كما ذَكر: يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[2] وقوله عز وجل: فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا،[3] فإذا فَنِيَت وتَلاشت بقيت الأرض مستوية على ما ذكره. ويحتمل أن تكون تتزلزل وتتحرك حتى تصير غير تلك، كقوله تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ،[4] الآية. ويحتمل أن يكون تبديلها وتحريكها ومدها هو تغيُّرَ صفاتها على ما ذكرنا في الوجهين الأولين. [وقد قرئ: زَلْزَالَها، بنصب الزاي الأولى].[5] قال الزجاج: لا يصح هذه القراءة[6] لأن الزلزال من المضاعف والمضاعف إنما[7] يكون [٩١٨و] / بالخفض مصادرها. أما مِن الأسماء قد يكون نصبا، كقوله تعالى: مِنْ صَلْصَالٍ،[8] ونحوه. والزِلْزال مصدر، فيكون الأصل[9] المطّرد فيه هو الكسرَ، والنصب يكون نادرا.[10] **والله أعلم**.

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[٢]

وقوله عز وجل: **وأخرجت الأرض أثقالها**، أي أحمالها لهول ذلك اليوم،[11] فقال في آية أخرى: وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ.[12] ثم يحتمل **أخرجت**، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا، من الموتى من أول ما دُفن فيها من كل شيء من الحيوان وغيرها إلى آخر ما يُجعَل فيها من الكنوز وغيرها[13] مما يحتمل الحساب ومما لا يحتمل من البشر وجميع الممتحَنين وغيرهم. ويحتمل **وأخرجت [الأرض] أثقالها**، الممتحَنين خاصة ممن يحاسبون ويثابون ويُجزَوْن.

---

[1] ر: يتزلزلت.
[2] سورة القارعة، ١٠١/٤-٥.
[3] ﴿وَقَدِمْنَا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٢٣).
[4] سورة إبراهيم، ١٤/٤٨.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.
[6] م + كقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض ويحتمل أن يكون.
[7] ث + يصير.
[8] سورة الحجر، ١٥/٢٦، ٢٨، ٣٣؛ وسورة الرحمن، ٥٥/١٤.
[9] ر ث م: في الأصل.
[10] قوله عز وجل: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ إذا حركت حركة شديدة، والقراءة ﴿زِلْزَالَهَا﴾ بكسر الزاي، ويجوز في الكلام زَلْزَالَهَا، وقرئت زَلْزَالَهَا، وليس في الكلام فَعْلَال بفتح الفاء إلا في المضاعف نحو الزلزال والصَلْصَال. والاختيار كسر الزاي، والفتح جائز (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٣٥١).
[11] ن - اليوم.
[12] سورة الانشقاق، ٨٤/٤.
[13] ن ث: وغيرهما.

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾[٣] ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وقال الإنسان مالها**، أي[١] قال الكافر: **مالها**، تتحرك.[٢] فقال بعضهم: أحمق في الدنيا وأحمق في الآخرة حيث يسأل الأرض: مالها تتزلزل وتتحرك، يظن أنها بنفسها تفعل ذلك، لا يُفزعه ما يرى[٣] من أهوال ذلك اليوم وتغيّرِ[٤] أحوالها على ما لم ينظر في الدنيا في الآيات والحجج حتى يَقبلها ويخضعَ لها. وقال بعضهم: هو على التقديم والتأخير كأنه يقول: يومئذ تحدث أخبارها وقال الإنسان مالها، تشهد وتخبر بما عُمل على ظهرها.

ثم **أخبارَها**، يخرج على وجوه. أحدها ما قاله أهل التأويل: إنها تخبر وتحدّث بما عُمل على ظهرها من خير أو شر أو طاعة أو معصية، لكن لا يحتمل **أخبارَها** الخير، لأنها إنما تشهد عليهم لإنكار أهل الكفر ما كان منهم من فعل الكفر والمعصية. وأما أهل الجنة فإنهم[٥] يكونون مقرين[٦] بالخيرات، والله تعالى يصدّقهم على ذلك. ***والله أعلم***. وكذلك ما ذكر من شهادة الجوارح[٧] إنما تشهد عليهم على ما ينكرون من الشرك والكفر وغير ذلك من المعاصي. فعلى ذلك التأويل يكون **أخبارَها**، على حقيقة النطق والكلام. وقال بعضهم: **أخبارَها**، ما ذكر من تزلزلها وتحركها، والأحوال التي تكون فيها هو تحديثها وإخبارها التي تكون[٨] منها. وقال بعضهم: يومئذ تتبين[٩] وتقع أخبارُها التي أُخبروا في الدنيا فكذَّبوها يومئذ، يتبين لهم ذلك ويقع لهم مشاهدة وعِيانا[١٠] من الحساب والثواب والعقاب. وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أتدرون ما أخبارها»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أخبارها أن تشهد على كل عبد وأَمَةٍ بما عَمِل على ظهرها».[١١]

---

[١] ر م – أي.

[٢] ر ن م: يتحرك.

[٣] ر ن م: ما ترى.

[٤] ر ث م: وتغير؛ ن: وتبيين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦ظ.

[٥] ن: فلهم.

[٦] ر م: مقرنين.

[٧] ﴿اليوم نختم على أفواههم وتُكلِّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ (سورة يس، ٦٥/٣٦). وانظر أيضا: سورة فصّلت، ٤١/٢٠-٢٢.

[٨] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ر ث م: تبين؛ ن: يبين. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] جميع النسخ: عيانا. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٧٤/٢؛ و*سنن الترمذي*، صفة القيامة ٧؛ وتفسير القرآن ٩٩.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **بأن ربك أوحى لها**، من قال بأن أخبارها[١] هي شهادتها[٢] بما عملوا على ظهرها يكون تأويل[٣] قوله تعالى: **أوحى لها**، من شهادتها بما عملوا على ظهرها، [أو يكون تأويل قوله]:[٤] **أوحى لها**،[٥] أي أذن لها ربها بالشهادة فتشهد. ومن قال: أخبارها هو تزلزلها وتحركها والأحوال التي تكون منها يقول على إسقاط **لها**، يقول: **بأن ربك أوحى لها**،[٦] أي فعل ذلك بها، والوحي قد يكون بالإذن[٧] والإلهام[٨] والأمر ويستعمل فيما يليق به.[٩]

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم**، يحتمل صدور الناس من وجهين. أحدهما يصدرون من قبورهم إلى الحساب لِيُرَوْا كتابة أعمالهم،[١٠] أي ليُروا ما كُتب من أعمالهم التي عملوا في الدنيا. ويحتمل صدورَهم على ما أُعد لهم في الآخرة من الثواب[١١] والعقاب، فعلى هذا التأويل لِيُرَوْا جزاء أعمالهم التي عملوا في الدنيا، كقوله تعالى: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ،[١٢] وقوله تعالى: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا،[١٣] هذا تفسير قوله: **أشتاتا**.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[٧] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**، قال بعضهم: يرى الكافر ما عمل من خير في الدنيا، وأما في الآخرة فلا يرى لأنه لا يؤمن بها ولا يعمل لها،

---

[١] م: بأن أخبار.
[٢] جميع النسخ: من شهادتها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦ظ.
[٣] ر م: تأويله.
[٤] ر ث م: قوله تعالى. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[٥] ن – من شهادتها بما عملوا على ظهرها أو يكون تأويل قوله أوحى لها.
[٦] ر ث م – لها.
[٧] جميع النسخ: الوحي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر م: وإلهام.
[٩] ر ث م – به.
[١٠] ث – يحتمل صدور الناس من وجهين أحدهما يصدرون من قبورهم إلى الحساب ليروا كتابة أعمالهم.
[١١] ن: في الآخرة والثواب.
[١٢] سورة الشورى، ٤٢/٧.
[١٣] سورة الزمر، ٣٩/٧١.

كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ.[١] والمؤمن يرى ما عمل من شر في الدنيا وما عمل من خير[٢] في الآخرة. وعلى ذلك روي في الخبر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية، فقال أبو بكر الصديق[٣] لرسول الله صلى الله عليه وسلم: كل من عمل منا[٤] من شر يراه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يرون في الدنيا مما يكرهون فهو[٥] من ذاك ويؤخّر الخير لأهله في الآخرة».[٦]

وجائز أن يكون قوله تعالى: **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و[من يعمل مثقال ذرة]**[٧] **شرا يره**، على الإحصاء والحفظ، كقوله تعالى: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا،[٨] أي لا يذهب عنه شيء قليل ولا كثير حتى الذرةُ. ويحتمل وجها آخر وهو أن قوله تعالى: **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره**، أي من يعمل من المؤمنين مثقال ذرة خيرا يره في الآخرة، ومن يعمل من الكفار مثقال ذرة شرا يره في الآخرة، لأن الله تعالى قد أخبر في غير آي من القرآن أنه يتقبل حسنات المؤمنين ويتجاوز عن سيئاتهم، كقوله تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ،[٩] ونحو ذلك من الآيات.

وقوله عز وجل: **مثقال ذرة**، ليس على إرادة[١٠] / حقيقة الذرة ولكن على التمثيل. [٩١٨ظ]

ثم قيل في إخبار[١١] الأرض وما ذكر من شهادة[١٢] الجوارح أن كيف احتمل ذلك وهي أموات[١٣] والأموات[١٤] لا علم لها؟

---

[١] ﴿...ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا﴾ (سورة الإسراء، ١٨/١٧).
[٢] ر م – من خير.
[٣] ن – الصديق.
[٤] ر م – منا.
[٥] ر: فهن.
[٦] *المستدرك على الصحيحين* للحاكم، ٥٨٠/٢-٥٨١.
[٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٥٦ظ.
[٨] سورة الكهف، ٤٩/١٨.
[٩] سورة العنكبوت، ٧/٢٩.
[١٠] ر م: ليس إرادة.
[١١] جميع النسخ: من إخبار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧و.
[١٢] م + الأرض.
[١٣] ث: موات.
[١٤] جميع النسخ: والموات.

فجائز أن يكون الله تعالى يجعل لها علما ويُنطقها بذلك، وأن لها بذلك علما على جَعْلِها آية.

ثم في قوله تعالى: لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ،[1] دلالة أن قوله تعالى: حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[2] وقولَه [صلى الله عليه وسلم]: «لا تسافروا بالقرآن [إلى][3] أرض العدو»،[4] وقولَ الناس: "نقرأ[5] كلام رب العالمين"، وفي المصاحف "قرآن" أنْ لا يرادُ به حقيقة كون كلام الله تعالى في المصاحف، ولا حقيقة كون القرآن فيها والسفرِ به ولا حقيقة سماع كلامه. ولكن على إرادة سماع ما يفهم به كلامه أو ما به يُعبَّر[6] عن كلامه، وكذلك يكون في المصاحف ما يفهم به كلامه[7] أو ما يعبر[8] عن كلامه على ما روي[9] من رؤية الأعمال، وأعيُن الأعمال لا تُرى ولكن ترى ما يدل[10] عليها، وهو المكتوب من أعمالهم في الكتب التي فيها أعمالهم. فعلى ذلك هذا. **والله أعلم**.[11]

---

[1] الآية ٦ من هذه السورة.

[2] سورة التوبة، ٦/٩.

[3] الزيادة من مصدر الرواية.

[4] شعب *الإيمان* للبيهقي ٢١٣/٤؛ وانظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٦/٢، ١٠؛ وصحيح *مسلم*، الإمارة ٩٢.

[5] ر ن ث: يقرأ.

[6] جميع النسخ: ويكون على ما أراد من سماع ما به يفهم كلامه ويسمع (ن ث: أو يسمع) ما يعبر (ث: ما يغيره) به.

[7] ن: به من كلامه.

[8] ث + به.

[9] ر م: على ما ذكرنا؛ ث ن: على ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧و.

[10] ن - يدل.

[11] ر + بالصواب وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ن: والله الموفق والمسدد.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العاديات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾[١]

قوله تعالى:[2] **والعاديات ضبحا**، إلى آخره. قال علي كرم الله وجهه[3] وعبد الله رضي الله عنهما: هي الإبل، وقال ابن عباس رضي الله عنه وغيره من أهل التأويل: هي الخيل؛ غير أن عليا رضي الله عنه قال: ذلك يومَ بَدْرٍ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ذلك في الحج.[4] ومن قال: هي الخيل، قال ذلك في سَرِيّة بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبطأ عليه خبرها، فاغتمَّ[5] لذلك[6] رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل صلوات الله عليه بخبرها على ما ذكر ووُصف فَسُرّ بذلك المؤمنون.

فإن كان في أمر السرية والخيل على ما قاله ابن عباس رضي الله عنه[7] فجهة القسم بذلك يحتمل وجوها. أحدها أنه من علم الغيب إذ لا يَعلم بحالهم، وما وُصف من أمر الخيل لا يكون إلا بالوحي من السماء أو بمن شهد ذلك. فإذا لم يحضرهم أحد ممن شهدها

---

[1] ر – سورة العاديات؛ ن م: ذكر أن سورة والعاديات مكية؛ ث + وهي إحدى عشرة آيات مكية.

[2] ر: وقوله تعالى؛ ن – قوله تعالى.

[3] ر – وجهه؛ ن ث – كرم الله وجهه.

[4] *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٠١/٨.

[5] ن: فاغتمر.

[6] ر م – لذلك.

[7] ث: عنهما.

ثم أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ظهر عندهم على ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا بذلك أنه رسول الله وأنه إنما عرف بالوحي من الله تعالى إليه،[1] وذلك من أعظم آيات الرسالة.

أو أن يكون القسم[2] بما ذَكر من شدة الخيل وقوتها وحِدَّة بَصَرها حيث عَدَتْ في ليل مظلم لا قمر فيه ولا نورَ عَدْوًا تَخرج[3] النارُ من شدة عَدْوها من الحجارة التي تضرب بحوافرها، ما لا يقدر الإنسان العَدْوَ في مكان مُسْتَوٍ[4] فضلا أن يقدر على ذلك من الصعود والهبوط وما ذكر من إثارة النقع من شدة عدوها وتوسطها[5] في العدو.

أو يذكر موافقة مرادهم وحصول غرضهم[6] في الإغارة على عدوّهم في أغفلِ ما يكون العدو وهو وقتُ الصبح.

ثم القسم بقول:[7] **والعاديات**، وما ذكر من الموريات وغيره هو صفة العاديات ونعوتُها، وفيه بِشارات ثلاث.[8] أحدها أنه لم يَحدُث لهم حادثة.[9] والثاني الإغارة على العدو. والثالث أنهم قد توسطوا العدو.

ومن قال: هي الإبل وذلك في أمر الحج، يذكر سرعة سيرها وشدة عَدْوها في الليلة[10] المظلمة التي فيها الأودية والهبوط والصعود.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾[٢]

ثم قوله: **فالموريات قدحا**، على هذا التأويل أي تضرب الحجر بالحجر فتخرج[11] منه النار من شدة سيرها وعَدْوها، وفي الخيل شدة ضرب الحوافر على ما ذكرنا.

---

[1] ر م - إليه.
[2] ر ث م - القسم.
[3] ر ن م: يخرج؛ ث: عدوا فيها يخرج.
[4] ر ن: مستوي.
[5] ن: وبوسطها.
[6] ن: عرصهم.
[7] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧و.
[8] جميع النسخ: بشارة ثلاثة. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن: لم يحدث بهم حادثه.
[10] ر م: في الليل.
[11] جميع النسخ: أي يضرب الحجر بالحجر فيخرج. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾[٣]

وقوله تعالى: **فالمغيرات صبحا**، على هذا التأويل يقول بعضهم: نزولهم في تلك الغارات والأودية في وقت الصبح. والأشبه أن يكون خروجهم من تلك الغارات والأودية في ذلك الوقت، لأن ذلك الوقت وقت الخروج منها والدفع لا وقتُ الْمُقام، أو يكون قد استقبلهم العدوّ هنالك ومن أراد بهم الشر، فيكون المغيرات على الإغارة عليهم إن كان ثمةَ[١] عدو.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾[٤] ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾[٥]

فوسطن به جمعا، على هذا التأويل الجمع في الحج، وهو الجمع المعروف. ومن قال: ذلك في الخيل، يكون توسّطهن[٢] في جمع العدوّ.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[٦]

ثم الذي وقع به القسم قوله[٣] تعالى: **إن الإنسان لربه لكنود**، أي الإنسان لنعم ربه[٤] لكفور لا يشكرها. وهو أن الإنسان[٥] يذكر مصائبه وما يصيبه من الشدة في عمره أبدا، وينسى جميع ما أنعم الله عليه، و[يظن] أن لا يفارقه طَرْفَةَ عينٍ. ولذلك قال الحسن: الكنود هو الذي يعدّ المصائب وينسى النعم.[٦] وقيل: الكنود القتور البخيل[٧] الشحيح في الإنفاق. ويجب أن يكون وصف كل إنسان ما ذكر، لكن المؤمن يتكلف شكر نعم الله تعالى ويجتهد في ذلك، ويصبر على المصائب، وهو كقوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا،[٨] [وقوله: خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ]،[٩] وهو كل إنسان، ثم استثنى الْمُصَلِّينَ،[١٠] منهم وهم المؤمنون؛ أي كذلك خلق وطُبع كل إنسان، لكن المؤمن يتكلف إخراج نفسه من ذلك الطبع الذي[١١] أنشئ عليه

[١] ر ث م: ثم.
[٢] ن: بوسطهن.
[٣] ن: وقوله.
[٤] ن: أي الإنسان لربه.
[٥] م: وهو الإنسان.
[٦] *تفسير الطبري*، ٣٥٣/٣٠.
[٧] ن: والبخيل.
[٨] سورة المعارج، ١٩/٧٠.
[٩] جميع النسخ: وخلق عجولا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ. سورة الأنبياء، ٣٧/٢١.
[١٠] سورة المعارج، ٢٢/٧٠.
[١١] ر ث م – الذي.

[٩١٩و] وطبع إلى غيرها من الطبائع / كالبهائم والسباع التي طَبْعُها النفور من الناس بالاستيحاش عنهم، ثم تصير[١] بالرياضة ما يستقر عندهم ويجيبهم عند دعوتهم.

﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾[٧]

وقوله تعالى: **وإنه على ذلك لشهيد،** قال بعضهم: إن ذلك الإنسان على ما فعله في الدنيا لشهيد في الآخرة على جميعه،[٢] أي يشهد ذلك ويعلمه، كقوله: بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ.[٣] وقال بعضهم: **وإنه،** أي ذلك الإنسان لبخله وامتناعه عن الإنفاق، **لشهيد،** أي يتولى حفظ ماله وإحصاءه بنفسه، لا يثق بغيره. وقال بعضهم: **وإنه،** يعني الله تعالى **على ذلك لشهيد،** أي عالم يحصيه ويحفظه، كقوله: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا.[٤]

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وإنه لحب الخير لشديد،** أي ذلك الإنسان لشديد الحب للمال، فذكر بخله وشحه في المال في ترك الإنفاق والبذل. وعلى ذلك طُبع كل إنسان على ما ذكرنا، لكن المؤمن يتكلف إخراج نفسه مما طبع بالرياضة ويجتهد في الإنفاق.[٥] والحب هاهنا حب إيثار، أي يؤثر لنفسه.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾[٩] ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور،** يقول -والله أعلم-: فهلا يعلم قدرة[٦] ربه وسلطانه وحكمته في إنشائه أنه[٧] يستخرج ما في القبور ويحييهم. أو يكون قوله:[٨] **أفلا يعلم،** أي فيعلم إذا بعثر ما في القبور وحُصّل ما في الصدور.

---

[١] جميع النسخ: ثم يصير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ.
[٢] ر م: على ما جمعه؛ ث: على ما جميعه.
[٣] سورة القيامة، ١٤/٧٥.
[٤] سورة الكهف، ٤٩/١٨.
[٥] ر ث م: بالإنفاق.
[٦] م: قدره.
[٧] ر م: آية.
[٨] ر ث م - قوله.

* **وحصل ما في الصدور**، يقول: فهلا يعلم أيضا أنه يميز ما في الصدور ويبين ويُظهر ما فيها، لا يُترك كذلك[1] غيرَ مميَّز ولا مبين، بل يُظهر ويميِّز، كقوله: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ.[2]* [٩١٩و س١٣ ٩١٩و س١٤]

* وفي قوله تعالى: **وحصل ما في الصدور**، دلالة أن حصول الأعمال وخلوصها وما يثاب عليها ويعاقَب بالقلوب وبالنيات، لا بنفس الأعمال، حيث قال: **وحصل ما في الصدور**.[4]* [٩١٩و س١٥ ٩١٩و س١٦]

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **إن ربهم بهم يومئذ لخبير**، أي إن ربهم يومئذ لخبير بما كان منهم في الدنيا.* ثم قوله:[7] **إن ربهم بهم يومئذ لخبير**، أي عن علم[8] له بذلك يأخذهم ويجزيهم بما يجزيهم.[9]*

قال أهل اللغة[11] وأبو عوسحة: ضَبْحًا،[12] الضبح صوت في الصدر، ضَبَحَ يَضْبَحُ ضَبْحًا فهو ضَابِحٌ. فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا،[13] أي هيّجن الغبار بحوافرهن، والنقع الغبار، والنقوع جماعة. فَوَسَطْنَ،[14] من التوسط، أي صِرن في الوسط. وكَنُود[15] كفور. وحُصِّلَ،[16] أي اخْتُبِر، يقال: حصّلت: أي اختبرتُ.

---

[1] ث: لذلك.

[2] سورة الطارق، ٩/٨٦.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٩١٩و/ سطر ١٣-١٤.

[4] ر ث م - وبالنيات لا بنفس الأعمال حيث قال وحصل ما في الصدور.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٩١٩و/سطر١٥-١٦.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٩١٩و/ سطر ١٣-١٤.

[7] ر ث م - ثم قوله.

[8] ر م: عن علمه.

[9] ر م: بأحدهم ويجزيهم مما يجزيهم؛ ن - بما يجزيهم.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٩١٩و/سطر١٥-١٦.

[11] ن: اللغه.

[12] ث - الضبح. الآية ١ من هذه السورة.

[13] الآية ٤ من هذه السورة.

[14] الآية ٥ من هذه السورة.

[15] الآية ٦ من هذه السورة.

[16] الآية ١٠ من هذه السورة.

وقال بعضهم والقتبي: وَالْعَادِيَاتِ،[1] الخيل، والضبح، صوت حُلوقها[2] إذا عَدَتْ. وقيل: الضبح والضبع واحد في السير؛ يقال: ضَبَحتِ الناقة، وضبعت. فَالْمُورِيَاتِ،[3] أي أَوْرتِ[4] النارَ بحوافرها. والأرض الكنود[5] التي لا تُنبت[6] شيئا. وقال: بُعْثِرَ،[7] أي قُلب[8] فجعل أسفلها أعلاها. وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ،[9] أي مُيِّز[10] ما فيها من الخير والشر والشك[11] واليقين.[12]

والله أعلم.

---

[1] الآية ١ من هذه السورة.

[2] ت: خلوقها.

[3] الآية ٢ من هذه السورة.

[4] ر م: أوريت.

[5] الآية ٦ من هذه السورة.

[6] ر ن م: لا ينبت.

[7] الآية ٩ من هذه السورة.

[8] جميع النسخ: بعثرت أي قلبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ.

[9] الآية ١٠ من هذه السورة.

[10] ر م: اختير.

[11] ر م – والشك.

[12] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٣٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القارعة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الْقَارِعَةُ﴾[١] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[٣]

قوله تعالى: **القارعة**، {قال:} **القارعة**،[2] عندهم هي الداهية الشديدة من الأمور، وهي في هذا الموضع وصفٌ[3] لشدة هول[4] يوم القيامة. وهو من الله تعالى تذكير لعباده وتعجيب لهم عما يكون في ذلك اليوم من الأهوال في أحوال وأفعال.[5] وسمى الله تعالى[6] في كتابه ذلك اليوم بما يكون فيه من اختلاف الأحوال، نحو قوله: اَلْحَاقَّةُ،[7] و الْوَاقِعَةُ،[8] وما أشبه ذلك. فكذلك قوله عز وجل: **القارعة**، تذكير لهم بما وصف من حال ذلك اليوم وشدته، ليتفكروا في العواقب ويتدبروا ما يستقبلهم في الأواخر من العذاب فيمتنعوا بذلك عما نهاهم الله تعالى عنه.

---

[1] ر – سورة القارعة؛ ث + وهي إحدى عشرة آيات مكية.

[2] م: قوله تعالى القارعة فالقارعة.

[3] ر: وصفا.

[4] ث + ذلك.

[5] ر م: في ذلك اليوم من الأحوال والأفعال.

[6] ث: وسمى الله سبحانه وتعالى.

[7] سورة الحاقة، ٦٩/١.

[8] سورة الواقعة، ٥٦/١.

ثم إن الله تعالى خلق في بني آدم نفسا يُدرك بها الشهوات واللذات في الدنيا، وعقلا يتذكر به[1] عواقب الأمور وأواخرُها، فيزيده[2] ذلك تيقظا[3] وتبصرا. ثم العقل مرةً يدعوها إلى نفسه حتى يميل إلى ما يدعوه في جزاء[4] ما أُطْمِعَ في العاقبة،[5] والنفس مرة تدعو[6] إليه فيصير هواه وميله فيما يتلذذ من الشهوات في دنياه. وعلى ذلك تأويل قوله: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي،[7] أي رحمه[8] فعصمه[9] عن اختيار السوء، أو رحمه حتى جعل هواه فيما يوجبه العواقبُ من الجزاء والثواب. فكذلك ذكر الله تعالى عباده بما يستقبلهم من الأهوال[10] في ذلك اليوم ليُعملوا[11] عقولهم في أفكاره والتذكرِ عنه، فيزدجروا عما زجرهم عنه، أو يتذكروا عما وعدهم من الجزاء في ذلك اليوم فيزدادوا بذلك حرصا في الخيرات.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[٤]

وقوله تعالى: **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث**، اختلفوا في تأويله من وجوه، ولكنه في الحاصل يرجع إلى معنى واحد. فمنهم من قال: أي كالجراد المنتشر حين أرادت الطيران، ومنهم من قال: كالجراد الذي يموج بعضهم في بعض، ومنهم من قال: **كالفراش المبثوث**، الذي يتهافت في النار فيحترق. وكل ذلك يؤدي معنى الحيرة / والاضطراب من هول ذلك اليوم. [٩١٩ظ] وأصل ذلك قوله تعالى: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ،[12] فكأن الله تعالى قال: إنهم يصيرون في الحيرة من هول ذلك اليوم وشدته كالطائر الذي لا يدري أين يطير وأين يبيت وأين ينزل؟[13]

---

[1] ن: يتذكر بها.
[2] جميع النسخ: ويزيده. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ.
[3] ث: سقطا.
[4] م: في آخر.
[5] ث: في الآخرة.
[6] ر: ومرة يدعو؛ ن ث م: يدعو.
[7] سورة يوسف، ٥٣/١٢.
[8] جميع النسخ: أي يرحمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨و.
[9] ر ث م: ويعصمه.
[10] ر م: من الأحوال.
[11] م: ليعلموا.
[12] سورة الحج، ٢/٢٢.
[13] ن: لا تدري أين يطير وأين تبيت وأين تنزل.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾[٥]

وقوله تعالى: **وتكون الجبال كالعهن المنفوش**، قال[١] بعضهم: كالصوف المصبوغ،[٢] وقال بعضهم: كالمندوف من الصوف. فإن كان على التأويل الأول فمعناه -والله أعلم- أن الجبال في ذلك اليوم تتلون[٣] ألوانا من شدة ذلك اليوم تَلوّنَ[٤] العهن، ألا تراه يقول: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً،[٥] وقال: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا،[٦] فكذلك هذا على ذلك المعنى. وإن كان على التأويل الآخر فمعناه أن الجبال مع شدتها وصلابتها تصير في الرخاوة والضعف من هول ذلك اليوم كالصوف المندوف إذ ذلك أضعف أحواله. وقال قتادة: شبّههم بغنم لا راعي لها، ذَكر العهن كناية عن الغنم.

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾[٦] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾[٨]

وقوله تعالى: **فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية**، اختلفوا في تأويل الميزان من وجوه.[٧] ولكن أقربها عندنا وجهان. أحدهما أن يكون المراد من قوله: **ثقلت موازينه**،[٨] جملة المؤمنين، وقولِه تعالى: **وأما**[٩] **من خفت موازينه**، جملةَ الكفار. ويكون الوجه في ذلك أن المؤمن لما عظّم حق الله تعالى وأقام حدوده كان له ميزان وقيمة وخطر[١٠] عند الله تعالى في ذلك اليوم، والكافرَ لما ترك ذلك خفّ وزنه وقيمته وخطره. وقد يُطلَق -والله أعلم-[١١] هذا الكلام على معنى الجاه والمنزلة، يقال: لفلان عند فلان وزن وقيمة، وليس [لفلان][١٢] عنده ذلك الوزن، فكذلك هذا.

---

[١] ن: كان.
[٢] ر م: المصنوع.
[٣] جميع النسخ: يتلون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨و.
[٤] جميع النسخ: بلون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تَمُرّ مَرَّ السَّحاب﴾ (سورة النمل، ٢٧/٨٨).
[٦] سورة طه، ٢٠/١٠٥.
[٧] ث + أحدها.
[٨] ر م + من.
[٩] ن - وأما.
[١٠] ن: وخطره.
[١١] ن - والله أعلم.
[١٢] الزيادة من المرجع السابق.

والوجه الثاني من وزن السرائر التي لم يُطلع الله تعالى ملائكته[1] الذين يكتبون أعمال بني آدم ذلك. ومعلوم أن ذلك إنما يحصل من المؤمنين دون الكفرة. وقد وصفنا مسألة الميزان وبيناها،[2] فلذلك اختصرنا الكلام في ذا الموضع. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فهو في عيشة راضية**، منهم من قال: مَرْضِيَّة يرضى أهل الجنة بتلك[3] العيشة فهي مرضية.[4] ومنهم من قال: ذات رضا، كقوله: مَاءٍ دَافِقٍ،[5] أي ذات انْدِفَاقٍ. ومنهم من قال:[6] إنه أضاف الرضاء إلى العيش لأنه به يُرضَى.

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فأمه هاوية**، منهم من قال: سَمّى النار أُمًّا للكافر لأنه إليها يأوِي، ومنهم من قال: المراد من الأم أم رأسه أي يُلقَى في جهنم على أم رأسه منكوسا. وقوله تعالى: **هاوية**، أي يهوي به بحيث لا يكون له ثبات ولا قرار.

﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **نار حامية**، أي تُحميه[7] وتُنضجه.[8] ومنهم من قال: **نار حامية**، أي شديدة الحر. *والله أعلم*.[9]

---

[1] ر ث م: ملائكة.
[2] ر: ويثبت أهل. انظر: فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية، «الميزان».
[3] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨و.
[4] جميع النسخ: فهو مرضية. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة الطارق، ٨٦/٦.
[6] ن + سمى النار أما للكافر.
[7] ر م: يحميه.
[8] جميع النسخ: وينضجه. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن + بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التكاثر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[١] ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[٢]

قوله تعالى: **ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر**، أي شغلكم التفاخر بالتكاثر. ثم لم يقل عما ذا شغلهم.[2] فيجوز أن يكون **ألهاكم**، أي شغلكم **التكاثر**، عن توحيد الله تعالى، أو عن التفكر في حُجج رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن ذكر البعث. ثم قوله تعالى: **ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر**، يحتمل تأويلين. أحدهما أن يكون الغرض بالخطاب بهذه الآية آباءهم وسلفَهم الذين تقدموا بالإخبار عن قبح صنيعهم واشتغالهم بالسفه. فيكون هذا صلة آياتٍ أُخرَ مِن نحو قوله تعالى: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ،[3] وغيرِ ذلك؛ فكأن الله تعالى عيّرهم[4] بآبائهم ونهاهم عن الاقتداء بآبائهم لأنهم تعاطوا أفعالا تخرج[5] عن الحكمة حتى ماتوا. وذلك يقع من وجهين. أحدهما أن [كل][6] من أنعم عليه نعمة[7]

---

[1] ر – سورة التكاثر؛ ن م: سورة ألهاكم التكاثر؛ ث + وهي ثمان آيات مكية.
[2] جميع النسخ: شغلتم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨و.
[3] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.
[4] جميع النسخ: يخبرهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨ظ.
[5] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] ر م: نعمه.

فجحدها ولم يؤدّ شكرها استوجب المقت[1] والعقوبة. يقول: كيف تقتدون بآبائكم، وإنهم كفروا بنعمة الله وجحدوا بها،[2] بل الواجب عليكم أن تتبعوا[3] النبي الذي جاء بأهدى[4] مما وجدتم[5] عليه آباءكم. والثاني أن يكون فيه علامة ودلالةٌ للبعث أن آباءهم لما فعلوا ما يُستوجَب به المقت والعقوبةُ وماتوا من غير أن يصيبهم ذلك في دنياهم أن لهم دارا أخرى يعاقَبون فيها بما فعلوا.

و[الثاني] إن كان الخطاب إنما انصرف إليهم[6] ففيه إخبارهم[7] عن سفههم أنه شغلهم التفاخر بالتكاثر حتى جحدوا آيات رسوله عليه السلام. أو أن يكون فيه إخبار عن سفههم من وجه آخر، وهو أن الافتخار كيف وقع بالأموات والتفاخرُ بالأموات غير مستقيم.[8] أو يكون فيه وجه ثالث: إنما تفاخروا بما لا صنع لهم فيه لأنهم[9] إنما افتخروا بالأموال والأولاد وذلك من لطف الله تعالى وجميل صنعه. فيكون في هذا كله ذكرهم بما فيهم[10] من السفه والخَرَق.

ثم التعيير[11] بذكر هذه الأسباب إنما وقع -والله أعلم- دون ما هم فيه من الكفر، لأن هذه الأسباب[12] مما يبتلى به المؤمن في بعض الأحوال، فعيرهم[13] الله تعالى بذلك ليكون فيه تذكير[14] وموعظة للمؤمنين. ولو خرج[15] / ذكر الكفار في هذا لكان لا يجتنب المؤمنُ [٩٢٠و] عسى من هذه الأفعال. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ **ألهاكم التكاثر** فقال:[16]

---

[1] ر ث م: العفو.
[2] ن - بها.
[3] ر ث م: أن يتبعوا.
[4] ر م: جاء هدى؛ ث: جاءنا هدى.
[5] ر ث م: فما وجدتم.
[6] ر ث م - إليهم.
[7] ن: إخبار.
[8] ر ث م: مستقيمة.
[9] ر ث م - لأنهم.
[10] ر ث م: فيه.
[11] ث: ثم التعبير.
[12] ن + إنما وقع.
[13] م: فغيرهم.
[14] ر ث م: تذكر.
[15] أي ولو انحصر.
[16] ر م: فكأن قال؛ ث: فكأن.

«يقول ابن آدم مالي مالي، وما لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت»[١] الخبر. فهذا يدل على أن الوعيد على الإطلاق من غير التصريح[٢] بأهل الكفر لموعظة المسلمين. *والله أعلم*.

وقوله تعالى: **حتى زرتم المقابر**، يحتمل حقيقة زيارة الموتى، وذلك مما يذّكرهم أن التكاثر مما لا ينفعهم إذا كان عاقبتهم هذا. ويحتمل أي صرتم إلى المقابر بعد الموت، فحينئذ تذكرون[٣] حق الله تعالى ثم لا ينفعكم. *والله أعلم*.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٣] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٤]

وقوله تعالى: **كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون**، قال بعضهم: **كلا**، بمعنى النفي والتعطيل، وقال بعضهم:[٤] معنى قوله: **كلا**، أي حقا. فإن كان على الوجه[٥] الأول فكأنه قال: ليس كما حسبتم[٦] وتوهمتم وقدّرتم عند أنفسكم وتعلمون ذلك إذا نزل بكم العذاب، وهو على الابتداء.[٧] وإن كان على معنى حقا[٨] فكأنه قال: حقا[٩] ستعلمون أنه ليس كما قدّرتم عند أنفسكم. وكل ذلك يرجع إلى الوجوه التي وصفنا أنكم ستعلمون غدا حقا يقينا أن الذي ألهاكم وشغلكم عن توحيد الله تعالى أو التفكر في حجج رسول الله صلى الله وسلم أو الإيمان بالبعث كان عبثا[١٠] باطلا؛ وأنه كان من الواجب عليكم أن تؤمنوا[١١] بالله ورسوله وتنظروا[١٢] في حجج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتؤمنوا[١٣] بالبعث.

---

[١] حدثنا قتادة عن مُطَرِّف عن أبيه، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ﴿ألهاكم التكاثر﴾ قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، (قال): وهل لك، يا ابن آدم! من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لَبِست فأبلَيْت، أو تصدقت فأمضيت؟» (*صحيح مسلم*، الزهد والرقائق ٣؛ وسنن *الترمذي*، الزهد ٣١، وتفسير القرآن ١٠٢).

[٢] ر م: من غير تصريح.

[٣] جميع النسخ: يذكرون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨ظ.

[٤] ن + كلا بمعنى النفي والتعطيل وقال بعضهم.

[٥] ر ث م – الوجه.

[٦] ر م: كما حسبتهم.

[٧] ر: وهو الابتداء.

[٨] ر: وإن على حقا معنى.

[٩] ر م – حقا.

[١٠] م: عابثا.

[١١] ن ث: أن يؤمنوا.

[١٢] ن ث: وينظروا.

[١٣] ث: ويؤمنوا.

وفائدة التكرار بما جرى من العادة في تكرار الكلام عند الوعيد أو عند الإياس أو الرجاء نحو قولهم: الويلُ الويلُ، وقولهم: بَخْ بَخْ وغير ذلك، فكذلك هذا. ومنهم من حمل كل لفظة من ذلك على تأويلٍ على حِدَةٍ أنّ قوله[1] عز وجل: **كلا سوف تعلمون**، عند الموت، عند ما ترون[2] العذاب أن الأمر ليس كما حَسِبتم، وتعلمون في يوم البعث أنه حق يقين.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾[٥]

وقوله تعالى: **كلا لو تعلمون علم اليقين**، يعني بهذا[3] -والله أعلم- إبطال ما كانوا عليه من الظنون والحِسبان في هذه الدنيا. ألا ترى[4] إلى قوله تعالى: مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا،[5] فإذا نزل بهم العذاب تحقق عندهم وعلموا علما يقينا. وقال[6] بعضهم: كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ،[7] حين نزل بكم الموت، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ،[8] في القبر. وكذلك روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة.[9] وفيه وجهٌ ثانٍ[10] وهو أنهم كانوا عند أنفسهم علماء[11] وأنهم على حق، ولكن الله تعالى بين لهم أن علمهم كان حِسبانا. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا،[12] فيظهر لهم عند ذلك أن اليقين ما نزل بهم وأن الذي علموا لم يكن علم يقين بل كان شكا[13] وحِسبانا.

---

[1] ث + أن قوله

[2] جميع النسخ: ما يرون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨ظ.

[3] ن: لهذا.

[4] ر - ألا ترى.

[5] ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق والساعةُ لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾ (سورة الجاثية، ٣٢/٤٥).

[6] جميع النسخ: فقال. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] الآية ٣ من هذه السورة.

[8] الآية ٤ من هذه السورة.

[9] *تفسير الطبري*، ٣٦٣/٣٠؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٧٢/٢٠.

[10] ن: ثاني.

[11] ث: علما.

[12] ﴿قل هل نُنَبِّئُكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ (سورة الكهف، ١٠٣/١٨-١٠٤).

[13] ن: شقا.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[٦]

وقوله تعالى: **لترون الجحيم**، يحتمل وجهين. أحدهما ترونها[١] عند الموت. والثاني أي ترونها بالتفكر والنظر في آيات الله وحججه[٢] في الدنيا.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[٧]

وقوله تعالى: **ثم لترونها عين اليقين**، له معنيان. أحدهما عِيانا ومشاهدة. والثاني أن يكون رؤيتهم بعين اليقين ليس على ما كان عندهم أنهم لو فُتح لهم باب من السماء وعرجوا إليها، لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ.[٣] يقول الله تعالى: يرتفع عنهم السحر عن أبصارهم فيرونها عين اليقين.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**، ظاهر هذا يقتضي أن يكون سؤالهم بعد ما دخلوا النار، لأنه قال: **ثم لتسألن**، بعد ما وصف أنهم يدخلون النار، فبان أنه في ذلك الوقت. فإن[٤] كان على ذلك فهو في موضع التقرير عندهم أنهم استوجبوا المقت والعقوبة؛ لأنه كان عندهم أن من أُنعم عليه بنعمة فلم يشكرها استوجب المقت والعقوبة. فإن الله تعالى[٥] يسألهم في ذلك الوقت عن شكر ما أنعم عليهم ليقرر عندهم استيجاب العقوبة. ويجوز أن يكون[٦] هذا عند الحساب لأنه قال: **يومئذ**، ولم يقل: قبل ذلك أو بعده بل قال على الإطلاق فيُعمل به.

وإذا احتمل ذلك الوجه إلى المؤمنين والكافرين كان[٧] الوجه في سؤال المؤمنين تذكيرَهم أن أعمالهم لم يبلغ[٨] ما يُستوفَى بها شكر النعمة التي أنعمها عليهم؛ وليعلموا أن الله تعالى

---

[١] ن: يرونها.
[٢] في آيات وفي حججه.
[٣] ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فَظَلُّوا فيه يَعْرُجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (سورة الحجر، ١٥/١٤-١٥).
[٤] ر ث م: فإن قال.
[٥] ن: والعقوبة والله تعالى.
[٦] ر ث م - أن يكون.
[٧] جميع النسخ: وكان.
[٨] ر م: أن أعمالهم يبلغ.

تفضل[1] عليهم وتجاوز عنهم، لا أن [يكون][2] بلغت إليه حسناتهم فاستوجبوا رحمته بها بل بكرمه وفضله. وإن كان في الكافرين فهو تقرير ما استوجبوا من نقمته حيث تركوا شكر نعمه.

وقوله[3] تعالى: **ثم لَتُسْأَلُنَّ يومئذ عن النعيم**، إن كان[4] السؤال عن الكفرة[5] فإنهم يُسألون عما تركوا من الإيمان بالله تعالى وعما أتى[6] إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعن غير[7] ذلك من النعيم. وإن كان في المؤمنين فهو في سائر النعم من المأكول والمشروب والملبوس ونحوها.

والله أعلم بالصواب.[8]

---

[1] ن: يفضل.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٥٩و.

[3] ر ث م: ثم قوله.

[4] ر ث م: وإن كان.

[5] ر ث م: من الكفرة.

[6] جميع النسخ: وبما أتى.

[7] ر ن م: وبغير؛ ث: ويعير.

[8] ر م – والله أعلم بالصواب؛ ث: والله أعلم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وعترته الطيبين الطاهرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العصر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالْعَصْرِ﴾[١] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[٢]

قوله تعالى:[2] **والعصر إن الإنسان لفي خسر**، خرج قوله: **والعصر**، مخرج القسم. والقسم موضوع في الشاهد لتأكيد ما ظهر / من الحق الخفي، أو لنفي شبهة اعترضت، [٩٢٠ظ] أو دعوى أُدُّعِيت، فكذلك في الغائب. ثم الأصل بعد هذا أنه ليس في جميع القرآن شيء مما وقع عليه القسم إلا إذا تأمله المرء واستقصى فيه وجد فيه[3] المعنى الذي أوجبه القسمَ لولا القسمُ. ثم اختلفوا في تأويل[4] قوله: **والعصر**، فمنهم من قال: هو الدهر والزمان، ومنهم من قال: هو آخر النهار، فذلك وقت يشتمل على طرفي [الليل و][5] النهار وهو آخر النهار وأول الليل، فكأنه أراد به الليل والنهار. وقال أبو معاذ: تقول[6] العرب: لا أكلمك العصران، يريدون الليل والنهار.[7] وفي مرور الليل والنهار مرور الدهور والأزمنة، لأنهما يأتيان على الدهور والأزمنة وما فيهما؛

---

[1] ر – سورة العصر؛ ث + وهي ثلاث آيات مكية؛ ن م: سورة والعصر.

[2] ن – قوله تعالى.

[3] ر م – وجد فيه.

[4] ر م: في تأويله.

[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٥٩و.

[6] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] قال الفراء: العصر الدهر، أقسم الله تعالى به. وقال ابن عباس: العصر ما يلي المغرب من النهار. وقال قتادة: هي ساعة من ساعات النهار. والعصران الليل والنهار (*لسان العرب*، «عصر»).

فكان في ذكر الليل والنهار ذكر كل شيء. والقسم بكل شيء قسم بمنشئه، لأن كل شيء من ذلك[1] نظرتَ فيه دلّك[2] على صانعه ومُنشئه.

وقوله تعالى: **إن الإنسان لفي خسر**، إن الدنيا وما فيها كأنها خلقت وأنشئت مَتْجَرًا[3] للخلق والناس؛ فيها تُتجار كما ذكره في غير آي من القرآن، قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ،[4] وقال: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ.[5] أي إن الإنسان لفي خسار[6] من تجارته ومبايعته.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٣]

إلا الذين آمنوا وعمل الصالحات، الآية. ولقائل أن يقول: كيف استثنى أهل الربح من أهل الخسر[7] ولم يستثن أهل الخُسْر من أهل الربح فيقولَ: إن الإنسان لفي ربح إلا الذين كفروا؟ واستثناء هذه الفرقة من تلك أَولَى في العقول من تلك.

والجواب عن هذا أن هذه الآيات[8] إنما نزلت بقرب[9] من مبعث رسول الله صلى عليه وسلم والقومُ بأجمعهم كانوا أهل كفر وخسار، فلذلك وقع الاستثناء على ما ذكر، إذ استثناء[10] القليل من الكثير هو المستحسن عند أهل اللغة وإن كان القسم الثاني في حد الجواز، والقرآن في أعلى طبقات الكلام في الفصاحة.

ثم قوله تعالى: **إن الإنسان**، **[الإنسان]** اسم جنس، فكأنه أراد جميع الناس، ألا ترى أنه قال: **إلا الذين آمنوا**، ولا يُستثنَى الجماعة من الفرد، فكأنه يقول على هذا: إن الناس في أحوالهم واختياراتهم في خُسر إلا من كانت تجارته في تلك الحال[11] ما ذُكر.

---

[1] جميع النسخ: في ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٩و.

[2] م: ذلك.

[3] ر ث م: متحركا.

[4] ث + بأن لهم الجنة. سورة التوبة، ١١١/٩.

[5] سورة الصف، ١٠/٦١.

[6] ر م: خسر.

[7] جميع النسخ: الخسران. والترجيح من المرجع السابق.

[8] ر ث م: الآية.

[9] ن: لقرب.

[10] ث: ما ذكر استثناء.

[11] جميع النسخ: في تلك الحالة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٩ظ.

وقوله عز وجل: **وعملوا الصالحات**، يُحتمل أن يكون تأويله الصالحات التي كانت معروفة في الكفر والإسلام من حسن الأخلاق وغيره. ألا ترى أنه قال: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ،[1] يقول:[2] المعروف هو المعروف الذي[3] هو معروف في الطبع والعقل، والمنكر الذي ينكره العقل وينفر عنه الطبع. وإن كان المراد منه الكفرَ فكأنه قال: إن الكافرين في هلاك وخسار إلا من آمن بالله تعالى ورسله[4] وعمل صالحا.

ثم في هذه السورة ذكر الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وكذلك ذكر الصالحات في سورة التين،[5] وتَرَكَ ذكر الصالحات في سورة الكَبَدِ؛[6] فكأن الله تعالى ذكر الصالحات في تلك السورة لما قد كان ذكرها قبل ذلك. ألا ترى إلى قوله تعالى: أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ،[7] وغير ذلك.

وقوله تعالى: **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**. الحق في الأصل كل ما يحمد عليه فاعله، والصبر هو الكفُّ عن كل ما يُذمّ عليه[8] فاعله، فكأن التواصيَ بالحق تواصٍ[9] بكل ما يحمد عليه والتواصي بالصبر تواص[10] عن كل ما يذم عليه.[11]

ثم[12] ظاهر قوله تعالى: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ[13] **إلا الذين آمنوا**، الآية، ما يوجب أن من لم يجمع بين هذه الأشياء التي ذكرها لفي خُسْرٍ، فيكون ظاهره حجة للخوارج والمعتزلة.

---

[1] سورة آل عمران، ١١٠/٣.
[2] ر م: تقول؛ ث: نقول.
[3] ر: التي.
[4] ن ث: ورسوله.
[5] يشير إلى قوله تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ (سورة التين، ٦/٩٥).
[6] وقد سمّى المؤلف رحمه الله هذه السورة بسورة الكبد إشارة إلى الآية ٤ منها. يقول الله تعالى: ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ (سورة البلد، ١٧/٩٥).
[7] سورة البلد، ١٤/٩٠.
[8] ث - عليه.
[9] جميع النسخ: تواصي.
[10] جميع النسخ: تواصي.
[11] ث + فاعله فكان التواصي بكل ما يحمد عليه.
[12] ر ث م - ثم.
[13] الآيتان السابقتان.

إلا أن الانفصال عن هذا -والله أعلم- أن الله تعالى وعد الجنة لمن جمع هذه الأشياء التي ذكر في هذه الآية، وذكر الإيمان مفردا في آية أخرى ووعد عليه الجنة.[1] فلا يخلو وعده الجنةَ على الإيمان[2] المفرد في تلك الآية من أحد وجهين.[3] إما أن يكون ذكر الإيمان مفردا وأراد به الاكتفاء عن ذكر الجملة، فيكون في ذكر طرف منه ذكرٌ[4] لجملته.[5] أو يكون في إيجاب الجنة له على مفرد الإيمان، فالحال فيه موقوفة لأن الله تعالى[6] أوجب الجنة ولم ينف إيمانه عمن ينقص عن ذلك، فالحال فيه موقوفة على دليله. وإذا كان كذلك لم يُقطع[7] القول على إيجاب الجنة لمن أتى بالإيمان مفردا وعلى إيجاب النار، فيكون السبيل فيه على الرجاء لأنه لو لم يُذكر كان يقع به اليأس.[8]

وأصل كل عبادة في الدنيا إنما بنيت على الرجاء والخوف، فلذلك[9] كان الأمر على ما وصفنا. أو نقول بأن الله عز وجل أوجب النار على من أتى بجميع السيئات، ولم يكن فيه دليل على من أتى بالكفر وحده لا يستوجب به[10] نارا. فكذلك الله سبحانه وتعالى وإن أوجب الجنة لمن جمع بين هذه الأعمال فلا يدل على أن من أتى بالإيمان وحده لا يستوجب به[11] الجنة.[12]

وعلى أنه يجوز أن يكون استثناءُ كلِّ من أتى بشيء من هذه الأفعال[13] بالانفراد، فيكون فيه استثناء كلِّ طائفة من ذلك على حِدَةٍ، كأنه قال: إلا الذين آمنوا، وإلا الذين[14] عملوا الصالحات،

---

[1] ث – لمن جمع هذه الأشياء التي ذكر في هذه الآية وذكر الإيمان مفردا في آية أخرى ووعد عليه الجنة. انظر مثلا: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (سورة الحديد، ٢١/٥٧).

[2] ر ث م: عن الإيمان.

[3] ر: الوجهين.

[4] جميع النسخ: ذكرا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٩ظ.

[5] م: بجملته.

[6] جميع النسخ: ولأن الله تعالى. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ث: لم يقع.

[8] وعبارة الشرح هكذا (ورقة ٣٥٩ظ): لأنه لو لم يذكر كان يقع الإياس به.

[9] ر م: فكذلك.

[10] ن – به.

[11] ر م – به.

[12] انظر: للمناسبة أو الاتصال بين الإيمان والعمل الصالح: *كتاب التوحيد* للإمام الماتريدي، ٥٧٩-٥٨٤.

[13] ر م: الأعمال.

[14] ر م – آمنوا وإلا الذين.

وإلا الذين تواصوا بالحق. وإذا كان كذلك لا يكون حجة لهم وإذا أريد به الجمع يكون حجة، فجاء التعارض / والاحتمال فوجب التوقف. [٩٢١و]

ويحتمل أن يراد به الاعتقاد، أي إن الإنسان لفي خسر إلا[1] من آمن واعتقد هذه الأعمال الصالحة، كقوله تعالى: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[2] الآية.

والله أعلم.[3]

[1] ر م + الذين آمنوا.

[2] سورة التوبة، ٩/٥.

[3] ث + وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الهمزة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[١]

قوله تعالى: **ويل لكل همزة لمزة**، اختلفوا في معنى الهمزة واللمزة. فقال بعضهم: معناهما واحد وهو الدفع والطعن. وقال بعضهم: الْهُمَزَة، هو الذي يؤذي جليسه بلسانه، واللمزة الذي يؤذي[2] بعينه وغير ذلك. وقال بعضهم: الهمزة، الذي يطعنه عند حضرته، واللمزة الذي يطعنه عند غَيبته. وهذا إنما يسمى به من يعتاد ذلك الفعل، وأهل اللغة وضعوا[3] هذا المثال، وهو فعل لمن يعتاد ذلك الفعل ويحترفه. قال أهل التأويل: إن الآية في الكفار، لكنّ بعضهم قالوا: نزلت في الأخنس[4] بن شَرِيق.[5] وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة.

---

[1] ر – سورة الهمزة؛ ث + وهي تسع آيات مكية.

[2] ن ت: يؤذيه.

[3] ر ث م: وصفوا.

[4] ن: في أخنس.

[5] جميع النسخ: بن سريق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٩ظ. الأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفي، أبو ثعلبة، حليف بني زُهرة. اسمه أُبَي، وإنما لقب الأخنس، لأنه رجع ببني زهرة من بَدْر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير، فقيل: خَنِس الأخنس ببني زهرة، فسمي بذلك. ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة، وشهد حُنينًا؛ ومات في أول خلافة عمر (*أسد الغابة في معرفة الصحابة* لابن الجوزي، ١/١٦٦؛ *والإصابة في تمييز الصحابة* لابن الحجر، ١/١٩٢).

ولقائل أن يقول: إن الآية نزلت في الكفار، وكذلك كثير من الآي من قوله تعالى: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ،[1] ونحوها. ومعلوم أنه [إذا][2] وجد منهم هذا الفعل أو عُدم[3] استوجبوا ما ذكر من العقوبات وأشد، مع أن الذي فيه من الكفر أقبح من هذين الفعلين فكيف وقع تعييرهم بذلك؟

والجواب عن هذا وأمثاله من نحو قوله تعالى: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، وقوله: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ [وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ][4] وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ،[5] فهم وإن أقاموا الصلاة وأعطوا الزكاة، لم يزل عنهم عقوبة النار. والجواب عنه أن الإيمان لم يَحْسُن لاسمه ولا قَبُحَ الكفر لنفس اسم الكفر، لأنه ليس أحد ممن يذهب مذهبا ويدين دينا إلا وهو يكفر بشيء ويؤمن بشيء، لأن المسلم مؤمن بالله تعالى كافر[6] بالطاغوت، والكافر يكفر بالرحمن ويؤمن بالطاغوت ويعبده. فثبت أن الإيمان ليس يحسن لنفس اسم الإيمان، ولا قبح الكفر لعين اسم الكفر. ولكن الإيمان بالله تعالى إنما حَسُن بحُسْنٍ[7] من حيث أوجبت الحكمة الإيمان به وقبح الكفر لأن الحكمة أوجبت ترك الكفر بالله تعالى، فالإيمان حَسَن لما فيه من المعنى والكفر قبيح لما فيه من[8] معنى الكفر. وهذان الفعلان[9] قبيحان في أنفسهما لا بغيرهما، فكان التعيير الذي يقع بهذين الفعلين أكثر وأبلغ منه في تعييرهم بالكفر، لذلك عيرهم الله تعالى بهذين الفعلين.

ووجه آخر أن هذا يخرج مخرج الموعظة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُهْمَز به ويُسخر عنه لما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ولا يَحْمله[10] ما كانوا يتعاطَونه على ترك أمرهم بالمعروف ونهيهم[11] عن المنكر لئلا يمتنع أحد من أمته عن الأمر بالمعروف[12] والنهي عن المنكر لِما يخشى أن يُسخر به أو يُستهزأ.

---

[1] سورة المطففين، ١/٨٣.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٠و.
[3] ر ث م: أو عدمه.
[4] الزيادة من المرجع السابق.
[5] سورة المدثر، ٤٣/٧٤-٤٦.
[6] ر م: كافرا.
[7] ن ث: لحسن.
[8] م + المعنى والكفر قبيح لما فيه من.
[9] أي الهَمْز واللمز.
[10] ر ث م: ولا يحملة.
[11] ن: وينهاهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر ث م - ونهيهم عن المنكر لئلا يمتنع أحد من أمته عن الأمر بالمعروف.

والثالث أن يكون هذا على وجه المكافأة[١] والانتقام لما كانوا يفعلون بمحمد[٢] صلى الله عليه وسلم على الزجر والردع عن ذلك، إذ العقلاء يمتنعون عن الأفعال القبيحة. فعلى هذه الوجوه يحتمل معنى تعييرهم.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾[٢]

وقوله تعالى: **الذي جمع مالا وعدده**، قرئ على التخفيف: جَمَعَ، من الجمع، أي جمع ماله عنده ولم يُفرِقه، **وعدّده**،[٣] أي حفظ عدده وذكره على الدوام لئلا يَنقُصه وَصْفُه بالبخل والشُّح. ومن قرأه بالتشديد[٤] فمعناه أنه جَمَّعَه وَادَّخره بِمَمَرّ الزمان، لم يجمع ذلك في أيام قصيرة.[٥] والأصل جَمَعَه بالتخفيف لكن شَدَّد[٦] لما فيه من زيادة الجمع.

*وقيل: **عَدَّده**، أي أكثر عدده. وقال الحسن: **عدده**، أي صنّفه[٧] فجعل ماله أصنافا، وأنواعا[٨] من الإبل والغنم والبقر والدُّور والعقار والمنقول وغيرها.[٩] وقيل: **عدده**، أي استعده وأعده وهيأه.* [٩٢١و س٣١ ٩٢١و س٣٣]

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾[٣] ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾[٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾[٥]

وقوله تعالى: **يحسب أن ماله أخلده**، يتوجه وجهين. أحدهما أن يكون[١١] على الحقيقة أنه قدّر عند نفسه[١٢] أنه يبقى لبقاء الأموال له[١٣] لما يرى بقاءه من حيث الظاهرُ بها،

---

[١] ر م: المكافات.
[٢] ر ث م: يفعلون نبينا محمد.
[٣] ر م + وذكره.
[٤] قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف "الَّذِي جَمَّعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ" مشددة الميم (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٧٨).
[٥] م: قصيره.
[٦] ر م: لكن شددها.
[٧] ن م: صنعه.
[٨] ر ث م: أصنافا وجعل أنواعا.
[٩] م: وغيرهما.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٩٢١و/سطر ٣١-٣٣.
[١١] ث - أن يكون.
[١٢] جميع النسخ: عنده نفسه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٠و.
[١٣] ن - له.

فتقرر عنده أن ما آتاه الله تعالى من الأموال هو رزقه، فيعيش[1] إلى أن يستوفي جميع رزقه، فيجمعه ويدخره[2] لكي يزيد في عمره. والوجه الثاني أن يكون على الظن والحسبان، كأنه يقول: جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ،[3] جمع من يظن أن ماله يزيد في عمره. فإن كان على التأويل الأول فقوله: **كَلَّا**، رد عليه، أي ليس كما قدّره عند نفسه. وإن كان على التأويل الثاني فعلى إيجاب عقوبة مبتدأة.[4]*

وقوله تعالى: **لينبذن في الحطمة**، قيل: باب من أبواب النار، وقيل: هي صفة النار، والْحَطْمُ، هو الكسر[6] فكأنه قال: النار التي يعذب بها الكفرة تَكْسر عظامهم وتَحْطِمهم.[7]

﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾[٦] ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[٧]

وقوله تعالى: **نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة**، قيل: إن[8] النار تأتي[9] على جلودهم ولحومهم وعروقهم[10] وعظامهم[11] حتى تأكلها،[12] وتكسر العظام،[13] فتطّلع على أفئدتهم، فحينئذ يتبدلون جلودا غيرها ليذوقوا العذاب.[14] وقيل: إنما تُحرق[15] النار منهم كل شيء سوى الفؤاد لأن الفؤاد إذا احترق لم يتألّم بعد ذلك ولم يشعر بالعذاب. والمراد من / الإحراق [٩٢١ظ] إلحاق الألم والضرر بهم.

---

[1] ر ث م: فتعيش.
[2] ن: وتدخره.
[3] الآية السابقة.
[4] ن ث: مبتدأه.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٢، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٩٢١و/سطر ٣١-٣٣.
[6] ن: هو بالكسر.
[7] جميع النسخ: يكسر عظامهم ويحطمهم.
[8] ر م - إن.
[9] ر ث م: يأتي.
[10] ر م: وعروقهم ولحومهم.
[11] ن - وعظامهم.
[12] ر: حتى تأكلهم.
[13] ن: حتى يأكلها ويكسر العظام.
[14] يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نُصليهم نارا كلما نَضِجَتْ جلودهم بَدَّلْنَاهم جلودًا غيرهَا ليَذُوقُوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما﴾ (سورة النساء، ٤/٥٦).
[15] ن: إنما يحرق.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾[٨] ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾[٩]

وقوله: **إنها عليهم مؤصدة في عمد ممدّدة**، قرئ[١] عُمُدٍ برفع العين والميم،[٢] وقرئ بالنصب فيهما. وذكر عن الفراء أنه قال: العُمُدُ وَالْعَمَدُ جماعات للعَمُودِ وَالْعِمَادِ.[٣] وقال بعضهم: العَمَد جمع العَمَدَةِ[٤] نحو بقرة وبقر. وقال الكلبي: **إنها عليهم مؤصدة في عمد**، أي النارُ عليهم مُطْبَقَة، يقول:[٥] طَبَقُها مُمَدَّد[٦] في عُمُد من نار ممددة عليهم من فوقهم، والعُمد كعمد أهل الدنيا غير أنها من نار تُمدّ[٧] عليهم. *والله أعلم*.[٨]

---

[١] ن: فهي.

[٢] قرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي وخلّف "فِي عُمُدٍ مُمَدَّدَةٍ" بضم العين والميم (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٧٨).

[٣] قال الفراء: والعُمُد، والعَمَد جمعان للعمود، مثل: الأديم والأُدُم والأَدَم، والإهَاب والأُهُب والأَهَب، والقضيم والقَضَم والقُضُم، ويقال: إنها عُمُد من نار (*معاني القرآن* للفراء، ٣/٢٩١).

[٤] ر: العمده.

[٥] ر م: تقول.

[٦] ر ث ن: ممددة؛ م: ممدودة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٠ظ.

[٧] جميع النسخ: يمد. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ر + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفيل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾ [١]

قوله تعالى:[2] **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.** اختلفوا في السبب الذي به وقع القصد من أصحاب الفيل إلى تهديم البيت وتخريبه. فمنهم من قال: إنهم اتخذوا بيتا في بلادهم وسمّوه كعبة لكي ينتاب الناس إليه كما ينتابون[3] إلى الكعبة، فأبى الناس[4] إتيان ذلك البيت، فغاظهم ذلك حتى قصدوا تهديم[5] هذا البيت. ومنهم من قال: إن العرب حرّقوا بيعةً كانت لهم أو خرّبوها،[6] فغاظهم ذلك حتى أرادوا تهديم هذا البيت جزاء بما فعلت العرب بهم. ومنهم من قال: إنهم كانوا ملوكا وفراعنة، ومن عادتهم أنهم يعادون من ضادّهم في ملكهم وسلطانهم. وأيّ ذلك كان فلا حاجة إلى معرفته وإنما حاجتنا إلى تعرّف[7] المعنى الذي به أنزلت السورة وثبت.[8]

---

[1] ر – سورة الفيل؛ ن م: ذكر أن سورة الفيل مكية؛ ث + وهي خمس آيات مكية.

[2] ن – قوله تعالى.

[3] ر: لكي ينساب الناس إليه كما ينسابون.

[4] ر ث م + إلى.

[5] ن ث: بهدم.

[6] جميع النسخ: وخربوها.

[7] جميع النسخ: إلى تعريف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٠ظ.

[8] جميع النسخ: ويثبت. أي ثبت معناها وفحواها.

وتأويل ذلك يخرج على أوجه ثلاثة. أحدها أن الله تعالى ذكرهم تلك النعم التي أنعمها عليهم في صرف من أراد إهلاكهم، فإنهم قصدوا قتل أهل مكة، وسَبْيَ نسائهم وذَراريهم، وأخْذَ أموالهم، فذكرهم الله تعالى جميل صنيعه[1] بهم ليشكروا له ويعبدوه حق عبادته، وينزجروا[2] عن عبادة غيره.

والوجه الثاني أن الله تعالى خوّف أهل مكة. ووجه ذلك أن الله تعالى لما أهلك أصحاب الفيل بما ضيّعوا حرمة بيته فلا يأمن أهل مكة من إهلاكه إياهم وتعذيبهم بما ضيعوا حرمة رسول الله[3] صلى الله عليه وسلم، مع أن حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم من حرمة البيت. فلما نزل بأولئك ما نزل لِما جاء منهم من تضييع حرمة بيته فَلَأَنْ يُخشَى [نزول][4] عذابه ونِقمته من تضييع حرمة رسوله أولى.

والوجه[5] الثالث أن الله تعالى لمّا أهلك أولئك لِما أراهم من آياته فلم ينصرفوا، لأنه ذُكر أنهم كانوا إذا وجّهوا الفيل نحو البيت امتنع ووقف، وإذا وجهوه[6] نحو أرضهم هَرول وتسارع، فلما رأوا[7] ذلك ولم ينصرفوا أهلكهم الله تعالى. فلا يؤمَن على أهل مكة أيضا أنهم لما رأوا الآيات والمعجزة[8] من الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا أن يهلكهم الله سبحانه وتعالى وينتقمَ منهم بعقوبته. فعلى ما ذكرنا يخرج معنى نزول السورة.

وقيل: إنه على البِشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، على[9] الإشارة أنه لم يكن للبيت ناصر في ذلك الوقت ولا مُعينٌ، بل كان وحده، فنصره الله تعالى حتى لم يتمكّن[10] أعداؤه من هدمه. فعلى ذلك ينصرك ويعينك ويهلك عدوك وإن كنت أنت وحدك، إذ كان[11] وقتَ نزول هذه السورة لم يكن له كثير أعوان، وقد فَعل ذلك يومَ بدر.

---

[1] جميع النسخ: صنعه.
[2] ر م: ويزجروا.
[3] ر: رسوله.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٠ظ.
[5] ر م: الوجه.
[6] ر م: وجهوا.
[7] ث: فلما رأو.
[8] جميع النسخ: المعجزة.
[9] ر + البشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
[10] ر م: لم يمكن.
[11] ر م: إذا كان.

ثم قوله: **ألم تر**، حرف استعمل في تذاكر أعجوبة قد كانت وعرفوها ثم أُغفلوا[١] عنها أو فيما لم يكن؛ فيُعَجِّبهم[٢] بما فعل بأعدائه ليحملهم على الزجر والانتهاء عما حرم الله تعالى. فكأنه قال: رأيتَ ربك كيف فعل[٣] بأصحاب الفيل؟ ويجوز أن يكون الخطاب منه للنبي عليه الصلاة والسلام والمراد غيره، ويجوز أن يكون هذا خطابا لكل واحد منهم.

ثم تسميتهم أصحاب الفيل ونسبة الفيل إليهم يحتمل وجهين. أحدهما أي الذين[٤] صحبوا الفيل. والثاني أصحاب الفيل، أي أرباب الفيل، كما يقال: رب الدار وصاحب الدار.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾[٢]

وقوله تعالى: **ألم يجعل كيدهم في تضليل**، أي أبطل ما قدَّروه عند أنفسهم من تخريب البيت وتهديمه. والكيد ما ذكرنا بَدْءًا.[٥]

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾[٣]

وقوله تعالى: **وأرسل عليهم طيرا أبابيل**، جماعاتٍ متفرقةً جماعة جماعةً. [يقول لم يرسلهم جملة واحدة ولا واحدا بعد واحد، بل جماعة بعد جماعة].[٦] وهكذا السنة في الخروج لمحاربة[٧] أعداء الله تعالى أن يخرجوا جماعة جماعة. وقيل: هي طير لم يُرَ قبلها ولا بعدَها مثلُها لها رءوس كالسباع. وقيل: شبيهة برجال الهند.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾[٤]

وقوله تعالى: **ترميهم بحجارة من سجيل**، اختلفوا في السجيل. قال بعضهم: هو اسم موضع خلقت حجارته لتعذيب الفراعنة وإهلاكهم. وقال بعضهم: فارسية معرَّبة وهي "سَنْك كِلْ"،[٨] وهو الآجُرُّ في التقدير. وقال بعضهم: هذه عبارة عن [غاية][٩] شدة الحجارة وقوته.

---

[١] جميع النسخ: ثم غفلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٠ظ.
[٢] أي قول الله تعالى.
[٣] ث + ربك.
[٤] ر ث م: أي الذي.
[٥] أي في ابتداء السورة.
[٦] الزيادة من المرجع السابق.
[٧] ر م: المحاربة.
[٨] جميع النسخ: وكل.
[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦١و.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[٥]

وقوله تعالى: **فجعلهم كعصف مأكول**. قالوا: العصف هو ورق الزرع أو ورق كل نابت. وقوله: **مأكول**، ينحو[1] نحوين ويتوجه وجهين: إلى ما[2] قد أُكل وإلى ما لم يؤكل، إذ ما لم يؤكل إذا كان مُعَدًّا للأكل يسمى[3] مأكولا. فإن كان غير المأكول فكأنه قال: جعلهم في الضعف والرخاوة مع قوتهم وسلطانهم كعلف الدواب، حتى لا يُخاف منهم بعد ذلك أبدا. [٩٢٢و] / وإن كان على المأكول فهو أنه تعالى جعلهم كالمأكول [حتى لا يُعْبَأ به ولا يذكر آخِرَ الدهر. وقيل: يصير كالمأكول][4] الذي أكله[5] الدود فيكون فيها ثقب. ***والله أعلم***.[6]

---

[1] ر: ينحوا.
[2] ن + إلى؛ ث + إلى أن.
[3] ر ث م: سمى.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦١و.
[5] جميع النسخ: التي أكلتها. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر ن + بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة قريش[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[١] ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[٢] ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ﴾[٣] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[٤]

قوله تعالى: **لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف**؛ هذا يخرج على وجوه. أحدها ما قال الفراء: إن اللام لام الاعتلال، لأن [هذه][2] السورة صلة لسورة[3] أَلَمْ تَرَ،[4] قال:[5] فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ،[6] **لإيلاف قريش**؛ كأنه يقول: أهلكت أصحاب الفيل وفعلت بهم ما فعلت لتآلُفِ[7] قريش بذلك المكان، كما أَلِفوا به الرحلتين اللتين جُعلتا[8] لهم في الشتاء والصيف.

والثاني يحتمل أن يقول: ألزمت الخلق عبادة رب هذا[9] البيت حتى أَلِفُوا ذلك البيت، وحملوا ما يحتاج إليه قريش وأهل ذلك المكان من الطعام وما يتعيّشون به، لتآلف قريش بعبادة رب ذلك البيت ما لولا ذلك لم يتهيأ لهم المُقام بذلك المكان؛ لأنه لا زرع فيه ولا نبات ولا ما يُتعيّش به.

---

[1] ر – سورة قريش؛ ن: سورة لإيلاف؛ ث: سورة القريش وهي أربع آيات مكية؛ م: سورة لإيلاف قريش.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦١و.

[3] ر ث م – لسورة.

[4] انظر: *معاني القرآن* للفراء، ٣/٢٩٣.

[5] أي قال الله تعالى.

[6] سورة الفيل، ٥/١٠٥.

[7] ر م: لتأليف.

[8] جميع النسخ: جعلنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦١و.

[9] ن ث: هذه.

وهو كما قال إبراهيم عليه السلام: بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ.[1] وإنما تعيشهم في ذلك المكان بما يُحمَل إليهم من الآفاق والأمكنة النائية، كقوله: أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا،[2] الآية. وقال بعضهم: أمرت[3] قريش أن يؤالفوا عبادة رب هذا البيت كإيلافهم رحلة الشتاء والصيف. يقول: كما آلفتم هاتين الرحلتين فَأْلَفوا عبادة رب هذا البيت.

وقال بعضهم: إن أهل مكة كانوا يرتحلون تجارا آمنين في البلدان، لا يخافون شيئا لحرمتهم؛ لأن الناس يحترمون لهم لمكان الحرم، حتى لا يُتعرَّض لهم بشيء ولا يؤذيهم أحد. حتى إن كان الرجل منهم لَيصابُ في حي من الأحياء يقال: "هذا حَرَمِيٌّ" فيخلَّى[4] عنه وعن ماله تعظيما لذلك المكان، وهو ما قال: **وآمَنَهم من خوف**.

وقيل: إن العرب كانت يُغِير[5] بعضهم على بعض ويَسبي بعضهم بعضا، وأهل مكة كانوا آمنين في حرم الله تعالى، كقوله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ.[6] فذكر عظم[7] نعمه عليهم ومننه ليعلموا [ب]ذلك أنه منه.

وأصله أن الله تعالى لما كان من حكمته وإرادته جعل الرسالة في قريش وإبقاؤُها إلى الوقت الذي أراد أن يبقى جعل لهم من الأمن[8] في ذلك المكان والأرزاقِ التي تُجبَى[9] إليهم وما يتعيشون به[10] في ذلك ليبقَوا إلى الوقت الذي أراد بقاءهم إليه فيكون ما أراد على ما أراد. فكما أنشأ هذا العالم للبقاء إلى الوقت الذي أراد أن يبقَوا فيها جعل لهم من الأرزاق ما يبقون إلى الوقت الذي أراد، ليكون ما أراد. فعلى ذلك الأول.

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿ربّنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربّنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (سورة إبراهيم، ٣٧/١٤).

[2] سورة القصص، ٥٧/٢٨.

[3] جميع النسخ: أقرت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦١و.

[4] ر م: فخلي.

[5] جميع النسخ: تغير.

[6] سورة العنكبوت، ٦٧/٢٩.

[7] ر ث م: عظيم.

[8] ر ث م: من الأمر.

[9] ر ث: تحبا؛ ن: تجبا.

[10] ر ث م – به.

قال القُتَبِي: الإيلاف مصدر آلفتُ فلانا كذا إيلافا، كما تقول:[١] ألزمته إلزاما.[٢] وقال الكسائي: أَلِفت المكان وآلفتُه لغتان.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: **لإيلاف قريش**، أي كصنيع قريش.[٣] **إيلافِهم**، أي صنيعهم، **رحلةَ الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع** التِينين[٤] الذي أصابهم، **وآمَنَهم من خوف**، العدو. ***والله أعلم.***[٥]

---

[١] ن: كما يقول.

[٢] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٥٣٩.

[٣] ث - أي كصنيع قريش.

[٤] أي القحط والجدب.

[٥] ر + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ث + وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين؛ م - والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الماعون[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾[١]

قوله تعالى: **أرأيت الذي يكذب بالدين**، اختلف في نزوله.[2] قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي مدنية، وقال مقاتل ومجاهد وجماعة: هي مكية. وجائز أن يكون أولها نزل بمكة،[3] لأن الذي ذكر أنها نزلت في شأنه كان مكيا وهو العاص بن وائل السهمي،[4] مع ما أنهم هم الذين يكذبون بيوم الدين. وآخرها نزلت بمدينة،[5] لأن في آخرها وصف المنافقين، وهو ما ذكر من المراءاة[6] في الصلاة ومنع ما ذُكر.[7] ثم إن كان نزولها في الكفرة فالجهة فيه والمعنى غير الجهة والسبب لو كانت نزلت في المنافقين.

ثم قوله عز وجل: **أرأيت**، حرف يستعمل[8] في موضع السؤال والاستفهام. ويجوز أن يكون استعماله على وجه التقرير عند السائل لما يراد به إعلامه، على سبيل ما روي في الخبر:

---

[1] ر – سورة الماعون؛ ث + وهي سبع آيات مكية.

[2] ر: اختلف نزوله.

[3] ث: مكة.

[4] العاص بن وائل السهمي، من قريش، أحد الحكام في الجاهلية، وأدرك الإسلام وظل على الشرك. يعدّ من المستهزئين ومن الذين ماتوا كفارا وثنيين. مات نحو سنة ٦٢٠ م. (الأعلام للزركلي، ٢٤٧/٣).

[5] ث: بالمدينة.

[6] م: من المرائيات.

[7] ن – لأن في آخرها وصف المنافقين وهو ما ذكر من المراءاة في الصلاة ومنع ما ذكر.

[8] ن ث: مستعمل.

«أرأيت لو كان على أبيك دَين فقضيته، أمَا قُبل منك؟»[1] وكان ذلك في موضع التقرير. فكذلك قوله: **أرأيت**، معناه[2] -والله أعلم- أن اعلم أن الذي[3] يَدُعُّ اليتيم ولا يحض على طعام المسكين هو الذي يكذب بالدين.

قال أهل التأويل جميعا: **يكذب بالدين**، أي بالحساب والبعث. وجائز أن يكون **يكذب بالدين**، الذي[4] يظهر، أي يكذب بالدين الذي أظهر[ه] لك ولا يحقق[ه]، إن كان في المنافقين، لأن أهل النفاق كانوا يكذّبون ما يظهرون[5] من الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. وإن كان في أهل الكفر فهو على الرؤساء منهم، فتكذيبهم بالدين هو ما كانوا يظهرون لأتباعهم من الجهد والشدة، يُموِّهون بذلك / على أتباعهم، ليقع عندهم أن الذي هم عليه حق، وأن الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم باطل. فيكذبون بالدين الذي يُرُون من أنفسهم ويُظهرون بالتمويهات التي يموّهون بها عليهم. فكيف ما كان -أنْ كانت نزلت[6] في المنافقين أو في أهل الكفر أو في الذي كذّب بالحساب والبعث أو بالذي ذكرنا- [فـ]إنه يُظهر خلاف ما يُضمر. [٩٢٢ظ]

وفيه[7] عظة وتنبيه للمؤمنين وزجر لهم عن مثل صنيعهم، لأنه نعت الذي كذب بالدين إن كان المراد به الحساب أو الدين نفسَه حيث قال.[8]

﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[٢] ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[٣]

كأنه قال: الذي يكذب بالدين هو الذي يدعُّ اليتيم،[9] أي يظلم اليتيم ويمنع حقه،[10] ولا يحض على طعام المسكين. يقول -والله أعلم-[11] للمؤمنين: لا تظلموا اليتيم ولا تمنعوا حقه،

---

[1] رواه أحمد عن سودة بنت زمعة قالت: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن أبي شيخ كبير لا يستطيع أن يَحُج. قال: «أرأيتك لو كان على أبيك دين فقضيته عنه، قبل منك؟» قال: نعم. قال صلى الله عليه وسلم: «فالله أرحم، حُجَّ عن أبيك» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٢٩/٦؛ و*سنن النسائي*، المناسك ١١).

[2] ث + التقرير.

[3] ر: أن اعلم من الذي.

[4] ر ث م - الذي.

[5] ر م: يظهر.

[6] م - نزلت.

[7] ن: ففيه.

[8] ر ن م + فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين؛ ث + فذلك الذي يدع اليتيم؛ ن - حيث قال.

[9] ث - كأنه قال الذي يكذب بالدين هو الذي يدع اليتيم.

[10] ر: وحقه يمنع.

[11] م - أعلم.

ولا تسيئوا صحبة اليتيم كما فعل من كذّب بالدين، وحُضّوا على طعام المسكين. يصف بخلهم واستهانتهم اليتيم والمساكين وسوء معاملتهم التي عاملوهم، يعظ المؤمنين ويزجرهم عن ذلك.

وجائز أن يكون قوله: **ولا يحض على طعام المسكين**، لما عندهم بأن من أُعطي المال ووُسّع عليه الدنيا إنما أعطي[1] ذلك لكرامة له عند الله تعالى، ومن ضُيّق عليه ومُنع ذلك عنه لهوانٍ له عنده وحقارة؛ كقوله تعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ،[2] وقوله تعالى: أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ،[3] الآية،[4] يظنون أن الله تعالى منع ممن منع ذلك لهوان له عنده، ومن وسّع عليه وسع لكرامة[5] له عنده، فيقول: كيف أُكرم من أهانه الله تعالى؟ فيحتمل أن يكون ما ذكر أنه لا يحض على طعام المسكين [بهذا المعنى]،[6] ويحتمل أن يكون الذي حمله على ظلمه اليتيم وتركِه إطعامَه[7] تكذيبَه بالبعث، لأنه ليس لليتيم من ينصره ويقوم بدفع[8] من يقصد ظلمه ويمنع حقه، وكان لا يخاف عقوبة البعث إذ لا يؤمن به.

ثم يحتمل قوله: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ[9] **فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين**،[10] أن يكون في[11] الاعتقاد والرَّوِيَّة؛[12] ويحتمل أن يكون في حق الفعل نفسه. فإن كان في الاعتقاد والروية[13] فأهل الإسلام لا يعتقدون[ه]. وإن كان في حق الفعل فإنهم ربما يفعلون ذلك. وحمله عندنا على الاعتقاد أوجب وأقرب لما وصفنا أن اليتيم لا ناصر له،

---

[1] ن – إنما أعطي.

[2] سورة الفجر، ٨٩/١٥-١٦.

[3] ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ (سورة يس، ٣٦/٤٧).

[4] ن – الآية.

[5] ر: لكرامته.

[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦١ظ.

[7] ن: إطعام.

[8] م: يدفع.

[9] الآية السابقة.

[10] ر ث م + الآية؛ ن – على طعام المسكين.

[11] ن – في.

[12] جميع النسخ: والرؤية. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] جميع النسخ: والرؤية. والتصحيح من المرجع السابق.

وليس للكافر خوف العاقبة[1] لما لا يؤمن بذلك. وإنما يمتنع المرء في الغالب من سوء الصحبة لهذين: إما [لـ]رغبة في جزاء الآخرة أو خوف المكافأة[2] في الدنيا. والمساكين ليس لهم في الدنيا من[3] يكافئهم ويجازيهم،[4] وليس لليتيم ناصر ليُخاف منه، ولم يكن للكافر رغبة في ثواب[5] الآخرة ولا خوفٌ عن العقاب لعدم تصديقه بذلك.

ثم قوله عز وجل: **ولا يحض على طعام المسكين**، هو النهاية في وصفه بالبخل؛ لأن الحَثَّ على الصدقة أن يرجّيه ويُطمعه في ثوابه؛ فإذا لم يرجُ هو بنفسه فكيف يُرجّي غيره. مع ما أن الحكمة عند هؤلاء الكفرة أنّ[6] من جرّ إلى نفسه نفعا فهو الحكيم، ومن ضر نفسه فهو جائر غير حكيم. وهو إذا منع الصدقة نفع نفسه، وإذا أوفى اليتيم حقه ضرّها؛ فلذلك لا يرغب فيها. فهذا المعنى الذي وصفناه دعانا إلى توجيه التأويل إلى الاعتقاد.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [٤] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [٥] ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [٦]

وقوله عز وجل: **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**، إن كان هذا في أهل النفاق فأهل النفاق كذلك، كانوا لا يفعلون شيئا من الطاعات إلا وكانوا عنها لاهين ساهين، وإذا فعلوا شيئا منها فعلوه[7] مراءاة، كقوله تعالى: يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا،[8] وقوله: وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ،[9] فذكر كَسَلهم وبخلهم. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **فويل للمصلين**، إلى آخر[10] ما ذكر في المنافقين على ما ذكرنا من نعتهم. وجائز أن يكون في أهل الكفر؛ وأهل الكفر كانوا يصلون، كقوله: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً،[11] أخبر أن صلاتهم في الحقيقة ليست بصلاة.

---

[1] ن: للعاقبة.
[2] ر: المكافات.
[3] جميع النسخ: ما.
[4] أي يجازي من يظلمهم ويمنع حقهم.
[5] ر م + الدنيا و.
[6] ر م – أن.
[7] ر ث م: فعلوا.
[8] سورة النساء، ١٤٢/٤.
[9] سورة التوبة، ٥٤/٩.
[10] ن – آخر.
[11] سورة الأنفال، ٣٥/٨.

فجائز أن يكون على صورة الصلاة[1] الحقيقية،[2] وقد ذُكر أنهم كانوا يصلون مستقبلين نحو أصنامهم يُرُونَ الناس كثرة[3] اجتهادهم في طاعة الأصنام،[4] حتى إذا رآهم[5] من نأى عنهم ظن أن ذلك[6] حق. فيكون في ذلك صد عن إجابة الرسول ودفع وجوه القوم عنه، فذلك[7] قوله: إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً.[8] ويحتمل أن يكون كناية عن الخضوع والتذلل، فيكون معناه: ويل للذين لا يخضعون ولا يخشعون.

وقوله عز وجل: **الذين هم عن صلاتهم ساهون**، يحتمل وجهين. أحدهما أي سَهَوْا عن صلاتهم لأنفسهم، وصلاتهم التي هي لأنفسهم هي أن تكون[9] الصلاة لله تعالى و[أن] يجعلوها له[10] ولا يصلون لغير الله من الأصنام وغيرها، لأن من صلى لله تعالى يرجع منفعتها[11] في الحقيقة إليه لما تعلق بها من الجزاء الجميل. فهم بالسهو عن تلك الصلاة وتركها مُلحقون الضرر بأنفسهم، وجعلوها للأصنام التي لا تضر ولا تنفع.

والثاني سَهَوا[12] الصلاة / حين أضاعوها. وهو ما ذكر في حرف ابن مسعود في قوله [٩٢٣و] عز وجل: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.[13] فيقول: سَهَوا[14] الصلاة فلم تمنعهم[15] عما ذكر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: هم الذين يؤخرونها[16] عن وقتها.[17]

---

[1] ر ث م - الصلاة.
[2] جميع النسخ: الحقيقة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٢و.
[3] م: كثيرة.
[4] ر: للأصنام.
[5] ر م: إذا رأوا هم؛ ن ث: إذا رأوهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر ث م: ظن أنه.
[7] ن: فكذلك.
[8] سورة الأنفال، ٣٥/٨.
[9] جميع النسخ: أن يكون.
[10] ر م: يجعلونها له؛ ث: ويجعلون له.
[11] ر ث م: منفعته.
[12] ر م: سهوتهم؛ ن ث: سهوهم.
[13] سورة العنكبوت، ٢٩/ ٤٥.
[14] ر ن م: سهيتهم؛ ث: سهتهم.
[15] جميع النسخ: فلم يمنعهم.
[16] جميع النسخ: يؤخرون.
[17] *تفسير الطبري*، ٣٠/ ٤٠٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٤٣/٨.

وقال مجاهد: الساهي الذي لا يبالي[1] صلى أم لا. ألا ترى أنه قال: **الذين هم يراءون**. وقال الحسن: هم المنافقون يؤخرونها[2] عن وقتها ويراءون إذا صلَّوا. وقال سعد:[3] الترك عن الوقت.[4] وقال أبو العالية:[5] الساهي هو[6] الذي لا يدري على شفع انصرف أو على وتر.[7] وروي عن سليمان أنه قال: الحمد لله حيث لم يقل: "في صلاتهم ساهون"، ولكنه قال: **عن صلاتهم ساهون.**[8]

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[٧]

وقوله تعالى: **ويمنعون الماعون**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الزكاة؛[9] رواه ابن الزبير وعكرمة ومجاهد عنه. وروي عن علي رضي الله عنه: هو الزكاة.[10] وعن ابن عباس رضي الله عنه في رواية أخرى: هو العارية.[11] وعن ابن عمر قال: هو الذي لا يُعطَى حقه،[12] وهو الزكاة. وروي عن علي رضي الله عنه في رواية: **الماعون**، منع القِدْر والدلو والفأس.[13] وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله،[14] وكذا عن ابن عباس في رواية.[15] وقال أبو عبيدة: كل ما فيه نفعه فهو الماعون.[16] وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما جاء أجلها[17] بِغَد.[18]

---

[1] ر م: يبلي.

[2] ر م: يؤخرون.

[3] هو سعد بن أبي وقاص. انظر: *المحرر الوجيز* لابن عطية، ٥/٥٢٧.

[4] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٤٦٥؛ و*تفسير الطبري*، ٣٠/٤٠٢.

[5] أبو العالية، رفيع بن مهران الرياحي، تابعي. كان إماما في القراءة والتفسير والعمل، وأخذ القراءة عرضا عن أُبي وزيد بن ثابت وابن عباس. توفي سنة ٩٠هـ/٧٠٩م (*شذرات الذهب*، لابن العماد، ١/٣٦٧-٣٦٨).

[6] ن - هو.

[7] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٤٦٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٦٤٣.

[8] قال عمرو بن أبي سلمة: سمعت عمر بن سليمان يحدث عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذي قال: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ ولم يقل "في صلاتهم" (*تفسير الطبري*، ٣٠/٤٠٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٦٤٣).

[9] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٤/٣٠٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٦٤٥.

[10] *تفسير الطبري*، ٣٠/٤٠٦.

[11] *تفسير الطبري*، ٣٠/٤١١.

[12] *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٦٤٥.

[13] ن: والفأس والدلو. *تفسير الطبري*، ٣٠/٤١١-٤١٢.

[14] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٤٦٤.

[15] ر م + أخرى. *تفسير الطبري*، ٣٠/٤١١.

[16] ن: نفعه من الماعون. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٣١٣.

[17] جميع النسخ: أهلها.

[18] ر ث م: بعد. أي كل شيء أعير للغد أو لزمان مستقبل.

فإن كان ذلك على العواري فالمعنى منها ذم البخل، وأشده[1] منع القرض. وجائز أن يكون **الماعون** كل معروف وكل ما يعان [به]،[2] يدخل[3] في ذلك الزكاة وغيرها. ففيه ذكر بخلهم وشحهم ومنع الحق من المستحق.

قال أبو عَوْسَجَة: **يَدعّ اليتيم**، أي يضرب ويدفع في قفاه، يقال: دَعَّ يَدُعُّ دَعًّا فهو داعٌّ و[ذاك][4] مَدْعُوعٌ. وقال القُتَبِي: **يَدعّ اليتيم**، أي يدفعه؛[5] وكذلك في قوله: يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا،[6] أي يُدفعون.[7]

وقال أبو عَوْسَجَة: **لا يحض**، لا يُحرِّض، ولا يَحُثّ. **ساهون**: غافلون.

وفي حرف[8] ابن مسعود رضي الله عنه: "لَاهُونَ"، و"أَرَأَيْتَكَ"[9] بالكاف،[10] وكذلك في حرف أُبَيّ رضي الله تعالى عنه. ***والله أعلم***.[11]

---

[1] ن: أشدة.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٢و.

[3] ن - يدخل.

[4] الزيادة من المرجع السابق.

[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٤٠.

[6] سورة الطور، ٥٢/ ١٣.

[7] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٤.

[8] الأحرف: الوجوه والأنحاء التي ينحوها القراء. يقال: في حرف ابن مسعود كذا؛ أي في وَجْهه الذي يَنْحرِفُ إليه من وُجوه القراءة انظر: *الفائق في غريب الحديث* للزمخشري، ١/٤٢.

[9] ر ن: وأريتك.

[10] *معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ١٠/٦٠٦، ٦٠٨.

[11] ر + بحقيقة ما أراد الحمد لله رب العالمين وبه نستعين؛ ن م - والله أعلم؛ ث + بحقيقة ما أراد وصلى الله عليه محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكوثر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[١]

قوله تعالى: **إنا أعطيناك الكوثر**، هذا خرج مخرج الامتنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم والإنعام عليه والإفضال ليستأدي بذلك شكره والخضوع له.[2]

ثم اختلفوا[3] في الكوثر. [قال بعضهم: **الكوثر**]،[4] هو الخير الكثير. والخير الكثير ما أعطي من النبوة والرسالة، وما لا ينجو أحد من سخط الله تعالى إلا به، وهو الإيمان به والتصديق له، وما صيّره معروفا مذكورا في الملائكة، وما قرَن ذكره بذكره[5] ورَفَع قدره ومنزلته في جميع الخلائق، وغيرُ ذلك مما لا يحصى، وهو ما قال: وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ.[6]

وقال بعضهم: **الكوثر**،[7] نهر في الجنة. وعلى ذلك جاءت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الكوثر فقال: «نهر في الجنة»،[8] أو قال ذلك من غير سؤال.

---

[1] ر – سورة الكوثر؛ ن: ذكر أن سورة إنا أعطيناك الكوثر مكية؛ ث + وهي ثلاث آيات مكية؛ م + ذكر أن سورة الكوثر مكية.

[2] ن – له.

[3] ن: اختلف.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٢ظ.

[5] أي في كلمتي الشهادة والأذان والإقامة ونحوها.

[6] سورة الانشراح، ٩٤/ ٤.

[7] ر م – الكوثر.

[8] انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٦٧/٢، ١٠٢/٣؛ و*سنن ابن ماجة*، الزهد ٣٩؛ و*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ١٠٨.

فإن ثبت الأخبار فهو ذاك، كُفينا عن ذكره،[1] وإن لم يثبت الأخبار فالوجه الأول أقرب عندنا، لأنه ليس في إعطائه[2] النهر تخصيص في التشريف والعطية؛ لأن الله تعالى وعد لأمته ما هو أكثر من هذا، لما روي في الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:[3] «إن لأهل الجنة في الجنة ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر».[4] ونحن نعلم أن هذا في الإنعام أكثر من النهر الذي وصف.

وقال بعضهم: **الكوثر**، شيء أعطاه الله تعالى رسوله لا يعرف. وأصله أنه شيء خاطب به رسوله وهو قد عرفه، فلا يجب أن يَتكلف معرفته وتفسيره لأنه إن أخطأ لحقه الضرر، وإن أصابه لم ينفع كثيرَ نفع.

وقيل: **الكوثر**، هو حرف أخذ من الكتب المتقدمة.

﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾[٢]

وقوله تعالى: **فصل لربك وانحر**، اختلف فيه. قال بعضهم: حقيقة الصلاة هي الخضوع والخشوع[5] والدعاء. أمره بجميع ما يَعبده في نفسه، وأمره أن يأتي بما يعبده[6] من القرابين والذبائح والضحايا التي فيها نفار الطباع، حتى إن من[7] الكفرة من يحرّم الذبائح والنحر للآلام التي فيها، والطباع ينفر عن ذلك. فتعبده بالذي[8] فيه مناقضة[9] طبعه ونفاره عنه.

وجائز أن يكون لا على[10] الأمر بالصلاة والنحر، ولكن معناه إذا فعلت ذلك فافعل لله، لأن أولئك الكفرة كانوا يصلون للأصنام ويذبحون لها، كقوله: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[11] أي للنصب؛ فأمره أن يجعل ذلك لله تعالى.

---

[1] أي نكتفي بالحديث الصحيح ولا نقول شيئا غيره.
[2] م: إعطاء.
[3] ن - أنه قال.
[4] انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٣١٣/٢؛ وصحيح *البخاري*، التوحيد ٣٥.
[5] ر: والخضوع.
[6] ن: بما تعبده.
[7] ن - من.
[8] ن + فتعبده بالذي.
[9] ن: مناقصة.
[10] ر ث م + رأى.
[11] سورة المائدة، ٣/٥.

وقال الحسن: صل لربك صلاة العيد وانحر البُدْنَ بعدها. وقال مجاهد وعطاء: صل[1] الصبح بجَمْع وانحر بِمِنى.[2] وقال بعضهم: صل لربك حقيقة الصلاة، وهي الصلاة المعروفة المفروضة، وهي[3] مُخُّ العبادة على ما ذكر في الخبر.[4]

وكذلك ما ذكر أن المصلي مناجي الرب تعالى وهو[5] -والله أعلم-[6] لأنه ما من عبادة إلا وفيها شيء من اللذة وقضاء شهوة[7] النفس وأمانيها من السير والركوب والأكل والشرب والكلام والانتقال من موضع إلى موضع، وغير ذلك من الطاعات مما فيه شيء من اللذة للنفس وقضاءِ شهوتها وإن قل من الحج والزكاة والجهاد وغير ذلك إلا[8] الصلاةَ نفسَها، / فإن فيها قطعَ النفس عن جميع شهواتها وأمانيها وعن جميع ما تتلذذ[9] به من أنواع اللذات. [٩٢٣ظ]
وعلى ذلك ما سُمي موسى عليه السلام كليمَ الله ونَجِيَّه؛ لأنه فارق قومه وجميع ما للنفس فيه لذة وراحة، وأتى جبلا ليس فيه أحد، وكلمه ربه في ذلك، فسُمَي نَجِيَّ الله. وعلى ذلك سمي المصلي مناجيا ربه وخُصَّ بذلك الاسم لما ذكرنا.

وقوله تعالى: **وانحر**، هو ما ذكرنا من نحر البُدْن الذي تعبّده بذلك[10] لما فيه من نفار النفس بالتألم الذي يحصل لغيره بفعله؛ فالتألم[11] بفعل[12] نفسه أكثر من التألم بفعل[13] غيره، وهو مجاهدة النفس وتَعَبُها.[14]

امتحنه عليه الصلاة والسلام بتحمل المشقة لوجهه تعالى، مرةً بالتبليغ إلى الكفرة مع الخطر على نفسه، ومرة بمجاهدة نفسه بالقيام بالليل، ومرةً بإتيان خلاف الطبع وهو ذبح البُدْن،

---

[1] ر: صلى.
[2] *تفسير عبد الرزاق*، ٤٦٧/٣.
[3] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٢ظ.
[4] انظر: *سنن الترمذي*، الدعوات ١.
[5] ن: وهي.
[6] ر م: الله أعلم.
[7] ر م: الشهوة.
[8] م: لا.
[9] جميع النسخ: يتلذذ.
[10] جميع النسخ: يعبده للكل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٢ظ.
[11] جميع النسخ: لغيره يفعل غيره فالتألم به.
[12] جميع النسخ: يفعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن ث م: يفعل.
[14] جميع النسخ: وبغير ما. والتصحيح من المرجع السابق.

إذ الطبائع[1] تنفر عن إراقة الدماء، مع أنه من أشفق الناس وأرحمهم على خلقه.[2] فبلغ من حسن إجابته له وطاعته له[3] أن ساق مائة بَدَنةٍ، فنحر ستين منها بيده ووَلّى عليا رضي الله عنه نحر أربعين على ما ذكر في الخبر.[4]

وروى أبو الجوزاء[5] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **فصل لربك وانحر**، وضَع اليمين على الشمال في الصلاة، وكذا روي عن علي رضي الله عنه. وعن عاصم الجَحْدَري[6] قال: هو وضْع اليمين على الشمال في الصلاة.[7]

ومن قول الثنوية أنهم لا يرون ذبح شيء من الأشياء لما فيه من الألم والأذى. وقولهم[8] هذا ليس بصحيح، لأنا نعلم أن إفاتة[9] الروح بالذبح أهون على المذبوح من موته حتف أنفه،[10] فإذا جاز في الحكمة أن يَزْهق روحه بغير الذبح فلأن يجوز الذبح[11] أحق. وأصله ما ذكرنا أن هذه السورة نزلت في مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو المقصود به من بين الناس. وهو يعلم بالذي خاطبه به من الصلاة والنحر والكوثر، وغير ذلك. فلا نتكلف[12] نحن تفسيره مخافة الكذب على الله تعالى سوى أن نذكر[13] أقاويل أهل التأويل.

---

[1] م: الطبع.

[2] أي مع أن النبي صلى الله عليه وسلم من أشفق الناس وأرحمهم على خلق الله تعالى.

[3] ث – وطاعته له.

[4] انظر: *البداية والنهاية* لابن كثير، ١٧٨/٥.

[5] أبو الجوزاء، هو أوس بن عبد الله الربعي البصري، من كبار العلماء والتابعين، حدث عن عائشة وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص. وروى عنه أبو الأشهب العطاري وعمرو بن مالك النكري وبديل بن ميسرة وجماعة. كان أحد العباد الذين قاموا على الحَجّاج. قيل إنه قتل يوم الجماجم. انظر: *صفة الصفوة* لابن الجوزي، ٢٥٨/٣؛ و*سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٣٧١/٤؛ و*العبر في خبر من غبر* للذهبي، ٩٦/١؛ و*النجوم الزاهرة* لابن تغري بردي، ٢٦٤/١.

[6] عاصم الجحدري، هو ابن العجاج ويكنى أبا المجشر البصري. ويقال له: عاصم بن أبي الصباح. قرأ القرآن على نصر بن عاصم وعلى يحيى بن يعمور وعلى الحسن البصري وسليمان بن قَتَّة. وتصدر للإقراء. توفي سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م. وقال غيره: مات قبل الثلاثين ومائة. انظر: *ميزان الاعتدال* للذهبي، ٣٥٤/٢؛ و*معرفة القراء الكبار* للذهبي، ٢١٠/١-٢١١؛ و*الوافي بالوفيات* للصفدي، ٥٦٨/١٦؛ و*لسان الميزان* لابن حجر، ٢٧٨/٣.

[7] *تفسير عبد الرزاق*، ٤٦٧/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٤٢٢/٣٠.

[8] م: وقوله.

[9] ن: إقامة.

[10] ر: أنفسه.

[11] جميع النسخ: في الذبح.

[12] ن: فلا يتكلف.

[13] ن: أن يذكر.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[٣]

وكذلك قوله[١] تعالى: **إن شانئك هو الأبتر**. يذكر أهل التأويل أن فلانا[٢] سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبتر، فنزل: إن الذي سماك أبتر[٣] هو الأبتر.[٤] لا نعرفه[٥] حقيقة،[٦] لأنه لم يذكر أن أحدا من أولاد الفراعنة وأعداء الرسل[٧] افتخر بأبيه أو أحدًا من أوليائهم والمنتمين بهم افتخروا بهم،[٨] وافتخر أولاد أولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس[٩] حتى يتعيشوا بذلك فيما بينهم.

يقول: **إن شانئك هو الأبتر**، أي معاديك ومبغضك هو الأبتر دونك، أو يقول: أعداؤك هم الذين يَبْتُر ذكرهم، وأولياؤك[١٠] مذكورون أبدا على ما قلنا. وأصله ما ذكرنا أنه خاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد عرف ذلك، ونحن لا نعلم في أي شيء كانت القصة، وفيم نزلت الآية. والله ورسوله أعلم.

قال أبو عَوْسَجَة: الشانئ المبغض، يقال: شنأته[١١] أبغضتُه. والأبتر هو الذي لا ولد له ذَكَرًا[١٢] ولا عَقِب له.

وفي قوله تعالى: **إن شانئك هو الأبتر**، بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلبة عليهم[١٣] والقهر لهم والنصرة عليهم، وإظهار دين الله تعالى في البلاد والآفاق، إذ أخبر أن الذي عاداه وباغضه هو المنقطع والأبتر، لا هو. ***والله المستعان***.[١٤]

---

[١] ر م: وكذلك وقوله؛ ن – قوله.

[٢] هو على ما ذكر أهل التأويل العاص بن وائل أو عُقْبَة بن أبي مُعَيْط أو أبو جهل. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٢٦/٣٠؛ و*بحر العلوم للسمرقندي*، ٥١٩/٣؛ و*المحرر الوجيز* لابن عطية، ٥٢٩/٥؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٢٢/٢٠.

[٣] م – أبتر.

[٤] انظر: *المحرر الوجيز* لابن عطية، ٥٣٠/٥.

[٥] ر ن م: لا يعرفه.

[٦] أي إن الذي سماك أبتر صار هو نفسه أبتر، وكان نسيا منسيا، فلم يُعرف من هو، و لم ينتم إليه أحد و لم يفتخر به.

[٧] ث + عليهم السلام.

[٨] ر م – افتخروا بهم.

[٩] ث – على الناس.

[١٠] ر م: وأولئك.

[١١] جميع النسخ: شنيته. والكلمة من: شَنَأَ أو شَنِئَ يَشْنَأُ، مهموزة.

[١٢] جميع النسخ: ذكر.

[١٣] م – عليهم.

[١٤] ر + والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكافرون[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[١]

قوله تعالى: **قل يا أيها الكافرون**، إلى آخرها؛ ذكر أنها نزلت في منابذة المتمردين المعاندين منهم،[2] الذين علم الله تعالى منهم أنهم لا يؤمنون أبدا ولا يرجعون عما هم عليه من عبادة الأوثان إلى التوحيد والإسلام، لأنه لا كل كافر يكون على وصفٍ أنه لا يعبد الله تعالى في وقت من الأوقات، إذ قد يجوز أن يكون كافرا[3] في وقت ثم يُسلم في وقت آخر. فدل ما ذكرنا أنها نزلت في المتمردين المعاندين[4] الذين علم الله تعالى أنهم يثبتون على الكفر ولا يؤمنون أبدا، وكان كما أخبر. ففيه دلالة إثبات الرسالة، إذ أخبر[5] أنهم لا يؤمنون، فلم يؤمنوا[6] وماتوا على الكفر.

---

[1] ر – سورة الكافرون؛ ن: ذكر أن سورة الكافرون مكية؛ ث + ست آيات وهي مكية؛ م + مكية.
[2] ر ث م – منهم.
[3] ر م – كافرا.
[4] ر: والمعاندين.
[5] ر: إذا أخبر.
[6] ن – فلم يؤمنوا.

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[٢] ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[٣]

وقوله تعالى: **لا أعبد ما تعبدون،** [قال بعض أهل التأويل: لا أعبد الآن ما تعبدون][١] أنتم الآن، **ولا أنتم عابدون** اليوم، **ما أعبد** وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ،[٢] فيما بعد اليوم. وقال بعضهم: الأول فيما مضى من الوقت، والثاني إخبار عن الحال، والآخر فيما بقي من الوقت. ولكن لا يجيء أن يكون هكذا، بل يجيء[٣] أن يكون قوله: **لا أعبد ما تعبدون،** في حادث الوقت، لأن حرف "لا"[٤] إنما يستعمل في حادث الأوقات؛ يقول الرجل: لا أفعل كذا، يريد به حادث الوقت.

وقوله: **ولا أنتم عابدون ما أعبد،** كذلك أيضا في حادث الأوقات، أو إخبار عن الحال.

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾[٤]

وقوله تعالى: **ولا أنا عابد ما عبدتم،** إنما هو إخبار عن الماضي من الأوقات، كأنه يقول: لم أكن أنا عابدا قط في وقت من الأوقات. وهذا يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن عبد غير الله قَطُّ.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[٥]

وفي هذه السورة وجهان من الدلالة. أحدهما ما ذكرنا من إثبات الرسالة، والثاني إخبار عن الإياس لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يرجع إلى دينهم أبدا وقطِع رجائهم وطمعهم في ذلك. وفيه[٥] أيضا أن من أشرك غيره في عبادة الله سبحانه وتعالى أو عبد غيره دونه على رجاء القربة إلى الله تعالى فهو ليس بعابد لله تعالى ولا موحدٍ له، لأن أولئك إنما عبدوا الأصنام رجاء أن تشفع / لهم، ورجاءَ أن تُقرّبهم[٦] إلى الله تعالى زلفى. أخبر أنها لا تقربهم[٧] [إلى الله][٨] زلفى وأنهم ليسوا بموحدين ولا عابدين لله تعالى. [٩٢٤و]

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٣و.
[٢] الآية ٤ من هذه السورة.
[٣] ر م + به.
[٤] جميع النسخ: ما. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ن – وفيه.
[٦] جميع النسخ: أن يشفع لهم ورجاء أن يقربهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: لا تقرب لهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] الزيادة من المرجع السابق.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٦]

وقوله تعالى: **لكم دينكم ولي دين**، يحتمل وجهين.[١] أحدهما: لكم جزاء دينكم الذي دِنْتم ولي جزاء ديني الذي دنت. والثاني على المنابذة والإياس: لكم ما اخترتم من الدين ولي ما اخترت، لا يعود واحد منا إلى دين الآخر. وكان قبل ذلك يطمع كل فريق عَود الفريق الآخر إلى دينهم الذي هم عليه.

وقوله تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ،[٢] ليس على الأمر على ما نذكره[٣] في سورة الإخلاص والمعوذتين، إذ لو كان على الأمر فهو يلزم أن يقول كل واحد منا لكل كافر ذلك، فإذا لم يلزم دل أنه ليس على الأمر.

وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: قل للذين كفروا[٤] لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين. وعنه أنه قال: من قرأ هذه السورة فقد أكثر وأطنب.[٥]

وفي حديث مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل: «إذا قَرِبت إلى فراشك فاقرأ: "قل يا أيها الكافرون" فإنه براءة من الشرك».[٦]

وأهل التأويل يقولون: إن سبب نزول هذه [السورة][٧] ومنابذته إياهم أن رهطا من قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " هَلُمَّ، فلنعبد ما تعبد[٨] واعبد أنت ما نعبد نحن فيكون أمرنا أمرا واحدا"، فنزلت هذه السورة.[٩]

قال أبو عَوْسَجَة: الدين العادة، تقول: هذا ديني، أي عادتي.

---

[١] ر م: وجهان.

[٢] الآية ١ من هذه السورة.

[٣] ر م: على ما ذكرنا؛ ن ث: على ما يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٣ظ.

[٤] قرأ أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود "قل للذين كفروا" (*معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٦١٧/١٠).

[٥] إن صحت هذه الرواية المنسوبة إلى ابن مسعود رضي الله عنه فلعله قصد بقوله هذا: إن مضمون السورة قد يتلخص بما قرأته، فمن أراد العمل بمضمون السورة فله أن يكتفي به.

[٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٥٦/٥؛ و*سنن الترمذي*، الدعوات ٢٢؛ و*سنن الدارمي*، فضائل القرآن ٢٣.

[٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٣ظ.

[٨] ر: فلتعبد ما نعبد.

[٩] انظر: *تفسير الطبري*، ٤٣٠/٣٠؛ و*المحرر الوجيز* لابن عطية، ٥٣١/٥؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٢٥/٢٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٥٤/٨.

ثم المعنى الذي وقع عليه التكرار لهذه الأحرف عندنا أن التكرار[1] حرف جرى الاستعمال به في موضع المبالغة والتأكيد لما قُصد به من الكلام في أي كلام كان، رجاءً كان أو وعيدا أو غيره كقولهم:[2] "بَخٍ بَخٍ"، و"الويل [الويل]"،[3] و"هيهات هيهات" وغير ذلك. فكذلك[4] في هذا[5] الموضع لما وقع الإياس عن إيمانهم بالله تعالى بما علم النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي أنهم لا يؤمنون، كرر هذا الكلام تأكيدا للإياس وإبلاغا فيه. ***والله أعلم.***

---

[1] ن: أن التكرير.

[2] ن م: لقولهم.

[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٣ظ.

[4] ن – فكذلك.

[5] ر م: في هذه.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النصر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾[١]

قوله تعالى: **إذا جاء نصر الله والفتح**. قال عامة أهل التأويل: إن قوله تعالى: **إذا جاء نصر الله والفتح**، هو [فتح][2] مكة، والنصر هو[3] الذي نصر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على[4] أهل مكة. قال أبو بكر الأصم: هذا لا يحتمل، لأن فتح مكة كان بعد الهجرة بثماني[5] سنين، ونزول هذه السورة كان بعد الهجرة بعشر سنين. ولا يقال للذي مضى: **إذا جاء نصر الله والفتح**، ولكن أراد سائر الفتوح التي فتحها له؛ أو كلام نحوَ هذا.[6] ولكن يحتمل أن يكون قوله: **إذا جاء نصر الله**، بمعنى إذ جاء،[7] وجائز ذلك في اللغة، وفي القرآن كثير "إذا" مكان "إذ". فإن[8] كان على هذا فيستقيم حمله على فتح مكة على ما قاله[9] أولئك.

---

[1] ر – سورة النصر؛ ن: ذكر أن سورة النصر مدنية؛ ث + وهي ثلاث آيات مدنية؛ م: ذكر أن سورة النصر وهي مدنية.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٣ظ.

[3] ر ث م – هو.

[4] ر – على.

[5] جميع النسخ: بثمان. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] أي أو ما قاله الأصم كلام يشبه هذا.

[7] لأن إذ ظرف للزمان الماضي، وإذا ظرف للمستقبل.

[8] ر – فإن.

[9] ن: قال.

أو يكون قوله تعالى: **إذا جاء نصر الله**، أي قد جاء نصر الله. أو أن يكون أراد بما ذكر من النصر والفتح الفتوح التي كانت له من بعدُ حين دخل الناس في دين الله أفواجا على ما ذكر.[1] وقوله تعالى: **نصر الله**، أي عون الله وخذلانه لأعدائه. أو أن يكون قوله تعالى: **إذا جاء نصر الله والفتح**،[2] هي فتوح الأمور التي فتحها الله تعالى عليه من تبليغ الرسالة إلى من أمر بتبليغها إليهم، والقيامِ بالأمور التي أمره أن يقوم بها، فتح تلك الأمور عليه وأتمها. فإن كان على هذا يصير فتوح تلك الأمور له نَعْيًا له بالدلالة، على ما قاله أهل التأويل: إنه نَعَى لرسول الله صلى الله عليه وسلم نَعْيه، وجهة الاستدلال [هي] الوجوه التي ذكرنا.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا﴾[٢]

وقوله تعالى: **ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا**؛ ذكر أهل التأويل أنه كان قبل ذلك يدخل واحد واحد، فلما كان[3] فتح مكة جعلوا يدخلون دينه أفواجا أفواجا وقبيلة قبيلة. ويحتمل ما ذكرنا من سائر الفتوح أي فتوح الأمور التي ذكرنا؛ على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نُصِرْتُ بِالرُّعْب مسيرةَ شهرين، شهرا أمامي وشهرا ورائي».[4]

ثم في قوله:[5] إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ[6] **ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا**، الآية، نَعْيٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه، وقد ذكر في الأخبار أنه نَعَى إليه نفسُه بهذه السورة.[7] أحدها ما ذكرنا من جهة الاستدلال عرف أنه قد دَنَا أجله، حيث أتم ما أُمِر به وفرغ منه من التبليغ والدعاء. والثاني عَرَف ذلك إطْلاعا من الله تعالى أَطلعه[8] عليه بعلامات جعلها له، ففهم[9] رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يدرك أفهامنا ذلك.

---

[1] ر م: ذكرنا.

[2] ن ث: والفتوح.

[3] م + يوم.

[4] عن السائب بن يزيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فُضِّلت على الأنبياء بخمس: بعثت إلى الناس كافة، وَادَّخرتُ شفاعتي لأمتي، ونصرت بالرعب شهرا أمامي وشهرا خلفي، وجُعِلت لي الأرض مسجدا وطَهورا، وأُحلّت لي الغنائم ولم تَحِلَّ لأحد قبلي». *المعجم الكبير* للطبراني، ٧/ ١٥٥؛ *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٨/٢٦٥.

[5] ث: ثم قوله.

[6] الآية السابقة.

[7] أي أخبر قلب النبي عليه السلام بمناسبة نزول هذه السورة بأنه يموت عن قريب.

[8] م: اطلعها.

[9] ن: لفهم.

والثالث لمَّا كُفِي مؤنةَ القيام بالتبليغ بنفسه[1] بدخول الناس في الدين جماعة جماعة، وكان قبل ذلك يقوم بنفسه[2] عرف بذلك حضور أجله، وهو نوع من الدلالة. ووجه الدلالة أن القوم لما دخلوا في دين الله فوجا فوجا دل ذلك على ظهور الإسلام وكثرة أهله، فكانت الغلبة والنصرة[3] دليلَ الأمن من الزوال عما هم عليه من الدين إذا زال الرسول.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[٣]

وقوله تعالى: **فسبح بحمد ربك،** قال بعض أهل التأويل: أي صلِّ بأمر ربك. وأصله ما ذكرنا فيما تقدم أن التسبيح هو التنزيه والتبرئة[4] عن جميع معاني الخَلق والوصفُ بما يليق به. [كأنه][5] قال: نزِّهْه وبرِّئْه بالثناء عليه وصِفْه[6] بالصفات العُلَى / وسِمْه بالأسماء الحسنى التي [٩٢٤ظ] علَّمك ربُّك. ويحتمل أن يكون معنى قوله: **فسبح بحمد ربك،**[7] أي قل: «سبحان الله وبحمده»، على ما جاء في الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُكثر في دعائه «سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه».[8] وهذا لأن «سبحان الله» حرف جامع يجمع جميع ما يستحق من الثناء عليه، والوصف له بالعلو والعظمة والجلال، والتنزيه عن جميع العيوب والآفات وعن جميع معاني الخلق. جعل لهم هذا الحرف الجامع لِما عرف عجزهم عن القيام بالوصف بجميع ما يستحق من الثناء عليه.

وكذلك حرف «الحمد لله»، هو حرف جامع يجمع[9] شكر جميع ما أنعم عليهم؛ جعل لهم ذلك لما عرف من عجزهم وقلة وسعهم بالقيام بشكر[10] ما أنعم عليهم واحدا بعد واحد.

---

[1] ن: لنفسه.
[2] ر ث م – بدخول الناس في الدين جماعة جماعة وكان قبل ذلك يقوم بنفسه.
[3] ر ث م: والنصر.
[4] ر م: والتنزيه.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٣ظ.
[6] ر: بالثناء وصنفه؛ م: بالثناء وصفه.
[7] ث – فسبح بحمد ربك.
[8] عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر من قول «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه»؛ فقال «خبّرني ربي أني سأرى علامة في أمتي؛ فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها: إذا جاء نصر الله والفتح، فتح مكة». انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٥/٦؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٢٢٠.
[9] جميع النسخ: بجميع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٤و.
[10] ر م: عن عجزهم وقلة شكر؛ ث: وقلة شكر.

وعلى ذلك يخرج قوله: «اللهم صل على محمد [وعلى آل محمد]».[1] أمرهم أن يجعلوا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا،[2] وَلَمَّا لم يجعل في وسعهم القيام بما يستحقه أُمروا[3] أن يقولوا: «اللهم صل على محمد» ليكون هو المتوليَ ذلك بنفسه. *والله أعلم*.

وقوله تعالى: **واستغفره**؛ قال أبو بكر الأصم: دلَّ قوله عز وجل **واستغفره**، على أنه كان[4] منه تقصير وتفريط في أمره حتى أمره بالاستغفار عن ذلك. لكن هذا كلام وَحْش لا يوصف[5] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقصير في شيء ولا بالتفريط في أمر قط. ولكن قد جعل الله تعالى على كل أحد من نعمه وفضله وإحسانه في طَرْفة عين ولَحْظَةِ بَصَرٍ ما ليس في وسعه وطاقته القيام بشكر واحد منها، وإن لَطُف وإن طال عمره، فأمره بالاستغفار لما يتوهم منه التقصير في أداء شكر نعمه عن القيام بذلك؛ أو أن يكون [الاستغفار][6] لأمته لا لنفسه.

فإن قال قائل: ما معنى أمره بالاستغفار وقد ذَكر أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟[7] فالجواب عنه من وجهين.[8] أحدهما أنه يجوز أن يكون أمر[9] بالاستغفار لأمته، نحوَ قوله تعالى: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ؛[10] أو أن يكون الله تعالى وعد له المغفرة إذا لزم الاستغفار ودام عليه.

وقوله: **إنه كان توابا**، أي كان لم يزل توابا، ليس أن صار توابا بأمر اكتسبه وأحدثه، على ما تقوله[11] المعتزلة: إنه صار توابا [إذا أَثِم[12] الخلق فتابوا قَبِلَ توبتهم، فأما قبل ذلك لم يكن توابا].[13]

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٤و.
[2] سورة الأحزاب، ٥٦/٣٣.
[3] ر م: أمروها.
[4] جميع النسخ: على أن كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م: يصف؛ ن: نصف.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] لعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر...﴾ (سورة الفتح، ٤٨/١-٢).
[8] ن: بوجهين.
[9] ث + له المغفرة.
[10] سورة محمد، ١٩/٤٧.
[11] ن: تقول.
[12] *الشرح*: إذا أتنا. ورقة ٣٦٤و.
[13] الزيادة من المرجع السابق.

ثم قوله: **توابا**، على التكثير، أي يقبل توبة[١] بعد توبة، أي إذا تاب مرة ثم ارتكب الجرم وعصاه، ثم تاب ثانيا وثالثا وإن كثر[٢] فإنه يقبل توبته. والثاني: **توابا**، أي رجاعا يُرجعهم ويَردهم[٣] عن المعاصي إلى أن يتوبوا، أي هو الذي يوفقهم على التوبة.

ثم قال: **توابا**، ولم يقل غفارا، وحق مثله من الكلام أن يقال: إنه كان غفارا، كما قال في آية أخرى: [فَقُلْتُ] اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.[٤] ولكن المعنى فيه عندنا أن المراد من الاستغفار ليس قوله: "أستغفر الله"، ولكن أن يتوب إليه ويطلب منه المغفرة بالتوبة [بقوله:][٥] **إنه كان توابا**. ويجوز أن يكون فيه إضمار كأنه قال: **واستغفره**، وتب إليه **إنه كان توابا**. فاجتزأ[٦] بذكر[٧] الاستغفار في السؤال[٨] عن ذكره في الجواب،[٩] [كما] اجتزأ[١٠] بذكر التوبة في الجواب عن ذكرها في السؤال. ويجوز مثل هذا في الكلام.

ثم الدين اسم يقع على ما يدين به الإنسان حقا كان أو باطلا. وعلى ذلك أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يدين به إلى نفسه وما دان به الكفرة إليهم حيث قال: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.[١١] وأما إضافته إلى الله تعالى -حيث قال: يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا-[١٢] لأنه[١٣] الدين الذي أمرهم به ودعاهم إليه، لذلك خرجت الإضافة والنسبة إليه. ***والله أعلم بالصواب***.[١٤]

---

[١] م: توبته.
[٢] ر: فإن كثر.
[٣] ر ث م: وردهم.
[٤] سورة نوح، ١٠/٧١.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٤و.
[٦] جميع النسخ: ويجوز. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ن: أن يكون.
[٨] ث: الاستغفار السؤال.
[٩] أي يمكن أن يكتفي بذكر الاستغفار في الجملة الإنشائية -وهي قوله: ﴿واستغفره﴾- عن ذكرها في الجواب، وهي ﴿إنه كان توابا﴾.
[١٠] ر م: كما أحرى؛ ن: واجترى؛ ث: وأجزى.
[١١] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[١٢] الآية ٢ من هذه السورة.
[١٣] ن: الآية.
[١٤] ر + والحمد لله رب العالمين؛ ث م - بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة تبت[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[١]

قوله تعالى: **تبت يدا أبي لهب وتب**، أي خسرت وخابت، كذلك قال أبو عَوْسَجَة. يقال: تَبَّ يَتِبُّ[2] تَبًّا وتَبَابًا. ثم ما ذَكر من قوله: **يدا أبي لهب**، يحتمل حقيقة اليد، ويحتمل أن يكون ذكْر اليد على الصلة. فإن كان[3] على إرادة حقيقة اليد فهو يخرج على وجوه. أحدها ما ذكر أنه [كان][4] كثير الإحسان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والإنفاق[5] عليه والصنائِع[6] إليه. وكان يقول: إن كان الأمر لمحمد يومئذ فيكون لي عنده يد، وإن كان لقريش فلي عندها يد. فأخبر -والله أعلم- أنه خسر فيما طمع ورجا من اليد التي[7] له عنده[8] والإحسانِ الذي أحسن إليه، إذ لم يصدِّقه ولم يؤمن به، وخسر أيضا ما ادعى من اليد له عند قريش.

---

[1] ر - سورة تبت؛ ث + وهي خمس آيات مكية؛ م + وهي مكية.

[2] ث: تبت.

[3] ر م: كانت.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٤و.

[5] ر: والاتفاق.

[6] ن م: والضائع.

[7] جميع النسخ: الذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٤ظ.

[8] ث + يد وإن كان لقريش.

والثاني يحتمل أن يكون من أبي لهب تخويف لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطش والأخذ باليد، فأمَّن[1] الله تعالى رسوله عما خوَّفه به، حيث قال: **تبت يدا أبي لهب**، أي خسرت يداه ولا يقدر على البطش.

والثالث يحتمل أن يكون اليد كناية عن القوة في نفسه وماله في دفع[2] العذاب عن نفسه. وكذلك كانوا يدَّعون دفع العذاب عن أنفسهم، لقولهم: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[3]

[٩٢٥و] وذكر بعض أهل التأويل أنه لما نزل قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ،[4] / جمع عشائره الأقرب فالأقرب منهم وقال: «إني لا أملك لكم من الله نفعا في الدنيا والآخرة إلا بعد أن تقولوا[5] شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله». فقال أبو لهب عند ذلك: تبًّا لك يا محمد، ألهذا دعوتنا؟ فنزل عند ذلك: **تبت يدا أبي لهب وتب**، مجازاة له.[6] فهذا وإن لم يذكر مِنْ[7] فعله في القصة استعمالُ اليدين فيجوز أنه كان يصرِف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، أو حين دُعي إلى الإيمان بالله تعالى مدّ يديه على التعجب عن ذلك وقال: ألهذا دعوتنا؟ فرد الله تعالى [عليه][8] ذلك وعيّره به. وقد يجوز أن يَظهر[9] في الجواب مقدمة السؤال، وإن لم يَذكر[10] ذلك في السؤال. ألا ترى إلى قوله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ،[11] فعلم بذلك أن السؤال إنما كان عن قِربانهن في المحيض. فكذلك الأول.[12]

---

[1] ن: فأمر.

[2] ث: وماله دفع.

[3] سورة سبأ، ٣٥/٣٤.

[4] سورة الشعراء، ٢١٤/٢٦.

[5] جميع النسخ: أن يقولوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٤ظ.

[6] انظر: تفسير *الطبري*، ٤٣٨/٣٠-٤٣٩؛ و*المحرر الوجيز* لابن عطية، ٥٣٤/٥.

[7] جميع النسخ: وإن لم يكن في. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٤ظ.

[8] الزيادة من المرجع السابق.

[9] م: وأن يظهر.

[10] ن: وإن لم يكن.

[11] سورة البقرة، ٢٢٢/٢.

[12] أي يمكن أن يكون قوله تعالى ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ جوابا وردا لقول سبق من أبي لهب مثل: تبت لك يا محمد، وهي جملة إنشائية تقع موقع السؤال والطلب.

وإن كان[1] ذكر اليد على الصلة فهو يخرج على وجهين. أحدهما ذكر اليد كناية عن العمل والفعل، إلا أنه ذكر اليد[2] لما باليد يقوم ويعمل، كقوله تعالى: بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ،[3] وقوله:[4] بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.[5] وذلك على الكناية عما كان منه من الصنيع، أي[6] خسرت أعماله وبطلت. والثاني يذكر اليد على إرادة قُدّام وأمام، كقوله تعالى: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[7] أي أمامه وخلفه. فيكون معناه: [خسر][8] ما قدم من الأعمال. *والله أعلم*.

ثم تخصيص أبي لهب بالذكر من بين سائر الكفرة يحتمل وجوها. أحدها خصّه بالاسم لأنه كان من الفراعنة والأكابر، وهو المقصود به. والفراعنة قد يذكرون بأسمائهم لما هم المقصودون به وإن كان مَن دونهم يشاركونهم في ذلك، كذكر فرعونَ وعادٍ وثمودَ وغيرِهم.

والثاني كان شديد الهيبة والخوف، فذكره باسمه وخصّه به ليُعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يهابه ولا يخافه.[9] *والله أعلم*.

والثالث أنه [كان][10] كثير الأيادي والصنائع بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو كان[11] الخطاب بهذا[12] يعم الكفرة لكان يَظن بما سبق منه من الأيادي أنه غير داخل تحت الخطاب، فخصه بالذكر ليعلم أنه لا يغنيه من الله شيء.

ثم ذِكره[13] بالكنية يخرج على وجوه. أحدها يحتمل أن يكون بالكنية عرف عند الناس وبها كان معروفا دون اسمه، فذَكره بالذي كان معروفا به. والثاني ما ذُكر أن اسمه كان عبد العُزَّى

---

[1] ر ث م + ذلك.
[2] م – اليد.
[3] ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ (سورة الأنفال، ٨/٥١).
[4] ث – وقوله.
[5] ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٣٠).
[6] ر م: أو.
[7] سورة فصلت، ٤١/٤٢.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٤ظ.
[9] ن: لا يخافه ولا يهابه.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] ن: ولو كان.
[12] أي بقول ﴿تبت﴾.
[13] ر: ثم ذكر.

فلم يُرد أن ينسبه إلى غيره[1] وهو العزى، فذكره بالكنية لهذا. والثالث أنه عيَّره بأشياء وخوَّفه بمواعيد. فلو ذكره باسمه فلعله يَصرف ذلك الخطاب والوعيد الذي كان له إلى غيره، لما يُشرِك[2] غيرُه في الاسم، إذ كانوا[3] يسمون أولادهم وينسبونهم إلى أصنامهم، ولم يكن أحد شركه في كنيته[4] فلا يمكنه التحويل إلى غيره. وقيل: ذِكره بالكنية يخرج مخرج الوعيد له،[5] أي تصير[6] النار له كالابن وهو كالأب[7] لها. وذلك لأن هذه الكنى إنما يذكر في المتعارف على وجه التفاؤل، كما يقال: أبو منصور على رجاء أن يولَد له ابن يسمى منصورا.[8]

ثم إن الله تعالى سمى النار في بعض الآيات أُمًّا للكافر، كقوله: فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ،[9] وفي بعضها مَوْلَى، حيث قال: مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.[10] فجائز أيضا أن يكون النار إذا قربت منه وانضمت إلى حُجْره أن[11] تصير[12] في التمثيل كالولد، ويصير هو أبًا لها. فقال: **أبي لهب**، على هذا الوجه من التأويل. ووجه آخر، وهو أن ذكر الكنية وإن كان يراد بها التعظيم فعند ذكر المواعيد والعقوبات يراد بها الاستخفاف والإهانة. وهو على ما ذكرنا[13] في البِشارة أنها وإن كانت تذكر[14] عند ما يُسَرّ[15] ويُبْهَج[16] في الأغلب، فعند ذكر العقوبة نذارة، كقوله تعالى: فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ،[17] فعلى ذلك الكنية. ***والله أعلم.***

---

[1] أي غير الله.

[2] جميع النسخ: لما شرك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٤ظ.

[3] ر ث م: إذا كانوا.

[4] ر: في كنية.

[5] ن – له.

[6] جميع النسخ: يصير.

[7] ر م: كالابن.

[8] جميع النسخ: منصور. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ﴿وأما من خفَّت موازينه فأمه هاوية﴾ (سورة القارعة، ٩/١٠١).

[10] ﴿مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾ (سورة الحديد، ١٥/٥٧).

[11] ن – أن.

[12] جميع النسخ: يصير. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] م: ذكر.

[14] جميع النسخ: يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥و.

[15] جميع النسخ: بشر. والتصحيح من المرجع السابق.

[16] ن: وتبهج.

[17] سورة الانشقاق، ٢٤/٨٤.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **ما أغنى عنه ماله وما كسب**؛ هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي لم يغن ماله وقوته وما كسب من عذاب الله شيئا، على ما يقولون: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[١] والثاني أيَّ شيء أغنى عنه مالُه وما كسب؟

ثم قوله تعالى: **وما كسب**، يحتمل الولد، أي ما أغنى عنه ما جمع من ماله وما كسب من الولد، على ما ذكر في الخبر؛ روى ابن الأسود[٢] عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه».[٣] وسئل عن ابن عباس رضي الله عنهما: أيأخذ الرجل من مال ولده؟ فتلا [قوله]:[٤] يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا،[٥] الآية، فهو مما وهب الله لنا فهم وأموالهم لنا. ***والله أعلم***.

ويحتمل[٦] **ما أغنى عنه**، ما جمع من المال، **وما كسب**، من العمل والإنفاق الذي أنفق على الطمع الذي فيه،[٧] أي لم يغنه شيئا. أو ما كسب من صد[٨] الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدخولِ في دينه والإتباع له وسوء المقال الذي قال فيه.

وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: "تبت يدا أبي لهب وقد تب. ما أغنى عنه ماله[٩] وما اكتسب".[١٠]

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **سيصلى نارا ذات لهب**، أي ذات التهاب. وفيه دلالة إثبات رسالته حيث أخبر أنه سيصلى نارا ولا يصلى النار / إلا بعد ما يُختَم بالكفر، ثم كان كما أخبر؛[٩٢٥ظ] دل أنه علم ذلك بالله تعالى.

---

[١] سورة سبأ، ٣٤/٣٥.

[٢] ر م: أبو الأسد؛ ن ث: أبو الأسود. وما أثبتناه يتفق مع ما جاء في كتب الحديث.

[٣] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣١/٦؛ وسنن *ابن ماجة*، التجارات ١.

[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٥و.

[٥] ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٤٩).

[٦] ر ث م – ويحتمل.

[٧] جميع النسخ: فعل.

[٨] ر ن م: عن صد.

[٩] ر ث م – ماله.

[١٠] انظر: *المحرر الوجيز* لابن عطية، ٥٣٤/٥؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٥٢٥/٨.

وفي هذه السورة دلالتان أخريان[1] يدلان[2] على نبوته. أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قرأ هذه السورة عليهم بمكة حين لم يكن له ناصر في الدين، وكانت المَنَعَة والقوة للكفرة، وكانوا جميعا أولياء أبي لهب وأنصارا له عن آخرهم،[3] ولا يحتمل أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه السورة عليه [بمكة] وفيه سَبٌّ له وتعيير إلى يوم القيامة مع قلة أوليائه وكثرة أعدائه، إذ فيه خوف هلاكه إلا برب العالمين.

ومعنى آخر أنه عليه الصلاة والسلام كان موصوفا بحسن العشرة وجمال[4] الصحبة مع الأجانب. فما ظنك بالعشيرة والأقارب، مع ما أنه كان متنزها عن الفحش في جميع أوقاته؟ فما جاز له هذا إلا بأمر[5] من الله تعالى، فدل ذلك على نبوته ورسالته.

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[٤] ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾[٥]

وقوله تعالى: **وامرأته حمّالة الحطب،** [يحتمل تخصيصَ ذكر امرأته بالذي ذكرنا في أبي لهب. ثم اختلف في قوله تعالى: **حمّالة الحطب**]،[6] قال بعضهم: أي كانت حمالة النميمة والحديث بين الناس، فأوعدها الله تعالى بذلك[7] في الآخرة ما ذكر **في جيدها حبل من مسد،** وهي السلسلة. ومنه يقال: فلان يَحطِب، إذا أغرَى.[8] وقال بعضهم: كانت[9] حمالة الحطب حقيقة، كانت تحمل الحطب الذي فيه الشوك وتطرح في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين،[10] فأوعدها الله تعالى بما ذكر من حبل من مسد في الآخرة. ومنهم من قال: إنها كانت كذلك في الدنيا، كانت تحمل الحطب إلى منزلها، وكان في جيدها حبل من ليف فعيَّرها بذلك، لأنها كانت تعيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر والحاجة.

---

[1] ر ن م: أخراوان.

[2] ث: تدلا.

[3] ر م: عن إخراجهم.

[4] جميع النسخ: وإجمال. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٥٦٢ظ.

[5] ن ث: بالأمر.

[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٥و.

[7] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ر ن ث: أعرى؛ م: عرى. والتصحيح من المرجع السابق. والإغراء إلقاء العداوة بين الناس. وحطب يحطِب به وعليه: أي سعى به وافترى عليه (*لسان العرب*، «حطب»).

[9] ن: كان.

[10] ث – والمسلمين.

وذكر أنها كانت تمسك في عنقها حبلا من ليف سترا من زوجها، وذلك مما لا يتحلى به[1] النساء وليس هو من أسباب الزينة. فأخبر الله تعالى عن سفهها وجهلها ليكون ذلك سَبًّا [لها][2] وتعييرا، مجازاة لما كانت تقوله[3] في رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولذلك قالت لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: أ ما رضي محمد أن يهجو عمه حتى هجاني، أو قالت: حتى هجاني رب محمد. **والله أعلم بالصواب.**[4]

---

[1] جميع النسخ: يتحلى بها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥و.

[2] الزيادة من المرجع السابق.

[3] ر م: تقول؛ ن: يقوله؛ ث: تعوله. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] ث + وصلى الله على محمد والحمد لله رب العالمين؛ ن م - بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإخلاص[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[١]

قوله تعالى: **قل هو الله أحد**؛ ذكر أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسبة الله تعالى -وقيل: عن صفته، وقيل: عن الله تعالى- "ما هو؟" فنزلت هذه السورة مُعْلِمةً لجميع[2] من يُسأل عنه جوابه، ولذلك أُثبت **قل**، ليكون مخاطبةُ كلِّ مسئول عن ذلك أنْ **قل**،[3] لا على تخصيص الرسول عليه السلام بهذا الأمر، إذ ليس في حق الائتمار بالأمر إعادةُ حرف الأمر في الائتمار.[4] فتبين بذلك أنه ليس على تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم بالتعليم، بل هو أحق من سبق له الغِناء عن تعليم الإجابة لهذا عند حضرة هذا السؤال، لما سبقت[5] منه الدعوة إلى الله تعالى [والعلم][6] بحقيقة[7] ما يقتضي[8] ما جرى به السؤال،

---

[1] ر – سورة الإخلاص؛ ث + وهي أربع آيات مكية؛ م: ذكر أن سورة الإخلاص مكية.

[2] جميع النسخ: بجميع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥و.

[3] أي ليكون خطاب الله كل من يُسأل عنه تعالى بأن ﴿قل﴾.

[4] أي لا يشترط لامتثال أمر من أوامر الله تعالى أن يعاد الأمر لكل من يجب عليه الائتمار.

[5] جميع النسخ: كما سبقت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥ظ.

[6] الزيادة من المرجع السابق.

[7] ر م: تحقيقه.

[8] ث – ما يقتضي.

ولما أُثبت[١] كذلك لِيُقْرأ أبدا. وحق المخصوص بالأمر أن يأتمر ولا يَجعل ذلك متلوا كذلك في الوقت الذي يحتمل المأمورَ الأمرُ به والوقتِ الذي لا يحتمل. ثبت أن ذلك على ما بيّنا.[٢]

ودل قوله: **قل** أنه على أمر سبق عنه السؤال فيكون في ذلك إجابةً لما سبق عنه السؤال.[٣] وكذلك جميع ما في القرآن [من] "قل"، ففيه[٤] أحد أمرين: إما إجابةً عن أمر [قد][٥] سبق عنه السؤال فينزل بحق تعريف كل مسئول عن مثله، أو يكون الله تعالى إذ علم أنه عليه السلام أو من يتبعه يُسأل عما يقتضي ذلك الجوابَ فأَنزل ما به يبقى في أهل التوحيد مَنًّا منه وفضلا.

ثم لم يجب تحقيق الحرف الذي وقع عنه السؤال إلا لمن شهد وسمع، وقد يتوجه ذلك الحرف الذي وقع عنه[٦] إلى ما ذكروا من الأسباب وغيرها، وفيما نزل يصلح جوابَ ذلك كله ويليق به،[٧] وإن كنا لا نشهد على حقيقة ما كان أنه ذا دون ذا. ونجيب[٨] بذلك لو سئلنا عما ذكرنا وعن كل حرف يصح في العقل والحكمة الجوابُ بمثل ما اقتضته هذه السورة.

وقوله تعالى: **هو**، اختلف في تأويله. من الناس من قال: **هو**، إضافة إلى الذي عنه كان أو يكون السؤال المقتضي ما جرى به البيان[٩] من الجواب. أي[١٠] الذي تسألون[١١] عنه: **الله أحد اَللّٰهُ الصَّمَدُ**،[١٢] إلى آخر السورة. ومنهم من قال: **هو**، اسم الله الأكبرُ،[١٣] يروى ذلك عن بعض أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١٤] أنه كان يقول في دعائه: "يا هو، يا من لا هو إلا هو، يا من به كانت هُوية كلِّ هو". وذلك يخرج على وجهين. أحدهما أنه هو لذاته،

---

[١] جميع النسخ: وكما أثبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥ظ.
[٢] جميع النسخ: على ما شاء. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر – فيكون في ذلك إجابة لما سبق عنه السؤال.
[٤] ر: قل ما ففيه.
[٥] الزيادة من المرجع السابق.
[٦] ن – الحرف الذي وقع عنه.
[٧] ث – ويليق به.
[٨] ر: وتجيب.
[٩] ر م: إنسان.
[١٠] ر ث م – أي.
[١١] ر ث م: يسألون.
[١٢] الآية ٢ من هذه السورة.
[١٣] جميع النسخ: أكبر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] جميع النسخ: عنهم. والتصحيح من المرجع السابق.

وهوية كل من سواه -بما[1] هو- يكون محتملا للتلاشي والوجودِ إلا هو سبحانَه، لم يزل ولا يزال هو، ليس كمثله شيء على ما اقتضى بيان وحدانيته[2] في هذه السورة. وعلى ذلك قيل: هو الأحد بذاته، المنشئ أحديّة كل الآحاد، المتعالي عن كل معاني أحدية من سواه.

والثاني أن يكون إضافة[3] إلى اسمه الذي لا يحتمله[4] اللسان، وهو الذي لم يُطلِع عليه الخلائقَ، وهو الذي يراد في الدعاء «[اللهم إني أسألك] باسمك الذي مَن سألك به أعطيته ومن دعاك به أجبته»،[5] فيكون السؤال به[6] مما[7] يكنى عنه من الوجه الذي ذكرتُ، لا أن يسعه اللسان أو يحتمل الطوق التفوة به تعالى. والتأويل الأول هو أقرب إلى الأفهام وأحق أن يكون على ذكر من يقتضي عنه السؤال ثم التفسيرُ على ما جرى.

وقوله تعالى: **الله**، اختُلف في المعنى الذي جرى [عليه] هذا في حق أهل هذا اللسان أنه مما اشتق: من أمر[8] عرفوه أو لا عن أمر عرفوه؛[9] إذ في كل لسان[10] -لمَّا أريد[11] به عند الذكر / بلسان[12] العرب-[13] اسم يدعى به ويُسمّى وإن اختلف وزن كل من ذلك على [٩٢٦و] اختلاف الألسن؛ ليُعلَم أن الأحرف والتقطيع في التكلم إنما هو ليفهم المقصود لا[14] على توهم حقيقة الاسم بتلك الحروف والتقطيع. وذلك كما يعبر عن[15] تكوينه الخلائقَ بـ"كُنْ"،[16]

---

[1] جميع النسخ: لما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥ظ.

[2] ر ث م: وحدانية.

[3] ن: أضافه.

[4] ر ث م: لا يحتمل.

[5] عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك، الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سُئلت به أعطيت وإذا استُرحمت به رحمْت وإذا استُفرجت به فرّجت» (*سنن ابن ماجة*، الدعاء ٧).

[6] ر ث م: به.

[7] ن: بينهما.

[8] ر: الأمر. أي أصل.

[9] ن + أو لا عن أمر عرفوه.

[10] ن ث: اللسان.

[11] ن: أن ير.

[12] ر ث م: لبيان؛ ن: لسان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥ظ.

[13] ن – العرب.

[14] ث – لا.

[15] ث: عند.

[16] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾ (سورة يس، ٣٦/٨٢).

لا على تحقيق كاف أو نون في التكوين. فعلى ذلك جميع ما يسمى الله تعالى لا على تحقيق الحرف الذي يَجري بها التسمية ممن[1] لا يحتمل طَوْقُه إلا بها لكن على ما يقرب إلى الإفهام المرادَ في التفوه به.

وقال قوم: الله هو المعبود في لسان العرب لا على الاشتقاق،[2] لكن على وضع ذلك كذلك. دليله تسميتهم كل من عبدوه وكل شيء عبدوه إلها وإن كان جميع ما سوى الإله[3] الحق ممن عُبد لا يحتمل شيئا من تلك المعاني التي زعمه[4] من ادعى الاشتقاق عنها: مِن الاحتجاب[5] أو الالتجاء إليه ونحو ذلك. فثبت أنه اسم موضوع للمعبود. وعلى ذلك قوله تعالى: أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ،[6] أي معبودَه ما يَهويه، لا أن للهوى شيئا من ذلك. فيكون المعبود الحق هو اللهَ تعالى، لما له في كل شيء أثر عبودة ذلك الشيء ودلالةُ الربوبية له عليه سبحانه. فهو[7] المعبود بذاته بمعنى[8] المستحق بذاته[9] العبادةَ من جميع خلقه والاستسلام له والخضوعَ بما ذكرت من الموضوع في كل آية ذلك. **ولا قوة إلا بالله**.

وهذا تحقيق ما ذهبنا إليه[10] أنه خالق بذاته، رحمن رحيم بذاته، موصوف به في الأزل وإن كان الذي وصل إليه أثرُ رحمته وفيه ظهور دلالة تدبيره حَدَث بعد أن لم يكن؛ على ما كانت العبادة والاستسلام[11] كان ممن حدَث، وفي من كان[12] بعد أن لم يكن، وهو إله لم يزل ولا يزال. وعلى ذلك قوله عز وجل: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ،[13] وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ،[14] وإن كان من الأشياء ما سيكون، لا أنها كانت كائنة وكذلك يوم الدين، فعلى ذلك أمر "خالق" ونحو ذلك.

---

[1] ر ث م: ثم؛ ن: مم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥ظ.
[2] جميع النسخ: لا على الاستحقاق. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر ث م: إله؛ ن: الله.
[4] ن: زعم.
[5] م – الاحتجاب.
[6] سورة الفرقان ٤٣/٢٥.
[7] ر م: هو.
[8] ر م: لمعنى.
[9] ث – بمعنى المستحق بذاته.
[10] ن – إليه.
[11] جميع النسخ: والاستحقاق.
[12] ث: وفيما كان.
[13] سورة الفاتحة، ٤/١.
[14] سورة الأنعام، ١٦٤/٦.

ومن هذا الوجه أنكر قوم أن يكون الإله[1] اسمَ معبود في الحقيقة أو اسما مشتقا[2] عن لسان، إذ هو لم يزل إلها، ومَن مِنه[3] العبادة أو عنه الاشتقاق حادثٌ. والأصل عندنا ما ذكرنا أنه بجميع ما وُصف به وُصف بذاته، إذ لا يحتمل التغير[4] والاستحالة ولا نيلَ مدح بغيرٍ يَحْدث[5] وإنما تَمدّح به لذاته، لا أنه[6] استحق من كلِّ ذلك لوقت كون ذلك. وعلى ذلك القولُ بالعالِم والقادر أنه كذلك وإن كان الذي علمه ممن سواه[7] وكلّ مقدور عليه حادثا[8] بعد أن لم يكن. ***ولا قوة إلا بالله***. وقال الضحاك: **الله**، اسمه الأكبر، لأنه يُبتدأ به في كل موضع.

ثم اختلف في معنى الاشتقاق. فمنهم من يقول: أصله إله، من أَلِهَ[9] الرجل إلى آخر، أي التجأ إليه واستجاره، فَأَلَهه بمعنى أجاره وآمنه. فسمي إلها على وزن الفعال[10] كما يسمى[11] إماما لما يؤتم به، وفُخِم[12] بإدخال الألف واللام، ثم لُيّن وحذفت[13] الهمزة كما هو لغة قريش، ثم ادغم إحدى[14] اللامين في الآخر فشُدِّد[15] فصار "الله".

وعلى ذلك تأويل الصمد: أن يُصْمَد إليه في الحوائج،[16] ويستغاث به ويلتجأ إليه.

وقيل: إن اشتقاقه من وَلَهَ يَلِهُ وَلَهًا إذا فزِع إليه، فسمي به لأنه المفزوع[17] إليه، وهو قريب من الأول؛ ولكن حقُّ ذلك في الاسم أن يكون وِلَاه، فأبدل الواو ألفا، كما يقال في وِكاف إكاف.[18]

---

[1] ر م: الالاه.

[2] جميع النسخ: اسم مشتق.

[3] جميع النسخ: ومن به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦و.

[4] ن: التغيير.

[5] ر ن م: ممدح؛ ث: ممدوح. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] جميع النسخ: لأنه.

[7] ث: وأنه كان الذي علمه ممن سعاه.

[8] جميع النسخ: حادث. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ن - أله.

[10] م: الفعل.

[11] جميع النسخ: تسمى.

[12] ن: وفخمها.

[13] جميع النسخ: وحذف. والتصحيح من المرجع السابق.

[14] ر ن م: أحد.

[15] ن: وشدد.

[16] ر ث م: والحوائج؛ ن: من الحوائج. والتصحيح من المرجع السابق.

[17] جميع النسخ: المفزع.

[18] انظر: *لسان العرب* «أله»؛ وانظر أيضا: *المحرر الوجيز* لابن عطية، ١/٦٣؛ و*البحر المحيط*، ١/١٥.

وكذلك أهل الحجاز يجعلون[1] الواو ألفا؛ قال الشاعر:

فأَقْبَلَتْ آلها[2] تَكْلَى[3] على عِجَلٍ.[4]

وقيل: سمي به لأنه أَلَّه كل شيء، أي ذَلَّلَهُ وعبّده فتألَّه[5] له أي عَبَده.[6] قال قائلهم:

وأَلَّه إلٰهَك واحدا متفرِّدا   ساد الملوكَ بعزِّه وتمجَّدا.

وقال آخرون: سمي به لاستتاره، ومنه يقال: لِهْتَ فلا تُرَى.[7] وقال الشاعر:

لاه ربي عن الخلائق طُرًّا   خالق الخلق لا يُرى ويرانا.

وقيل: سمي به لتحير القلوب عن التفكر في عظمته، كقولك:[8] أَلَّهَني الشيء حتى أَلِهْتُ.[9] ومنه مفازة مؤلهة،[10] يعني يَحار العقل[11] عند النظر إلى عظمته. ومنه أَلِهَ يَأْلَه فهو آله. وقال الشاعر:

وبهماءُ تِيهٍ[12] تَأْلَهُ العينُ وَسْطَها   مُخْفِقَةٌ[13] الأعلام[14] ضِرَّ[15] ما سَمْلَق.[16]

---

[1] ن: تجعلون.

[2] ث: إلهي.

[3] جميع النسخ: بكلى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦و.

[4] أي متحيرا أو مفزعا. وأصله: والها. ذكره ابن منظور في «وله» قائلا: قال الأعشى: يذكر بقرة أكل السباع ولدها:

فأقبلت وَالِهًا ثَكْلَى على عِجَلٍ   كلُّ دهاها وكل عندها اجتمعا.

والعِجَل: جمع العِجْلَة، وهي المزادة أو قربة الماء (*لسان العرب* «عجل»).

[5] ر م: يأله؛ ن ث: فيأله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦و.   أي تعبد وتنسك.

[6] ث: عنده.

[7] ر ث م: فلا يرى.   وهي من لاه يليه: أي تسترت. (انظر: *لسان العرب* «ليه»).

[8] جميع النسخ: كقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦و.

[9] أي اشتد حيرتي وجزعي.

[10] ر م: ملهة؛ ن: ملتهة؛ ث: ملهه.

[11] جميع النسخ: العقل يحار. والتصحيح من المرجع السابق.

[12] جميع النسخ: وبهما تيه.

[13] ر م: مخفة.   ومخفقة: أي متحركة ومضطربة.

[14] ر ث م + بيد.

[15] ن – ضر.

[16] وضَرة المرأة: امرأة زوجها. وهي الضِرّ. والسَّمْلق: القاع المستوي الأملس والأجرد، لا شجر فيه. وامرأة سَمْلَقٌ: لا تلد. شبّهت بالأرض التي لا تنبت أي كأنها شبيهة ونظيرة للقفر الذي لا نبات فيه. (انظر: *لسان العرب*، «سملق»).

{قال[1] رضي الله عنه:} والأصل عندنا الإغضاء عن هذا، لما أن الحاجة إلى تعرف الاشتقاق والوضع ليُعْرف[2] محل الأمر وموقع الحكم. ومن جميع ما اشتقوا به الاسم يحتمل تسمية الغير بكل ذلك وتحقيق الإضافة إلى ذلك وتسميته إلها؛ وإضافة[3] ما به عُرِف الحقيقة لا يحتمل غيره سبحانه وتعالى، ولا يجوز التسمية به. ثبت الغِناء في معرفته عن جميع الوجوه التي أريد الاستخراج [بها]، إذ هي طرق يوصَل بهن[4] إلى العلم بالمقصود والوقوفِ على المراد، وقد عُرف دون الذي ذَكروا. *والله أعلم*.

والأصل عندنا في ذلك[5] أن الله سبحانه وتعالى بلطفه يمنع الخلق عن تسمية أحد إلها إلا من جهة أحوال تعترض.[6] فسَمَّوْا به على معنى جَعْل الاسم الذي جرت التسمية به حقيقةً له، فسمَّوْا / ظنا منهم أن بذلك التوسل والتقرب، لا أن يروا الشيء من ذلك[٩٢٦ظ] حقيقةَ ذلك، بل قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[7] وقالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[8] وقالوا: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا.[9] لِيُعْلَمْ أنهم عرفوا الله بما ادَّعوا[10] لأنفسهم في ذلك معاني تردهم[11] إلى الله سبحانه وتعالى، فذكروا مجازا [على أخذ ذلك][12] من أحد لسانين. *والله أعلم*. أما لسان الرسل في ذكر الله في[13] أمور تقرّبهم إلى الله تعالى، لقوله: فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ،[14] وقال: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[15] وقال: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ،[16]

---

[1] م + علي.
[2] ر ث م: لتعرف.
[3] جميع النسخ: أو أضافه.
[4] جميع النسخ: بهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦و.
[5] ر ث م – في ذلك.
[6] جميع النسخ: يعترض. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[8] سورة يونس، ١٨/١٠.
[9] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[10] جميع النسخ: بما دعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: يردهم. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] ث + ذكر.
[14] ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ (سورة النساء، ٤/ ٥٩).
[15] سورة محمد، ٧/٤٧.
[16] سورة الفتح، ١٠/٤٨.

وصَف مبايعةَ العبد ونصره أو نصرَ دينه نصر الله ومبايعته، بما يقرب ذلك إليه. فعلى ذلك تسميتهم من عبدوها، لا أنهم رأوها[1] آلهة في الحقيقة. أو [سمعوا] عن ألسن الفلاسفة أن ليس لله اسم ذاتي، وإنما سُمي هو[2] بذكر كل ذي شرف ومنزلة[3] عنده. فعلى ذلك -إذ محل من يَعبدون عندهم ما ذكرنا من القول عنهم[4] فسمّوا به، لا أن حققوا[5] كما ذكروا حقيقة ذلك الاسم إلى من عرفوه أنه إله- ردوا أمرهم في ذلك [إليه]. وذلك من لطف الله تعالى فيما سخرهم عليه -كتسمية الخالق والرحمن، إنهم لا يسمون أحدا بهما وإن كثرت[6] أفعاله وعظمت رحمته في الخلق- ليُعلَم أنها أسماء الله تعالى منع الخلق عن التسمي بها باللطف من حيث لا يُعْرَف سببه.[7]

ثم قوله عز وجل: **قل هو الله أحد**، أي الأمر هو الله أحد؛ كما تقول: إنه زيد قائم، أي الأمر زيد قائم [في] جواب من يسألك: ما الأمر والشأن في أن قمت[8] هاهنا؟ فتقول:[9] الأمر زيد قائم، أي قمت لأجله. إلى هذا يذهب الزجاج، كأنه يذهب إلى أنه لما قال: **قل هو الله أحد**، فقيل له: ما الأمر والشأن؟ فقال: الأمر الله أحد، أي ليعرفوا أنه كذلك.[10]

وقوله عز وجل: **أحد**، يتوجه إلى واحد. ثم واحد اسم ينفي المثل في الإضافة، كما يقال: هو واحد الزمان، وواحد الخلق، على نفي التشبيه له عما أضيف إليه. ويكون واحد من حيث العددُ بما عن مثله يبتدأ الحساب ولا يُبْتَدَأُ من أحد. فيصير أحد من ذا الوجه [أبلغَ في اقتضاء معنى التوحيد ونفي الأشباه من واحد]،[11] وإن كان الله تعالى بأي حرفين ذُكر ففيه ذلك. وهو الواحد الذي يستحيل أن يكون وحدانيته من وجه يحتمل ثانيا أو من وجه يُعدّ،

[1] جميع النسخ: رأوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦و.
[2] ر م: هو سمي.
[3] جميع النسخ: أو منزلة. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] أي محل الآلهة التي تعبدها المشركون وفق عقيدتهم هو كما ذكرنا ونقلنا عنهم.
[5] أي لم ينسبوا الصفات إلى آلهتهم كما نسبوها إلى الإله الذي عرفوه أنه إلخ.
[6] ن: وإن كبرت.
[7] أي سبيله.
[8] ر م: فإن قامت.
[9] ر م: فنقول.
[10] انظر: *معاني القرآن* للزجاج، ٣٧٧/٥.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٦ظ.

بل[1] هو الواحد الإله الحقُّ[2] المتعالي عن[3] معنى الأعداد والأنداد. وهو على ما ذكر الحكيم في الآحاد أنه أربع: واحدٌ هو كلٌّ لا يحتمل التضعيف لإحالة كونه[4] وراء الكل؛ وواحد هو الأقل وهو الذي لا يحتمل التنصيف والتجزئ لأنه أقل الأشياء، وإذا تنصّف[5] يكون ذلك النصف أقل منه؛ وواحد هو واسط وهو الذي يحتمل التنصيف والتضعيف جميعا؛ والرابع هو الذي قام به[6] الآحاد؛ هو ولا هو أخفى مِن هو، [هو][7] الذي انخرس عنه اللسان وانقطع دونه البيان وانحسرت عنه الأوهام وحارت فيه الأفهام، فذلك الله[8] رب العالمين.[9]

والأصل في ذلك أنه لا سبيل إلى العبارة[10] عنه[11] بغير هذا اللسان، ولا وجه للتقريب إلى الأفهام بهذا اللسان إلا بما جرى به الاعتياد وظهرت به المعارف. فلِما ذكرنا من الضرورة جُعل التوحيد في الحقيقة بالأدلة والبراهين في ضمن التسمية في عبارة اللسان، وحقُّه بما[12] أخبرتُ من ضرورات الأحوال في إرادة التقريب إلى الأفهام [و]إلى عبارات اللسان المؤسَّس على الاعتياد في إظهار المعارف. فعلى ذلك القولُ بواحد وبأحد لا على أحدية غيره من جهة التوسط أو من جهة القلة أو من جهة الكثرة. مع ما كل من هو في معنى واحد فهو واحد الآحاد المجتمعةِ إلا الواحدَ [الوهمي][13] الذي يقال [له][14] جزء لا يتجزأ وهو من غيرٍ في الجملة،

---

[1] ر ث م: تعديل. أي يستحيل أن يستحق وحدانيته بعديل.

[2] ر م: الخلق؛ ث: الخالق.

[3] ث + معاني.

[4] ر ث م: كون.

[5] ر ث: وإذا يتصف.

[6] م – به.

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٦ظ.

[8] ث: فذلك هو الله.

[9] يقول الإمام أبو منصور رحمه الله في نفس المسألة: «وسئل واحد عن معنى الواحد فقال: ينصرف على أربعة: كلٌّ لا يحتمل التضعيف، وجزء لا يحتمل التنصيف، والذي بينهما يحتمل الوجهين، لارتفاعه عما لا يتنصف وانحطاطه عما لا يتضعف، إذ لا شيء وراء الكل؛ والرابع هو الذي قام به الثلاثة؛ هو ولا هو أخفى مِن هو؛ وهو الذي انخرس عنه اللسان، وانقطع دونه البيان، وانخرست عنه الأوهام، وحارت فيه الأفهام، فذلك الله رب العالمين». (*كتاب التوحيد*، ٦٩).

[10] ر م: العبادة.

[11] أي عن الله أو عن أساس التوحيد.

[12] ر ث م: مما.

[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٦ظ.

[14] الزيادة من المرجع السابق.

متجزّئ عن توهم ذلك الجزء[1] وغير[2] متجزّئ في الوهم إذ[3] هو الأقل منه وهو جزء في الحقيقة. والله يتعالى عن الوصف بالكل والبعض والقليل والكثير والواحد مما له حق الأبعاض أو الكل أو رتبةِ القليل والكثير، جل ثناؤه، بل هو الذي [له][4] جميع ما وصفتُ، بل هو الذي خلق جميع ما وصفتُ، وجعل لكل من ذلك مقابلا بما ذُكر، ليصير كل من ذلك زوجا فيكونَ الوحدانية الحق[5] له. ***ولا قوة إلا بالله***.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[٢]

وقوله تعالى: **الله الصمد**، فذكر أنه أحد وذَكَر أنه الصمد في تحقيق ما وُصف من الأحدية، وهو -والله أعلم- أَنْ أحوجَ جميعَ من سواه حتى تحقَّقَ[6] قصدُ جميع من سواه بالحاجات إليه: بالكون في الخلقة، وفي الصلاح بعد الكون، وفي الذي به الدوام بعد الوجود. والوجودُ بعد العدم ما احتمل الوجود دونه ولا البقاءَ إلا به.[7] أحاطت الحاجات بكلٍّ ليكون له الغَناء عَن الكل في الوجود والبقاءِ، ليتحقق أنه الموجود بذاته، والباقي بذاته،[8] والمتعالي عن معنى وجود غيره سبحانه وتعالى.[9] وهو على ما ذكرنا من عجز الألسن عن البيان عنه بالعبارة إلا على التقريب إلى الأفهام بالمجعول من آثار هويته[10] في جميع الأنام.[11]

[٩٢٧و] ثم قيل في **الصمد** بوجوه يرجع جميع ذلك إلى ما بينا. / أحدها السيد الذي قد انتهى[12] سُودَدُه. ومعنى ذلك في المفهوم من السودد[13] صرف الحوائج إليه ورجاء كل المَحاويج به.[14]

[1] أي هذا الواحد الوهمي يتوهم في الجملة أنه قد تجزأ من جوهر آخر.
[2] ر ث م: غير.
[3] جميع النسخ: أو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٦ظ.
[4] الزيادة من المرجع السابق.
[5] م - الحق.
[6] ر + جمع.
[7] ر: الآية.
[8] ر م - والباقي بذاته.
[9] ر ن ث - وتعالى.
[10] أي الصفات الإلهية.
[11] ن: الأيام.
[12] أي بلغ النهاية، بمعنى لانهاية له.
[13] جميع النسخ + في.
[14] ر: المخارج له؛ ن: المخارج به؛ ث: المحاوج به؛ م: المحاوج له. والمحاويج: المحتاجون.

والثاني في أن لا جوف[1] له. وذلك في وصف الوحدانية والتعالي عن معنى أحدية غيره من اجتماع أجزاءٍ ممكنٍ فيها الفُرَجُ[2] والثَّقْب التي هي[3] كالأجواف.

أو على ما فسر قوم بالذي هو في ظاهر العبارة مَخرَجُ[4] الكتاب،[5] وهو الذي ذُكر على أثره، وهو قوله تعالى: لَمْ يَلِدْ،[6] لأن كل ذي ولد يكون ذا[7] جوف[8] عنه يتولد الأولاد. ويكون في ذلك إحالة[9] قول من نسب إليه الولد ونفى عنه الجوف.[10] فيقول: كيف يكون له ولد وقد تعلمون أنه ليس بذي جوف؟[11] كما قال: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ،[12] في قوم نزهوه عن الصاحبة وهم لم يشهدوا[13] الولادة إلا بها، كما[14] لم يشهدوا الولادة إلا عن ذي جوف.[15] فيكون في هذا نقض قول هذا الفريق فيه بالولادة[16] بما نزهوه عن الجوف،[17] كما في الأول بما برّءوه عن الصاحبة. وقيل: بما لذي الأجواف من الحاجات، فيرجع إلى التأويل الأول أنه[18] المصمود إليه بالحوائج. وظن قوم أنه إذا نُفي عنه[19] الجوف[20] يثبت أنه مُصْمَت،[21]

---

[1] ر ن م: لا خوف.

[2] جميع النسخ: القرح. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧و.

[3] ر م – هي.

[4] ن: بمخرج.

[5] أي تأويل آي كثيرة من القرآن، وآيات سورة الإخلاص منها.

[6] الآية التالية.

[7] جميع النسخ: لأن كل ذي الكون ذو. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ن: خوف.

[9] ن: احاله.

[10] ر ن ث – ونفى عنه الجوف.

[11] ر ن: بذي خوف.

[12] سورة الأنعام، ١٠١/٦.

[13] ث + الخلافة.

[14] م + لو.

[15] ر ن: عن ذي خوف.

[16] ر: بالولا؛ ن ث م: بالولاد. والتصحيح من المرجع السابق.

[17] ر ن م: الخوف.

[18] ر م: أن.

[19] أي عن الله تعالى.

[20] ر ن م: الخوف.

[21] المصمت الذي لا جوف له ولا فرجة فيه.

فذلك[1] معنى اجتماع أجزاء تتداخل فتتكاثر[2] كذي الجوف[3] هو اجتماع أجزاء[4] تَنْفَتِق.[5] فإذا تحقق التنزيه عن أحد الوجهين تحقق التنزيه عن الوجه الآخر [إذ][6] في الوجهين نفي الوحدانية وتحقيق ازدواج الآحاد. مع ما قد يُنفى عن أشياءَ أمورٌ لا تُحقَّق لها المقابلة، كما ينفى عن الأعراض السمع والبصر والعلم لا على إثبات مقابلتها، بما علموا أن الأعراض لا تحتمل الاعتراضات.[7] فعلى ذلك العلمُ بوحدانية الله تعالى والتنزيه عن احتمال الأزواج يحقق[8] القول الذي ذكرت.

وقد قيل في الصمد: إنه الدائم. وذلك أيضا يرجع إلى ما ذكرت أنه لا يحتمل التغير والاستحالة وإصابة أثر الحاجة، وهو المصمود إليه بالحوائج.

وقد قال قائل في التأويل الأول:

لقد بَكَّرَ[9] النَّاعي بخَيْرَيْ[10] بني[11] أسدْ ... بعمرٍو[12] بن مسعودٍ وبالسيّد[13] الصَّمَدْ.[14]

ويقال: صمدتُ إلى فلان، أي قصدت إليه. وهذا يُوضِح معنى الصمد أنه يُصمَد إليه في الحوائج.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[٣] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٤]

وقيل في ذلك: إن الصمد تأويله **لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.**

---

[1] جميع النسخ: وذلك.

[2] ر ث م: يتداخل فيتكاثر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧و.

[3] ر م: الخوف.

[4] ن – تتداخل فتتكاثر كذي الجوف هو اجتماع أجزاء.

[5] ر م: تتفق. وتنفتق: أي تتشقق.

[6] الزيادة من المرجع السابق.

[7] جميع النسخ: لا يحتمل الاعراضات. والتصحيح من المرجع السابق. لعل الاعتراضات هي ما يعرض على شيء من الأوصاف.

[8] جميع النسخ: تحقق. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر م: نكر.

[10] ويروى «بخير بني أسد». انظر: *لسان العرب* «صمد».

[11] ن: هي.

[12] ر م: عمر.

[13] ر م: بالسيد.

[14] البيت لسبرة بن عمرو الأسدي. وقيل: لهند بنت معبد. وفي الأغاني أنها لنادبة الأسديين. انظر: *الأغاني* لأبي الفرج، ٢٢/٢٩٢؛ و*خزانة الأدب* للبغدادي، ١١/٢٦٩.

{قال الشيخ أبو منصور رضي الله عنه:} الأصل أنه تعالى أعظم[١] القول بالوِلاد ما عَظّم بجعل الشركاء. وذلك أن معنى الولاد أن يكون بجوهر من له ولد، فيكون بذلك شريكا وذلك ينفي التوحيد. فعلى ذلك القولُ بالولاد، لذلك[٢] عظّم[٣] القول به وألزم على من عرفه[٤] بالأدلة القولَ ببراءته عن الوِلاد لما[٥] يثبت الاشتراك من الوجه الذي بينا. وقد شهد العالم بكليته[٦] بحق الخلقة على[٧] تعالي مُنشئه عن الشركاء والأشباه جميعا، فيبطل القول بالذي ذكرنا. مع ما كان جميع الخلائق على الإشارة إلى كل منه يحتمل الازدواج، ومنه يكون التوالد، والله متعال عن ذلك.

وبعد فإن كلا من[٨] العالم على الإشارة إلى آحاد متولدٌ عن غير أو يتولد منه غير. وهما أمران راجعان إلى ما عليه حق هذا العالم، وعليه موضوعهم. وقد ثبت تعاليه عن جميع معاني غيره، إذ كلّ غير له[٩] بجميع معانيه حَدَثَ بعد أن لم يكن، أتى عليه تدبير غيره، وجرى عليه تقدير سلطان[١٠] غيره. والله تعالى لو كان يُتوهم شيء من ذلك فيه يُسقط له الألوهية ويحقق[١١] له الحاجة إلى غيره، ويوجب جَرْيَ[١٢] سلطان غيره عليه. وذلك يوجب غيرا خارجا عن[١٣] هذه المعاني حتى تَسْلَم[١٤] له الأدلة[١٥] على حد الموضوع، وتصفو[١٦] له الشهادة على ما قامت وأُنطقت[١٧] بالخلقة، وبما فيها[١٨] من الحكمة. **ولا قوة إلا بالله**.

---

[١] ث: عظم.
[٢] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧و.
[٣] ر ن م: أعظم.
[٤] أي عرف الله تعالى.
[٥] جميع النسخ: كما. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر م: بكلية.
[٧] ر م + الله.
[٨] جمع النسخ: كلام. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: أي كل غير الله تعالى.
[١٠] ر م: سلطانه.
[١١] جميع النسخ: وتحقق.
[١٢] ر ث م + بعد؛ ن: تقدير. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر م – عن.
[١٤] ن: يسلم.
[١٥] جميع النسخ: الأدلة له.
[١٦] ر م: ويصفوا؛ ن ث: ويصفو. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٧] ث: ونطقت.
[١٨] جميع النسخ: فيه. وفيها: أي في الخلقة.

وعلى ذلك تختُمُ السورة أن ليس له أحد كفوا، لأنه من ذلك يوجب المماثلة، وفي المماثلة اشتراك؛ وقد ثبت[1] فساد العالم بتوهم الاشتراك في تدبيره،[2] وقد لزم التعالي عن المعاني التي للازدواج. [ف]بها يقوم التدبير ويجري سلطان التقدير.

وجائز أن يكون مخرج السورة[3] في تحقيق نعت من قد عرفوه بإحدى خصال ثلاث.[4] **١**) إما بالتلقين لكل عن كل إلى أن ينتهي ذلك إلى علام الغيوب. فسخرهم بذلك وأنشأهم على ذلك. حتى أيقن من جحد ذلك أنه بعد تلقين متوارَثٍ ظاهرٍ لا يحتمل مثلُه الخطأَ، [لأنه] في حق توارث الأمور بما يُبطل المعارف كلَّها، بأسرها أنشئوا وبها[5] تعاملُوا. وذلك كأولية[6] علوم الخلق. **٢**) وكالشيء المطبوع الذي لا يستطاع جحده إلا بما به[7] نقل[8] الطباع المخلوقة [عن مجراها] على جهة الرياضة وأنواع الحيل. **٣**) وإما بالتأمل فيها في كل جزء من أجزاء العالم من الأدلة عليه والشهادة له [بالإلهية].[9]

[٩٢٧ظ] فبيّن[10] بالآية أن الذين / عرفوه بإحدى[11] الوجوه التي ذكرنا نعتَه كذا لَيُقْطَعَ به توهم المثل له أو العدلِ في أمر؛ ولِيعرفوا[12] أن القول بغير [ذلك][13] خارج عن الوجوه التي ذكرنا، وأنه يرجع إلى ضرب من[14] التلقين، ليس له حق الطباع ولا حق التلقين الذي له صفته[15] الكافية والكلية في التلقين، ولا [هو] في حق شهادة الكل بالخلقة [بأن] يُدرَك بالتأمل والتفكر.

---

[1] ن - ثبت.
[2] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٢٢).
[3] أي آخر آيات سورة الإخلاص.
[4] يبدو أن الإمام رحمه الله قد تلقى الخصال الثلاث هكذا: الأولى التلقين؛ والثانية الطباع والفطرة؛ والثالثة التأمل في العالم. ولعله قد قصد بالنعت (بصيغة المفرد، لأن صفات الله ونعوته كثيرة) الصفة الجامعة وهي التوحيد.
[5] ن: به.
[6] ر ث م: كأول.
[7] ن - به.
[8] جميع النسخ: لعل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧ظ.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] أي بيّن الله تعالى.
[11] جميع النسخ: بأحد.
[12] ر م: ليعرفوا.
[13] الزيادة من المرجع السابق.
[14] ر م - من.
[15] جميع النسخ: صفة. والتصحيح من المرجع السابق.

فيمتنع عن ذلك ويرجعُ إلى حقيقة ما جرى به[1] النعت، دون غيره مما القول[2] به[3] يرجع إلى تلقين مَن ذُكر و[إلى] تلبيس بلا حجة، لذلك لا يضاهي شيئا مما ذكرت. مع ما في كل ذلك[4] جميع ما في غير ذلك من شهادة الخلقة والحاجة فيها إلى غيره من الإيجاد والإبقاء، وهو الأحذ[5] بما لا دليل لغيره. بل في ذلك إجالة[6] الألوهية من كل الوجوه الثلاثة: وهو الصَّمَدُ،[7] بمعنى المصمود إليه في الحوائج المالك لقضائها، وهو الذي **لم يلد ولم يولد**، وهو المتعالي عن احتمال وِلاد فيه ومنه، لما ذكرت من فساد الألوهية الثابتة له بما ذكرت[8] من الوجوه.

وقوله عز وجل: **ولم يكن له كفوا أحد**، لما في كل أحد سواه [جميع][9] الوجوه التي منها يُعرف سلطانُ غيره عليه، وأنه دليل لمن ذل له كل شيء على السواء. ***ولا قوة إلا بالله ومنه الاستمداد.***

ولِما ذكرتُ سميت هذه السورة سورةَ الإخلاص أنها في إخلاص[10] التوحيد لله ونفي الأشباه والشركاء في الألوهية[11] والربوبية، وأن كل شيء سواه مربوبه[12] ومملوك له. ***ولا قوة إلا بالله.***[13]

[1] ر م – به.
[2] ر ث م: القوا.
[3] ر م: فيه. والقول به: أي بغير وجه من الوجوه الثلاثة التي ذكرت آنفا.
[4] أي في النعت الحقيقي.
[5] جميع النسخ: الأحد.
[6] ر ث: الإحالة. الإجالة هنا: الإنفاذ والإجراء.
[7] الآية ٢ من هذه السورة.
[8] ر م: الثابت بما ذكر؛ ن: الثانية له بما ذكر؛ ث: بما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧ظ.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] ن – أنها في إخلاص.
[11] ر ث ن: الإلهية.
[12] ر م: مربوبة.
[13] ر + والحمد لله رب العالمين وبه نستعين؛ ث + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين؛ م + والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفلق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[١]

قوله عز وجل: **قل أعوذ برب الفلق.** {قال الفقيه رحمه الله:}[2] الأمر بالتعوذ به يحتمل وجوها ثلاثة. أحدها على التعليم لا لنازلة كانت في ذلك الوقت. لكنْ لِما علم الله تعالى من عظم[3] شر مَن ذُكر -بما يُظنّ بالأغلب أن شر ما ذُكر يتصل بالذي ذكر[4] في علم الله تعالى- أمرهم[5] بالتعوذ به؛ كما أخبر في أمر الشيطان[6] أنه عدو لهم وأنه يراهم من حيث لا يرونه،[7] ليكونوا أبدا مُعِدِّين[8] متيقِظين، أو فَزِعين إلى الله تعالى معتصمين [به].[9]

---

[1] ر - سورة الفلق؛ ث + وهي خمس آيات مكية؛ م + وهي مدنية.

[2] ر: رحمة الله.

[3] ر ث م: من عظيم.

[4] أي شر النفاثات والحاسدين الذي يتصل بالناس بواسطة النفث والحسد ونحوهما كما ذكر في هذه السورة.

[5] جميع النسخ: فأمرهم.

[6] م - كانت في ذلك الوقت لكن لما علم الله تعالى من عظم شر من ذكر بما يظن بالأغلب أن شر ما ذكر يتصل بالذي ذكر في علم الله تعالى أمرهم بالتعوذ به كما أخبر في أمر الشيطان. صح هـ.

[7] لعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا بني آدم لا يَفْتِنَنَّكم الشيطان كما أخرج أَبَوَيْكم من الجنة يَنْزِع عنهما لباسهما لِيُرِيَهما سوآتهما إنه يَرَاكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٧).

[8] أي مهيئين أنفسهم للعدو.

[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٧ظ.

وهذا أحق في التعليم من الذي ذُكر في سورة الناس؛ لأنه أضرُّ من ذلك العدو، لأن ضرره إنما يتصل به بإتيانه[1] ما دعا[2] إليه[3] الشيطان وما يوسوس في صدره[4] الوسواس، وذلك فعله يمكنه[5] الامتناع عنه. وهذا الضرر يقع بفعل غيره من وجه لا يعلم مأتاه، أعني شر النفاثات ونحو ذلك، فهو أحق في تعليم العباد فيه والأمرِ بالفزع إلى مَن[6] بلطفه جُعِل ذلك الفعل ممن ذكرنا معمولا فيه[7] مؤثِّرًا.

والثاني ما قيل: نزل جبريل[8] عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقال]: «إن عفريتا من الجن يَكيدك، فتعوَّذْ بأعوذ برب الفلق وبرب الناس من شره إذا أويت إلى الفراش».[9]

والثالث [ما] قيل: إن واحدا من اليهود سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل هذا.[10]

قال أبو بكر الأصم: ذكروا في هذا[11] حديثا فيه[12] ما لا يجوز فتركته.

---

[1] ث: باتباعه.

[2] جميع النسخ: ما دعاه.

[3] ر م - إليه.

[4] ر م: في صدوره.

[5] ر ن م: تمكنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧ظ.

[6] أي إلى رب هذه الفاعلين ومصرفهم. لعل المؤلف يشير بقوله هذا إلى اسم "الرب".

[7] ر ث م - فيه.

[8] ر م: جبرائيل.

[9] وفي *تفسير السمرقندي*: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له جبريل عليه السلام: «ألا أخبرك يا محمد صلى الله عليه وسلم بأفضل ما يُتعوذ به؟ قلت: وما هو؟ قال: المعوِّذتان». انظر: *بحر العلوم للسمرقندي*، ٣/٥٢٨؛ وانظر: *تفسير ابن كثير*، ٨/٥٥٢.

[10] عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زُرَيق يقال له: لَبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله. حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «يا عائشة، أشَعَرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيه فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رِجْلَيّ، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طَبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مُشْطٍ ومُشَاطة وجُفِّ طِلع نخلةٍ ذَكَرٍ. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذَرْوَانَ». فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناسٍ من أصحابه، فجاء فقال: «يا عائشة، كأنّ ماءها نُقاعة الحِنّاء، وكأنّ رءوس نخلها رءوس الشياطين». قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجْتَه؟ قال: «قد عافاني الله، فكرهت أن أُثيرَ على الناس فيه شرا». فأمر بها فدُفنت (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤/٣٦٧؛ وصحيح *البخاري*، الطب ٤٧).

[11] ر م: في هذه.

[12] ر ث م - فيه.

{قال الفقيه رحمه الله:}[1] ولكن عندنا فيما قيل: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُحر" وجهان في إثبات نبوته ورسالته.[2] أحدهما بما عَلِمه بالوحي أنه سُحر، وذلك فعل فعلوه سرا منه، ولا وقوف لأحد على الغيب إلا بالوحي. والثاني بما أُبطل عمل السحر بتلاوة القرآن؛ فيصير لتلاوته في إبطال عمل السحر ما لعصا موسى عليه السلام؛ وأن هذا في كونه آيةً أعظمُ مما فعل موسى عليه السلام، لأن ذلك[3] بنوعٍ ما له الفعل والعمل من حيث الجوهر والطبعُ ومن حيث[4] مرأى العين، فإنه صار[5] ثعبانا تَلْقف ما صنعوا. فأما إبطال السحر وعملِه بتلاوة القرآن لا يكون إلا باللطف من الله تعالى. ***والله أعلم.***

ثم الأصل في هذا عندنا أنه[6] قد ثبت الأمر بالتعوذ بقوله: **قل أعوذ برب الفلق**. وقد بينا حق الاشتراك[7] فيما[8] يتضمن هذا الأمرُ أَنْ كان على نازلة في واحد أو على ابتداء التعليم. فهو أمر فيه رجاء الفَرَج[9] والمَخرَج من الأمور الضارة بما يعتصم فيها بالله تعالى بما عنده[10] من اللطائف. فجائز تمكينه[11] من أمور ضارة باللطف من حيث لا يعلم البشر مأتاه. ولعل الذي يعمل به[12] لا يعلم حقيقة ذلك العمل الذي جعل[ها] الله تعالى لذلك العمل إلا بما يَسبق من وقوع ذلك.[13]

وقد يجوز الأمر والنهي بأشياءَ وعنها من الأفعال لمكان[14] ما يتولد عنها من المنافع والمضار باللطف، من حيث لا فِعلَ في حقيقة ذلك للخلق، وإنما ذلك لطف من الله تعالى؛

---

[1] ر + عليه؛ ن ت: رضي الله عنه.
[2] ر ث م: في رسالته ونبوته.
[3] ر م + بنوع.
[4] جميع النسخ: والطبع من حيث.
[5] ث – صار.
[6] ر م – أنه.
[7] لعله يقصد اشتراك معاني هذا الأمر واتساع مضمونه.
[8] ر م: فيمن.
[9] ر ن: الفرح.
[10] ن: بما عبده.
[11] أي جَعْل الله للإنسان قدرة وسلطانا على أمور ضارة وعلى دفعها وإزالة ضررها.
[12] أي يعمل بعمل إزالة الضرر.
[13] أي وقوع زوال الضرر.
[14] ر م: المكان؛ ن: بمكان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٨و.

نحو ما نهى عن أكل أشياء وأمر بها مما بها الاغتذاء[1] أو القتل،[2] من غير أن نعلم حقيقة وصول ذلك إلى ما يغذو[3] أو يقتل وأي حكمة [توجد] في ذلك ومعنًى له. وكذلك الموضوع من المناكح لطلب[4] الولد وسقي الأشجار والزرع[5] لِما[6] يُحدث الله فيها -وإن كان [لا يُعلِم]-[7] وجهَ العمل بالمأمور به والمنهي عنه وحقيقةَ[8] معنىً[9] الذي له ذلك [العمل].[10] وعلى ذلك الأمرُ بالاستماع والنظر لما يُلقَى إليه ويراه وإن لم يكن / حقيقةَ الإدراك فعله. [٩٢٨و]

وعلى ذلك التقديرِ جائزٌ أن يكون الله تعالى يجعل النَفْث بالعزائم أو بأنواع السحر أو بأنواع الرُّقَى [سببا][11] لأعمال[12] في المقصود بها من النفع والضر، لا يَعلم حقيقة الوقوع والمعنى الموضوع[13] فيه له [و]مَن مِنه ذلك الفعل، وهو به مأمور وعنه منهي بما له من حقيقة الفعل، وإن لم يكن الواقع[14] به في الحقيقة[15] فعلَه.[16]

ثم قوله عز وجل: **الفلق**، اختلفوا فيه. قال بعضهم: الصبح. وقيل: كل شيء ينفلق[17] من جميع ما خلق نحو الأرحام - ليُتَعَرَّف ما فيها- والحَبِّ، والنَّوَى، والهوامّ وكلّ شيء. فمن ذهب إلى تخصيص الصبح فهو لأنه آخر الليل وأول النهار. وقد جرى تدبير الله تعالى في إنشاء هذين الوقتين على جميع العالم بحيث لا يملك أحد الامتناع عن حكمهما فيما جعل لهما.

---

[1] ر ن م: الاعتداء.
[2] جميع النسخ: والقتل.
[3] ر ن: إلى ما تعدو؛ م: إلى ما تعذو.
[4] ر م: يطلب.
[5] ث: والزروع.
[6] جميع النسخ: بما. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٨و.
[7] الزيادة من المرجع السابق.
[8] ر ث م: وحقيقته.
[9] ر ث: لغير؛ ن م: بغير. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] الزيادة من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: أعمالا. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر م: الموضع.
[14] جميع النسخ: النافع. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] جميع النسخ: في حقيقة. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] ن: لعله.
[17] ن: يتعلق.

وهما النهاية في العلم. يعلم[1] الله تعالى الغيب، إذ جرى من تدبيره في أمر[2] الأوقات في الليل والنهار على حد واحد كلٍّ عام بما فيهما من الرحمة للخلق وأنواع المحنة ومن جعلهما آية[3] بما يأتيان الخلق ويُذهبان. فكأنما ذكر جميع الخلق على ما نذكره[4] في تأويل قوله[5] تعالى: بِرَبِّ النَّاسِ.[6] فيكون فيه كأنه قصد[7] بالذكر ما في الكل [بخلقه] ذلك [ومن الكل].[8] **ولا قوة إلا بالله.**

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **من شر ما خلق**، له وجهان. أحدهما من شرٍّ يخلقه[9] لما أضاف إلى فعله، كما يقال: من شرِّ فَعَل فلانٌ، أي من شرٍّ يفعله. ويحتمل من شر يكون مِن خلقه.[10] لكن الإضافة إليه بما هو خالق كلِّ شيءٍ: مِن فعلِ خَلْقه ومن خلقِ ما لَه الفعل[11] أو لا[12] فعل [له]. والأول كأنه أقرب، لما ذُكر في بقية السورة [من] الواقع بخلقه المكتسب من جهتهم[13] وأضيف إليه لما بينا، ولأن كل شر اكتسبه الخلق فذلك منسوب إلى الله تعالى خلقا وهو فعل المكتسِب وكَسْبُه.

فمتى كان المراد من قوله تعالى: **من شر ما خلق**، هذا النوعَ، فكأن ذكْر ما بعده يكون تكريرا. وإذا حمل الأول على محض التخليق فيما لا صنع[14] للخلق فيه من الشرور كان ذكر ما لهم صنع فيه -وإن كان بخلق الله تعالى عز وجل- لا يكون تكريرا، فيكون هذا التأويل أحق.

---

[1] ن: بعلم.
[2] جميع النسخ: في آخر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٨و.
[3] جميع النسخ: ومن عليهما. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: على ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ن - قوله.
[6] سورة الناس، ١/١١٤.
[7] جميع النسخ: لو قصد. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] الزيادتان من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: خلقه. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] أي من مخلوقه.
[11] أي هو فاعل.
[12] جميع النسخ: ولا.
[13] ث: من جبهم.
[14] ن: التخليق ولا صنع.

مع ما قد بينا أنه يمنع في فعل غيره بلطف أو إعجاز؛ وفي الإعجاز لا يُحتمل التعوذ من شر من لا يقدر على فعل يتصل به الشر. لكن في ذلك[1] إثبات التمكين لما يقع به الشر فيجوز التعوذ من الذي منه، إذ به يكون من غيره؛[2] على ما بينا من جواز الأمر والنهي عن أفعال لمكانِ ما يقع بها[3] وإن لم يكن الواقع في الحقيقة لهم، فعلى ذلك التعوذ من شر خلقه وهو التمكين. **والله الموفق والمعين.**[4]

وفي هذا تعلّق بعض من يقول بالقوة تَسبِق[5] الفعل أنه لو لم يكن له قوة على الشر كيف كان يتعوذ من شر من لا يَقوَى عليه؟ والجواب من وجهين. أحدهما أن التعوذ يكون لما سيفعل[6] بما يملك، [و]هو ما يقع لديه الفعل،[7] وهو الآلات السليمة. والقدرة تحدُث[8] تِباعا على حدوث الأفعال، وتحدث[9] لما يختار هو؛ فصارت القدرة في كونها لما يختار ككون ما يَختار من الفعل بالاختيار بحدوث القدرة حالةَ الفعل، فيتعوذ منه لعلمه أن الذي به كأنه[10] في يده.

والثاني أن قد جرت العادة [بفعل الظلم ممن خلق وما جرت به العادة][11] بالعلم بما يقع في المتعارف كالعلم بما هو واقع في الرغبة والرهبة. ألا تَرى أنه يَتعوذ من ظلم الجبابرة والظَّلَمة على ما بينهم[12] من بُعد الأمكنة وطول المُدد لإمكان الوصول بما اعْتِيدَ[13] منهم بلوغُ أمثال ذلك وإن كانت القدرة على الظلم في حقه للحال معدومة لا تبقى[14] في مثل هذه المدة، فعلى ذلك الأمر الأول.

---

[1] جميع النسخ: به الشر وفي ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٨و.

[2] أي بالتمكين يقع الشر من غير الله تعالى.

[3] أي من المنافع والمضار.

[4] ر م ث: والله الموفق والمستعان.

[5] ر ن م: يسبق؛ ث: بسبق. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] جميع النسخ: بما سيفعل. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ث: ما يقع به الفعل.

[8] جميع النسخ: والقدر يحدث. والتصحيح من المرجع السابق. أي القدرة المؤثرة وهي قدرة التكوين.

[9] جميع النسخ: ويحدث. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ث: كان.

[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٨و-٣٦٨ظ.

[12] ر: على بينهم.

[13] ن: بما اعتد؛ م: بما اعتقد.

[14] جميع النسخ: لا يبقى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٨ظ.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾[٣]

وقوله[١] عز وجل: **ومن شر غاسق إذا وقب**، اختلف فيه. قيل: الغاسق هو الليل المظلم، والغَسَق الظلمة. وقيل: سمي الليل غاسقا لأن الغاسق الباردُ. قال[٢] الله تعالى:[٣] لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جَزَاءً وِفَاقًا،[٤] والليل أبرد من النهار لذلك سمي غاسقا.

والأصل في هذا أن الذي ذَكَر لا يكون منه ضرر يتعوذ منه، لكنه يرجع إلى من كان في ظُلَم الليل أو في نور القمر مِن الذي يأتي منه المضار. ومعلوم أن من الشرور ما لا يُمكَّن منها إلا في ظلم الليل، ومنها في الليالي لا يمكن إلا بنور القمر، فأَمَرَ بالتعوذ مما يكون فيها لا أن يكون منها. وهو كقوله تعالى: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[٥] بما يقع فيه[٦] الإبصار لا أنه يقع منه ذلك. وهذا -والله أعلم- ليس على تخصيص الليل بذلك لأنه ليس له فعل الضر، لكن قد يَعرِض[٧] به الإمكان من الشر، لِما المعلوم أن من الشرور ما لا يمكن منها إلا في ظُلَم الليل، ومنها في الليل لا يمكن إلا بنور القمر. فأمر بالتعوذ منه[٨] عما يتحقق فيه. فعلى ذلك يجوز التعوذ من شر النهار على تأويل ما يقع به من التمكن من الشر ويوجد فيه. *والله أعلم*.

وقوله تعالى: **إذا وقب**، اختلفوا في معنى **وقب**. قيل:[٩] إذا جاء ودخل،[١٠] وقيل: ذهب. وقيل: معناه القمر إذا خَسَف. أمر / بالاستعاذة من ذلك، إذ هو عَلَم من أعلام الساعة، لهذا [٩٢٨ظ] قال: **إذا وقب**، إذ القمر[١١] لا يَخسِف إلا في الليل.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر م: وقال.
[٣] ن – الله تعالى.
[٤] ن – جزاء وفاقا. سورة النبأ، ٧٨/٢٤-٢٥.
[٥] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ١٠/٦٧).
[٦] جميع النسخ: يقع به. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٨ظ.
[٧] ن: قد تعرض.
[٨] ر: منها.
[٩] ن: اختلف فيه قيل.
[١٠] ر ث م – ودخل.
[١١] ر: إذا القمر.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾[٤]

وقوله **ومن شر النفاثات في العقد**، فهذا تعوذ من شرهن[١] بحسب سببه، لكنه في الحقيقة[٢] فعلٌ لهن.[٣] وفي الأول[٤] يقع [فيه][٥] بسببه[٦] بلا صنع لهم. فكأنه في الجملة أُمِرَ بالتعوذ من كل أسباب خِيفَ تولّد الشر منه فعلاً،[٧] كان ذلك له أو لم يكن. ألا ترى إلى قوله: فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ.[٨] وقد يكون للشيطان فعل في الحقيقة ولا يكون للحياة[٩] الدنيا،[١٠] فوقع النهي عن الاغترار بهما. فعلى ذلك التعوذ من شر الأمرين،[١١] وإن لم يكن لأحدهما فعل بما يقع فيه.[١٢]

وجائز أن يكون من هذا الوجه في الملائكة محنة[١٣] في الدفع والحفظ، لقوله تعالى: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ،[١٤] قيل فيه:[١٥] بأمر الله يقع حفظه. فجائز أن يكون في هذه الأمور الخفية وأنواع المضار -من حيث لا يُعلم إلا بعد جَهد [شديد]-[١٦] يقع الحفظ بالله تعالى على استعمال الملائكة. وعلى ذلك يجوز أن يكون أمرُ سلامة المطاعم والمشارب والمنافع التي للبشر عن إفساد الجن لحفظ[١٧] من ذكر، ليكون فيها محنةُ للملائكة على ما كان مكانَ وسواس الشيطان إيقاظ الملائكة ومعونتُهم. ويحتمل أن يكون الله لم يُمكّنهم إفسادَ ما ذكرنا

---

[١] جميع النسخ: من شرهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٨ظ.
[٢] أي في الواقع.
[٣] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] أي في قوله: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾.
[٥] الزيادة من المرجع السابق.
[٦] ر ث ن: سببه؛ م: سبب. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] أي في الواقع ومشاهدة الناس.
[٨] سورة لقمان، ٣٣/٣١.
[٩] ن: لحياة.
[١٠] جميع النسخ + فعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] أي من شر ما هو سبب للشر في الحقيقة ومن شر ما لم يكن سببا له، لأن الإنسان لا يعلم حقيقة الأمور.
[١٢] أي بما يقع الشر في الليل.
[١٣] ر ث م - محنة.
[١٤] سورة الرعد، ١١/١٣.
[١٥] جميع النسخ + أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] الزيادة من المرجع السابق.
[١٧] ر ن ث: يحفظ؛ م: بحفظ. والتصحيح من المرجع السابق.

وإن مَكّنهم الوسواسَ، إذ باللطف يَمنع من حيث لا يُعلم. وقيل أيضا: من أمر[١] الله عذابه وأنواع البلايا إلى وقت إرادة الله تعالى الوقوعَ. [*والله أعلم*].[٢]

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٥]

وقوله: **ومن شر حاسد إذا حسد**، يخرج على وجهين. أحدهما إذا كان الحاسد دون المحسود لا يقوى[٣] على الشر ليفعل به، فالشر[٤] المتوهم منه يكون من شر عينه. وعمل الحسد إرادة زوال نعم المحسود وذهابِ دولته؛ وإنه جائزٌ أن يكون الله تعالى بلطفه[٥] يجعل في بعض الأعين[٦] عملا يتأدى بالنظر إلى ما يستحسنه من النِعم إلى الزوال ويؤثر في ذهاب[٧] الدولة عنه، فأمر بالتعوذ لهذا. وقد بينا لك المتولدات[٨] عن الأفعال[٩] بما جعل الله تعالى باللطف[١٠] فيها من المضار والمنافع ما لا يبلغها علوم الخلق؛ بل لو أراد الخلق أن يعرفوا ما في البصر من الحكمة يُدرك[١١] بفتح البصر ما بين السماء والأرض من غير كثيرٍ مهلةٍ لم يقدروا عليه.

وروى عمران بن حُصَين أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم[١٢] قال: «لا رُقْيَةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ».[١٣] وعن ابن عباس رضي الله عنه: «العين حق فإن كان شيء يَسبق القَدَر لسبقته العين»،[١٤]

[١] ر ث م: من أمن.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٨ظ.
[٣] ر م: ولا يقوى.
[٤] جميع النسخ: والشر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ن: باللطف. أي بقدرته اللطيفة التي لا يدركها البشر.
[٦] جميع النسخ: الأعيان. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر م: ويؤثرون وذهاب؛ ن: ويؤثرون ذهاب. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ث: التولدات.
[٩] جميع النسخ: من الأفعال. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ث م - باللطف.
[١١] جميع النسخ: من الحكمة التي تدرك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٨ظ.
[١٢] ر ث م + أنه.
[١٣] ر ث م: حمر؛ ن ث: حمه. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٣٦/٤؛ وصحيح *البخاري*، الطب ١٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٩٤. الحُمَة بالتخفيف: السّمُّ، وقد يُشَدّد (انظر: *النهاية* لابن الأثير، «حمه»).
[١٤] جميع النسخ: يسبقه العين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٨ظ. روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة. أخرجه مسلم بلفظ: «العين حق ولو كان شيء سَابَقَ القدرَ سبقته العينُ...»؛ والإمام مالك بلفظ: «...فإنه لو سبق شيء القدر، لسبقته العين». انظر: *الموطأ* للمالك، العين ٣؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢٥٤/١، ٣٤٧، ٣٦٠؛ ٤٣٨/٦؛ وانظر أيضا: صحيح *مسلم*، السلام ١٦؛ وسنن *ابن ماجة*، الطب ٣٣؛ وسنن *الترمذي*، الطب ١٧.

وفي خبر آخر: «لا شرَ في الهَامِ،[1] والعين حق».[2] ويدل عليه [ما] في قصة إخوة يوسف عليه السلام، قال: لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ.[3] وقد فسر قوم وجه عمل العين وكيفيته، لكنه [هو] أمر كعمل الشمس في العين نفسها فيما يُبصر الشمس وينظر إليها، فإنها تضره وتغلبه عن النظر على بعدها من العين، بما جعل الله تعالى في ذلك[4] من اللطف والحكمة، وكذلك عمل العين في المعيون. **والله أعلم**.[5]

والثاني أن يكون بما حسد أن يبعث حسده على البخل[6] وأنواع ما فيه الفتن[7] من السعي في الأمور التي بها الفساد على ضَعْفه في نفسه؛ قال الله تعالى في صفة المنافقين: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ؛[8] فمع ما بيّن من فشلهم وضعفهم أمرهم بالحذر عنهم؛ وقال: إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا،[9] ثم أمر بالتعوذ من شره، فكذلك الحاسد. **والله أعلم بالصواب وإليه المآب**.[10]

---

[1] والهام: جمع هَامَة، وهي الرأس واسم طائر. إن العرب كانوا يتشاءمون بها، وهي من طير الليل. وقيل: هي البومة. انظر: *النهاية* لابن الأثير، «هوم».

[2] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤/٦٧؛ ٥/٧٠، ٣٧٩؛ وسنن *الترمذي*، الطب، ١٩.

[3] سورة يوسف، ١٢/٦٧.

[4] جميع النسخ: وذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٩و.

[5] ث - والله أعلم.

[6] ر ث: على الحيل؛ ن م: على الجبل.

[7] جميع النسخ: ما به العين. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] سورة المنافقون، ٦٣/٤.

[9] سورة النساء، ٤/٧٦.

[10] ر ن - بالصواب وإليه المآب؛ ث: والله تعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الناس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[١] ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾[٢] ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾[٣]

قوله تعالى: **قل أعوذ برب الناس**، فظاهره[2] أمرٌ لرسول الله بشيء[3] مشار إليه وهو التعوذ. وحق الإجابة في مثله أن يقول: أعوذ، لا[4] أن يقول: قل أعوذ؛ لكنه -والله أعلم- يخرج على وجهين. أحدهما أن يكون ذلك أُنزل بحق أن يصير ذلك أمرًا لكل من بلغه، وتعليما بالذي عليه من الاعتصام[5] بالله تعالى، والالتجاء إليه من شر الذي ذكره ليعيذه. ويكون الإعاذة بوجهين. أحدهما في تذكير ما قد[6] عرّفه من الحجج في دفع ما يخطر بباله من المكروه. والثاني باللطف الذي لا يبلغه علم الخلق ولا تدركه[7] عقولهم مما لديه يقع الأمن من الزيغ مما حقه الإفضال.[8] والذي ذلك حقه فللّه تعالى أن يُكرم به العبد مبتَدَءًا،

---

[1] ر - سورة الناس؛ ن + مدنية؛ ث + وهي ست آيات مدنية؛ م + وهي مدنية.

[2] م: فظاهر.

[3] ر ن م: وشيء.

[4] ر م - أعوذ لا؛ ن - لا.

[5] ر م: بالاعتصام.

[6] ر ث م - قد.

[7] جميع النسخ: ولا يدركه.

[8] ر ث م: الإفعال.

وله أن يُقدم فيه محنة السؤال والاعتصام به على الإكرام أيضا. ويلزم على من عصم به[1] عن الزلة أو هُدِيَ إلى حسنة الشكرُ لله تعالى فيما ابتدأه أو أكرمه[2] عند[3] السؤال.

والوجه الثاني من وجهي الخطاب أن يكون الخطاب لغيره، وإن كان راجعا إلى مشار إليه فهو / مما يشترك في معناه غيره، فأبقى وأثبت ما به يصير مخاطِبا مَن بلغ ذلك، وهو قوله: **قل،** [٩٢٧و] حتى يدومَ هذا إلى آخر الدهر. وعلى هذا[4] جميع ما فيه حرف الكلفة والمحنة، أعني صيغة الأمر. *والله الموفق.*

ثم في قوله: **قل أعوذ برب الناس،** إلى آخر السورة وجهان من الحكمة، فيهما نقض قول أهل الاعتزال. أحدهما أن المحنة قد تثبت[5] بالامتناع من طاعة الشيطان والمخالفة له. فإما أن كان الله تعالى عز وجل أعطاه جميع ما يقع به الامتناع حتى لا يبقى عنده مزيد، أو لا يعطيه جميع ذلك بل بقي عنده شيء منه. فإن كان قد أعطاه، فهو يطلب ذلك بالتعوذ والاعتصام بالله تعالى، [فكأنه] كاتمٌ[6] لما أعطاه طالبٌ ما ليس عند الله تعالى، فيكون الأمر بالتعوذ محنة وأمرا بما به كتمان ذلك. وذلك [إما] حق[7] استوفاه[8] يكون إنكاره [من الفحشاء، أو نعمة آتاه يكون كتمانه كفرانا للنعمة، إذ الكفر حقيقته][9] ستر نعم الله تعالى. وقد تبرأ عن الأمر[10] بالفحشاء والمنكر، وبيّن أن ذلك عمل الشيطان.[11] ثم في المحنة بهذا محنة بالاستهزاء بالله تعالى، لأنه يطلب منه ما يعلم أنه لا يملكه ولا يجده عند نفسه، وذلك من عمل الهُزْء عند ذوي[12] العقول. فمن ظن أن الله تعالى يمتحن عباده ويأمرهم بشيء مما ذكرنا فهو جاهل بالله تعالى وبحكمته.

---

[1] أي حفظه بالتعوذ.
[2] جميع النسخ + به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٩و.
[3] م – عند.
[4] ر ن م – هذا.
[5] ن: قد يثبت.
[6] ن: كأنه.
[7] جميع النسخ: حين. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] أي أخذه العبد تاما وافيا.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] م – عن الأمر.
[11] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٧/٧–٢٨).
[12] جميع النسخ: من علم الجزء وعند ذي. والتصحيح من المرجع السابق.

و[الثاني] أنْ لم يكن الله تعالى أعطاه[1] وعنده [شيء] بعد ذلك. ثم كان من مذهبهم[2] أنه ليس لله تعالى أن يمتحنهم بفعل إلا بعد إيتاء جميع ما عنده مما به قوامه ووجوده. ففي ذلك اعتراف بلزوم المحنة وتوجه التكليف قبل إيتاء جميع ما عنده مما به الوصول إلى ما أَمر به، وذلك ترك مذهبهم. مع ما كان عندهم أنه لو كان عند الله أمر ومعنى لا يقع فعل المختار لأجل أنه[3] لا يعطيه ذلك لم يكن له أن يمتحنه، وهو بالامتحان جائر.[4] فأما أنْ سألوه بفعل قد أَمر به وإن لم يكن أعطاهم[5] ذلك[6] -وهم ما وصفوا الله[7] تعالى بمثل ذلك- أو بفعل[8] يتلو وقت الأمر[9] ذلك ويكون[10] إعطاء ذلك وقتَ الأمر،[11] فكأنه ظن أن يأمر[12] ولا يعطي حتى يُسأل، وذلك حرف الجور.

ثم الأصل الذي اطمأن به قلوب الذين يعرفون الله أنه متى هُدِي الهداية التي يَسأل،[13] أو عُصِم العصمة التي يطلب، أو وُفق لما يرجو من الفضل،[14] أو أعانه عند ما يخاف[15] كان ذلك لا محالة وتَحقق[16] بلا شبهة، ويأمن لديه من الزيغ والضلال. وعلى ذلك جُبلوا مما لا نجد[17] غير معتزلي إلا وقد اطمأن قلبه به، حتى يعلم أن هذا منه ووقع[18] المجبول عليه، بالتقليد. **ولا قوة إلا بالله**.

---

[1] أي أعطى العبد ما يقع به الامتناع من طاعة الشيطان.

[2] ث + أن يمتحنهم بفعل لم يكن الله تعالى أعطاه.

[3] ر م: لأنه.

[4] ر ن م: جائز.

[5] جميع النسخ: أعطاه.

[6] أي وإن لم يكن أعطى الله العباد قدرة ذلك الفعل ووسائل إيقاعه.

[7] ن: لله.

[8] ث م: يفعل.

[9] أي يجب إيقاع ذلك الفعل فورا ويكون إعطاء الله تعالى قدرة ذلك الفعل ووسائله وقت الأمر به.

[10] ن م: فيكون.

[11] أي يكون إعطاء الله قدرة ذلك الفعل وقت أمره به.

[12] ر م: أن يأمروا.

[13] جميع النسخ: سئل. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٩و. أي متى يسأل العبد أن يُهدَى إلى الرشاد أو يعصم من الخطأ والمنكرات...

[14] جميع النسخ: من الفعل. والتصحيح من المرجع السابق.

[15] جميع النسخ + أنه.

[16] ر م: ويحقق؛ ث – وتحقق.

[17] ر ث: لا يجد.

[18] جميع النسخ: وقع. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٩ظ.

وقوله عز وجل: **برب الناس ملك الناس إله الناس**، ولم يقل: أعوذ برب الخلق، وهذا أعم من الأول. وإضافة كلية الأشياء إليه أو إضافته إلى الكل بالربوبية من باب التعظيم لله تعالى، فما كان أعمّ فهو أقرب في التعظيم. فهذا -والله أعلم- يخرج على أوجه. أحدها أراد التعريف، وبهذا يقع الكفاية في معرفة من يُفزع إليه ممن يملك ذلك ليتعوذ[1] به.[2] لكنه ذكر "برب الفلق" في موضع، "وبالله" في موضع، "وبك" في موضع، كقوله: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[3] وقوله:[4] فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ،[5] ليعلم به من سعة الأمر وتحقيق الفزع والرجوع إلى الله تعالى عند نزول ما ينزل بالمرء[6] مما يخاف على نفسه ويَشغَل قلبَه أنَّ له ذكرَ ما يحضره من أسماء الله تعالى أيَّ اسم كان، إذ ما من اسم[7] إلا وفيه دلالة على نعمه وسلطانه وقدرته وعظمته ليكون في ذلك توجيه الملك إليه وإخلاصُ الحمد له بإضافة النعم. فيكون ذلك من بعض ما به التشفع[8] إلى الله تعالى من ذكر قدرته وإحسانه، و[يكون] أرفع ذلك في ذكر الناس بالإضافة إليه.

والثاني أن الذين عُرِف فيهم الأرباب والملوك والعبادات لمن دون الله تعالى هم الإنس دون غيرهم، فأَمَر أهلَ الكرامة بمعرفة الله تعالى والعصمة عن عبادة غيره والاعترافِ بالمُلْك والربوبية له أن يفزعوا إليه عما ذُكر، ذاكرين لذلك، واصفين بأنه الرب لهم والمَلِك عليهم والمستحق للعبادة لا غيرُه. أو لِما كان للوجوه التي ذكرنا ضل القوم مِن اتخاذهم أربابا دونَ الله تعالى، أو نزولِهم على رأي ملوكهم في الحل والحرمة وفي البسط والقبض، أو عبادتِهم غير الله تعالى وفَزَعِهم إليه، فأمر الله تعالى أهل الكرامة بما ذكر من الفزع[9] إلى الذي يُذكَر بهذه الأوصاف على الحقيقة، على نحو فزع الضالين إلى أربابهم وملوكهم؛ و[أمر] الذين عبدوه دونهم، إذ إليه مفزع الكفرة أيضا عند الإياس عمن اتخذوهم دون الله لنصرتهم ومعونتهم. *والله أعلم.*

---

[1] جميع النسخ: ليعود. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٩ظ.
[2] جميع النسخ: منه.
[3] سورة المؤمنون، ٩٧/٢٣.
[4] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ (سورة الأعراف، ٢٠٠/٧).
[6] ن – بالمرء.
[7] ر: إن ما من اسم؛ م + كان.
[8] ر م: الشفع.
[9] جميع النسخ: بما ذكرت الفزع. والتصحيح من المرجع السابق.

والثالث أن المقصود من خلق هذا العالم هم الذين[1] نزلت فيهم هذه السورة، وغيرُهم كالمجعول المسخر لهم، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾،[2] وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ﴾[3] الآية، وقال الله تعالى: / ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾،[4] الآية. [٩٢٧ظ]

فإذا قيل: **برب الناس، ملك الناس [إله الناس]**،[5] فكأنه قيل: برب كل شيء، لأن ما سواهم جُعل لهم. وذكرُ الخلق[6] والتوجيهُ إليه في الاستعاذة والاستغاثة[7] هو اعتراف بأن لا يملك غيرُه ذلك، فاستوى الأمران.[8] ***والله أعلم***.

وقيل[9] في [قوله:][10] **برب الناس**: مصلح الناس، وذلك يرجع إلى أن به صلاحَهم في الدين وفي النفس.[11]

وقيل: **مَلِكِ الناس**، على الإخبار بأن الْمِلْك [والْمُلك] له فيهم جميعا، وفي الخلق [جهة المِلك][12] مما لم يُذكر فيه جهة[13] المُلْك، فبيّن أن ذلك كله في التحقيق لله تعالى ومُلكِه، ولغيره يكون من جهته على ما أعطى لهم بقدر ما احتاجوا إليه. وقيل:[14] سيدِهم، لكن لفظة "السيد" لا يذكر لمالكِ غيرِ الناس، ويوصف[15] بالرب والمِلك، والمالك على الإضافة لا مطلقا. يقال: "رب الدار"، و"مالك الجارية"، و"مِلك مصر"،[16] ونحو ذلك، فكأنه[17] أقرب.

---

[1] ر: هو الذين.
[2] سورة البقرة، ٢/٢٩.
[3] ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/١٢).
[4] ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢).
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٩ظ.
[6] أي الناس.
[7] جميع النسخ: والاستعانة. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] أي استوى ذكر "الناس" وذكر "كل شيء".
[9] ث: قيل.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] ث – والله أعلم وقيل في قوله برب الناس مصلح الناس وذلك يرجع إلى أن به صلاحهم في الدين وفي النفس.
[12] الزيادتاة من المرجع السابق.
[13] ر م + فيه جهة.
[14] أي في تأويل ﴿ملك الناس﴾.
[15] أي الإنسان.
[16] ر م: المصر.
[17] أي التأويل الأول لكلمة ﴿ملك﴾.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾[٤] ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[٥] ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **من شر الوسواس الخناس**، فسمي الذي يوسوس بأنه وسواس وخناس. وقيل في تأويله من وجهين. أحدهما أنه يوسوس لذي الغفلة، ويَخنِس عند ذكر الله تعالى أي يخرج ويذهب. وقيل: يخنس: لا يُرى ولا يَظهر، كقوله تعالى: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ.[١] ولهذا قيل: في "الْجَوَارِ"[٢] "الْخُنَّسِ":[٣] إنهن يَطْلَعْن من مَطالعهن ويَخنِسن بالنهار أي يختفين.[٤] وجائز أن يكون قوله عز وجل: **الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس**،[٥] صيَّر الموسوس في صدور الناس من الجنة والناس. وقيل أيضا على التقديم والتأخير، معناه: قل أعوذ برب الناس... من الجنة والناس من الذي[٦] يوسوس في صدور الناس.

أما الوسوسة فهي أمر معروف، وذلك بما[٧] يُلْقَى من الكلمات التي تَشغَل[٨] القلب وتُحيِّر[٩] في أمر الدين، بما لا يَعرف الذي يُلْقَى إليه المخرجَ[١٠] من ذلك. وعلى ذلك أمر أهل الأهواء وأصناف الكفرة، كقوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،[١١] وقوله عز وجل: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ.[١٢]

وأما شياطين الجن فهو أمر ظاهر عند جميع أهل الأديان ومن آمن بالرسل عليهم الصلاة والسلام. لكن الدهرية ومنكري الرسل[١٣] يقولون: ليس من الجن[١٤] شياطين،

---

[١] سورة الأعراف، ٢٧/٧.

[٢] ت: في الجواري.

[٣] ر: الكنس. لعله يشير إلى الآيتين من سورة التكوير: ﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس﴾ (٨١/١٥-١٦).

[٤] ر م + وقيل.

[٥] ر ث م + الآية.

[٦] ر م: من الذين.

[٧] ر ث م: مما.

[٨] جميع النسخ: يشتغل.

[٩] ر م + لما.

[١٠] أي الخلاص.

[١١] ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١٢).

[١٢] سورة الأنعام، ٦/١٢١.

[١٣] ر - الرسل؛ م: البعث.

[١٤] جميع النسخ: في الجن. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٧٠و.

وإنما هو أمر يخوّف به مُدَّعو[1] الرسالة ليُلزموا الخلق الاستماع إليهم في تعرّف الجَهْل وما عندهم في دعواهم من العلوم والمعارف.

وهذا لسفههم قالوه،[2] ولو أنهم تأملوا في ذلك لعرفوا أنهم على غير بحث عما ألزمتهم[3] ضرورة العقل الطلبَ، ودعتهم إلى البحث عنه ما مسهم من الحاجة،[4] وهي الخواطر التي تقع في القلوب والخيالاتُ التي تَعرض[5] في الصدور. منها [ما][6] إذا صُورت وُجدت قِباحا، ومنها[7] ما إذا صُورت وُجدت حِسانا. ولا يجوز وقوع أمر أو كون شيء بعد أن لم يكن مِن قِبل نفسه للإحالة في أن يصير لا شيءَ بنفسه شيئا قبيحا أو حسنا بلا مدبّر. وقد عَلم جميع الإنسان بالذي ذكرت من الابتلاء به مما يُعلَم أنه لم يكن من نفسه معنى يَحدُث له ذلك. فثبت أن قد كانت الضرورة تُلزم[8] البحث عن ذلك.

ثم لا يُعلَم من حيث طلبُ الأبدان الموجبةُ لها ولا في العقول أيضا[9] دركُها. فيجب بها أمران منعاهم عن العلم بهما: القُنُوع[10] بالجهل وحب الراحة. أحدهما القول[11] بالصانع ودخول العالم تحت تدبير حكيم عليم قدير، والآخر القول بالرسالة تأتيهم[12] من[13] عند علام الغيوب. وإذا[14] كان[15] ذلك بحيث لا يبلغه علم البشر فيَعرفَ حقيقة ذلك، فيعلمَ عند النظر والبحث أمرين عظيمين. أحدهما الرسل بما معهم من المعجزات، فيقولون بهم وبالتوحيد بما رأوا من الآيات الصدق،

---

[1] ر ت: مدعوا.
[2] جميع النسخ: قالوا.
[3] ر ث ن: ألزمهم.
[4] أي إن الذين ينكرون شياطين الجن لم يبحثوا عما ألزمتهم عقولهم طلبه ودعتهم الحاجة إلى التأمل فيه والكشف عن حقيقته، وهي الخواطر إلخ.
[5] ن: يعرض.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٧٠و.
[7] ر: ومنهم.
[8] جميع النسخ: يلزم. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر ث م – أيضا.
[10] ر ن م: الصوع.
[11] ر: العقول.
[12] جميع النسخ: يأتيهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن – من.
[14] جميع النسخ: إذا.
[15] ر م: كانت.

إذ قد علموا أن في الأخبار صدقا لولا ذلك لكانوا لا يدعون شيئا، إذ هو خبر.[1] والثاني يلزمهم بما يعاينون[2] من خروج الأمور[3] عن غير الحكماء أنها تقع متفاوتة مضطربة، والعالم بما خرج مُتَّسقا على الحكمة والمصلحة، فعلموا أنه كان بمدبر حكيم يعلم[4] ما به المصالح؛ فيلزمهم به أمران أيضا: التوحيد والرسالة. **ولا قوة إلا بالله تعالى**.

والأصل عندنا بتمكين الشيطان ما ذكرنا[5] من الوسوسة أن الشيطان والملَك خلقان لله تعالى، عرفناهما بالرسل عليهم الصلاة والسلام، وبما بينا من ضرورة الحاجة إلى العلم بمن بإلقائه يصير عند التصوير قبيحا أو حسنا، فيأتيان جميعا بما مكّنهما الله تعالى من الأمرين جميعا. أمرُ الملائكة الخير والحكمة، فيَسهُل عليه[6] سبيله بتيسير الله تعالى وفضله. وأمرُ الشيطان الضلال والشر فيُيَسَّر عليه، حتى صار الخير للأول كالطبع والشر للثاني كذلك. فإذا كان كل واحد ممكنا [٩٢٨و]من الأمرين / قال الله عز وجل: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ إلى قوله عز وجل لِلْعُسْرَى،[7] وقال الله عز وجل: فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ إلى قوله تعالى كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ.[8]

ثم الأصل في الإنس أنهم امتُحنوا بحقوق بينهم وبين الله تعالى وبحقوق فيما بينهم، وكُلفوا أن [يقبلوا][9] بتثبيت[10] الملائكة إياهم، بقوله[11] عز وجل: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا،[12] وأمروا برد ما يوسوس إليهم الشيطان، بقوله تعالى: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا،[13] وغير ذلك.

---

[1] ر ن م + له.

[2] جميع النسخ: بما يعاينوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠و.

[3] جميع النسخ: الأمر.

[4] ر ث م: بعد.

[5] ث: ما ذكر.

[6] أي على كل من الملائكة.

[7] ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ (سورة الليل، ٩٢/٥-١٠).

[8] ﴿فمن يرد الله أن يهديه يَشرح صدرَه للإسلام ومن يرد أن يُضلّه يجعل صدره ضيّقا حرَجا كأنما يَصَّعَّد في السماء﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٢٥).

[9] الزيادة من المرجع السابق.

[10] جميع النسخ: تثبيت. والتصحيح من المرجع السابق.

[11] ر م – بقوله.

[12] سورة الأنفال، ٨/١٢.

[13] ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٦).

وعلى ذلك خلقت الملائكة ممتحَنين بالكتابة[١] على البشر، بقوله: كِرَامًا كَاتِبِينَ؛[٢] فتكون[٣] الحكمة في تكليف الْمُمَكَّنِين[٤] ما وُصف من محنة الله تعالى إياهم طاعتَهم في أنفسهم وفيما مُكّنوا من غيرهم على ما ذكرت من أمر[٥] الإنس. وحكمة ذلك للإنس إلزام التيقظ والنظرِ فيما يقع في قلبه من الخواطر ليعلم الذي له مِن[٦] الذي عليه. وكذلك [الأمر] في تكليف الملائكة [من] كتابة[٧] قوله[٨] وفعله، ليكون متيقظا ومتنبها في كل أفعاله وأحواله،[٩] كتيقظه فيما كان الأولياء والأعداء من الكاتبِين الظاهرين عليه أنه يَحذَر كل الحذر[١٠] عما يؤذى وليّه، ويُقبل على كل أمر فيه نفع مما أَمَلَ،[١١] ويَحذر عدوّه أشد الحذر لئلا يؤذَيه من حيث لا يعلم فيتهمَه كلَّ تهمة. ثم معلوم أن لا يُمليَ الكتبة إلا بعد إحكامه وإصلاحه غاية ما يحتمل الوسع، فعلى ذلك فيما خفي؛ إذ هم في العقول في درك ما لهم[١٢] وما عليهم كالذين ظهر لهم[١٣] ممن ظهروا لأبصارهم.[١٤] *والله الموفق*. ولذلك[١٥] صَلحَت[١٦] المحنة والأمر في صحبة الأولياء والأعداء[١٧] بحق الولاية والعداوة فيما لا يَرون صلاحَها وفيما يرون، إذ [النيات] من الجهة التي فيها[١٨] الولاية والعداوة مرئية[١٩] لأبصار القلوب والعقول، فيمكن الحذر والمعاملة جميعا.

---

[١] ر م: بالكناية.
[٢] سورة الانفطار، ٨٢/١١.
[٣] جميع النسخ: فيكون.
[٤] جميع النسخ: التمكين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠و.
[٥] م: الأمر.
[٦] ن: ومن.
[٧] م: من كناية.
[٨] ث + وحكمته.
[٩] ن: أحواله وأفعاله.
[١٠] ن – كل الحذر.
[١١] جميع النسخ: يقع بما أمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] جميع النسخ: ما منهم.
[١٣] ن: ذكر لهم.
[١٤] أي الكتبة من الملائكة –في تعقلنا وفهمنا– في درك ما للممتحنين وما عليهم من الأفعال كالذين ظهر لهم الأفعال عيانا.
[١٥] ر: وكذلك.
[١٦] ن – صلحت. وصلحت: أي أمكنت وصارت موافقة للحكمة.
[١٧] ن: الأولياء.
[١٨] جميع النسخ: من الوجه الذي فيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠ظ.
[١٩] جميع النسخ: والعداوة من مزينة. والتصحيح من المرجع السابق.

وعلى هذا التقدير لم يمكّن الله أعداءه[1] الذين[2] لا يُرَون[3] من معاداتهم بأفعال في[4] أبدانهم[5] وأموالهم بالسلب والتنجيس والإفساد، وقد مكّن أعداءه[6] من الإنس ذلك، لتمكنهم [من] الدفع عن ذلك والحذر عنه بما وقع الوقوف لبعض على حيل بعض والصرفُ عن ذلك، وما هذا إلا كدرك الحواس بأفعالها وأسبابها بالحس، وكذلك أمر الملائكة. لكن من لا يحتمل عقله معرفة الصانع والتوحيدَ مع شهادة العقل وكلِّ شيء فجهله بالشيطان غير مستبعد ولا مستنكر. *والله أعلم*.

{قال رضي الله تعالى عنه:} ثم اختلف في وجه تمكن[7] الشيطان من الإنس فيما يوسوس إليه. قد روي في بعض الأخبار أنه يجري فيه مجرى الدم،[8] فأنكر ذلك قوم. وليس ذلك مما يُنكَر بعد العلم باحتمال جري الدم فيه وجري قوة الطعام والشراب وما به حياة الأبدان والحواس مما لطف مجراه[9] في جميع العروق والأعصاب وكل شيء بلطافة ذلك، فعلى ذلك[10] الشيطان. وعلى ما روي في أمر الْمَلَك مما يكتب ما لا يُعلَم موضع قعوده ولا يُسمع[11] صرير[12] قلمه ولا ما يكتب علينا من ذلك. فعلى ذلك الأمر[13] الذي ذكرت.

ثم قد ثبت القول بأمر الله تعالى نبيه أن يتعوذ به عن همزه ونَزْغِه وحضوره، بقوله تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ،[14] الآية، وقوله عز وجل: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[15]

---

[1] ن: أعداه.

[2] ر م - الذين.

[3] ر م: ولايرون.

[4] جميع النسخ: من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠ظ.

[5] أي أبدان الممتحنين.

[6] ر م: أعداؤهم؛ ن: أعداهم؛ ث: أعداءهم.

[7] ن م: يمكن.

[8] لعله يشير إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» (صحيح *البخاري*، الأحكام، ٢١، بدء الخلق ١١؛ وصحيح *مسلم*، السلام ٢٣-٢٥).

[9] م: مجراء.

[10] ر م: بلطافة ذلك؛ ن: بلطافة فعلى ذلك.

[11] ث: ولا سمع.

[12] ن م: ضرير.

[13] جميع النسخ: أمر.

[14] ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٠٠).

[15] ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك أن يحضرون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩٧-٩٨).

وقال: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا،[١] وقال: الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ،[٢] الآية، فثبت أن أمره على ما يشاء.[٣]

ثم القول في أي موضع [يكون][٤] [أو ا]لوقت ما له من الوحي والمس والنزغ أمر لا نحتاج إليه نحن،[٥] لأن الله تعالى أخبرنا أنا لا نراه بقوله عز وجل: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ.[٦] ولكن الذي[٧] رجعت إليه[٨] المحنة أفعالُه التي تقع[٩] لها آثار في الصدور، وقد مُكِّنَّا بحمد الله تعالى ومنِّه لندرك [ما جاء] منه.[١٠] وإنما علينا التيقظ لما يقع في الصدور من أفعاله ووساوسه لندفع[ها][١١] بما مكّننا الله تعالى من الأسباب وعرّفنا من الحجج بغض الباطل والتمسك بالحق، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا،[١٢] أو رجعوا[١٣] إلى الله تعالى بالتعوذ في طلب اللطف الذي جعله الله[١٤] تعالى للدفاع، كقول[١٥] يوسف عليه الصلاة والسلام: وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ،[١٦] الآية، على العلم فيه بظواهر الأسباب المجعولة[١٧] لدفع كيدهن. وكذلك قول الراسخين في العلم: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا / بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً،[١٨] الآية. [٩٢٨ظ]

---

[١] سورة الأعراف، ٧/٢٠١.

[٢] ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧٥).

[٣] ث – فثبت أن أمره على ما يشاء.

[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٧٠ظ.

[٥] جميع النسخ: لا يحتاج إليه بحق. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] سورة الأعراف، ٧/٢٧.

[٧] م: الذين.

[٨] ر ث م – إليه.

[٩] جميع النسخ: إلى أفعاله التي يقع.

[١٠] ر ث م: ومنة ليذكرك منة. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] م: ليدفع.

[١٢] سورة الأعراف، ٧/٢٠١.

[١٣] ر ث م: ويرجعوا؛ ن: وترجعوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٤] ن – الله.

[١٥] م: كقوله.

[١٦] ﴿قال رَبِّ السِّجنُ أحبُّ إليّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصبُ إليهن وأكن من الجاهلين﴾ (سورة يوسف، ١٢/٣٣).

[١٧] ر ث م: بطوائف الأشياء من المجعول؛ ن: بطوائف الأسباب المجعول. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٨] سورة آل عمران، ٣/٨.

لكن من الناس من يقول: هو يَعْلم النفس فيما تهوى[1] فيُزيِّن لها ذلك، والعقلَ فيما يدعو[2] فيمنعه عن ذلك. ومنهم من يقول: لا، لكنْ في ذلك آثار من الظلمة والنور والطِّيب والخُبث[3] فيعرف[ها] بالآثار،[4] وفيها موقع وسواسه حتى يصل إلى الفعل.[5] وقد يكون عمل الهوى والعقل جميعا في الجسد[6] وخارجا[7] منه وبخاصة آثار الأعمال. ومنهم من يقول: ليس له بشيء[8] من ذلك علم، لكن [يتمسك] بكل ما يرجو[9] العمل من التغرير أو[10] التمويه والتلبيس، كالأعمى فيما يَمَسُّ ويطلب المَضارّ من المنافع ونحو ذلك.

لكن ذلك كله طريق عمل الشيطان وطريق إمكانه وحيله. وذلك أمر لم نؤمر[11] بمعرفته، وإنما علينا مجاهدته في منع ذلك بالتيقظ أو بدفعه[12] بما نتذكر[13] -هكذا ذكرت في الآيات- أو بالفزع إلى الله سبحانه وتعالى في دفعه ومنعه إن حضر، بما عنده من اللطائف التي لديها يقع الأمن عن الزيغ والظفرُ بالرشد.

وتأوَّل[14] كثير منهم أنه يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس، وذلك ممكن لما قد يكون في كل[15] جنس ضُلّال وغُواة[16] وأخيار وأبرار. فأما حق تأويل السورة على ما وصفنا في ذكر وسواس الجن والإنس [والله أعلم].[17]

---

[1] ن: فيما يهوى.
[2] ر ن م: فيما يدعوا عن ذلك؛ ث + عن ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠ظ.
[3] ر ث م: والخبث.
[4] ن: بالآيات.
[5] ن ث: إلى العقل.
[6] ث: في الحسد.
[7] جميع النسخ: وخارج.
[8] م: شيء.
[9] ر م: يرجوا.
[10] جميع النسخ + في.
[11] جميع النسخ: لم نؤمن. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر ث م: أو يدفعه.
[13] جميع النسخ: بما يتذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ر م: ويأول.
[15] جميع النسخ: من كل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.
[16] ث: وعياه.
[17] الزيادة من المرجع السابق.

ثم القول في المعوذتين أنهما من القرآن أو ليستا من القرآن. {قال الفقيه رحمه الله:} لنا من أمرهما أنهما انتهتا[١] بما انتهت[٢] إلى أهل هذا العصر معرفةُ القرآن في الجمع[٣] بين اللوحين بتوارث الأمة. ولسنا نحن ممن يعرف بالمحنة والسَّبْر[٤] بما به[٥] نعلم أنهما[٦] معجزتان أو لا. وإنما حق ذلك الأخذ عن أهل ذلك والشهادةُ له[٧] بعد الثبات أنه من القرآن وأنه معجز؛ حق أمثالنا فيه الاتباع.[٨]

وقد اتضح بما به جرى التعارف في جميع الشرائع التي به[٩] نشهد[١٠] أنها عن الله تعالى وأنها حق، فعلى ذلك هذا. لكن ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لم يكتبهما في مصحفه. وذلك عندنا يخرج على وجهين. أحدهما أنه لم يكن سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فيهما شيئا أنهما من القرآن أم لا؛ ولم يكن أيضا رأى على نفسه السؤال عن ذلك حقا واجبا، لأن القرآن وما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يُلزم علمَ الشهادة والعملَ به واحد، إذ المقصود من كل ذلك القيام بالمقصود من حق الكلفة لا التسميةُ. ولم يكن النجباء يمتحنون أنفسهم بالسبر[١١] في الوجوه التي بها يعرفون المعجز من غير ذلك أنه قرآن أو غيره، وإنما ذلك من عمل المرتابين الشاكّين في خبر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ليعرفوا أنه مبعوث مرسل. فأما من تقرر[١٢] عنده واطمأن به قلبه وزال عنه الحرج فيما أتاهم فقد كُفُّوا [عن][١٣] ذلك. وكذلك يجوز ترك البحث عن ذلك لما ذكرت، لا أن عنده أنهما ليستا من القرآن.

---

[١] ر: انهما؛ ن: انتهيا؛ ث – انتهتا؛ م: أنبهنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.
[٢] ر ث: بما انبهت.
[٣] ر م: في الجميع.
[٤] ر ث م: والسر. السبر: استخراج كنه الأمر بالقياس والتجربة (*لسان العرب*، «سبر»).
[٥] م – به.
[٦] ر م: أنها.
[٧] ر م – له.
[٨] ر ث م: الإيقاع.
[٩] جميع النسخ: بها.
[١٠] ر ث م: يشهد.
[١١] ر ث م: بالسر.
[١٢] ر ن م: من يقرر.
[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.

وفي خبر عقبة الجهني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأصحابه:[1] «نزل اليومَ آيات لم يُرَ مثلهن قط». قيل: ما هن يا رسول الله؟ فقال: «المعوذتان»،[2] دل أنهما من القرآن.

وأيد أيضا ما ذكرت في ترك الكتابة ما روي عن أبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا: «فقولوا».[3] فنحن نقول: لم نشهد في ذلك[4] بأنهما منه ولا ليستا[5] منه، بما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بهما، فعلى ذلك أمْرُ عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

ويؤيد ذلك أيضا أمر استعاذة القرآن،[6] أنها[7] متقدمة[8] على القراءة. وحق هاتين السورتين لو كانتا منه بيقين أن تكونا[9] في افتتاح المصحف كالاستعاذة للقرآن. فهذا أيضا بعض[10] الذي يمنع العلم[11] بحقيقة[12] ذلك عنه. وقد بينا جواز[13] وجه الإشكال. مع ما كان الإنزال لحاجة[14] العباد، وعلى ذلك جرى العمل بهما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره، فهو أمر لا يضر الجهلُ بالوجه[15] الذي ذكرت. وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: "لو علمت أن أحدا أعلم بالقرآن مني وحملتني مطيتي لأتيته".[16]

---

[1] ن + رضي الله عنهم.

[2] انظر: صحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ٢٦٤-٢٦٥؛ وسنن *الدارمي*، فضائل القرآن، ٢٦.

[3] عن زِرّ بن حُبَيْش قال: سألت أُبَيّ بْنَ كعب عن المعوذتين فقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «قيل لي فقلتُ». فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح *البخاري*، التفسير ١١٣)، وانظر أيضا: ١١٤.

[4] جميع النسخ: في تلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.

[5] ر ث م: ولا لسنا.

[6] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (سورة النحل، ٩٨/١٦).

[7] ن: أنهما.

[8] ر م: مقدمة.

[9] ر م: أن يكون؛ ن ث: أن يكونا.

[10] م: بعد.

[11] ر ث م - العلم.

[12] ن: يحتقر.

[13] م - جواز.

[14] ر ن م: بحاجة.

[15] ر ن م + بهما؛ ث - بالوجه.

[16] انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٤٠٥/١.

وقد / روي عمن ذكر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى [٩٢٩و] عليه وسلم كان يَعرض على جبرائيل عليه الصلاة والسلام كل عام مرة إلا في العام الذي قُبض عرض عليه مرتين، وقد شهدهما جميعا عبد[1] الله.[2] فلعله[3] لم يَعرض بما[4] شاء الله.[5] وإذا كان كذلك لم يكن هو ممن يَسأل في هذا الباب غيره ليثبُت عنده السماع بأنهما أُثبتتا في المصحف [أم لم تثبتا]؛ فبقي قوله بحيث لا نعرف حقيقته.

ووجه آخر، [احتمل][6] أن يكون رآهما منه لكن لم يكتب لوجهين. أحدهما لِما لم يكن موضعَ الكتاب، والتدبيرُ على ما ذكرنا أن يكون في أول المصاحف، فكره أن يكتب بتدبيره ويتخير له موضعا للكتابة، فلم يكتب لذلك.[7] والثاني أنه يكتب ليَحفظ ولا ينسى،[8] وقد أمن عليهما النسيان، لأنهما بحيث يجب تلاوتهما في أوائل النهار ومبادئ الليل، وعند النوازل [التي] تقع[9] يُتعوذ[10] بهما عن كل شر وكيد على نحو الاستعاذة وأنواع الدعوات المدعوة، فلما أمن خفاءهما[11] لم يكتب. [وكذلك لو توهم ذلك في الكل]،[12] وعلى ذلك تَرك كتابة فاتحة الكتاب.[13]

والله أعلم.[14]

---

[1] ر ث ن: عند.

[2] عن بن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن على جبريل في كل سنة مرة، فلما كانت السنة التي قبض فيها عرضه عليه مرتين، فكانت قراءة عبد الله آخر القراءة (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٣٢٥).

[3] جميع النسخ: فعله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.

[4] ر ث م: ما.

[5] أي لعل النبي عليه السلام لم يَعرض ولم يقرأ ما شاء الله عدمَ قراءته.

[6] الزيادة من المرجع السابق.

[7] ر م: كذلك.

[8] ن: ولا ينشي.

[9] ر م: ينفع؛ ن ث: يقع. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ر م: التعوذ؛ ث: نتعوذ.

[11] ر م: خفاهما.

[12] الزيادة من المرجع السابق.

[13] ن: القرآن. انظر: *الإتقان في علوم القرآن* للسيوطي، ١/٢٢٦.

[14] ن + بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين؛ ث + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ م – والله أعلم.

الفهارس

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

فهرس الأشعار

فهرس الكتب

فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- *الإتقان في علوم القرآن*؛

تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- *أسد الغابة*

في معرفة الصحابة؛ تأليف عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجوزي المعروف بابن الأثير، تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- *الإصابة*

في تمييز الصحابة؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- *الأعلام*

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين؛ تأليف خير الدين الزركلي، بيروت ١٩٨٠م.

- *الأغاني*

تأليف أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الإصفهاني، القاهرة ١٩٩٢م.

- *بحر العلوم*؛

تأليف أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق علي محمد معوض – وآخرين، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- *البحر المحيط*؛

تأليف أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الرياض بدون تاريخ (مكتبة ومطابع النصر الحديثة).

- *البداية والنهاية*؛

تأليف أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، القاهرة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

- *تفسير ابن أبي حاتم*

... *المسمى تفسير القرآن العظيم*؛ تأليف عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكة المكرمة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- *تفسير ابن كثير*

... المسمى *تفسير القرآن العظيم*، تأليف الحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، إستانبول ١٩٨٤م.

- *تفسير السمعاني*؛

... المسمى *تفسير القرآن*، تأليف أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر ابن إبراهيم – غنيم بن عباس بن غنيم، الرياض ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- *تفسير القرطبي*

... المسمى *الجامع لأحكام القرآن*؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).

- *تفسير عبد الرزاق*؛

تصنيف عبد الرزاق بن هَمَّام بن نافع الصنعاني، تحقيق دكتور محمود محمد عبده، بيروت ١٩٩٩م.

- *تفسير مقاتل بن سليمان*

تأليف أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، تحقيق أحمد فريد، بيروت ٢٠٠٣م.

- *تقريب التهذيب*؛

تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، حلب ١٤٠٦هـ.

- *تنوير المقباس*

من تفسير ابن عباس؛ بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- *حجة القراءات*؛

تأليف الإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- *خزانة الأدب*

ولب لباب لسان العرب؛ تأليف عبد القادر بن عمر بن بايزيد البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٤٠٦هـ/١٩٨٤م.

- *الدر المنثور*

في التفسير بالمأثور؛ تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، بيروت ١٩٨٣م.

- *روح المعاني*

في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ تأليف أبي الثناء شهاب الدين محمود شكري بن عبد الله بن محمود الآلوسي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).

- *زاد المسير*؛

في علم التفسير؛ تأليف أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، بيروت ١٤٠٤هـ.

– *سنن ابن ماجة*؛
تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *سنن أبي داود*؛
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي؛ نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

– *سنن الترمذي*؛
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *سنن الدارمي*؛
تصنيف أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي؛ نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

– *السنن الكبرى*؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

– *سنن النسائي*؛
تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *سير أعلام النبلاء*؛
تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرناءوط، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

– *شذرات الذهب*
في أخبار من ذهب؛ تأليف أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي المعروف بابن العماد، تحقيق عبد القادر الأرناءوط – محمود الأرناءوط، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

– *شرح التأويلات*؛
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة مخطوطة بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ ومكتبة بايزيد، قسم ولي الدين، رقم ٤٢٦ [Beyazıt ktp., Veliyyüddin nr. 426]؛ ونسخة خطية أخرى بمكتبة متحف طوبقابي سرايي، مدينة، رقم ١٧٩ [Topkapı Sarayı ktp., Medine nr. 179].

– *شعب الإيمان*؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد – مختار أحمد الندوي، رياض ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

– *الصحاح*
... *تاج اللغة وصحاح العربية*، تأليف أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، المملكة العربية السعودية ١٩٨٢.

- ***صحيح البخاري؛***
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعْفِي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ***صحيح مسلم؛***
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ***صفة الصفوة؛***
تأليف أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري - محمد رواس قلعجي، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- ***العبر***
في أخبار من غبر؛ تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، كويت ١٩٤٨.

- ***الفائق***
في غريب الحديث؛ تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- ***الكامل***
في ضعفاء الرجال؛ تأليف أبي أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني المعروف بابن عدي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، بيروت ١٩٩٧م.

- ***كتاب التوحيد؛***
تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، تحقيق بكر طوبال أوغلي - محمد آروتشي، أنقرة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

- ***كتاب الزهد؛***
تأليف أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

- ***الكشاف***
عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل؛ تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- ***كشف الأستار***
عن زوائد البزار على الكتب الستة؛ تأليف الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- ***كشف الخفاء***
ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس؛ تأليف أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني، تعليق أحمد القلاش، القاهرة بدون تاريخ (مكتبة التراث الإسلامي).

- *لسان العرب*؛
تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، بيروت ١٤١٤هـ.
- *لسان الميزان*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- *المبسوط في القراءات العشر*؛
تأليف أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
- *المبسوط*؛
تأليف أبي بكر شمس الأئمة محمد بن أحمد بن سهل السرخسي، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- *مجاز القرآن*؛
تأليف أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق فؤاد سزكين، القاهرة ١٩٨٨م.
- *مجمع الزوائد*
ومنبع الفوائد؛ تأليف نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق عبد الله الدرويش، بيروت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.
- *المحتسب*
في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها؛ تأليف أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- *المحرر الوجيز*
في تفسير الكتاب العزيز؛ تأليف أبي محمد ابن عطية عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- *مختار الصحاح*؛
تأليف أبي عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمد خاطر، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- *مختصر في شواذ القرآن*
من *كتاب البديع*؛ تأليف أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، القاهرة بدون تاريخ (مكتبة المتنبي).
- *المستدرك*
على الصحيحين؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- *مسند أحمد بن حنبل*؛
تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *مصنف ابن أبي شيبة*؛
تصنيف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

– *مصنف عبد الرزاق*؛
تصنيف أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

– *معاني القرآن وإعرابه*؛
تأليف أبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السَّرِي بن سهل، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

– *معاني القرآن*؛
تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء؛ تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، بيروت ١٩٥٥م.

– *معجم القراءات*؛
عبد اللطيف الخطيب، دمشق ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

– *المعجم الكبير*؛
تصنيف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الموصل ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

– *معجم المؤلفين*
تراجم مصنفي الكتب العربية؛ تأليف عمر رضا كحالة، دمشق ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

– *المعجم الوسيط*؛
تأليف إبراهيم مصطفى وآخرين، القاهرة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

– *معرفة القراء الكبار*
على الطبقات والأعصار؛ تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق طيار آلتي قولاج، إستانبول ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

– *مفاتيح الغيب*؛
تأليف أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، طهران بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

– *الموطأ*؛
تصنيف أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *ميزان الاعتدال*
في نقد الرجال؛ تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *الميسر في القراءات الأربع عشرة*؛
تأليف محمد فهد خاروف، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

– *النجوم الزاهرة*
في ملوك مصر والقاهرة؛ تأليف أبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- *النشر في القراءات العشر*؛
تأليف أبي الخير ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).
- *النكت والعيون*؛
تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- *النهاية*
في غريب *الحديث والأثر*؛ تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).
- *الوافي بالوفيات*؛
تأليف أبي الصفاء صلاح الدين خليل بن آيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق هلموت ريتر، شتوتغارت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ